



المكتبة العربية

(مصادر التراث والكتاب القديم)



السنة: الأولى

القسم: اللغة العربية

الاختصاص: المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم



منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

المكتبة العربية

(مصادر التراث والكتاب القديم)

الدكتورة

سامة حباس

الدكتورة

فاتن كوكبة

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية مدرس في قسم اللغة العربية

١٤٣٦-١٤٣٧هـ

٢٠١٤-٢٠١٥م

جامعة دمشق

فهرس المحتوى

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة الكتاب	٧
الباب الأول: المصادر الأدبية	٩
الفصل الأول: المصادر الشعرية	١١
- دواوين الشعراء ودواوين القبائل	١٥ - ١٦
- الاختيارات الشعرية	٢٠
- كتب معاني الشعر	٦١
الفصل الثاني: الخطب والرسائل والمقامات وكتب الأمثال	٦٧
الفصل الثالث: كتب الثقافة الأدبية العامة والأدبي	٩٥
الباب الثاني: المصادر اللغوية والنحوية والصرفية	١٣٧
الفصل الأول: المصادر اللغوية (١): المعاجم	١٣٩
- معاجم الألفاظ	١٤٣
- معاجم المعاني	١٧٩
- المعاجم العربية الحديثة	١٨٩
الفصل الثاني: المصادر اللغوية (٢): كتب فقه اللغة	١٩٥
الفصل الثالث: المصادر النحوية والصرفية	٢٢٣
الباب الثالث: المصادر البلاغية والنقدية	٢٤١
الفصل الأول: المصادر البلاغية	٢٤٣

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثاني: المصادر النقدية	٢٦١
الباب الرابع: كتب التراجم وكتب الأنساب	٢٧٩
الفصل الأول: كتب التراجم	٢٨١
- تراجم الشعراء والأدباء	٢٨٣
- تراجم اللغويين والنحاة	٣١١
- تراجم القراء والمفسرين والمحدثين	٣١٩ - ٣٢١
- تراجم المتصوفين	٣٢٣
- تراجم الأطباء والحكماء	٣٢٤
- تراجم الأعلام العامة	٣٢٨
- كتب برامج العلماء	٣٣٦
الفصل الثاني: كتب الأنساب	٣٣٩
الباب الخامس: المصادر التاريخية والجغرافية والرحلات	٣٥٣
الفصل الأول: المصادر التاريخية	٣٥٥
الفصل الثاني: المصادر الجغرافية وكتب الرحلات	٣٧٣
الباب السادس: كتب تاريخ الأدب العربي والاصطلاحات والموسوعات	٣٩٧
الفصل الأول: كتب تاريخ الأدب وكتب الاصطلاحات	٣٩٩
الفصل الثاني: دوائر المعارف والموسوعات	٤١٥
نصوص مختارة من كتاب الأمالي لأبي علي الفاي	٤٢٥
المصادر والمراجع	٤٩١

مُقَدِّمَةٌ

لا وجود لأمةٍ بلا تراث ولا بقاء لها بلا علماء مخلصين ينهضون بحضارتها وبها يرتقون، هكذا كان شأنُ العربِ في التاريخ، إذ تقدّموا حاملين مشاعل العلم والمعرفة، مُودعين خلاصةَ فكرهم وفيضَ عقولهم بطونَ الكتبِ التي احتضنت ما تولّد من علومهم لتسكّبها رقاقةً في صفحاتها، ولتغمّر الكون ببهاء نورها، وجليل نفعها، ولتكون النّبع الصافي المتدفق الذي يقصده النّاهلون من كلّ حُدُب وصوب، ولتُمثّل أمام نواظرنا مجسّدةً بالمكتبة العربية وما حوته من المصادر والمراجع في جميع أنواع التّصنيف كاللّغة، والنحو، والأدب، والبلاغة، والنقد، والتاريخ، والجغرافيا، والأنساب والتراجم، والعلوم، والفنون .

إن هدفنا من مادة كتابنا هذا، أن نتوقف عند أبرز ضروب التّصنيف، لتّعريف بمؤلّفيها، ودراستها شكلاً ومضموناً، مع ذكر بعض الشّواهد الموضّحة، بما يُفيد في رصد حركة التّأليف ومناهجها آنئذٍ، متّحرين الإحاطة بمكنونها بعرضٍ لأهم ما ورد فيها، بأسلوب مبسّط ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً؛ لنأخذ بأيدي أبنائنا الطّلاب ونضعهم في بداية الطريق ونرشدهم إلى جادة الصّواب، مما عساه يُقرّب الهوّة بينهم وبين الكتاب القديم، ويهدم الحواجز التي تحول بينهم وبين صُحبته، والاستمتاع بكنوز ما يحويه بين دفتيه من مادّة علميّة ثرة تُسهّل عليهم الرّجوع إليه والإفادة منه، ولتكون لهم ذخيرةً في دراستهم وأبحاثهم، وقاعدةً ينطلقون منها لتتعرّف على مظهرٍ من مظاهر التّشاطر الثّقافي العربي فيما مضى من العصور العربيّة الإسلاميّة، مؤكّدين أنّ ذلك كلّهُ لن يُجدي نفعاً، وأنّ هدفنا لن يُؤتي أكله إلّا إذا اعتاد طلّابنا

الرجوع إلى هذه الكتب بأنفسهم باحثين أو مطّلعين، أملين لهم اكتساب المهارة بالتواصل مع أصول التراث العربيّ بذهنٍ متفتحٍ، وأُذنٍ واعيةٍ، وهمّةٍ عاليةٍ، وجهدٍ دؤوب وصولاً إلى أسمى الغايات وأعلى مراتب النجاح.

حسبنا أنّنا أخلصنا النيةَ والله الموفق ومنه وله الفضل

المؤلفتان

د. سامة حبّاس

د. فاتن كوكبة

البَابُ الأولُ

المصادر الأدبية

المصادر الشعرية

كتب النخط والرسائل والمقامات وكتب الأمثال

كتب الثقافة الأدبية العامّة والأُمالي



الفصل الأول

المصادر الشعرية

– رواية الشعر وجمعه

– تصنيف الشعر:

أ – دواوين الشعراء

ب – دواوين القبائل

ج – الاختيارات الشعرية

د – كتب معاني الشعر



رواية الشعر وجمعه

الشعر ديوان العرب وسجل أيامهم بما فيها من أخبار ومعارك، وهو وسيلتهم المحببة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم.

وقد أدرك العرب قيمة الشعر والشعراء في حياتهم منذ العصر الجاهلي، لذلك كانت كل قبيلة تولي شعراءها اهتماماً واضحاً، فظهور شاعر فيها مدعاة للفخر والاعتزاز فهو لسان حالها، والناطق باسمها.

لذلك تولّد الحرص على حفظ الشعر، وروايته^(١) جيلاً بعد جيل، وكأن الشعر إرث نفيس يتناقلونه فيما بينهم، لهذا كان لكل شاعر رواية يروي شعره. وهذا الراوي إما أن يكون راوياً للشعر فقط، وإما أن يكون راوياً وشاعراً، وتكاد الخصائص الفنية لشعر الراوي والشاعر تتقارب إلى حد كبير.

فزهير بن أبي سلمى كان رواية أوس بن حجر، وكعب بن زهير والخطيئة كانا راويتي زهير، وكان هُدبة بن خشرم رواية الخطيئة، وكان جميل بثينة رواية هُدبة، وكان كثير عزة رواية جميل...^(٢)

وقد يكون الراوي ابن الشاعر، أو أحد أقاربه، ويمكن أن يكون غريباً عن القبيلة كلها، فالخطيئة عبيسي من مُضَر، وهُدبة عُذري من قضاة.

ويصبح عمل الراوي أكثر أهمية بعد وفاة الشاعر، لأنه يتعدى مهمة نشر قصائده إلى جمعها، وإظهار الظروف والمناسبات التي رافقتها^(٣).

(١) انظر ما ورد في مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد، عن الرواية وطبقات الرواة، ص ٢٢٢ وما بعدها.

(٢) انظر مصادر الأدب، د. الطاهر مكي، ص ١٧، والمصادر الأدبية واللغوية، د. عز الدين إسماعيل، ص ٨.

ومع بداية القرن الهجري الثاني أبصرت النور طبقةٌ جديدةٌ^(١) من الرواة العلماء الذين عاشوا في الحواضر، ولكنهم اتصلوا بأعراب البادية الفصحاء، فكانوا يرتحلون إليهم، أو يلقونهم في الحواضر، فيستمعون إلى أخبارهم وقصصهم، ويأخذون عنهم الشعر واللغة والغريب، وابتداءً من هذه الخطوة بدأ جمع الشعر وروايته وشرحه، وذلك بالاعتماد على ما بذله العلماء والرواة من جهودٍ في مشافهة الأعراب، وفي قراءة ما بين أيديهم من المدونات.

وقد كانت معرفة الشعراء في العصر الأموي بتراث الجاهليين والمخضرمين واسعة، ومن هؤلاء الشعراء الطرماح بن حكيم، والكميت بن زيد، ورؤبة بن العجاج، وذو الرمة، وجريز، والفرزدق،... وعن هؤلاء الشعراء الرواة في العصر الأموي أخذت الطبقتان الأولى والثانية من العلماء الرواة كثيراً من الأشعار.

فاتصال رواية الشعر من العصر الجاهلي إلى عصر بني أمية عن طريق الشعراء الرواة هيئاً للرواة العلماء في أواخر هذا العصر وفي أوائل العصر العباسي الوقوف على معظم ما أنشده كبار الشعراء في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام، مع ما استقوه من أعراب البادية الرواة، وخاصةً المعمرين منهم، ثم ما كان بين أيديهم من مدونات متفرقة أو مجموعة من هذا الشعر^(٢)، كما كانت القبيلة مصدراً من مصادر شعر شعرائها، ولذلك أخذ العلماء الرواة بعض شعر الجاهلية من القبائل، وما يرويه رواة منها من شعر شعرائها^(٣).

وبذلك تكونت لدى الرواة العلماء خبرة واسعة في الشعر القديم، سواءً في هذا شعر

(١) من أهمهم أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) وحماد الرواية (١٥٦هـ) فقد كانا من العلماء الرواة الذين مهدوا طريق

الرواية لمن تبعهم من العلماء الرواة، كخلف الأحمر، والمفضل الضبي، والأصمعي .

انظر مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد، ص ٢٢٢ - ٢٥٤.

(٢) انظر المصادر الأدبية واللغوية، د. إسماعيل، ص ٦١.

(٣) انظر مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد، ص ٢٣٢.

الأفراد أو شعر القبائل، ولم تقف جهودهم عند الرواية فحسب، وإنما تعدتها إلى جمع الشعر الذي قام به الرعيل^(١) الأول من الرواة العلماء ومن أخذ عنهم، وتجاوزتها إلى تصنيفه أيضاً لما في ذلك من أهمية واضحة في دراسة الشعر ضمن المجالس والحلقات العلمية التي كان يعقدها أولئك العلماء الرواة الذين تمكّنوا من حفظ الشعر وروايته، وأحاطوا بغريبه، فكانوا يتدارسون الشعر، هم ومن أخذ عنهم، ويشرحونه، ويعتمدون عليه في توضيح معاني القرآن الكريم والحديث الشريف، وشرح كثير من القضايا اللغوية والنحوية والصرفية.

أما تصنيف الشعر فهو يتفرع إلى ثلاثة اتجاهات متعاصرة متزامنة، وهي:

- ١ - تصنيف دواوين الشعراء من الجاهليين والإسلاميين.
- ٢ - تصنيف دواوين القبائل.
- ٣ - تصنيف الاختيارات الشعرية أو المجموعات الشعرية التي تضمّ المختارات الشعرية من القصائد والمقطعات.

دواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين

تحدثنا عن التواصل بين العلماء الرواة، والشعراء الرواة، وأعراب البادية الفصحاء إلى جانب المدونات المتفرقة أو المجموعة من الشعر الجاهلي والإسلامي.

بالاعتماد على تلك المصادر اجتمعت لدى العلماء الرواة مجموعة كبيرة من أشعار الجاهلية والإسلام، وكانت المادة الأساسية التي صنعوا منها دواوين الشعراء، كامرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، والنابعة الذيباني، وغيرهم...

ومن أبرز العلماء الذين تجشموا عناء هذا العمل أبو عمرو الشيباني (٢١٣هـ) الذي صنع دواوين امرئ القيس، وليد بن ربيعة، وتميم بن أبي بن مقبل، ودريد بن الصمّة،

(١) الرعيل: الجيل.

والأعشى، والخطيئة، ومنهم الأصمعي (٢١٦هـ)، وأبو جعفر محمد بن حبيب (٢٤٥هـ)، وأبو الحسن الطوسي (٢٥٠هـ)، وأبو سعيد السكري (٢٧٥هـ) الذي صنع دواوين لأكثر من خمسين شاعراً، منهم امرؤ القيس، هذبة بن خشرم، قيس بن الخطيم، زهير بن أبي سلمى وغيرهم، وقد أفاد السكري من جهود سابقيه من علماء البصرة والكوفة.

دواوين القبائل

اعتمد الرواة في صنع دواوين القبائل على المصادر نفسها التي استقوا منها الأشعار الجاهلية والإسلامية لصنع دواوين الشعراء، ولعل اهتمام العلماء بصنع دواوين القبائل مرتبط بوجود ما عرف بكتاب القبيلة منذ العصر الجاهلي.

ويلاحظ أن كتاب القبيلة، وديوان القبيلة، وشعر القبيلة أسماء لمسمى واحد، ولا فرق بينها، كان كتاب القبيلة مصدراً لفخر القبيلة واعتزازها لأنه ضم:

شعر شعراء القبيلة، وأخبارها وقصصها، وأحاديثها، ووقائعها مع أنساب بعض أبنائها. أشار إلى ذلك الآمدي في الأخبار التي أوردها عن دواوين القبائل ضمن كتابه المؤلف والمختلف.

فكتب القبائل - في جوهرها - مجموعات شعرية تضم قصائد كاملة، ومقطعات قصيرة، وأبياتاً متفرقة لشعراء تلك القبيلة أو بعض شعرائها، وربما ضمت أكثر شعر الشاعر منهم أو شعره كاملاً، إلى جانب الأخبار والأنساب والقصص المتصلة بالشاعر أو ببعض أفراد قبيلته، والموضحة لمناسبات القصائد، والحوادث التاريخية المرتبطة بها، والمفسرة لبعض الأبيات الشعرية^(١).

وقد وجد علماء اللغة والرواية في دواوين القبائل مادة لغوية غنية؛ لأن الأشعار الخاصة

(١) انظر مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد، ص ٥٥٤.

بكل قبيلة على حدة تمكّن من دراسة الخصائص اللغوية للتراث الشعبي واللهجات السائدة آنذاك^(١).

ومن أهم العلماء الذين أحصوا هذه الدواوين وذكروا أسماء صانعيها الآمدي (الحسن بن بشر ٣٧٠هـ) في كتابه (المؤتلف والمختلف) وابن النديم (محمد بن إسحق ٣٨٥هـ) في كتابه (الفهرست).

أورد الآمدي ستين كتاباً أو ديواناً من دواوين القبائل من غير أن يشير إلى من جمعها أو صنفها كلها من العلماء الرواة، باستثناء أشعار بني تغلب المنسوب لابن جُعل التغلبي، وأشعار الرّباب عن المفضل وحماد، ويذكر الآمدي أحياناً اسم أبي سعيد السكري ممّن جمعوا دواوين القبائل.

أما ابن النديم فقد ذكر ثمانية وعشرين ديواناً من دواوين القبائل، ومعظمها من صنعة أبي سعيد السكري باستثناء كتاب أخبار الجن وأشعارهم الذي نسبته لهشام بن محمد الكلبي.

وقد أشارت بعض المصادر كخزانة الأدب للبغدادي ومروج الذهب للمسعودي إلى أبي عمرو الشيباني (٢١٣هـ)، وابن الأعرابي (٢٣١هـ)، والأصمعي (٢١٦هـ)، ومحمد بن حبيب (٢٤٥هـ) في صنع دواوين القبائل، فأبو عمرو الشيباني صنع وحده شعر ما يزيد على ثمانين قبيلة^(٢).

والديوان الوحيد الذي سلم من عوادي الدهر، ووصل إلينا هو ديوان قبيلة هُذَيل من صنعة أبي سعيد السكري (٢٧٥هـ)، ويضم ما يقارب الثلاثة آلاف بيتٍ من الشعر الذي قاله الشعراء الهذليون، وهو في الحقيقة جزءٌ مما قاله الهذليون، والدليل على ذلك أن النحوي

(١) انظر ما ورد في المصادر الأدبية واللغوية، د. عز الدين إسماعيل، ص ٦٢.

(٢) انظر الفهرست لابن النديم، ص ١٠١.

واللغوي ابن جني (٣٩٢هـ) ألف كتاباً استدرك فيه ما فات السكريّ ذكره من شعر هذيل، وعنوانه:

(التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري)، كما أنّ عدد شعراء قبيلة هذيل يقارب الأربعين شاعراً، فإذا افترضنا أن كل شاعر نظم مئة بيت فقط، - وهذا مححف بحق الشاعر - فإن عدد أبيات ديوان هذيل ينبغي أن يكون أربعة آلاف بيت بناءً على الافتراض السابق^(١).

أما الدواوين الأخرى التي ذكرها ابن النديم والآمدي فإنه لم يصل منها أي ديوان جمعه علماء الشعر ورواته القدماء، ونذكر منها:

كتاب الأزد، كتاب بني أسد، كتاب باهلة، كتاب بني سعد، أشعار الرّباب، كتاب بني قشير، كتاب بني هُشَل، كتاب كنانة، شعر عبد القيس، أشعار طيّ، أشعار بني شيبان.

لكنّ مجموعةً كبيرةً من أشعار القبائل جمعها الباحثون في العصر الحديث، ولهذا العمل قيمة علمية كبيرة، فهو يعكس جهود أصحابه في جمع شعرٍ قيّمٍ تناثر في بطون الكتب، ويقدم دراسة للخصائص اللغوية والفنية لشعر كل قبيلة.

ومن هذه الدواوين الشعرية المطبوعة:

- شعر مُزينة وأخبارها في الجاهلية والإسلام، تحقيق: حسن أبو ياسين، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٤.

- شعر ضَبّة وأخبارها في الجاهلية والإسلام، تحقيق: حسن أبو ياسين، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٥.

- شعر هُمدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام، تحقيق: حسن أبو ياسين، دار العلوم،

(١) انظر مصادر الشعر الجاهلي، د. ناصر الدين الأسد، ص ٥٦١ وما بعدها.

- الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٨٣.
- شعر بني قُشير في الجاهلية والإسلام، تحقيق: عبد العزيز محمّد الفيصل، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٨.
- شعر بني عامر في الجاهلية حتى آخر العصر الأموي، تحقيق: عبد الرحمن الوصيفي، مؤسسة المدينة للصحافة، جدّة، ١٩٩٤.
- شعر طيئ وأخبارها في الجاهلية والإسلام، تحقيق: د. وفاء السنديوني، دار العلوم، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٨٣.
- وقد قام الدكتور أحمد حاليو بجمع شعر طيئ أيضاً، لكنّ الديوان لما يطبع.
- شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، تحقيق: عبد الحميد المعيني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الطبعة الأولى، الكويت، ٢٠٠٢م.
- شعراء بني عُقيل وشعرهم في الجاهلية والإسلام، تحقيق: عبد العزيز محمّد الفيصل، الطبعة الأولى، الرياض، دون تاريخ نشر.
- شعراء بني تميم في العصر الجاهلي، تحقيق: عبد الحميد محمود المعيني، نادي القصيم الأدبي، بريدة، الطبعة الأولى، السعودية، ١٩٨٢.
- ديوان بني بكر في الجاهلية، تحقيق: عبد العزيز نبوي، دار الزهراء للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩.
- شعراء تغلب في الجاهلية أخبارهم وأشعارهم، تحقيق: د. علي أبو زيد، الطبعة الأولى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٠م.
- شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام، تحقيق: فاروق أحمد سليم، دار معد، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٧م.

- أشعار العامريين الجاهليين، تحقيق: د. عبد الكريم يعقوب، دار الحوار، الطبعة الأولى، اللاذقية، ١٩٨٢م.

- ديوان شعراء بني كلب بن وبرة، تحقيق: د. محمد شفيق البيطار، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٢م.

- ديوان بني أسد أشعار الجاهليين والمخضرمين، تحقيق: د. محمد علي دقة، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٩.

- شعراء حمير، أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام، تحقيق: د. مقبل التام عامر الأحمد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٠م.

- ديوان الهذليين وله طبعتان:

الأولى: طبعة دار الكتب، مصر.

الثانية: طبعة أوربية جاءت في أربع مجموعات.

- شرح أشعار الهذليين، لندن ١٨٥٤.

- أشعار الهذليين، برلين ١٨٨٤.

- ديوان أبي ذؤيب، هانوفر ١٩٢٦.

- أشعار ساعدة بن جؤيئة وأبي خراش والمتنخل وأسامة بن الحارث، ليبزغ ١٩٣٣م.

الاختيارات الشعرية

من أنواع التصنيف التي رافقت دواوين الشعراء، ودواوين القبائل في الظهور، مجموعات شعرية تقوم على أساس الاختيار والاصطفاء، وهي تختلف عن تصنيف الدواوين من حيث المنهج والغاية.

ففي ديوان الشاعر يسعى المصنّف إلى استقصاء كل ما أبدعه ذلك الشاعر، وفي ديوان القبيلة، يجمع أو يحاول أن يجمع كل ما قاله شعراء تلك القبيلة، أما المجموعة الشعرية فهي تعكس ذوق جامعها، ونظرتها النقدية فيما اختاره من الشعر، فالغاية لا تتمثل في استقصاء الشعر، وإنما تظهر في انتقاء الأجل والأفضل من وجهة نظر جامعها، لذلك لم تخل أي مجموعة من تلك المجموعات الشعرية من شعرٍ للجاهليين والإسلاميين، وأساس الاختيار الشعري يقوم على إيراد قصائد شعرية كاملة، أو مقطّعات، أو قصائد ومقطّعات معاً. وهذه الاختيارات الشعرية أو المجموعات الشعرية كثيرة، ومنها القصائد المشهورات أو المعلّقات، والمفضليات، والأصمعيات، والحماسات.

القصائد المشهورات أو المعلقات

إن الكلام على المجموعات الشعرية المبنية على أساس الاختيار الشعري يجعلنا نبدأ بالمعلّقات لأنها أولى المحاولات ضمن هذا الاتجاه التصنيفي.

وهي مجموعة من القصائد الشعرية المختارة لأشهر شعراء العصر الجاهلي.

أسماءها: عرفت هذه القصائد بعدة أسماء منها: المعلقة، المذهبات، السبع الطوال، القصائد المشهورات، السموط، لكنّ اسم (المعلقة) هو الأكثر شهرةً وشيوعاً.

ثمّة خلاف بين العلماء حول اسم المعلقة فمنهم من يطلق هذا الاسم على عدد من القصائد المنتقاة، ومنهم من ينكره، ويذكر تلك القصائد بأسماء أخرى.

فقد ذكر ابن رشيق القيرواني^(١) وابن عبد ربه^(٢) والبغدادى^(٣) أن اسم المعلقة أطلق

(١) العمدة ٩٦/١.

(٢) العقد الفريد ٣٠٦/٢.

(٣) خزنة الأدب ٦١/١ طبعة بولاق.

على تلك القصائد لأنها عُلِّقت على أستار الكعبة المشرفة، كما أنها كتبت بماء الذهب وهذا ما دعا إلى تسميتها بالمذهبات أيضاً.

لكنَّ بعض الأدباء والنقاد ومنهم الجاحظ، وابن سلام، وابن قتيبة، والمبرِّد، إلى جانب بعض الشُّراح ومنهم الأنباري (محمد بن القاسم)، والنحاس، والزوزني، والتبريزي، رفضوا تسمية المعلقات، ولم يذكروا أي خبرٍ يشير إلى تعليقها، وعن ذلك يقول ابن النحاس في شرحه على القصائد: «وأما قول من قال: إنها عُلِّقت في الكعبة فلا يعلمه أحد من الرواة، وأصح ما قيل في هذا أن حمَّاداً الراوية لما رأى زهد الناس في حفظ الشعر جمع هذه السبع، وحضهم عليها، وقال لهم: هذه المشهورات، فسُمِّيت القصائد المشهورة لهذا»^(١).

فمن الخبر السابق يظهر اسم القصائد المشهورات إلى جانب المعلقات، والمذهبات. أما السبع الطوال الجاهليات فقد سُمِّي ابن كيسان وابن الأنباري شرحيهما بهذا الاسم، وورد الاسم في الجمهرة حين استعرض القرشي أصحاب المعلقات ثم قال: «قال المفضل: هؤلاء أصحاب السبع الطوال»^(٢) والسموط من الأسماء التي وردت عند ابن رشيق^(٣) والقرشي^(٤).

ولعل تعدُّد أسماء تلك القصائد أمر مرتبط بالذوق الشخصي لكل من اهتم بتلك القصائد وأولاهها عنايته، لكنها تلتقي في مصبٍ واحد يدلُّ على قيمتها ومكانة شعرائها، إذ

(١) شرح القصائد التسع ٤٦/١، وانظر ٦٨٢/٢، وقد وردت إشارة إلى ما ذكره أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس في معجم الأدباء للحموي ٤٤٦/١ إذ ذكر أن حمَّاداً الراوية هو من جمع السبع الطوال ولم يثبت تعليقها على الكعبة، وانظر مصادر التراث العربي، د. عمر الدقاق، ص ٣٨.

(٢) انظر جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، ص ١٠٥، شرح القصائد التسع، للنحاس ٤٦/١.

(٣) العملة ٩٦/١.

(٤) الجمهرة، ص ١٠٥.

وقع الاختيار عليها دون غيرها.

ومما يدل على أن تلك الأسماء إنما هي انعكاس لقناعة ذاتية بوجود قاسم مشترك بين القصائد المنتقاة أن أبا زيد القرشي أورد في كتابه (جمهرة أشعار العرب) اسم المعلقات عندما تحدّث عن القصائد السبع، وأورد أيضاً اسم المذهبات عندما ذكر مجموعة من القصائد الشعرية التي تختلف عن المعلقات، مع أن المذهبات تدل على القصائد السبع التي كتبت بماء الذهب وعلقت على الكعبة.

من هنا نرى أن إطلاق اسم على مجموعة من القصائد أمر متعلقٌ بوجهة نظر نقدية خاصة، وهو خلافي أيضاً لعدم اتفاق جميع الآراء.

اسم جامعها

يذكر أبو جعفر النحاس - كما مرّ معنا في الخبر السابق - أن حماداً الراوية^(١) هو من اختار سبع قصائد جاهلية لأشهر الشعراء وأجودهم، وأطلق عليها اسم القصائد المشهورات. ويحتمل أن يكون حماد هو من أطلق اسم المعلقات أو المذهبات على تلك القصائد، ولكن لا دليل يؤكد ذلك أو ينفيه.

شعراؤها وعدد قصائدها

يجمع الرواة والشرح على أن عددها سبع قصائد، ويتفقون على أسماء خمسة من أصحابها وهم:

امرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، طرفة بن العبد، لبيد بن ربيعة، عمرو بن كلثوم.

(١) حماد بن سابور بن المبارك، أبو القاسم، أول من لقب بالراوية، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها، أصله من الديلم، ومولده في الكوفة، اتهم بنحل الشعر، توفي عام ١٥٥هـ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١/١٦٤، والأغاني للأصفهاني ٦/٧٠، والأعلام للزركلي ٢/٢٧١.

أما الشاعران الآخران فهما عند بعض النقاد والشرح^(١): عنترة بن شداد، والحارث بن حلزة يشكري أو النابغة الذبياني والأعشى، فهي عند الأنباري سبع قصائد. ونرى أن عدد هذه القصائد يصبح تسعاً عند النحاس، فقد ذكر الشعراء الخمسة الذين اتفق الرواة على أسمائهم، وأضاف إليهم الأربعة الذين اختلفوا في شأنهم. وتصبح هذه القصائد عشراً عند التبريزي، فقد أضاف إلى القصائد التسع التي أوردها النحاس وشرحها قصيدةً لعبيد بن الأبرص.

شروحها

لقيت القصائد المشهورة اهتماماً كبيراً من قبل الأدباء والرواة والشرح، ظهر ذلك في تعدّد شروحها، فازدادت أهميتها الأدبية والتاريخية لما تحمله هذه الشروح من الفوائد الأدبية واللغوية والنحوية والتاريخية أيضاً، ومن هذه الشروح:

١ - شرح القصائد السبع الطّوال الجاهليات^(٢)، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ٣٢٨هـ وشعراء هذه القصائد عندهم:

امرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، طرفة بن العبد، ليبد بن ربيعة، عمرو بن كلثوم، عنترة ابن شداد، والحارث بن حلزة يشكري.

وهذه هي مطالع قصائدهم السبع:

قصيدة امرئ القيس:

قفأ نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدّخول فحوّمل

(١) يرى المفضل أنهما النابغة والأعشى، ويرى الأنباري أنهما عنترة والحارث بن حلزة.

(٢) الكتاب مطبوع، حقّقه الأستاذ عبد السلام هارون، طبع بدار المعارف في مصر.

وقصيدة زهير بن أبي سلمى:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتلّم

وقصيدة طرفة بن العبد:

لخولة أطلال بئرقة نهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقصيدة لبید بن ربيعة:

عفت الديار محلها فمقامها بمئى تأبّد عوّلها فرجامها

وقصيدة عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحنك فاصبحنا ولا تبقي خمور الأندينا

وقصيدة عنتره:

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وقصيدة الحارث بن حلزة الشكري:

أذننّا بيئنها أسماء ربّ ثاوٍ يملّ منه الثّواء

ولهذا الشرح قيمة كبيرة تظهر في طريقة ابن الأنباري، فقد توسع في شرح النصوص، وتناولها من جوانب اللغة والنحو والتاريخ والأنساب، وعقد المقارنات الأدبية مشفوعة بالشواهد النادرة، وبيّن أوجه الصلات الفنية واللغوية بين الأساليب الشعرية في نصوص القصائد المختارة وبين أسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

٢ - شرح القصائد السبع^(١) لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (٤٨٦هـ)، وقصائد الزوزني هي قصائد ابن الأنباري نفسها مع شعرائها، وهو شرح مختصر عن شرح ابن الأنباري،

(١) الكتاب مطبوع، وقد طبع بعنوان شرح المعلقات السبع.

أورد الزوزني فيه المعنى الكلي للبيت، وشرح المفردات الغريبة.

٣ - شرح القصائد التسع المشهورات^(١) لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (٣٣٨هـ)، ويعرف بالصَّفَّار (من يعمل بالنحاس).

وشعراء القصائد عنده هم الشعراء السبعة الذين أوردتهم الأنباري إلى جانب شاعرين آخرين هما الأعشى والنابغة.

ومطلع قصيدة الأعشى:

ودّع هريرة إن الركب مُرتحلٌ وهل تطيق وداعاً أيُّها الرجلُ

أما مطلع قصيدة النابغة الذبياني:

يا دارَ مَيَّةٍ بالعلياء فالسَّندِ أقوْتُ وطال عليها سالف الأبدِ

٤ - شرح القصائد العشر^(٢) لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (٥٠٢هـ).

أورد فيه القصائد التسع التي شرحها النحاس، وأضاف إليها قصيدة عبید بن الأبرص

ومطلعها:

أَقْفَرُ مَنْ أَهْلُهُ مَلْحُوبٌ فالقُطَيْبِيُّاتُ فالذَّنُوبُ

استقى التبريزي معظم ما أورده في شرحه من شروح سابقه، إذ نقل عن الأنباري أنساب الشعراء السبعة، والأخبار التاريخية، وكثيراً من اللغة والمعاني، وبعض الجوانب الإعرابية والصرفية، ونقل عن النحاس قسماً كبيراً من المعاني الكلية للأبيات، إلى جانب النواحي اللغوية والنحوية

(١) الكتاب مطبوع حققه أحمد خطاب، وطبع في دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٧٣م ويقع في مجلدين بأرقام متسلسلة.

(٢) الكتاب مطبوع حققه: د. فخر الدين قباوة، وهو منشور عن دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م، وعن دار المكتبة العربية بحلب ١٩٦٩م.

والصرفية، مع بعض الإشارات النقدية المتعلقة بالشعراء.

المفضليات

وهي مجموعة من القصائد الشعرية التي اختارها وجمعها المفضل الضبي أبو العباس المفضل بن محمد المتوفى (١٧٥هـ)، وهو أشهر رواة الكوفة ورأس مدرستها، اتصف بسعة الحفظ، والثقة في الرواية، فقد روى الشعر والأخبار وأيام العرب (معاركهم) ولغاتهم، كما روى القراءات القرآنية والحديث الشريف، ومن كتبه: الأمثال (مطبوع)، ومعاني الشعر، والألفاظ، والعروض^(١).

ومن المرجح أن المفضل الضبي لم يطلق اسم المفضليات على هذه المجموعة الشعرية، ولكنها نسبت إليه، وعرفت باسمه تمييزاً لها من مجموعات شعرية أخرى كالأصمعيات وغيرها، ولعل اسم المفضليات من وضع الأدباء أو تلاميذ المفضل.

قصة تصنيف المفضليات

ذكر ابن النديم في الفهرست^(٢) أن المفضل الضبي كان ممن خرج^(٣) مع إبراهيم بن عبد الله على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في حركة سياسية عرفت بحركة محمد ذي النفس الزكية، لكن المنصور ظفر به، ثم عفا عنه، وأمره بتعليم ولده المهدي، فاختار المفضل مجموعة قصائد شعرية انتقاها من عيون الشعر الذي نظمه شعراء الجاهلية والإسلام، وهي مئة وثمان وعشرون قصيدة، وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه.

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء للحموي ١٧١/٧، والفهرست لابن النديم ٦٨/١، والأعلام للزركلي ٢٨٠/٧.

(٢) ص ٧٥.

(٣) خلع ثوب الطاعة وقرء عليه.

وفي رواية أخرى لأبي الفرج الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبين^(١) أن من اختار القصائد هو إبراهيم بن عبد الله، الذي توارى عند المفضل الضبي، فاطلع على ما لديه من أشعار العرب، واختار سبعين قصيدة، ثم زاد عليها المفضل عشراً، فأصبحت ثمانين قصيدة، وأوردها كاملة في اختياره الشعري، وقد اطلع الأصمعي بعد ذلك على هذه القصائد الثمانين، وزاد عليها فصارت مئة وعشرين، ثم اختار أصحاب الأصمعي عشر قصائد أخرى، وأضافوها إليها فأصبحت مئة وثلاثين قصيدة.

ويزيد عدد هذه القصائد وينقص باختلاف نسخ المفضليات، ففي شرح الأنباري عليها نجدها ١٢٦ قصيدة، وفي شرح التبريزي ١٢٧ قصيدة، وفي طبعة دار المعارف التي حققها الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ١٣٠ قصيدة، أما ابن النديم فقد ذكر في (الفهرست) أن عدد قصائدها يبلغ ١٢٨ قصيدة قد تزيد وقد تنقص.

شعراء المفضليات:

بلغ عدد شعراء المفضليات سبعة وستين شاعراً (٦٧)، معظمهم جاهليون وعددهم سبعة وأربعون شاعراً (٤٧)، وقليل منهم مخضرمون وعددهم أربعة عشر شاعراً (١٤) وأقلهم إسلاميون وعددهم ستة شعراء (٦)، تضمنت المفضليات مجموعة من القصائد التي تراوح عدد أبياتها بين أحد عشر وثمانية ومئة بيت (١١ - ١٠٨) وأطول قصيدة فيها هي قصيدة سويد بن أبي كاهل وعدتها مئة وثمانية أبيات ومطلعها^(٢):

بَسِطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ

وتضمنت المفضليات أيضاً مقطعات شعرية تراوح عدد أبياتها بين البيتين والعشرة،

(١) ص ٩١.

(٢) المفضليات، ص ١٩١، طبعة دار المعارف، الطبعة السادسة.

وأقصر مقطعة^(١) تقع في بيتين، وهي للمرقش الأصغر التي يذكر فيها أخذه بالثأر لابن عمه ثعلبة الذي قتله المهلهل التغلبي:

أَبَأْتُ بثعلبةَ بنِ الحُشَا مَ عَمْرُو بنِ عَوْفٍ فزاحَ الوَهْلُ
دماءَ بدمٍ، وتُعَفَّى الكلومُ ولا ينفَعُ الأولينَ المهْلُ

منهج المفضليات

١ - لم ترتب الاختيارات الشعرية وفق منهج معين، فقد يكون المفضل ساقها بحسب ما ألقاها على تلميذه المهدي، وعلمه إياها قصيدة بعد أخرى، أو بحسب ما تيسر له حينما جمعها قبل أن يبدأ بتدريسها.

٢ - تضم هذه المجموعة العدد الأكبر من القصائد الكاملة التي لم يجتزئ منها المفضل، أما ما ورد فيها من المقطعات فهي ليست أجزاء من قصائد كاملة، فربما كانت المقطعة المذكورة هي كل ما قاله الشاعر في مناسبة معينة كما في بيتي المرقش الأصغر.

٣ - لم يحدد المفضل اختياراته الشعرية وفق موضوع أو غرض شعري معين، ولم يختار الشعراء وفق معايير معينة (فنية، قبلية، بيئية،...) وإنما اختار الأشعار انطلاقاً من انتقاء أفضل ما قاله الشاعر، وهذا مرتبط بنظرته النقدية الخاصة.

٤ - أورد المفضل اختياراته بلا شروح للألفاظ الغريبة ومعاني الأبيات، لذلك كانت موضع اهتمام كثير من الشراح القدماء والمحدثين.

قيمة المفضليات

١ - لها قيمة تاريخية فهي أقدم مجموعة شعرية تقدم للقارئ والباحث صورة واضحة

(١) المفضليات، ص ٢٥٠.

المعالم للحياة العربية، ولا سيما حياة الجاهليين بما فيها من عادات وتقاليد وقيم وأحداث مختلفة.

٢ - لها قيمة أدبية لأنها حفظت نصوصاً شعرية كاملة غير مجتزأة لشعراء مقلّين ومجيدين من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، كالمرقش الأكبر، والمرقش الأصغر ومتمم بن نويرة، والمسيب بن علس، وهي نصوص موثقة برواية المفضل، وهو راوية ثقة.

٣ - لها قيمة لغوية فنصوص المفضليات غنية بالألفاظ الجزلة الغريبة، والاستخدامات النادرة التي لفتت انتباه علماء اللغة والنحو الذين احتجوا بأشعار أصحابها، وبنوا القواعد على أساليبهم ولغاتهم.

٤ - ولا يمكن أن نغفل قيمتها التعليمية، فقد ارتبطت المفضليات في الأساس بغاية تعليمية، هي تعليم المهدي ولي عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وقد أصبحت المفضليات من النصوص التي يدرّسها العلماء في حلقات التدريس والمجالس العلمية.

شرح المفضليات

دفعت أهمية المفضليات كثيراً من علماء اللغة والأدب إلى شرحها، وأغرت الباحثين بتحقيقها، ومن شراحها:

أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (٣٠٤هـ)، وأبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) وأبو علي المرزوقي (٤٢١هـ)، وأبو زكريا التبريزي (٥٠٢هـ) وأبو الفضل الميداني (٥١٨هـ).

طبعت المفضليات عدة طبعات تظهر جهود الباحثين العرب والمستشرقين، فقد صدرت الطبعة الأولى منها في لينز ١٨٨٥م، وطبعت في مصر مع تحقيق وشرح للأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، وصدرت عن دار المعارف ١٩٤٣م وهي الطبعة الأولى في مجلد واحد، وقد أعيد طبعها ست مرات، وطبعت المفضليات كاملة في مصر أيضاً

١٩٤٥م بتحقيق وضبط وشرح حسن السندوي.

وصدرت طبعة منها بشرح الخطيب التبريزي وبحقيق د. فخر الدين قباوة عن مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١ - ١٩٧١م، وعنوانها: شرح اختيارات المفضل.

الأصمعيّات

وهي مجموعة من القصائد الشعرية التي اختارها الأصمعي، ولم يطلق عليها اسم الأصمعيّات، وإنما وضع تلاميذه الاسم تمييزاً لها من الاختيارات الشعرية الأخرى، ولاسيما المفضليات.

والأصمعي هو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب المتوفى سنة ٢١٦ هـ، وهو من الرعيل الثاني من الرواة العلماء في البصرة، كان عالماً في الشعر واللغات والغريب، ناقداً أديباً غزير الحفظ^(١)، سمع من أبي عمرو بن العلاء وأبي زيد الأنصاري وغيرهما من الرواة العلماء، كما سمع من الأعراب والشعراء^(٢).

مؤلفاته كثيرة طبع منها^(٣): النخل والكرم، النبات والشجر، وهما مطبوعان في مجموعة (البلغة في شذور اللغة) التي حققها المستشرق أوغست هفner والأب لويس شيخو.

وله أيضاً كتاب الإبل، وكتاب خلق الإنسان وهما مطبوعان في مجموعة (الكنز اللغوي في اللسان العربي) التي صدرت في بيروت ١٣٢٢ هـ، وله أيضاً كتاب الشّاء، وكتاب الخيل وهما مطبوعان بعناية المستشرق هفner، وله كتاب أسماء الوحوش وصفاتها وهو مطبوع بعناية

(١) نقل الرواة عنه أنه كان يحفظ ما يزيد على عشرة آلاف أرجوزة فضلاً عن الشعر، لذلك لقبه الخليفة هارون الرشيد بشيطان الشعر، انظر ترجمة الأصمعي في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٨٨/١، وإنباه الرواة للقفطي ١٩٧/٢ - ٢٠٥، والأعلام للزركلي ١٦٢/٤.

(٢) عرف عن الأصمعي أنه كان يرحل إلى البوادي ليجمع غريب اللغة ونوادرها من أفواه الأعراب الفصحاء.

(٣) انظر المكتبة العربية ومنهج البحث، د. محمد رضوان الدايدة ص ١٥، ١٦.

المستشرق جابر.

قصة تصنيف الأصمعيات

عرف الخليفة العبّاسي هارون الرشيد بحبه للعلم والعلماء؛ لذلك استقدم الأصمعي إلى بغداد رغبةً في أن يكون مؤدباً (معلماً) لولده محمد الأمين.

وقد أعجب الرشيد باختيارات المفضل، وبصنيعه في تعليم المهدي، فأراد أن يختار الأصمعي مجموعة من غرر القصائد وعيون الشعر العربي ويعلمها لولده الأمين، وكان ذلك.

شعراء الأصمعيات

تضم الأصمعيات اختياراتٍ شعريّةٍ لواحد وسبعين (٧١) شاعراً، منهم أربعة وأربعون (٤٤) شاعراً جاهلياً، وأربعة عشر (١٤) شاعراً مخضرمًا، وستة (٦) إسلاميون، وسبعة (٧) مجهولون.

بلغ مجموع هذه الاختيارات الشعريّة اثنتين وتسعين قصيدةً ومقطعةً، وتراوحت أبيات المقطعات بين البيتين والعشرة ٢ - ١٠، وأبيات القصائد بين أحد عشر وأربعة وأربعين بيتاً (١١ - ٤٤)، وقد وردت إحدى عشرة قصيدة منها في المفضليات.

وقد يكون للشاعر نفسه غير قصيدة وردت في المفضليات والأصمعيات كعامر بن الطفيل.

منهج الأصمعيات

١ - لم ترتب الاختيارات الشعريّة ضمن الأصمعيات، وفق نسقٍ محدّد، أو اعتبارات معينة.

٢ - أورد الأصمعي فيها مجموعة من القصائد والمقطعات التي اختارها من عيون الشعر

العربي، واهتم بذكر مناسباتها.

٣ - تعد الأصمعيات امتداداً للمفضليات وتكملة لها من حيث جمع الشعر العربي الأصيل، والاختيار من غرر القصائد الجاهلية والإسلامية.

وقد دفع التقارب بين هاتين المجموعتين بعض علماء الأدب واللغة إلى جمعهما في مصنف واحد، منهم الأخفش الأصغر في كتابه (الاختيارين)^(١)، كما قام الوراقون (النساخ) بجمعهما في مخطوط واحد، فأدى ذلك إلى التداخل بين قصائد المجموعتين.

قيمة الأصمعيات

ارتفعت اختيارات الأصمعي في القيمة والأهمية إلى درجة اختيارات المفضل، بيد أن المفضليات تفوقت عليها من حيث الشهرة واهتمام الرواة والشرّاح واللغويين بها. ولعل ذلك مرتبط بالغة الشعرية التي اتصفت بها قصائد الأصمعيات فهي أقرب إلى السهولة والوضوح، أما ألفاظ المفضليات فهي تنسم بالوعورة، والجزالة، والغربة وهذا ما دفع اللغويين إلى العناية بها.

ومع ذلك فإن للأصمعيات قيمة عالية تتضح في الجوانب التالية:

١ - القيمة التاريخية فاختيارات الأصمعي تمثل جوانب كثيرة من الحياة في ديار العرب وبواديهم، وتقدم صورة صادقة عنها، وخاصة في العصر الجاهلي.

٢ - القيمة الأدبية التي تتجلى في أن الأصمعي والمفضل قبله قد أودعا في هذه الاختيارات نصوصاً أدبية قديمة تمتاز بالفصاحة والجودة، وحفظها من الضياع، وتعد هاتان المجموعتان في طليعة مصادر الشعر الجاهلي والإسلامي.

(١) سيرد الحديث عن هذا الكتاب.

٣ - القيمة التعليمية وهي مشتركة بين المفضليات والأصمعيّات، فانتقاء جلّ المختارات الشعرية من أجود القصائد الجاهلية والإسلامية دليلٌ واضح على ذلك؛ لما تتسم به تلك الأشعار من رصانة وغنى بالأساليب والجمال التي أقام اللغويون قواعدهم عليها، فهي مادة جيدة غنية للدروس التعليمية والحلقات العلمية.

طُبعت الأصمعيّات في لِيْزِيْغ بألمانيا عام ١٩٠٢م بتحقيق المستشرق آهلفارد، أثبت فيها سبعةً وسبعين أصمعية بعد ما حذف القصائد المشتركة بينها وبين المفضليات، وأعاد ترتيب القصائد فجعلها على التسلسل الهجائي لحرف الروي، ثم طُبعت في دار المعارف بمصر بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون مع شرح مختصر عام ١٩٥٥م، ثم طُبعت بعد ذلك غير مرّة.

كتاب الاختيارين

وهو من تصنيف الأخفش الأصغر^(١) علي بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥هـ، كان عالماً في اللغة والنحو روى عن المبرّد وثعلب وغيرهما، وكان بينه وبين ابن الرومي خصومة ومنافسة فهجاه الأخير في شعره، له من المؤلفات: كتاب الاختيارين، وشرح كتاب سيبويه.

والمقصود بالاختيارين جمع اختيار المفضل إلى اختيار الأصمعي، وضمّهما في سفر واحد، اشتمل الكتاب على مئة وست عشرة قصيدة، منها ثلاث وعشرون في المفضليات، وأربع عشرة في الأصمعيّات، وسبع في زيادات الكتابين الملحقه ببقية الأصمعيّات، ومنها أربع عشرة وردت في نسخة المتحف البريطاني من المفضليات، والباقي وهو ثمان وخمسون قصيدة لم ترد في المعروف اليوم من روايات المفضليات والأصمعيّات،

(١) الحفش: صغر في العينين مع سوء بصر، وأشهر من لُقّب بالأخفش، الأخفش الأكبر وهو عبد الحميد بن عبد المجيد، والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، والأخفش الأصغر علي بن سليمان، وانظر ترجمة الأخفش الأصغر في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٣٢/١، وإنباه الرواة للقفطي ٢٧٦/٢، والأعلام للزركلي ٢٩١/٤.

لذلك يرجح العلامة عبد العزيز الميمني أن الأخفش اختار من المفضليات والأصمعيات مجموعة من القصائد، وضم إليها اختياراته الشعرية الخاصة، وسمّاها (الاختيارين) على التغليب ووضع لها شرحاً مختصراً جيداً.

منهج الأخفش في الاختيارين

يقوم منهجه على ذكر اسم الشاعر ونسبه بالتفصيل، ثم إيراد البيت وشرح مفرداته الغريبة، وتوضيح المعنى العام، مع الاهتمام بالجوانب الصرفية.

لم يتبع المؤلف نظاماً معيناً في ترتيب القصائد، فقد تداخلت اختيارات المفضل واختيارات الأصمعي، ومعظم شعراء الاختيارين من المقلين المجيدين، والكتاب مطبوع لكن المطبوع منه هو الجزء الثاني الذي صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ١٩٧٤م، أما الجزء الأول منه فهو مفقود.

جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام

ألّفه أبو زيد محمد بن أبي الخطّاب القرشي، وهو - على شهرة كتابه - ممن أهمله مؤلفو كتب التراجم، لذلك لا تعرف سنة وفاته بدقة .

اختلف الباحثون في تحديد الحقبة الزمنية التي عاش فيها أبو زيد، فيرى بعضهم^(١) أنه من رجال القرن الثاني الهجري، ويرى بعضهم الآخر^(٢) أن القرشي من رجال القرن الثالث الهجري، يدل على ذلك أمران، الأول: أن المؤلفين في القرن الثاني الهجري لم يعرفوا طريقة

(١) ذهب إلى ذلك سليمان البستاني في مقدمته على الإلياذة، ويطرس البستاني في كتابه (أدباء العرب في الأعصر

العباسية) انظر مقدمة جمهرة أشعار العرب، كما رأى ذلك أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام ٢/٢٧٦.

(٢) مصطفى الشكعة في مناهج التأليف عند العرب ص ٤٧٧، وأحمد الطرابلسي في نظرة في حركة التأليف عند

العرب ص ٩٠، وعمر الدقاق في مصادر التراث العربي ص ٤٠. ومحمد رضوان الداية في المكتبة العربية ومنهج

البحث ص ٧١.

التنظيم والتبويب وصياغة المقدمات النقدية لكتبهم كما فعل القرشي في كتابه، والثاني: أن تسمية (الجمهرة) شاعت في أواخر القرن الثالث الهجري وما بعده كما شاعت تسمية مصنفات أخرى بالحماسة والأمال، ومنهم من رأى أن القرشي من رجال القرن الرابع الهجري^(١)، أما الدكتور مصطفى جواد^(٢) فقد ذهب إلى أن أبا زيد من رجال النصف الأول من القرن الخامس الهجري، يدل على ذلك أن ابن رشيح القيرواني ٤٦٣ هـ صاحب العمدة عوّل على كتاب الجمهرة واستمد منه في بعض المواضع^(٣)، كما أن تسمية الجمهرة شاعت كثيراً في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

ومن الآراء السابقة يرجح أن يكون القرشي من رجال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وقد تكون وفاته في النصف الأول من القرن الخامس الهجري.

يتصف كتاب جمهرة أشعار العرب بمقدمته النقدية المسهبة، وتبويبه المحكم المنظم، وبقصائده المنتقاة من عيون الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي.

وفي المقدمة أسهب القرشي في تعيين طبقات فحول الشعراء الجاهليين ولاسيما شعراء المعلقات، وفاضل بينهم، وذكر بعض أخبارهم، ومنهم زهير والنابعة وليبد والأعشى، مشيراً إلى بعض الأحكام النقدية المتعلقة بالشعر، وتحدّث عن موقف النبي الكريم ﷺ من الشعر الجيد ورأيه فيه.

اتبع أبو زيد في عرض مادة الكتاب منهجاً منظماً قائماً على التقسيم السباعي، إذ قسّم متن الكتاب إلى سبعة أقسام، وأطلق على كل قسم اسماً خاصاً به، وأورد ضمن كل قسم سبع قصائد، وبذلك بلغ مجموع قصائده المختارة تسعاً وأربعين قصيدة.

(١) انظر مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد، ص ٥٨٧.

(٢) جمهرة أشعار العرب، مقدمة المحقق.

(٣) العمدة ٩٦/١.

وهذه الأقسام هي بالترتيب:

- **المعلقات:** وهي القصائد التي عرفت بالسبع الطوال والسموط وأصحابها هم: امرؤ القيس، زهير، النابغة الذبياني، الأعشى، لبيد بن ربيعة، عمرو بن كلثوم، طرفة بن العبد.
- **المجتمهرات:** وهي القصائد التي شبهت بالنوق القوية الضخمة فكأنها كتيان من الرمال، ومن أصحابها: عنزة بن شداد، وعبيد بن الأبرص.
- **المنتقيات:** وهي القصائد التي اختيرت اعتماداً على جودة الشعر، ومن أصحابها المسيّب بن علس، والمرقش الأصغر.
- **المذهّبات:** وهي قصائد اختيرت بناءً على جودتها الفنية، ومن أصحابها حسّان ابن ثابت، وعبد الله بن رواحة، والمذهّبات قصائد مختلفة عن المعلقات التي عرفت باسم المذهّبات أيضاً، وهذا يدل على شيوع تسمية المعلقات على القصائد السبع الطوال، وعلى احتكام القرشي إلى رأيه النقدي في إطلاق الصفات التي كان بعضها سائداً قبل ورودها في كتابه على القصائد التي اختارها، أو وجد من سبقه من أهل الأدب والشعر قد اختارها، فهو يقول في حديثه عن المعلقات وغيرها من القصائد:
- «وقد أدركنا أكثر أهل العلم يقولون: إن بعدهن سبعاً ما هُنَّ بدوْنهن، ولقد تلا أصحابهن أصحاب الأوائِل فما قصَّروا، وهن المجمَّهرات...».
- **المراثي:** وهي قصائد اشتركت في موضوع الرثاء، ومن أصحابها أبو ذؤيب الهذلي.
- **المشوبات:** وهي القصائد التي اتصف أصحابها بأنهم مخضرمون أدركوا الجاهلية والإسلام، ونظموا قصائد شأبها الكفر والإسلام، ومن أصحابها: النابغة الجعدي، والقطامي، والحطيئة، والشَّماخ، وعمرو بن أحمَر، وتميم بن أُبَي بن مقبل العامري.

- **المُلَحَمَات:** وهي قصائد محكمة النسيج متلاحمة الأجزاء وتشبه المجهرات من حيث المتانة وقوة السبك، ومن أصحابها: الفرزدق، جرير، الأخطل، ذو الرُّمَّة.

يلاحظ على منهج القرشي في جمهرته ما يلي:

١ - إن التسميات التي أطلقها على الأقسام السباعية التي تضمنت القصائد المنتقاة ما هي إلا صفات تجمع بين هذه القصائد في الجودة الفنية كالمعلقات والمجهرات والمنتقيات والمذهبات والملحومات، أو في وحدة الموضوع كالمراثي، أو في جانبٍ محدد تشترك فيه كالمشوبات.

وقد ساد بعض هذه التسميات أو الصفات قبل أبي زيد، بل إن بعض مجموعات هذه القصائد السبع كان معروفاً كالمعلقات والمجهرات.

٢ - اختار القرشي قصيدة واحدة لكل شاعر من شعراء المجموعات السبع، فكان مجموع اختياراته تسعاً وأربعين قصيدة لتسعة وأربعين شاعراً، وهو بذلك يختلف عن المفضل الضبي والأصمعي اللذين كانا يختاران للشاعر نفسه أكثر من اختيار شعري.

٣ - اقتصر اختياراته الشعرية على القصائد ولم تشمل على المقطعات.

٤ - اعتمد القرشي على مبدأ التساوي في عرض المادة الشعرية، فالتقسيم السباعي الذي التزمه يدل على الاختيار المقصود للأشعار، ويشير إلى التأثير بمنهج المؤلفين في القرن الثالث الهجري وما بعده من حيث الترتيب والتنظيم في عرض مادة الكتاب.

٥ - وفي باب المعلقة اختلقت قصيدتا النابغة والأعشى عما اشتهر عند أهل الأدب فمعلقة الأعشى تبدأ بـ:

ودَّعَ هريرةً إن الرِّكَبَ مُرْتَحِلٌ وهل تطيقُ وداعاً أيُّها الرجلُ

لكنها عند أبي زيد تبدأ بـ:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما تُرَدُّ سؤالي؟

أما مطلع معلقة النابغة فهو:

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياء فالسَّندِ أَقْوَتَ وطال عليها سالف الأبد

لكنها عند أبي زيد تبدأ بـ:

عُوجُوا فحَيِّوا لِنُعْمِ دِمْنَةَ الدَّارِ ماذا تحيِّون من نؤيِّ وأحجار؟

٦ - اختار القرشي قصائده من عيون الشعر العربي، وهي لا تقل عن قصائد المفضليات والأصمعيات من حيث القيمة الفنية، والأهمية الأدبية، والتعبير عن جوانب الحياة الاجتماعية في الجاهلية والإسلام.

٧ - اهتم القرشي بالشعراء المشهورين المجيدين المكثرين كأصحاب المعلقات، وشعراء النقائض فخالف بذلك المفضل الضبي والأصمعي في اختيار قصائد لشعراء مجيدين ومقلين. طبع الكتاب غير مرّة، ومن طبعاته طبعة صدرت عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي ١٩٨١م في ثلاثة أجزاء، وطبعة صادرة عن دار نهضة مصر بتحقيق علي محمد البجاوي في عام ١٩٦٧م.

ديوان مختارات شعراء العرب

ويعرف هذا الكتاب بـ (مختارات ابن الشجري) نسبة إلى صاحبها وهو الشريف ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي الحسني المعروف بابن الشجري البغدادي المتوفى سنة ٥٤٤هـ، ونسبته إلى (شجرة) وهي قرية من أعمال المدينة المنورة.

كان إماماً في اللغة والنحو والشعر والأدب وأيام العرب وأحوالها، له من المؤلفات:

الأمالي، الحماسة وهي مطبوعة^(١)، وستوسع في ترجمته عند دراسة حماسته.

أما كتابه ديوان مختارات شعراء العرب فهو مجموعة شعرية لقصائد طويلة ومقطعات في أغراض مختلفة يبلغ عددها أربعة وستين اختياراً، منها خمسون قصيدة تامة، وأربع عشرة مقطعة، وبلغ عدد شعراء كتابه أربعة عشر شاعراً كلهم من الجاهليين عدا الحطيئة والنمر ابن تولب فهما مخضرمان.

قسّم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أقسام متقاربة من حيث الشكل فقط، فهو لم يرتب القصائد والمقطعات ترتيباً زمنياً أو موضوعياً.

ففي القسم الأول: نجد قصيدة واحدة لكل من: لقيط بن يعمر، أعشى باهلة، حاتم الطائي، بشامة بن عمرو، النمر بن تولب، والشنفرى (وهي لامية العرب) وكعب بن سعد الغنوي، وفيه أخبار المثلّس ومختارات من شعره، وبعض اختيارات شعرية لطرفة بن العبد.

وفي القسم الثاني: نجد اختيارات شعرية لزهير بن أبي سلمى بلغت سبع قصائد، ولعبيد بن الأبرص وبلغت اثنتي عشرة قصيدة، ولبشر بن أبي خازم أيضاً.

وفي القسم الثالث: نجد أخبار الحطيئة واختيارات من شعره بلغت ثلاث عشرة قصيدة.

وما تمتاز به هذه المجموعة الشعرية أن ابن الشجري لم يقتصر فيها على اختيار القصائد والمقطعات، وإنما أورد مقدمات وافية قبلها تتضمن أخباراً عن أصحابها، وإشارات إلى مناسبات نظمها وأغراضها واختلاف رواياتها.

طبعت الكتاب كثيرة، منها طبعة صدرت عن دار نخضة مصر ١٩٧٥م بتحقيق

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٨٣/٢، وإنباه الرواة للقفطي ٣٥٦/٣، ومعجم الأدباء للحموي

٢٤٧/٧، والأعلام للزركلي ٧٤/٨ وفيه وفاته ٥٤٢ هـ.

علي محمد البجاوي، وثمة طبعة قبلها صدرت عن مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٢٦م بتحقيق محمود حسن زناقي.

منتهى الطلب من أشعار العرب

صاحبه محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي، وهو من رجال القرن السادس الهجري، وهو ممن أهملته كتب التراجم على الرغم من أهمية كتابه، لذلك لا نعرف شيئاً عن أخباره سوى ما ذكره في مقدمة كتابه منتهى الطلب^(١).

فمن شيوخه أبو محمد عبد الله بن الخشَّاب النحوي ٥٦٧هـ، وأحمد بن علي المعروف بابن السمين، ذكر ابن المبارك أنه جمع كتابه في سنتي ٥٨٨هـ - ٥٨٩هـ في بغداد (مدينة السلام) وقد تجاوز الستين من عمره، فوفاته إذاً بعد عام ٥٨٩هـ.

أما منهج ابن المبارك في كتابه، فقد شرحه المؤلف نفسه في مقدمة الكتاب إذ قال: «هذا كتاب جمعت فيه ألف قصيدة اخترتها من أشعار العرب الذين يستشهد بأشعارهم، وسميته: منتهى الطلب من أشعار العرب، وجعلته عشرة أجزاء في ستة أسفار، وضمنت كل جزء منها مئة قصيدة، وكتبت شرح بعض غريبها في جانب الأوراق، وأدخلت فيها قصائد المفضليات، وقصائد الأصمعيات، ونقائض جرير والفرزدق، والقصائد التي ذكرها ابن دريد في كتاب له سماه (الشوارد) وخير قصائد هذيل، والذين ذكرهم ابن سلام الجُمحي في كتاب الطبقات، ولم أُخل بذكر أحدٍ من شعراء الجاهلية والإسلاميين إلا مَنْ لم أقف على مجموع شعره، ولم أره في خزانة وقف ولا غيرها، وإنما كتبت لكل أحد ممن ذكرت أفصح ما قاله وأجوده، حتى لو سبر ذلك عليّ منتقداً بعلم، عرف صدق ما قلت، واخترت هذه القصائد، وقد جاوزت ستين سنة بعد أن كنت نشأتُ ويفعُتُ مبتلىً بهذا

(١) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١٧/٧ وفيه ذكر أنه توفي بعد عام ٥٨٩هـ.

الفن،... ولما أردت أن أجمع هذا الكتاب على ترتيب الشعراء وتقديم بعضهم على بعض لم يمكن، لأنه لم يتفق أن أقف من ذلك على ترتيب فأعذر في ذلك.» ويتابع ابن المبارك كلامه قائلاً:

«وإنما قدمت كعب بن زهير وختمته بهاشميات الكميت تيمناً وتبركاً بمدح رسول الله ﷺ في قصيدة كعب بن زهير، وذكره ﷺ في شعر الهاشميات التي ختمت بها هذا الكتاب».

يتضح من كلام ابن المبارك عن منهجه أنه أراد أن يصنّف مجموعاً شعرياً ضخماً ففعل، واستعان على ذلك بالرجوع إلى المصادر الأدبية، والمجموعات الشعرية التي سبقت كتابه، فنهل من المادة الشعرية منها ما أغنى الكتاب، ولم يغفل عن شرح بعض المفردات الغريبة التي تحتاج إلى توضيح.

وبناءً على ما تقدم ندرك أهمية كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب فهو أضخم مجموع شعري جمع فيه المؤلف أكثر من ألف قصيدة ومقطعة من أشعار العرب الذين يستشهد بشعرهم من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، فقد بلغ مجموع اختياراته الشعرية ١٠٥١ قصيدة، و٢٩ مقطعة، لـ ٢٦٠ شاعراً، وبلغ عدد الأبيات ٣٩٩٩٠ بيتاً وزعها ابن المبارك على عشرة أجزاء ضمن ستة أسفار.

يتصف الكتاب بغزارة الاختيارات الشعرية وبوجود عدد كبير من الشعراء المغمورين الذين لم تذكرهم كتب التراجم، وباشتماله على شعر لشعراء لم تذكر لهم اللغة والأدب إلا النزر القليل من الشواهد الشعرية، وبذلك استطاع المؤلف أن يحفظ كثيراً من الشعر الذي جمعه من دواوين الشعراء والقبائل والمجموعات الشعرية السابقة له.

وقد عوّل عليه بعض العلماء المتأخرين كالسيوطي في كتابه شرح شواهد مغني اللبيب، والبغدادى في خزانة الأدب.

طبع الكتاب كاملاً وصدر عن دار صادر بيروت بتحقيق د. محمد نبيل طريفي عام ١٩٩٩م، كما أصدر كل من د. يحيى الجبوري ود. حاتم الضامن في أوائل الثمانينات كتاباً تضمن مجموعة قصائد مختارة من كتاب منتهى الطلب، وصدر الكتابان عن مؤسسة الرسالة في بيروت.

كتب الحماسة

هي نوعٌ من كتب الاختيارات الشعرية، عُرف بهذه التسمية: (الحماسة).

الحماسة لغة: تدل أصلاً على الصلابة والشدة، والفعل حُمِسَ: اشتد وصلَّب في الدين أو القتال، فهو حِمَسٌ وأحمس والجمع: حُمُس، والحماسة: الشجاعة، والأحمس: الشجاع، ويقال عام أحمس أي شديد، وسنة حمساء أي مجدبة، والحماسة أيضاً: المنع والمহারبة، تحامس القوم تحامساً وحماساً: اقتتلوا^(١).

الحماسة اصطلاحاً: هي كل ما قيل من شعر، أو نثر في موضوع الشجاعة والإقدام. أما كتب الحماسة فهي: كل ما قيل من شعر، أو نثر، في موضوع الشجاعة ووصف الحرب، والنزال، ولقاء الأعداء، والاستهانة بالموت، والكر والفر، وما إلى ذلك من المعاني الحماسية.

وقد أطلقت تسمية: (الحماسة) على نوع من الاختيارات الشعرية التي عُرفت على يد الشاعر أبي تمام، إذ صنف كتابه الحماسة فكان فاتحة عهدٍ جديدٍ في الاختيار الشعري المبوب تبويماً فنياً، ونهج نهجه آخرون، فكانت سلسلة من الاختيارات الشعرية عُرفت باسم «الحماسات» وفيما يلي نختار بعضاً منها:

(١) لسان العرب (حمس) ٥٧/٦ .

١ - حماسة أبي تمام:

وعُرفت أيضاً باسم (ديوان الحماسة) و (الحماسة الكبرى)، وهي من تصنيف الشاعر أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الذي ولد في جاسم (بحوران بسورية)، سنة (١٩٠هـ)، لأبوين فقيرين، ولما اشتد ساعده، احتضنته دمشق ليعمل عند حائك، ثم رحل إلى مصر ليعمل بالسقاية في المسجد الجامع بالفسطاط، فنزع إلى التعلم، وجالس العلماء والأدباء، وتثقف بالشعر والأدب، وكان فطناً فهماً، فعالج قول الشعر حتى أجاده، ولما انتشر شعره استقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء زمانه فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها سنة (٢٣١هـ).

له مؤلفات عديدة منها: (مختار أشعار القبائل)، (نقائض جرير والأخطل)، (ديوان الحماسة)، (الوحشيات)، (ديوان شعره)^(١).

وسبب جمعه لأشعار الحماسة، كما يروي التبريزي في مقدمة شرحه لها: (إن أبا تمام قصد (عبد الله بن طاهر) والي خراسان فمدحه، وتوقف في طريق عودته في همدان عند صديقه (أبي الوفاء بن سلمة)، وصادف وقت إقامته عنده نزول ثلج غزير، سد المسالك وأخّر حركة السفر، وكانت فرصةً للشاعر ليعكف على مكتبة صديقه، ويستغرق فيها، ويشرع في اختيار عددٍ من القطع الشعرية الجيدة ويرتبها، ويكوّن منها (كتاب الحماسة). وفيه صنّف أبو تمام الأشعار التي اختارها في عشرة أبواب هي:

١- باب الحماسة ٢- باب المراثي ٣- باب الأدب ٤- باب النسيب

٥- باب الهجاء ٦- باب الأضياف والمديح ٧- باب الصفات

(١) عن أخبار أبي تمام للصولي/ بتصرف- تاريخ بغداد ٢٤٨/٨- وفيات الأعيان ١٢١/١، وخزانة الأدب

٨- باب السّير والنّعاس ٩- باب المُلح ١٠- باب مذمة النساء.

وقد سَمّى أبو تمام كتابه هذا، باسم أول أبوابه وأكبرها، فعرف بكتاب الحماسة، إذ اختار فيه قطعاً من فصيح الشعر وجيده، في موضوعات الشجاعة، ومنازلة الأعداء، والصمود في الحرب، والصبر على الشدائد، والتقدير للأبطال والفرسان، والاعتزاز بالمواعظ والخصال العربية الشريفة .

بلغ مجموع المقطعات الشعرية التي جمعها أبو تمام في حماسته كلها (٨٨١) مقطعة لـ (٧٨٠) شاعراً من شعراء الجاهلية والإسلام ونفرٍ قليل من المحدثين (أي العباسيين) أمثال صريع الغواني ودعبل الخزاعي وأبي العتاهية.

ومما يلاحظ على الكتاب ما يلي:

- يعد أول كتاب اختياراتٍ شعريةٍ، رتبّه مُصنّفه وفق الأغراض الشعرية، وقسمه حسبها إلى عشرة أبواب.
- ليس للكتاب رواية انتقل بها الشعر إلى أبي تمام، ولا رواية أخذ بها عنه، إنما جمعه من الكتب، وانتقاه من الدواوين، والمجموعات معتمداً على ذوقه الفني.
- اعتمد أبو تمام في اختياره على الاكتفاء من القصيدة بقطعة معينة، تلائم الغرض الذي وضعه عنواناً للباب، فاخياراته أجزاء من قصائد لا قصائد كاملة.
- اختار المصنّف نصوصه لشعراء مشهورين، أو مجهولين مغمورين، ومن الشعر الشائع، وغير الشائع، فهدفه الاختيار من عيون الشعر العربي، والبحث عن القطعة الجيدة الفصيحة، الملائمة للموضوع.
- لم ينهج أبو تمام في كتابه هذا نهجاً تناظرياً في جمع المقطعات، أو عددها في الباب الواحد، أو في عدد أبيات كل مقطعة، وإنما كان يختار من القصيدة الأبيات التي

تعجبه ولو كان بيتاً واحداً.

- سمح لنا الكتاب بالاطلاع على نصوصٍ لشعراء، ضاعت أخبار أصحابها، أو دواوينهم، من اختيار شاعرٍ كبيرٍ، مرهف الذوق، يميز غثَّ الشعر من سمينه.
- أثنى الكثير من القدماء على حسن اختيار أبي تمام، بأقوال عديدة منها: قول أحدهم: (أبو تمام في حماسته أشعر منه في شعره).
- حظيت حماسة أبي تمام باهتمام كثيرٍ من الشراح، من أبرزهم: التبريزي، والمرزوقي، والآمدي، والعسكري.

ومن طبعات الكتاب:

طبعة صدرت عن لجنة التأليف والترجمة في القاهرة (١٩٥٣م) من شرح المرزوقي وتحقيق عبد السلام هارون وأحمد أمين.

وطبعة بشرح التبريزي صدرت في القاهرة (١٩٣٨م) وكلا الشرحين جاء في أربعة أجزاء.

شاهد من الكتاب:

- (في باب الحماسة)^(١): قال سعد بن ناشب بن مازن بن عمرو بن تميم:

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِباً	عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِباً
وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا	لِعَرْضِي مِنْ بَاقِي الْمَذْمَةِ حَاجِباً
وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْثَنَتْ	يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِباً
فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالْعَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا	تَرَاثُ كَرِيمٍ لَا يُيَالِي الْعَوَاقِبَا
أَخِي عَزَمَاتٍ لَا يُرِيدُ عَلَى الَّذِي	يَهْمُ بِهِ مَنْ مَفْطَعِ الْأَمْرِ صَاحِبَا

(١) الحماسة الكبرى، شرح التبريزي ١/١٥٠.

- (في باب النسيب):^(١)

قال الصِّمَّة القشيري:

حننتَ إلى رِيَّا ونفْسُكَ باعدتْ مزارَكَ من رِيَّا وشعْبَاكُما معا
فَمَا حسنٌ أنْ تَأْتِيَ الأمرَ طَائِعَا وتَجْزَعُ أنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
قَفَا ودَّعَا نجدًا وَمِنْ حِلٍّ بِالْحِمَى وَقَلَّ لنجدٍ عندنَا أنْ يُودَّعَا
بنفسي تِلْكَ الأرضَ مَا أطيبَ الرُّبَا وَمَا أحسنَ المُصْطَفَا والمُتَرَبَّعَا

وقال أبو صخر الهذلي:^(٢)

أما والذي أبْكَى وأضحَكَ والذي أُمَاتَ وأحيا والذي أَمْرُهُ الأمرُ
لقد تركتني أحسدُ الوحشَ أنْ أرى أَلْيَقَيْنِ منها لا يروغُهما الدُّعْرُ
فيا جَبَّها زِدْنِي جوئَ كلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سلوةَ الأَيَّامِ موعِدُكَ الحُشْرُ

٢- الوحشيات (الحماسة الصغرى):

هذا كتاب آخر، من اختيار أبي تمام، حاكي فيه حماسته الأولى، وعُرف بالحماسة الصغرى، تمييزاً له من الحماسة الكبرى، وقد أسماه أبو تمام (الوحشيات) وهي صفةٌ للأشعار التي أشبهت وحوش الفلوات، في كونها تعدّ من غرائب الشعر وأوابده ووحشيه؛ وذلك لخفاء معانيها عن عامة الناس.

اختار أبو تمام مقطوعات الوحشيات، من جيد الشعر، للمقلّين المجيدين من الشعراء، ولكنهم مغمورون لم تكن لهم شهرة ذائعة، وبلغ مجموع القطع الشعرية في الوحشيات (٥٠٧)

(١) المصدر السابق ٦٠/٢.

(٢) الحماسة الكبرى، شرح التبريزي ٦٠/٢.

مقطعة ل (٢٧٩) شاعراً من شعراء العصر الجاهلي، والإسلامي، ومطلع العباسي .

وقد قسم أبو تمام شعر الوحشيات إلى عشرة أبواب حسب الأغراض الشعرية على غرار تقسيمه الحماسة الكبرى، مع اختلاف بسيط، إذ جاء بباب (المشيب) بدل باب السير والنعاس.

- ١- باب الحماسة ٢- باب المراثي ٣- باب الأدب
- ٤- باب النسيب ٥- باب الهجاء ٦- باب الحماسة والأضياف
- ٧- باب الصفات ٨- باب المشيب ٩- باب الملح
- ١٠- باب مذمة النساء.

و مما يلاحظ على الكتاب:

- أنه لم يحظَ بالشهرة التي حظي بها كتاب الحماسة الكبرى، مع أنه من كتب الاختيار الجيدة، فقد جاء مكتملاً له وجاءت نصوصه مكتملة لما في كتب الاختيار السابق.
 - اهتم فيه أبو تمام بالحوشي من اللفظ، والغريب من الشعر، لشعراء مغمورين.
 - تعد الوحشيات في حسن الاختيار، وجودة الانتقاء دون الحماسة الكبرى.
- طبعت الوحشيات طبعات عديدة، آخرها طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة (١٩٦٣هـ)، من تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، ومراجعة محمود محمد شاكر.

شاهد من الكتاب:

- من باب الحماسة^(١):

قال المُعلّى بن طارق الطائي:

مَشَتْهُمُ الْهُوَيْنَى فِي الْعَدُوِّ رِمَاحَنَا
سَخِطَتْ جَمَاجِمُهُمْ عَلَى أَحْسَادِهِمْ
مَا وَاجَهْتُكَ عُقَابُ حَرْبٍ مَرَّةً
تَشْقَى بِضُحْكَنِهِ الْبُدُورُ فَإِنْ عَدَا
حَتَّى عَرَفَنَ مَسَالِكَ الْأَزْوَاجِ
فَتَحَشَّذَتْ غَصًّا صُدُورُ رِمَاحِ
إِلَّا كَسَرْتَ جَنَاحَهَا بِجَنَاحِ
غَضْبَانٍ أَضْحَكَ ذَابِلَ الْأَرْمَاحِ

- باب الأدب^(٢):

قال العرجي:

وَلَيْسَ أَحْيَى مِنْ وَدَّيْنِي وَدَّ عَيْنِهِ
وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدِمًا
وَلَكِنْ أَحْيَى مِنْ وَدَّيْنِي فِي الْمَغَائِبِ
وَمَالِي لَهُ إِنْ عَضَّ دَهْرٌ بِغَارِبِ

- باب المشيب^(٣):

قال أبو هلال الأسدي:

نَزَلَ الْمَشِيبُ فَحَلَّ غَيْرَ مُدَافِعٍ
وَبَحَّاورَتْ خُصْلُ السَّوَادِ وَمِثْلَهَا
وَعَقَا الْمَشِيبُ مِنَ الشَّبَابِ دِثَارًا
لَمَعُ الْبَيَاضِ عَلَى الْقُرُونِ جَوَارًا
وَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا هُنَالِكَ حِقْبَةً
ظَعَنَ السَّوَادُ عَنِ الْبَيَاضِ فَسَارًا

(١) الوحشيات ١١٧.

(٢) الوحشيات ١٧٨.

(٣) الوحشيات ٢٨٧.

قال آخر:

عَرِيتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكُنْتُ غَضًّا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

ومما ذكر سابقاً نجد أن أبا تمام كان رائد من صنفوا في هذا النمط من الاختيارات الشعرية وهي الكتب التي رتبت أبوابها حسب أغراض الشعر أو ما يسمى: (فنونه أو موضوعاته أو معانيه) وعرفت بكتب الحماسة، وهذه التسمية صارت شهرةً لكتب الاختيار الشعري المبوبة وفق المعاني الشعرية، ذلك النمط الذي راق لكثير من الأدباء والشعراء، فنسجوا على منواله كالبحتري وغيره في حماساتهم.

٣- حماسة البحتري:

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي، أحد أشهر شعراء العصر العباسي، ولد بمنبج في الشمال الشرقي من حلب في سوريا سنة (٢٠٥هـ)، وعندما ظهرت موهبته الشعرية التقى أبا تمام وعرض عليه شعره، فأثنى عليه ووجهه وأرشده، وبعدها غدا البحتري شاعراً مُقدِّماً في بلاط عدد من الخلفاء العباسيين، من أبرزهم المتوكل الذي قرّبه ورفع من شأنه؛ فخصّه لذلك البحتري بكثيرٍ من قصائد المديح، وقد وُصف شعره بسلاسل الذهب لما تميز به أسلوبه من عذوبة وطلاوة وروعة في التصوير ودقة في الوصف، توفي البحتري بمنبج سنة (٢٨٤هـ)، وخلف ديواناً ضخماً أشهر ما فيه قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى والربيع^(١).

تأثر البحتري بأبي تمام يبدو باستفادته من منهجه في التصنيف عندما ألّف كتاباً عُرف بحماسة البحتري أهداه إلى الوزير العباسي الفتح بن خاقان.

(١) الأغاني ٣٧/٢١، ٥٣، وتاريخ بغداد ٤٤٦/١٣، ووفيات الأعيان ١٧٥/٢.

وقد قسم البحتري كتابه إلى (١٧٤) باباً، جمع فيها أكثر من (١٤٥٠) مقطعة لـ (٦٥٢) شاعراً، لشعراء جاهليين، وإسلاميين، ونفرٍ قليل من العباسيين أمثال: بشار بن برد ومطيع بن إياس وحمّاد عجرد، واتسعت أبواب الكتاب موازنة بأبواب حماسة أبي تمام والسبب هو أن أبا تمام عُني بأغراض الشعر الرئيسة بينما عُني البحتري بالمعاني الجزئية.

فالباب الأول عند أبي تمام (باب الحماسة) يقابله في حماسة البحتري (٢٧) باباً منها: الباب الأول (في ما قيل في حمل النفس على المكروه عند الحرب) الباب الثاني (في ما قيل في الفتك) والباب الثالث (في ما قيل في الإصحار) أي الخروج والبروز للأعداء والمكاشفة لهم وترك التستر منهم، وفي موضوع الصداقة أورد (٢٠) باباً ذكر فيها المعاني التالية: (إخلاص الود)، (صحة المودة وحفظ الإخاء)، (عدم مؤاخذه الإخوان على العثرات) وهكذا في بقية الكتاب الذي شمل مقطعاتٍ وأبياتاً مفردة لا تتجاوز أحياناً البيت الواحد وذلك لتتبع البحتري لمعاني الشعر الجزئية التفصيلية.

ومما يلاحظ على الكتاب:

- سُمي البحتري كتابه (حماسة) حباً بمعارضة أبي تمام، ولكننا لا نجد في كتابه باباً واحداً بهذا الاسم، فالأبواب السبعة والعشرون الأولى من كتابه إنما تفصّل المعاني الحماسية التي أجمّلها أبو تمام في باب واحد.
- استغرق المصنف في المعاني التفصيلية، فكان من الطبيعي أن تُمرّق أوصال القصائد، وتَقْصُر المقطوعات المناسبة، لتبلغ حدّ البيت الواحد أحياناً.
- جاءت طريقة البحتري التفصيلية أدق تبويماً من حماسة أبي تمام، وأكثر إسعافاً للباحث عما قيل في معنى من المعاني الشعرية العامة.
- تشترك مع حماسة أبي تمام بجودة الاختيار من الشعر الفصيح القديم، والاكتفاء

بالقطعة من القصيدة دون إيرادها كاملة، وأنها من اختيار شاعر كبير، مرهف الذوق يميّز غثّ الشعر من سمينه .

● لم يُعن القدماء بشرح حماسة البحري عنايتهم بحماسة أبي تمام إلى أن كان العصر الحديث.

ومن طبعات الكتاب:

- طبعة مصر المطبعة الرحمانية (١٩٢٩م) بتعليق كمال مصطفى.
- طبعة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان (١٩١٠م) وأعيدت (١٩٦٧م) بعناية الأب لويس شيخو اليسوعي، وأحدثها طبعة هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (٢٠٠٧م) تحقيق: د. محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد.

شاهد من الكتاب:

فيما قيل في الإصحار للأعداء والمكاشفة لهم وترك التستر:

قال سُحَيْم بن وَثَيْل التميمي:

أنا ابنُ جلا وطلاغِ الثنايا متى أضع العِمَامَةَ تعرفُوني
صليبُ العُودِ من سَلَفِي نزارٍ كمثُلِ البَدرِ وضَّاحِ الجَبِينِ
كذي لُبَدٍ يصدُّ الرُّكْبَ عنه ولا تُؤتِي فريستُهُ حين
وماذا يدري الشَّعراءُ منِّي إذا جاوَزْتُ حدَّ الأربعينِ
أخو خمسينَ مُجْتَمَعٍ أشدِّي ونَجْدَنِي معَاوِرَةَ الشَّوْونِ^(١)

فيما قيل في ترك المجازاة بالسوء والعفو عن المسيء (اختار البحري بيتاً واحداً):

(١) حماسة البحري، باب ٣/ ص ٥١.

قال حسان بن ثابت:

أعرض عن العوزاء حيث سمعتها واصفح كأنك غافل لا تسمع^(١)

فيما قيل في حفظ اللسان وترك المبادرة بالكلام:

قال دعامه بن جسر الطائي:

لا تقطعن مقالاً في مجلس لا تستطيع إذا مضت إدراكها

قس كل أمرك قبل جهرك بالتي فأت ولمّا تستطع إمساكها^(٢)

٤ - حماسة الخالدين «الأشباه والنظائر»:

الخالديان شاعران أخوان، أحدهما: محمد وكنيته أبو بكر توفي ٣٨٠هـ، والثاني: سعيد وكنيته أبو عثمان توفي ٣٧١هـ، عرفا بالخالدين نسبة إلى الخالدية، وهي قرية من أعمال الموصل، والخالديان الشقيقان كانا يمثلان ظاهرة أدبية فريدة، فقد كانا يكتبان القصيدة فتنسب إليهما معاً، وتُروى لهما دون أن يُعرف أيّ منهما أنشأها، وليس من شك في أنهما كانا يشتركان في إنشائها، ولكن ذلك لم يمنع من أن تُنسب قصائد أخرى إلى كل منهما على حدة، ما افترقا في حل وإقامة ولا في ظعن أو سفر، فحينما أرادا الثقافة ارتحلا معاً إلى بغداد، وشاركا في ارتياد المنتديات الأدبية والمجالس الثقافية فيها، ثم غادراها إلى حلب والتحقا بندوة سيف الدولة الحمداني. وقد تركا للمكتبة العربية عدة مؤلفات معظمها مختارات للشعراء: (المختار من شعر بشار)، (أخبار أبي تمام ومحاسن شعره)، (اختيار شعر البحتري)، (اختيار شعر ابن الرومي)، (الأشباه والنظائر) هذا فضلاً

(١) حماسة البحتري، باب ١٠٨ / ص ٣٥١.

(٢) المصدر نفسه، باب ١٤٣ / ص ٤٥٥.

عن ديوان شعرهما^(١).

كان السبب وراء تأليف هذا الكتاب، أُميرٌ لم يصرّح الخالديان باسمه، وإنما اكتفيا بذكر كُلفِه بأشعار المحدثين، وزهده بشعر القدماء والمخضرمين، فحاولا من خلال اختيارهما هذا تذكيره بفضل هؤلاء وتفوقهم، وإظهار ذلك بكل حيادية وموضوعية. ويضمّ الكتاب مختارات لشعراء جاهليين ومخضرمين، وما يماثلها وينظرها من شعر المحدثين، وغرضهما من ذلك إبراز فضل السبق في المعاني الشعرية للمتقدمين والمخضرمين، بعقد الموازنة بينهم وبين المحدثين وإيراد الأشباه والنظائر لمعاني مختلفة، ومما تميز به الخالديان عدم التعصب لشخصية معينة، وإعطاء كلّ شاعر من الشعراء حقه كما يقتضي المقام والدراسة المستقيمة.

ويقع الكتاب في جزئين، ومن يرجع إليه يجده حالياً من التنظيم أو وضع خطة تسهّل على الباحث فيه الرجوع إلى ما يريد، فالخالديان لم يتقيدا بأبواب تجمع أغراض الشعر أو معانيه المختارة، أو زمان الشعراء، فإذا بالقصائد أو المقطعات الشعرية تردّ متبددة لا تنسيق يجمعها، ولا نظام يربط بينها، وإذا كانا قد أوليا المعاني الشعرية اهتمامهما الأكبر، فإنهما لم يرتبا المعاني المتشابهة في باب واحد، بل عرضا أبياتاً اختارها لجمال معانيها، ثم أوردوا أبياتاً تُشابهها أو تُناظرها في المعنى بغرض الموازنة بينها، وكثيراً ما يعودان لذكر هذا المعنى ثانية، أو ثالثة، أو رابعة في مكان آخر، فهما لم يلتزما التبويب مطلقاً، ولم يذكرنا نظائر معنى واحد في موضوع واحد، بل في مواضع مختلفة. فكتابهما لا يشبه الحماسات إلا بما فيه من مختارات شعرية يربطها المعنى المشترك.

فكتاب الأشباه والنظائر صُنّف للموازنة بين ما أورد الشعراء من المعاني التفصيلية

(١) يتيمة الدهر ١/٤٥٠، ٤٧١ بتصرف، والفهرست/٢٤٠، وفوات الوفيات ١/١٧٠، والأعلام ٣/٨١.

للشعر العربي، وبيان الفضل للمتقدم منهم أو المتأخر إذا أجاد، دون انحياز لشاعر بعينه أو لعصرٍ بذاته.

طبع الكتاب بتحقيق د. السيد محمد يوسف - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - (١٩٥٨م) جزآن في مجلد واحد.

شاهد من الكتاب:

بدأ الخالديان كتابهما بمعنى (قتال الأقارب بدافع كره القلوب)، فقد ذكرا أن المعنى الأصلي (للمهلhel بن ربيعة) إذ يقول:

بُكَرِهَ قُلُوبِنَا يَا آلَ بَكْرِ نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النَّصَالِ
لَهَا لَوْنٌ مِنَ الْهَامَاتِ جَوْنٌ وَإِنْ كَانَتْ تُغَادَى بِالصِّقَالِ
وَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرْكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي

أخذه عنه (الحُصَيْن بن الحُمَام المَرِّي) فقال:

نَفَلْتُ هَاماً مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

أخذه عنه (الحارث بن وعلى الذهلي) فقال:

قَوْمِي هُمُ قَتَلُوا أُمِيمَ أَخِي فَلِذَا رَمَيْتُ أَصَابِنِي سَهْمِي
فَلَمَّ عَفْوْتُ لِأَعْفَوْنَ جَلالاً وَلَمَّ قَتَلْتُ لِأَوْهَنِّ عَظْمِي

وأخذه مالك بن مطفوق السعدي فقال:

قَتَلْنَا بَنِي الْأَعْمَامِ يَوْمَ أُورَةَ وَعَزَّ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ
هُمُ أَحْرَجُونَا يَوْمَ ذَاكَ وَجَرَدُوا عَلَيْنَا سُيُوفاً لَمْ يَكُنْ بَوَاتِكَا

وهكذا حتى يصل إلى البحري فيقولوا: أخذ المعنى البحري فقال:
إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها^(١)

٥ - الحماسة الشجرية:

صنفها أبو السعادات الشريف ضياء الدين هبة الله بن علي بن محمد الحسيني ابن بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، المعروف بابن الشجري نسبة إلى «قرية الشجرة» قرب المدينة المنورة أو إلى جد من أجداده اسمه شجرة، ولد في بغداد سنة (٤٥٠هـ) في جو ديني محب للعلم نشأ فيه وترعرع، وتلقى علومه على يد كبار العلماء فيها، فكان ذكياً فصيح اللسان وقوراً، حاضر البديهة، حلو الحديث، حسن البيان والإفهام، عالماً بأحوال العرب وأشعارهم وأيامهم، وإليه انتهت رئاسة النحو في عصره، وقيل إنه تصدر لتدريسه في بغداد نحو سبعين عاماً، أما شعره فقليل الرّونق أقرب إلى النّظم.

توفي بالكرخ في بغداد سنة (٥٤٢هـ) تاركاً مصنفات عدّة منها: (الأمالي)، (الحماسة)، (ديوان مختارات الشعراء)، (ما اتفق لفظه واختلف معناه) (شرح اللمع لابن جني)، (شرح التصريف الملوكي)، (ديوان شعر).^(٢)

تعد الحماسة الشجرية من الكتب التي ضاهت حماسة أبي تمام، وتحتوي مجموعة مقطعات وأبيات اختارها هبة الله على غرار ما في الحماسات الأخرى، ونهج منهج أبي

(١) الأشباه والنظائر ١/١٧.

(٢) نزهة الألباء ٤٨٥/، وإنباه الرواة ٣/٣٥٦، والنجوم الزاهرة ٥/٢٨١، والبداية والنهاية ٢/٢٢٣. وقد تقدمت ترجمته في الاختيارات الشعرية.

تمام على وجه الخصوص، وجعلها في تسعة أبواب:

- ١- باب الشدة والشجاعة ٢- باب اللوم والعتاب ٣- باب المراثي
٤- باب المديح ٥- باب الهجاء ٦- باب الأدب
٧- باب النسيب ٨- باب الصفات ٩- باب المُلح

وقد بلغ عدد المقطعات التي اختارها ابن الشجري في حماسته (٩٣٢) مقطعة لـ (٤٤٢) شاعراً من شعراء العصر الجاهلي، والإسلامي، والمخضرمين بينهما، والأموي، والعباسي .

وقد أشاد بأهمية هذه الحماسة كثيرون، فقد جاءت متممة لما بدأه أبو تمام والبحري، رغم أن اسم الحماسة يبقى لديه اسماً مجازياً لمجموعته هذه، لأن الباب الأول لا يحمل هذه التسمية، وإنما يحمل اسم (الشدة والشجاعة) وما قيل في معناها. طبعت الحماسة الشجرية في قسمين، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي منشورات وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٠م.

شاهد من الكتاب:

- باب الصفات:

أبيات لابن الرومي وهو يصف غروب الشمس قائلاً^(١):

إِذَا رَنَقَتْ شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرِيَّ وَرَساً مَذْعَدَا
وَلَا حَظَّ النَّوَارَ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَلْدًا إِلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
كَمَا لَاحَظْتَ عَوَّادَهُ عَيْنٌ مَدْنِفٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا

(١) حماسة ابن الشجري، حماسية رقم ٦٦٠، ص ٧٣٤.

وظَلَّتْ عُيُونُ النُّورِ تَحْضُلُّ بالنَّدَى كما اغرورقت عينُ الشَّجِيِّ لَدَمَعَا

وقول أبي تمام في وصف الكتاب^(١):

فَضَضْتُ خِتَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لِي غرائبُهُ عَنِ الزَّهَرِ الْجَنِيِّ
وَضُمَّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تُضَمَّنْ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْخُلِيِّ

٦ - الحماسة البصرية:

صنفها صدر الدين أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، الذي لم تزودنا كتب التاريخ والتراجم بشيء يذكر عن حياته، وكل ما نعرفه عنه مستمد من مقدمة حماسته، وهو: أنه عاش مدةً في البصرة، ثم انتقل إلى دمشق، واستقر فترة في حلب أيام الملك الناصر صلاح الدين وأبي المظفر يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر الأيوبي الذي كان أمير حلب، كما ارتحل إلى مصر وعاش أيام الظاهر بيبرس، ثم أمضى فترة من حياته في بغداد أيام المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين، الذي قتله ملك التتار هولاكو سنة (٦٥٦هـ).

فيذا علمنا أن صدر الدين هذا، قد صحب من رجال الدولة جماعة من الملوك والوزراء والعلماء والمؤرخين، أدركنا أنه كان رجلاً ذا مكانة اجتماعية مرموقة، أديباً مثقفاً، أدب نفراً من الأمراء والأعيان.

ولكن من الغريب أن الرجل على شهرته، واتصاله بكبار رجالات عصره، لا نجد أحداً تكلم عليه. وقد قُدرت سنة وفاته ما بين سنتي (٦٥٨ - ٦٥٩)^(٢).

وقد جاء جهد البصري في حماسته مكملاً لجهود سابقيه في تأليف الحماسات، متأثراً

(١) حماسة ابن الشجري، حماسية رقم ٧٤٤، ص ٨٠٢.

(٢) الحماسة البصرية، ط ١، بتحقيق مختار الدين أحمد / المقدمة، بتصرف .

بشكلٍ خاصٍ بحماسة أبي تمام، وحماسة البحتري، وقد رتّب مختاراته في (١٤) أربعة عشر باباً معظمها يشابه أبواب حماسة أبي تمام وهي مصنّفة على الأغراض الشعرية، وفق ما يلي:

- ١- باب الحماسة ٢- باب المديح والتقريض ٣- باب التأبين والثناء
- ٤- باب الأدب ٥- باب النسيب والغزل ٦- باب الأضياف
- ٧- باب الهجاء ٨- باب مذمة النساء ٩- باب الصفات والنعوت
- ١٠- باب السير والنعاس ١١- باب الملح والمجون
- ١٢- باب ما جاء في أكاذيبهم وخرافاتهم ١٣- باب ما جاء في ملح الترقيص
- ١٤- باب الإنابة والزهد.

وبلغ عدد مقطعاتها: (١٦٦٣) مقطعةً لـ (٨١١) شاعراً من شعراء العصر الجاهلي والإسلامي، والمخضرمين بينهما، والأموي، والعباسي.

وقد اختار البصري مقطوعاته من روائع الشعر، وكان يسوق مع بعضها شيئاً من الأخبار المتصلة بها، كما أثبت في بعضها المناسبات التي قيلت فيها، ومن الملاحظ أنّ عدد القطع في الأبواب السبعة الأخيرة قليل، إذ يُشكّل نحو ربع الكتاب فقط.

وتُعَدُّ الحماسة البصرية أكثر الحماسات أبواباً بعد حماسة البحتري، تناولت في شعرها مختارات لشعراء من العصر الجاهلي حتى عصر مصنفها (حوالي منتصف القرن السابع الهجري)، فأكملت بذلك الحماسات الأخرى.

طُبعت الحماسة البصرية بتحقيق مختار الدين أحمد في دائرة المعارف العثمانية بالهند عام (١٩٦٤م) في جزئين، وأعيدت طباعتها في عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ). وأفضلها طبعة بتحقيق د. عادل سليمان جمال، جمهورية مصر العربية، مكتبة الخانجي، أربعة مجلدات، عام (١٩٩٩م).

شاهد من الكتاب:

- من (بَاب المديح والتقريض)^(١)

قَالَ أَبُو نَوَاسٍ الْحَكَمِيُّ:

فَإِذَا الْمَطِيَّ بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّداً فظهورهنَّ على الرِّحالِ حَرَامُ
قربننا من خيرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فلها علينا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

- من (بَاب الأَدَب):^(٢)

- وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ:

لَا تَيَاسَسَنَّ إِذَا مَا ضِغَّتْ مِنْ فَرْجٍ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ فِي الرَّوْحَاتِ وَالْدُّجِ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ بِالْفَرْجِ

- وَقَالَ الْأَضْبَطُ بْنُ قَرِيْعٍ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ وَالصُّبْحُ وَالْمُسْنَى لَا بَقَاءَ مَعَهُ

- من (بَاب السَّيْرِ وَالنُّعَاسِ)^(٣):

قَالَ أَبُو نَوَاسٍ الْحَكَمِيُّ:

رَكِبَ تَسَاقَوْا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ كَأْسَ الْكَرَى فَاَنْتَشَى الْمُسْتَقِيُّ وَالسَّاقِي
كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمْ وَالتَّوْمُ وَاضِعُهَا عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُعْمَدَ بِأَعْنَاقِ

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ وَتُرْوَى لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِي:

(١) الحماسة البصرية ١ / ٣٨١.

(٢) الحماسة البصرية ٢ / ٧٨٧-٧٨٨.

(٣) الحماسة البصرية ٤ / ١٥٤٧-١٥٤٨.

خَلِيلِي مَا بَالُ الْمَطِيِّ كَأَنَّنَا نَرَاهَا عَلَى الْأَذْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ
وَقَدْ أَبْعَدَ الْحَادِي سُرَاهُنَّ وَانْتَحَى بِهِنَّ فَمَا يَأْلُو عَجُولُ مُقْلَصُ
وَقَدْ قَطَّعَتْ أَعْنَاقَهُنَّ صَبَابَةٌ فَأَنْفُسُهَا مِمَّا تَكَلَّفُ شَخْصُ
يَزِدُّنَ بِنَا قُرْبًا فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا إِذَا زَادَ طَوْلَ الْعَهْدِ وَالْبُعْدُ يَنْقُصُ

كتب معاني الشعر

هي كتب جمع فيها مؤلفوها اختيارات شعرية تتصف بغرابة معانيها، وتحتاج إلى شرح أو تعليق يجلو غموضها.

وقد بين السيوطي في كتابه المزهري سبب تسمية تلك الاختيارات بأبيات المعاني، فقال: «وإنما سُمِّوا هذا النوع أبيات المعاني لأنها تحتاج إلى أن يُسأل عن معانيها، ولا تُفهم من أول وهلة^(١)» ثم ذكر أن الغرابة لا تكون في المعنى فقط، وإنما تكون في اللفظ والتركيب والإعراب أيضاً.

فكتب معاني الشعر تضم قطعاً من الشعر تحتاج إلى توضيح، من حيث المعنى أو اللفظ أو التركيب أو الإعراب.

من أهم كتب معاني الشعر معاني الشعر للأشناداني، والمعاني الكبير لابن قتيبة، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري.

(١) المزهري ٥٧٨/١.

كتاب معاني الشعر للأشنانداني

المؤلف هو أبو عثمان سعيد بن هارون الأشنانداني^(١)، كان عالماً في اللغة والنحو والأدب وهو من أعلام القرن الثالث الهجري، توفي سنة ٢٥٦هـ، ومن تلامذته ابن دريد الأزدي، ومن كتبه: الأبيات الفريدة^(٢).

أما كتابه (معاني الشعر) فقد اختار فيه مجموعة من القطع الشعرية، وأورد معها شروحاً وافية، ولكنه لم يلتزم ترتيباً معيناً في اختياراته.

حرص الأشنانداني على توضيح المعاني المستغلفة، المستعصية الفهم، فبيّن مراد قائل الأبيات، وشرح الألفاظ الغريبة، وأشار إلى بعض الجوانب اللغوية كالأضداد والمترادفات، وساق الأمثال والأقوال التي توضح المقصود من بعض المعاني الشعرية التي تكاد تندرج ضمن الأحاجي والألغاز.

« وفي الكتاب ٢٢٢ مئتان واثنان وعشرون قطعة نشر منها أول مرة ١١١ مئة وإحدى عشرة قطعة بعناية جمعية الرابطة الأدبية سنة ١٩٢٢م، ثم أعاد نشر الكتاب الأستاذ عز الدين التنوخي وفيه ١١١ قطعة وهي ما نُشر أول مرة، وأضاف إليها ما وجدته في آخر مخطوطة الكتاب وهو قسمان: اللّحق والذيل، وفي اللّحق توجد القطع المرقمة من ١١٢ إلى ٢٠٢، وفي الذيل القطع المرقمة من ٢٠٣ إلى ٢٢٢، صدر الكتاب في طبعته الثانية عام ١٩٦٩م عن مديرية إحياء التراث القديم في دمشق^(٣) ».

وثمة طبعة للكتاب صادرة عن دار الكتب العلمية في بيروت، وهي الأولى عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(١) منسوبٌ إلى أشناندان وهو موضع في بلاد فارس.

(٢) انظر ترجمته في إنباه الرواة للقفطي ١٤٥/٤، والأعلام للزركلي ١٠٣/٣.

(٣) المكتبة العربية ومنهج البحث، د. رضوان الداية، ص ٩٩.

كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة

المؤلف هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد في بغداد، ونشأ فيها، وأخذ العلم عن شيوخها، ثم أصبح قاضياً وأقام بالدينور^(١) مدة توليه القضاء فنسب إليها، توفي في بغداد سنة ٢٧٦هـ، كان عالماً في اللغة والأدب والنقد وأخبار الناس وأيامهم وغريب القرآن ومعانيه، كان واسع العلم غزير التأليف، من مؤلفاته:

تأويل مختلف الحديث، الشعر والشعراء، عيون الأخبار، أدب الكاتب، المعارف، الإمامة والسياسة، تأويل مشكل القرآن، وكلها مطبوعة، وتدل على الثقافة الواسعة المتنوعة التي امتلكها ابن قتيبة^(٢).

أما كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني فهو مصدر أصيل ينهل منه طالب العلم الفوائد اللغوية والتعليقات اللطيفة المرتبطة بشروح الألفاظ الغريبة، وبيان الاستعارات الطريفة في الأبيات الشعرية المنتقاة مما نظمه فحول الشعراء، وهذا يدل على رسوخ قدم ابن قتيبة في فهم معاني الشعر وتفسير غرائبه في اللفظ والمعنى.

من طبعات الكتاب طبعة صادرة عن دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن بالهند أشرف على تصحيحها الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى اليماني الذي أعاد الفضل في إحياء هذا الكتاب ورؤيته النور إلى المستشرق الدكتور كرنكو الذي قام بجمع الجزئين المتفرقين من النسخة المخطوطة للكتاب، وتحقيق هذه النسخة وإرسالها إلى دائرة المعارف العثمانية، لكنه رأى إعادة النظر فيها، فاستدرك الدكتور المحقق بعض ما احتاج إلى ترميم واستكمال، وأخرج الكتاب في ثلاثة مجلدات تضمنت الأجزاء التالية:

(١) مدينة فارسية بالقرب من همذان.

(٢) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢٥١/١، والأعلام للزركلي ١٣٧/٤.

- **المجلد الأول:** يتضمن الجزء الأول في كتاب الخيل، والجزء الثاني في كتاب السباع والوحوش، والجزء الثالث في كتاب الطعام والضيافة.
 - **المجلد الثاني:** يتضمن الجزء الرابع وهو مشتمل على الأشعار المختارة في كتاب الذباب، والجزء الخامس في كتاب الوعيد والبيان، والجزء السادس في كتاب الحرب.
 - **المجلد الثالث:** يشتمل على الجزء السابع في الميسر، والشعر والشعراء، والتطير والفأل، ووصف الآثار وتشبيهها، وفي المراثي، والشيب والكبر، والآداب، ومكارم الأخلاق.
- بين المحقق أنَّ ثمة نقصاً في النسخة المخطوطة الموجودة من هذا الكتاب، وذكر أن هذا النقص في القطعة الباقية يشتمل على الأبيات الشعرية المختارة في أبواب الإبل، الديار، الرياح، النساء والغزل، تصحيف العلماء.
- أهم ما يميّز كتاب المعاني الكبير أن القارئ يجني منه الثمار اللغوية والأدبية على حد سواء، فقد اهتم ابن قتيبة بإيراد الشعر الرصين، وأولى الألفاظ الغريبة والاستعمالات المجازية فيه عنايته، ففسّرها في الموضع الذي جاءت فيه، وأورد مجموعة من الألفاظ والصيغ التي لم تذكرها المعاجم المطبوعة.
- يلاحظ أن ابن قتيبة لم يذكر الأشعار التي تناولها بالشرح والتوضيح عشوائياً بلا ترتيب، وإنما رتب وهذب وبوّب^(١)، فقسّم الكتاب إلى أجزاء تبعاً للموضوعات، فالجزء الأول في الخيل، أورد فيه شعراً يتضمن ألوان الخيل، وجريها، ومشيتها، وتشبيهها بالجوارح، فهو يجمع بين النظائر، ويحاول أن يحيط بالموضوع من جميع جوانبه.
- ويناسب بين الأبواب، ويراعي حسن التخلص من باب سابق لينتقل إلى باب لاحق، فبعد كتاب الخيل انتقل إلى أصناف الحيوانات الأخرى، فلم يفاجئ القارئ بموضوع لا

(١) انظر مقدمة التحقيق، ص ٣٢.

يتم بصلة إلى الموضوع السابق.

شاهد من الكتاب:

مثال من كتاب الخيل في الجزء الأول:

«قال طفيل:

شميط الذنابي جُوفت وهي جَوْنَةٌ بُنْقَبَة دِيَاجٍ وَرِيْطٍ مَقْطَعٍ

الشمط: الخلط يقول: اختلط في ذنبها بياض وغيره، يقال: اشمط له العلف أي اخلط، ويقال للصبح شميط، والجونة: السوداء، والنقبة: اللون، يريد أن التجويف منها كالدياج»^(١).

وفي موضع آخر من باب التشبيه بالوعول والظبي:

«قال مهلهل:

وخيل تكْدَس بالدارعين مشي الوعول على الظاهرة

التكدس: أن يحرك منكبيه إذا مشى كأنه ينصب إلى بين يديه، وكذلك مشي الوعول على الأرض، وإنما وصفها بهذا لأنه أراد أنها تمشي إلى الحرب رويداً وهو أثبت لها من أن تلقاها وهي تركض، وقالت الخنساء:

وخيلٌ تكْدَس بالدار عي .. من قارعت بالسيف أبطالها»

وقد أصدرت دار الكتب العلمية في بيروت الكتاب بتحقيق اليماني ضمن ثلاثة مجلدات في عام ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م، وأصدر دار الفكر العربي الكتاب ضمن مجلدين في عام ١٩٩٨ م.

(١) انظر المعاني الكبير، ص ٦٠.



الفصل الثاني

- الخطب

- الرسائل

- المقامات

- كتب الأمثال



تشتمل المصادر الثرية على المصنفات التي خصصت للفنون الثرية المعروفة في أدبنا العربي كالخطب والرسائل والمقامات والأمثال والقصص. وقد وصلتنا مجموعات كثيرة وقيمة من التصنيف النثري شغلت مكاناً بارزاً في المكتبة العربية.

الخطب

حازت الخطابة في العصر الجاهلي مكانةً مميزةً ضمن الفنون الثرية، فقد كان الخطيب لسان حال قبيلته، والناطق باسمها في المواسم والمأفول. وكان خطباء العصر الجاهلي يخطبون في الحروب والمناسبات والمفاخرات في كل مكان من الجزيرة العربية، من أشهرهم: عتبة بن ربيعة في مكة، وقيس بن الشماس في المدينة، وقس بن ساعدة خطيب قبيلة إباد، وعمرو بن كلثوم الشاعر خطيب قبيلة تغلب. لم تصلنا مصنفات خاصة بخطب العصر الجاهلي من جمع القدماء، وإنما وصلتنا نصوص هذه الخطب في بعض كتب التاريخ وكتب الأدب كالبيان والتبيين، والعقد الفريد، والأمالي للقيلي.

وفي صدر الإسلام ازدهرت الخطابة، وأصبحت الأداة القوية لنشر الدين الإسلامي وبيان أوامر الله عز وجل، وتوجيه الناس نحو الخير والصالح.

وفي العصر الراشدي اتسع أمر الخطابة باتساع رقعة الدولة نتيجةً للفتوحات العربية الإسلامية، والظاهر أن الخطباء في هذا العصر اهتموا بتجويد خطبهم وتنميقها، ولكنهم ابتعدوا عن السجع والإفراط في الصنعة تأثراً بالنبي الكريم.

وفي العصر الأموي شهدت الخطابة تطوراً واضحاً، بسبب تعدد الأحزاب السياسية، وانتماء الخطباء إليها، فلكل حزب خطبائه الذين يذبّون عنه ويقفون في وجه

خصوصهم، ومن أشهرهم الحجاج بن يوسف الثقفي من حزب الأمويين، وقطري بن الفُجاءة من حزب الخوارج.

وإلى جانب هذه الخطابة السياسية ظهرت الخطابة الدينية التي لم تقتصر على خطب أيام الجمع، وإنما تناولت خطب الوعظ الديني، ومن أشهر خطبائها: الحسن البصري، وواصل بن عطاء في العراق، والأوزاعي، وغيلان الدمشقي في بلاد الشام.

كان بعض الخطباء يقصدون دار الخلافة في دمشق ويلقون خطبهم أمام الخلفاء في المناسبات والمحافل المختلفة، وقد زحرت خطبهم بأوجه الفصاحة والبيان، وعُرفت بالخطابة الحفلية، ومن أشهر خطبائها الأحنف بن قيس.

لم تجمع خطب العصر الأموي ضمن مصنفات خاصة بها في زمن ظهورها وانتشارها، فهي كخطب الجاهلية متناثرة في كتب الأدب وتاريخه.

وفي العصور التالية ازداد الاهتمام بفن الخطابة، وظهرت مصنفات خصّصها أصحابها للخطب على اختلاف أنواعها كالدينية، والسياسية، والاجتماعية، منها على سبيل المثال في العصر الأندلسي خطب القاضي عياض^(١)، وديوان خطب لسليمان بن موسى الكلاعي^(٢) عنوانه (جنيّ الرطب في سني الخطب) وقد ضمّنه مجموعة من الرسائل والمقامات أيضاً، ومنها في العصر المملوكي ديوان خاص بالخطب الدينية صنّفه ابن نباتة المصري (٥٧٦٨هـ).

(١) أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، كان عالماً في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف، واللغة والنحو وكلام العرب وأيامهم، وكان حافظاً لمذهب الإمام مالك ولي قضاء سبتة، له شعر حسن توفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٨٣/٣.

(٢) سليمان بن موسى الكلاعي من أهل بلنسية، كان إماماً في علوم الحديث، ومشاركاً في علوم الأدب ونظم الشعر، توفي سنة ٦٣٤هـ، انظر ترجمته في الديباج المذهب لابن فرحون ٣٨٥/١.

وفي العصر الحديث اهتم الباحثون المحدثون بجمع هذا الجانب من التراث النثري العربي، ومنهم أحمد زكي صفوة الذي جمع خطب العرب في كتابه (جمهرة خطب العرب) وجعله في ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: يتضمّن خطب العصر الجاهلي إلى صدر الإسلام، **الجزء الثاني:** يتضمن خطب العصر الأموي، **الجزء الثالث:** يتضمّن خطب العصر العباسي الأول، ويليه ذيل الجمهرة ويتضمن:

خطب الأندلسيين والمغاربة، خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها، في نشر الأعراب، في خطب النكاح، في خطب مَنْ أرتج عليهم، ونوادير طريفة لبعض الخطباء. جمع المؤلف هذه الخطب من كتب التاريخ كالكمال لابن الأثير، ومروج الذهب للمسعودي، ومن كتب الثقافة الأدبية العامة كالأمالي للقيلي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه وغيرها.

الرسائل

شغلت الرسائل حيزاً واسعاً في المكتبة العربية، وتنوعت مضامينها، فمنها اللغوية، والنحوية، والنقدية، والبلاغية، والفلسفية، والأدبية.

والرسائل الأدبية فن أدبي ثري احتضنته الكتب والدواوين النثرية، وهي تتراوح بين الطول والقصر، فقد تقصر لتكون في بضع صفحات كرسائل الردود التي يرد فيها بعض الأدباء على بعضهم الآخر، وقد تطول لتصل إلى مئات الصفحات كرسالة الغفران للمعري.

ظهرت بوادر اللمسات الأدبية في الرسائل النبوية التي امتازت بالبلاغة والإيجاز ومناسبة الألفاظ للمعاني، ثم بدأت ملامح التطوّر تطلّ برأسها في رسائل العصر الأموي

على يد عبد الحميد الكاتب الذي أطلال فيها وأطنب تبعاً لمقتضى الحال، وابتعد عن الصنعة الفنية المفرطة، أما رسائل العصر العباسي فقد اتسمت بالصنعة الواضحة في الازدواج والسجع وفنون البديع، وهذا ما نجده أيضاً في العصور التالية.

لن نتوسع في الحديث عن خصائص فن الرسائل، فهذا من شأن الدراسات الأدبية، والمراد من دراسة الرسائل في هذا الموضوع الاطلاع على أهم وأشهر الرسائل الأدبية التي عرفت في أدبنا العربي، وكانت مصدراً أدبياً ثرياً لا يستغنى عنه.

للسلائل الأدبية أنواعٌ مختلفة باختلاف موضوعاتها فمنها: الديوانية، الإخوانية، الوصفية، المفاخرات.

وصلت مجموعة من هذه الرسائل متفرقة في كتب الأدب، أو مجموعة في ديوان، وبعض هذه الرسائل جمع في زمن تأليفها أو بعده، وبعضها جمع في العصر الحديث، وثمة دواوين ومجموعات للرسائل ورد ذكرها في كتب التراجم وتاريخ الأدب لكنها لم تصل إلينا.

إن تأليف الرسائل جانب واسعٌ أقبل عليه أدباء وكتاب من المشرق والمغرب والأندلس، فمن هذه المصنفات الأندلسية مجموع يضم رسائل الفتح بن خاقان^(١) وهو ضائع لم يصل إلينا، وقد أورد المقرئ في كتابه (نفح الطيب) بعضاً من هذه الرسائل، وثمة ديوان لرسائل أمية ابن عبد العزيز بن أبي الصلت الداني^(٢)، ومجموعة رسائل للأديب والكاتب المغربي ابن عطية

(١) هو أبو نصر محمد بن عبيد الله شاعر أديب بليغ، عاش في عصر المرابطين وتوفي في مراكش سنة ٥٢٩هـ، وهو صاحب (قلائد العقيان) و(مطمح الأنفس)، انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٣٤/٦.

(٢) كان طبيباً شاعراً أديباً فلكياً موسيقياً، لقب بالحكيم، زار مصر وكان له مع وزيرها علاقة جيدة، لكنّ الحاسدين أوغروا صدر الوزير (الأفضل الجمالي) عليه فسجنه ثلاث سنوات، ثم عاد إلى المهديّة في المغرب وتوفي فيها سنة ٥٢٨هـ، انظر ترجمته في معجم الأدباء للحموي ٣٧/٣، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢٤٣/١.

المراكشي^(١)، وقد جمعها المستشرق ليفي بروفنسال، ونشرها مع غيرها من الرسائل في (مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية).

ونذكر أيضاً مجموعة من الرسائل والحكم لابن جبير محمد بن أحمد الكناني^(٢)، ومجموعة خطب ورسائل لابن دحية الكلبي^(٣)، وديوان رسائل محمد بن مسعود بن أبي الخصال^(٤)، ورسالة (حي بن يقظان) لابن الطفيل الأندلسي^(٥).

ومن المصنفات المشرقية مجموعة كبيرة من رسائل عبد الحميد الكاتب ذكرها ابن النديم في (الفهرست) إذ قال: «ولرسائله مجموع في نحو ألف ورقة» وقد وصلت رسائل متفرقة من هذا المجموع، ولم يصل إلينا كاملاً، إلى جانب رسائل ابن المقفع، والجاحظ، وسهل بن هارون، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وأبي إسحق الصائبي، وأبي العلاء المعري.

وسنقف عند أشهر الرسائل التي اشتهرت في تراثنا الأدبي وذاع صيتها في المشرق والمغرب.

-
- (١) أبو جعفر أحمد بن عطية القُضاعي المراكشي، كان وزيراً للخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، كتب عنه كثيراً من الرسائل البليغة، توفي سنة ٥٥٣هـ، انظر ترجمته في إعتاب الكتاب لابن الأبار، ص ٢٢٥.
 - (٢) أبو الحسين من أهل شاطبة، كان أديباً شاعراً كريم الأخلاق، قام بثلاث رحلات من الأندلس إلى المشرق وحج في كل واحدة منها، توفي في الإسكندرية سنة ٦١٤هـ. انظر ترجمته في المغرب لابن سعيد ٣٨٤/٢.
 - (٣) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن، كان متقناً لعلوم الحديث واللغة وأيام العرب وأشعارها تولى قضاء دانية مرتين، استقر في مصر من مؤلفاته: المطرب من أشعار أهل المغرب، توفي سنة ٦٣٣هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلّكان ٤٤٨/٣، وبغية الوعاة للسيوطي ٢١٨/٢.
 - (٤) أبو عبد الله، كان كاتب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وأصبح رئيس كتاب الأندلس، توفي مقتولاً في قرطبة سنة ٥٤٠هـ، انظر ترجمته في الصلة لابن بشكوال ٨٥٤/٣.
 - (٥) سنائي على ترجمته ودراسة رسالته.

رسالة الترييع والتدوير للجاحظ^(١):

هو أبو عثمان عمرو بن بحر، نشأ محباً للعلم، واتصل بعلماء عصره كالأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، والأخفش والنظام، عاصر الخليفة العباسي المأمون، وكان الجاحظ من المعتزلة، وهو صاحب فرقة سميت الجاحظية، توفي سنة ٢٥٥هـ من أشهر مؤلفاته: البيان والتبيين، الحيوان، البخلاء، ومجموعة كبيرة من الرسائل المتنوعة، منها:

ذم أخلاق الكتاب - رسالة في القيان - رسالة في المعلمين - فخر السودان - الحنين إلى الأوطان - رسالة في الجد والهزل.

أمّا رسالة الترييع والتدوير فهي تتميز بالقدرة الفائقة على التصوير، والمهارة في التهكم والسخرية من رجل اسمه أحمد بن عبد الوهاب كان مستناً، مفرط القصر، دميم الوجه، واسع الحوض، ومع ذلك كان يدعي الشباب، واعتدال القامة، والوسامة، والرشاقة، كما كان ضئيل المعارف والثقافات، ومع ذلك كان يدعي السعة في العلم والرسوخ فيه، ومن هذه الرسالة نقتطف السطور التالية:

«كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر، ويدعي أنه مفرط الطول، وكان مربعاً وتحسبه لسعة جفرتة واستفاضة خاصرته مدوراً، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع وهو في ذلك يدعي السباطة والرشاقة وأنه عتيق الوجه، أخمص البطن، معتدل القامة، تام العظم». ويتابع الجاحظ كلامه مخاطباً ذلك الرجل: «.. فأنت المديد وأنت البسيط، وأنت الطويل وأنت المتقارب، فيا شعراً جمع الأعاريض، ويا شخصاً جمع الاستدارة والطول!».

فهذا الجمع بين المتناقضات أضفى على الرسالة طابعها التهكمي، وأظهر أسلوب الجاحظ الذي يميل فيه إلى السخرية، والإضحاك.

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٨٨/١، والأعلام للزركلي ٧٤/٥.

وبعدما انتهى الجاحظ من العيوب الماديّة انتقل إلى العيوب المعنوية، فاتّهمه بالجهل، وبأنه يعدّد أسماء الكتب دون أن يفقه معانيها، وبأنه يحسد العلماء دون أن يتأثّر بهم، ووجّه إليه مئة سؤال في مئة مسألة من المعارف والعلوم والثقافات زيادةً في السخرية، فشخص مثله لا يستحق أن يُسأل عنها لجهله بها.

فأشار الجاحظ بذلك إلى مجموعة من القضايا الدينية والاجتماعية والعلمية والمنطقية والتاريخية مبرزاً ثقافته الموسوعية فمن ذلك: «حدثني كيف رأيت الطوفان، ومتى كان سيل العرم، ومذكم مات نوح؟... وخبرني كيف كان أصل الماء في ابتدائه... وخبرني ما جرى بينك وبين هيرمس في طبيعة الفلك، وعن سماعتك من أفلاطون، وما دار في ذلك بينك وبين أرسطو طاليس، ومن صاحب الشطرنج؟ ومن صاحب كليله ودمنة؟»

فالرسالة نموذج طريف من التصنيف الأدبي ضمن هذا النوع من الفن النثري.

رسالة الغفران لأبي العلاء المعري^(١):

هو أحمد بن عبد الله أصله من المعرة بين حماة وحلب، فقد بصره وهو طفل، ارتحل كثيراً في طلب العلم، كان شاعراً أديباً ناقداً فيلسوفاً، ضيق على نفسه كثيراً، وسمي رهين الحبسين، واتهم بالزندقة، من آثاره: ديوان حكمته وفلسفته وهو ثلاثة أقسام: لزوم ما لا يلزم ويعرف باللزوميات، وسقط الزند، وضوء السقط، وله أيضاً الرسالة الإغريقية، رسالة الغفران، رسالة الملائكة، عبث الوليد، الفصول والغايات، توفي سنة ٤٤٩ هـ.

وفي رسالة الغفران ردّ المعري على رسالة لعلي بن منصور الحلاج المعروف بابن القارح في بعض الأمور الغيبية، والظاهر أن أبا العلاء كان متفقاً معه في بعض الآراء المتعلقة بالقضايا الدينية، لذلك اعتمد عليه للتعبير عما في نفسه تجاه الدين والأدب

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٣/١، والأعلام للزركلي ١٥٧/١.

والشعر واللغة والفلسفة، وجعله وسيلة لإظهار موقفه من الجنة والنار والآخرة^(١).

تتضمن الرسالة رحلة خيالية يصعد فيها ابن القارح إلى السماء، ويطوف في أرجائها، ويرى الجنة والنار، ويلتقي ببعض الشعراء والأدباء والرواة، ويتحاور معهم. تقع الرسالة في قسمين:

القسم الأول: تحدث فيه المعري عن كثير من القضايا اللغوية والأدبية مبرزاً ثقافته الواسعة.

القسم الثاني: تحدث فيه عن الزندقة في ردّه على رسالة ابن القارح. ومع جرأة المعري في تناول مثل هذه القضايا الغيبية، ووصف مشاهد الدار الآخرة، فإن لرسالة الغفران أهمية واضحة؛ لأنها أول عمل أدبي تناول رحلة خيالية عرضت مواقف صاحبها وآراءه وثقافته، ولأثرها في أعمال أدبية عالمية كالكوميديا الإلهية لدانتي^(٢)، ورسالة الغفران تفتح مجالاً واسعاً أمام القارئ لاكتشاف عالم المعري وشخصيته وتفكيره ومعتقداته ونفسيته وأسلوبه، فهو يث فيها شكوكه، ومشاعره، ومواقفه بأسلوب متكلف يسعى وراء انتقاء الألفاظ، وتعقيد المعاني، ولزوم ما لا يلزم، نذكر منها في وصف أنهار الخمر في الجنة:

«... وفي تلك الأنهار أوانٍ على هيئة الطير السابحة، والغانية عن الماء والسائحة، فمنها ما هو على صورة الكراكي، وآخر تشاكل المحاكي، وعلى خُلُقٍ طواويس وبط، فبعض في الجارية، وبعض في الشط...».

فالرسالة عمل أدبي يأخذنا إلى عالم خيالي بعيد عن واقعية الحياة وهمومها، ويرصد

(١) للتوسع انظر كتاب (نظرات جديدة في غفران أبي العلاء المعري) د. عمر موسى باشا، وانظر (قراءات في الأدب العباسي الحركة الشرية)، د. أحلام الزعيم، ص ٣٤٧ - ٣٦٤.

(٢) اختلف الباحثون في هذا الأمر فمنهم من يؤيد تأثر دانتي برسالة الغفران، ومنهم من ينكر ذلك.

المسارات الفكرية والنفسية عند المعري.

رسالة رد لمحمد بن مسعود بن أبي الخصال^(١):

تتسم هذه الرسالة بطابعها الأدبي النقدي، وتندرج ضمن رسائل الردود الأندلسية، والردود مصنفاً يرد فيها صاحبها على غيره من المؤلفين أو الكتّاب ليدحض رأياً في قضية معينة معتمداً على الحجج والبراهين.

ودوافع التصنيف ضمن هذا النوع من التأليف متعددة: فقد تكون رغبةً في إثبات القدرة على المناقشة والجدل، ودحض آراء الآخرين، وقد تكون رغبةً في إثبات التفوق وإبراز التميز، وقد تكون نتيجة لخلافات شخصية ومنازعات دائمة بين صاحب الرد وغيره.

والردود متنوعة بتنوع مضامينها فمنها الفلسفية، والطبية، والنقدية، والنحوية، واللغوية، والأدبية، وهي - غالباً - مرتبطة بمصنفات أخرى تدعى التنبهات، وهي نوع من المصنفات يتعقب فيها المؤلفون أوهام غيرهم من الكتّاب، ويتبعون أخطاءهم وهناتهم، وينبّهون على عثراتهم، منها:

كتاب لابن العربي ٥٤٣هـ^(٢)، انتقد فيه ابن السيّد البطليوسي^(٣) ٥٢١هـ في شرحه لديوان أبي العلاء المعري (سَقَطَ الزند)، ونبّه فيه على أخطاء ابن السيّد وأوهامه فألّف

(١) تقدمت ترجمته عند كلامنا على التأليف في الرسائل.

(٢) وهو غير المتصوف محيي الدين بن عربي، واسمه أبو بكر محمد بن عبد الله، فقيه، محدث، أديب، كاتب، تعلّم في الأندلس واتصل في شبابه ببلاط بني عبّاد، تولى منصب قاضي القضاة في إشبيلية، له رحلة إلى المشرق سمّاها: ترتيب الرحلة للترغيب في الملة. انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٦/٤.

(٣) عبد الله بن محمد بن السيد من مدينة شَلْب الأندلسية لكنه لازم بَطْلَيْوس فنسب إليها، كان عالماً في اللغة والنحو والفقه والفلسفة، وله تصانيف في جميع تلك الفروع، وله شعر أيضاً. انظر ترجمته في الصلة لابن بشكوال ٤٤٣/٢، وبغية الوعاة للسيوطي ٥٥/٢.

البطليوسي رسالةً سماها (الانتصار ممن عدل عن الاستبصار) ردَّ فيها على تنبيهات أبي بكر بن العربي، وأنصف نفسه من اتهاماته، ودحض آراءه بالأدلة المقنعة.

ومن ذلك أيضاً كتابٌ لأبي عبيد البكري ٤٨٧هـ^(١)، نبّه فيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه.

وقد يؤلف الكاتب أو الأديب ردّاً على كتاب أو رسالة لم توجه إليه مباشرة، ولم يتعرض فيها لتنبيه أو نقد، فالدافع هنا يكمن في موقف صاحب الرد من قضية معينة أو جانب معرفي محدد، فقد لا يلقي رأيي غيره من الكتاب هوى في نفسه فيرد عليه ما ذهب إليه، ويسعى في رده إلى إنكار آرائه.

فاين أبي الخصال ردّ في رسالته على أبي محمد عبد الله بن محمد بن القاسم الفهري^(٢) الذي كتب رسالة وازن فيها بين أبي إسحاق الصائبي ٣٨٤هـ وبديع الزمان الهمداني ٣٩٨هـ وكلاهما من أدباء الدولة العباسية، فوصف أدبهما، وما تميّز به كلّ منهما، وفضّل أسلوب الهمداني لأنه يبلغ ما يريده بسهولة ويسر، وعفو خاطر، أما الصائبي فإنه يرهق نفسه، ويتعب ذهنه ليصل إلى مبتغاه.

وقعت هذه الرسالة بين يدي محمد بن مسعود بن أبي الخصال فنثرت حفيظته، وردّ على الفهري برسالة انتصر فيها للصائبي، وفضله على الهمداني معتمداً على الحجج والأدلة في ذلك^(٣)، ومنها: انقياد الكلام للصائبي وطواعية المعاني لقلمه، فأسلوبه متين، وقدرته على التصرف في فنون القول فائقة، وهو من كتّاب ديوان الخلافة وأصحاب المكانة

(١) عبد الله بن عبد العزيز كان مؤلفاً متعدد المعارف نشابة، سكن قرطبة، وله سمط اللآلي في شرح أمالي القالي. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٢١٠/١٧.

(٢) كان أميراً على أحد حصون بلنسية ولقب بجناح الدولة، انتزعه المرابطون منه سنة ٤٨٥هـ.

(٣) انظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، د. محمد رضوان الداية، ص ٣٣٨.

عند الحكام، والبديع لا يتصف بذلك.

اتبع ابن أبي الخصال أسلوباً خاصاً في عرض أفكاره، جمع فيه بين بلاغة الأدب وموضوعية النقد في عبارات لا تخلو من صنعة فنية واضحة، ولكنها تحمل في طياتها أسباباً مقنعة لتفضيل الصابئ على الهمذاني، واستشهد بأقوال العلماء والأدباء في مقارنات تشبه المقارنة بين الصابئ والهمذاني فاحتج بمقارنة الثعالبي التي جمع فيها بين الصابئ والصاحب ابن عباد، واحتج بموازنة الآمدي بين أبي تمام والبحري، مؤكداً أن مثل هذه المقارنات صحيحة لا تشارك طرفي المقارنة في بعض الجوانب، ولكن المقارنة بين الصابئ والهمذاني لا تصح في الأساس بسبب الاختلاف بينهما.

تناول المؤلف في الرسالة أمراً مهماً يتعلّق بالنثر الأندلسي وأشهر أعلامه، وهو تقليد المشاركة واتباع خطاهم، فهو يرى أن معظم أدباء الأندلس قلّدوا المشاركة في أسلوب الكتابة وطريقة التأليف، وهو أمر غير مقبول لأنه يجعلهم مقلدين غير مبدعين. تعدّ هذه الرسالة نموذجاً طريفاً لتصنيف الأدباء الأندلسيين في الردود، وتعكس أساليبهم ومدى تأثيرهم بأدباء المشرق واختلاف مواقفهم من ذلك.

الرسالة المصرية لأمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الداني^(١):

ألّف أمية هذه الرسالة للأمير أبي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ٥٠٩ هـ، فتحدّث فيها عن رحلته إلى مصر، وذكر معاناته بعدما زجه الوزير الأفضل الجمالي في السجن ثلاث سنوات، ووصف الديار المصرية، وصوّر جمال طبيعتها، وروعة نيلها، وهيبة أهراماتها، وتحدّث عن سكانها وأجناسهم، ومذاهبهم، وعقائدهم منذ عهد الفراعنة وحتى انتشار الإسلام فيها، وذكر من لقيهم فيها من العلماء والأطباء، والمنجمين، والحكام،

(١) تقدمت ترجمته عندما تناولنا الرسائل.

والظرفاء، وأورد بعض القصص الطريفة، وختمها بالدعاء للأمير بعدما وعد باستدراك ما نقص فيها.

تتصل هذه الرسالة بأدب الرحلات، فقد صوّر فيها أمية مشاهد متنوعة لمصر، ووصف آثارها، وحدّد موقعها الجغرافي بدقة، وتحدث عن السكّان فيها، والأحداث التي جرت معه، وجمع فيها بين جمال الأسلوب الأدبي وواقعية الأسلوب العلمي فمن ذلك قوله يصف أحد متنزهاتها:

«واتفق أن خرجنا في مثل هذا الزمان إلى بركة الحبش، فافترشنا من زهرها أحسن بساط، واستظللنا من دوحها بأوفى رواق، وطلعت علينا من زجاجات الأفداح شمسٌ في خَلَع البدور، ونجومٌ بالصفاء تنور، إلى أن جرى ذهبُ الأصيل على لجين الماء، ونشبت نار الشفق بفحمة الظلماء».

وأورد أبياتاً شعرية للبحثري، وابن المعتز، وأبي بكر الصنوبري لتناسب أوصافه. وفي موضع آخر وصف الأهرامات قائلاً:

«ورأينا سطوح كل واحدٍ من هذين الهرمين مخطوطةً من أعلاها إلى أسفلها بسطور متضايقة متوازية...».

وقد اعتمد في بعض المواضع من رسالته على المقارنة بين الأوصاف لتوضيح الفكرة وترسيخها في ذهن القارئ، وسعى إلى إظهار البعد النفسي حين وصف معاناته وآلامه في سجن مصر، وبين تحسّن أحواله بعد عودته إلى الأندلس، فكانت الرسالة مرآة عكست أغوار نفسه ومشاعره المختلفة.

تعد الرسالة وثيقة مهمة تفيد المؤرخ، والجغرافي، والطبيب، والأديب، لغناها بالفوائد الثقافية المتنوعة المتعلقة بمصر وأحوالها.

حقق هذه الرسالة الأستاذ عبد السلام هارون وهي منشورة ضمن مجموعة (نوادير المخطوطات).

رسالة في فضل الأندلس لأبي الوليد الشقندي^(١):

هو إسماعيل بن محمد، أصله من شَقْنُدة، اتصل بالموحدين في الأندلس، وتولى قضاء عدد من المدن الأندلسية توفي في إشبيلية سنة ٦٢٩هـ.

أما رسالته فهي من المفاخرات الأدبية المتصلة بأدب فضائل البلدان، وهو نوع من التصنيف تناول فيه المؤلفون ذكر فضائل المدن والأقاليم في العالم الإسلامي، فعقدوا المقارنات، ويبنوا أوجه التفاضل بينها، كالبصرة وبغداد، أو دمشق والقاهرة، أو مكة والمدينة، أو الأندلس والمشرق، أو الأندلس والمغرب.

أراد الشقندي إثبات تفوق بلده الأندلس على المغرب، إذ كان في مجلس أمير سبتة، ودخل في جدال مع الأديب يحيى بن المعلم الطنجي المغربي مؤكداً فضل الأندلس على المغرب، فطلب الأمير أن يكتب كلٌّ منهما رسالةً يبيّن فيها محاسن بلده وفضله على الآخر، فصنف الشقندي هذه الرسالة التي أورد فيها أسماء كثير من الشعراء والأدباء والعلماء الأندلسيين، وذكر أهم مؤلفاتهم، وجعلها مصدراً مهماً لدراسة جزء من تاريخ التصنيف الأندلسي، ولم يقتصر الشقندي فيها على الجانب الثقافي والفكري، وإنما بيّن حضارة الأندلس من الجانب العمراني والاقتصادي فذكر إشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، وبلنسية، وغيرها من المدن، فتحدث عن المعالم الأثرية فيها، وبيّن جمالها، وروعة طبيعتها، وأصالة أهلها، فأضاف بذلك معياراً جديداً في المفاضلة بين البلدان، وأظهر فيها اعتداد الأندلسيين بأنفسهم، وضمنها بعض التعليقات النقدية المرتبطة بالأمثلة الشعرية، ونّبّه على المعاني الشعرية الجديدة التي

(١) انظر ترجمته في اختصار القدح المعلق لابن سعيد ١٣٨، والأعلام للزركلي ٣٢٣/١.

ابتكرها الأندلسيون.

الرسالة مطبوعة ومنشورة ضمن كتاب (فضائل الأندلس وأهلها)، وهو يتضمن ثلاث رسائل لابن حزم، وابن سعيد، والشقندي، وقد نشرها وقدم لها الدكتور صلاح الدين المنجد.

رسالة حيّ بن يقظان لابن الطفيل^(١):

هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي، من أهل وادي آش في الأندلس، كان فيلسوفاً، طبيباً، أديباً، وكان مقرباً من الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، توفي بمراكش سنة ٥٨١هـ.

تتصف الرسالة بطابعها الأدبي الفلسفي، وفحواها أن التأمل في الكون ومخلوقاته يرشد الإنسان إلى حقيقة الوجود الإلهي، وذلك ضمن إطار قصصي شائق، فقد صاغها ابن الطفيل ضمن قصة خيالية هادفة خلاصتها أن رجلاً يدعى (يقظان) تزوج سراً من أخت سيد جزيرة نائية في الهند، ورزق منها بطفل أسمياه (حيّاً)، فلما خافت الأم من كشف سرها ألقته بولدها في اليم بعدما وضعت في صندوق محكم الإغلاق، فتقاذفته الأمواج وقادته إلى شاطئ جزيرة أخرى، فعثرت عليه ظبية فقادت وليدها، فعطفت عليه، وأرضعته، وربّته، فكبر هذا الطفل وقد تعلم محاكاة أصوات الطباء والحيوانات، ثم سيطر الضعف والهزال على الظبية المسنة، وأدركها الموت، لكن حيّاً ظل يراقبها، وبمعن النظر في أجزاء جسمها فما وجد علّة واضحة، فهداه تفكيره إلى شق صدرها بحجر حاد بحثاً عن موضع العلّة، فاكشف أعضاء الجسم، وتوصل إلى القلب، وعرف أنه مركز الحياة، ورأى سائر الأعضاء كالكبد والرئتين والدماغ، وعرف حركة الدم داخل الجسم، وتأمل كثيراً فأيقن أن هذه الأعضاء مرتبطة بالأعصاب، ولكنها لا تعمل دون روح، والروح من أمر

(١) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٣٧/٤.

خالق الكون، ثم دفن حيّ الظبية بعدما رأى غراباً يحفر الأرض ليواري فيها غراباً آخر ميتاً، تتطور أحداث القصة بعد ذلك فيلتقي حي بالحكيم أبسال، وهو مؤمن بالله، ولا تختلف ديانته وعقيدته عن فلسفة حي لأن الجوهر واحد وهو الإيمان بالله، فيتعاون حي والحكيم على نشر الخير والصلاح بين أهالي الجزر الأخرى النائية، ويؤكدان على وجوب الإيمان بالله وحده، ثم يعودان إلى الجزيرة التي التقيا فيها، تحمل الرسالة في طياتها مجموعة من الجوانب منها:

● **الجانب الأدبي:** ويظهر في تقديم قصة متكاملة العناصر (شخصيات، بطل، حبكة، نهاية، مغزى) بأسلوب مشرق يدل على ثقافة المؤلف الأدبية.

● **الجانب الفلسفي:** يتجلى في المقدمة الفلسفية التي عرضها ابن الطفيل، ومهّد بها للقصة، فقد بيّن فيها مفهومه الخاص لأسرار الحكمة المشرقية أو فلسفة الإشراق وهي تعني إدراك حقائق العالم عن طريق العقل والإرادة، وتحدّث عن نظرية التأمل والوجود، وعرض آراء بعض الفلاسفة كالغزالي، وابن سينا، والفارابي، فنقدّها وأظهر رأيه فيها، واعتمد في غير موضع من القصة على مبدأ السببية في تعليل الحوادث الطبيعية.

● **الجانب الديني:** يتضح بجلاء في اقتباس ابن الطفيل من القصص القرآني بعض المشاهد التي أفادته في توالي أحداث القصة، كاللقاء أم موسى لطفلها في اليم، ودفن قابيل أخاه هابيلاً بعدما رأى غراباً يواري غراباً ميتاً الشرى، ويظهر في مغزى القصة وهو أن الله عز وجل واحد لا شريك له، وهو مدبّر كل ما في الكون.

● **الجانب العلمي:** يظهر في معظم مواضع القصة، فابن الطفيل طبيب، وقد برز أثر ذلك في تشريح جسد الغزالة، ووصف ما يحتويه من أعضاء وأغشية وأعصاب.

● **الجانب الاجتماعي:** يبدو حين أشار ابن الطفيل ضمن أحداث القصة إلى

تدني المستوى الاجتماعي والأخلاقي في الجزيرة النائية، ويبرز أيضاً في سلوك الطفل حي إذ أنشأته الغزاة على حب الآخرين، وتقديم يد العون للمحتاجين.

الرسالة مطبوعة، لها طبعات وترجمات كثيرة، منها طبعة قدّم فيها كل من الدكتور جميل صليبا والدكتور كامل عياد دراسة تحليلية لقصة حي بن يقظان وهي الطبعة الخامسة، مطبعة جامعة دمشق ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

المقامات

المقامة في أصلها اللغوي اسم لموضع القيام، وهي اسم للمجلس أو الجماعة من الناس، والمقامة في الاصطلاح الأدبي تعني أثراً أدبياً يتضمن قصة قصيرة قائمة على حدث معين أساسه الكدية (الاستجداء)، وهي غنيّة بضروب الصنعة الفنية.

اشتهر من أعلام هذا الفن الثري بدیع الزمان الهمداني^(١) ٣٩٨هـ، والقاسم بن علي الحريري^(٢) ٥١٦هـ في المشرق، ومحمد بن يوسف التميمي السرقسطي^(٣) ٥٣٨هـ في الأندلس.

من المرجح أن المقامات نشأت قبل الهمداني، واعتمدت على القصص والأخبار، ولكن الهمداني استطاع أن يضعها في شكلها المميز، ومن الممكن أن تكون أحاديث ابن دريد الأزدي ٣٢١هـ من المصادر التي اعتمد عليها في إنشاء المقامات، ولكنه لم يقصد معارضتها بسبب

(١) أحمد بن الحسين، ولد في همدان، وانتقل إلى هراة ثم نيسابور، كان كاتباً مجيداً قوي الحافظة، مات مسموماً، أنشأ أربعمئة مقامة، وصلت منها إحدى وخمسون. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩/١، وبيمة الدهر للثعالبي ١٦٧/٤، والأعلام للزركلي ١١٥/١.

(٢) نشأ في البصرة، وتوفي فيها، وعاصر كبار العلماء، من مؤلفاته: درة الغواص، والمقامات الخمسين التي عارض بها الهمداني، من شراحها: المطرزي ٥٩٠هـ، والشريشي ٦١٩هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٤/٤، ومعجم الأدباء ١٩٥/٦.

(٣) سترد ترجمته.

الاختلاف بينهما من حيث الشكل والمضمون.

وقد تأثر بعض أدباء العصر الحديث بالقدماء، فوضعوا مقامات مشابهة لها في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، منهم: الشيخ ناصيف اليازجي في مجمع البحرين.

تشارك المقامات في سمات عامة أهمها:

• الاعتماد على الموروث الثقافي كالأشعار والأمثال والحكم، والاستشهاد بآيات القرآن الكريم، والاهتمام الفائق بالصنعة الفنية.

• بناء المقامة على قصة محورها شخصية رئيسية يجسدها بطل واسع الحيلة، هو المتسول أو المكدي، إلى جانب شخصية الراوي، والشخصيات الثانوية التي تشارك في أحداث القصة.

ففي مقامات الهمذاني الراوي هو عيسى بن هشام والبطل هو أبو الفتح الإسكندري، وفي مقامات الحريري الراوي هو الحارث بن همام والبطل هو أبو زيد السروجي، وفي مقامات التميمي الراوي هو السائب بن تميم، وثمة راو آخر هو المنذر بن همام، والبطل هو أبو حبيب.

• شيوع الدعابة والظرف فيها، وتحري الدقة في الأوصاف، إلى جانب غناها بالجوانب اللغوية، لاسيما الغريب.

مقامات محمد بن يوسف التميمي السرقسطي^(١):

هو أبو الطاهر الأندلسي، كان عالماً في اللغة والأدب، كاتباً وشاعراً وفقهياً، رحل كثيراً في طلب العلم، ثم استقر في قرطبة.

(١) انظر ترجمته في الصلة لابن بشكوال ٨٥٣/٣ وبغية الوعاة للسيوطي ٢٧٩/١.

وقد أنشأ خمسين مقامةً عارض فيها الحريري في مقاماته الخمسين، وسماها المقامات الزومية أو السرقسطية، وعرفت أيضاً بالقرطبية، منها ست وعشرون مسماة وأربع وعشرون غير مسماة.

تتصف مقاماته بالصنعة الفنية، ولزوم ما لا يلزم، إذ كان ينهي جميع مقاطع أسجاعه بحرف واحد، أو أكثر، و يرتّب أواخر السجعات على حروف الهجاء، وما يميز مقاماته من سابقاتها أنه غير في الحيل التي كانت شخصية المكدي تقوم بها، كما جدّد في مضامين قصص مقاماته، فتناول بعض العيوب الاجتماعية فيها مثل الظلم. هذه المقامات مطبوعة ومنشورة، حققها الدكتور حسن الوراكلي، فأورد المقامات الخمسين، وذكر بعدها تسع مقامات تنفرد بروايتها مخطوطة الفاتيكان.

الأمثال

الأمثال جمع مثّل، وهو عبارة تُقال في حادثة معينة، ثم تتكرر في حادثة مشابهة للحادثة الأولى، فتشيع على الألسنة، وتصبح مثلاً سائراً.

والأمثال تراثٌ قديم وجد منذ العصر الجاهلي، وعُني به عدد من العلماء والأدباء في العصر العبّاسي فجمعوه، ووضعوا له مصنفات خاصة، منهم: المفضّل الضبيّ، وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو هلال العسكري، والميداني وغيرهم..

اعتاد كل من ألّف في الأمثال اتباع التسلسل الهجائي الألفبائي في ترتيبها؛ لذلك جاءت أبواب كتب الأمثال على عدد حروف الهجاء، وقد اهتم أصحاب تلك المؤلفات بتفسير الأمثال وشرحها، وذكر القصص والحوادث المرتبطة بها.

شك بعض الباحثين _ منهم د. شوقي ضيف والمستشرق نيكلسون _ في صحة

شروح الأمثال؛ بسبب البعد الزمني الذي يفصل بين عهد المؤلف والعهد الذي ظهر فيه المثل، فهذه الشروح - في رأيهما - مبنية على التخمين والظن.

اتصفت معظم الأمثال بجانب من الصنعة الفنية، ففيها التشبيه والاستعارة والمجاز، والتناسب الصوتي بين الألفاظ، وقد خرج بعضها على القواعد النحوية والصرفية كما في المثل: تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه، وفي المثل: أعط القوس باريها.

مَجْمَعُ الأمثال للميداني^(١):

هو أحمد بن محمد النيسابوري الميّداني، نسبةً إلى ميّدان إحدى قرى نيسابور في بلاد فارس، كان أديباً فاضلاً، عالماً في اللغة والنحو والأدب، من أشهر مصنفاته: النموذج في النحو، نزهة الطّرف في علم الصّرف، شرح المفضليّات، توفي سنة ٥١٨هـ. وضع الميّداني لكتابه مقدّمة نفيسة صاغها بأسلوب أدبي مشرق، عُني فيه بضروب الصنعة الفنية الدالة على التمكن البلاغي البعيد عن التكلف الظاهر. وقد أشار فيها إلى أهمية الأمثال في الكلام، واستدلّ على ذلك بوجودها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾^(٢)

وقال رسول الله ﷺ: «إنما مثلُ الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك^(٣)، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ٥٧/٤، والأعلام للزركلي ٢١٤/١.

(٢) إبراهيم: ٢٤.

(٣) يُحذيك: يعطيك.

ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»^(١).

فالتشبيه الموجود في كلام الله عز وجل أو لرسوله ﷺ يجعل من بعض أجزائه كلاماً سائراً بين الناس كالأمثال.

بيّن الميداني أنه ألّف كتابه استجابة لأحد أعيان السلاجقة^(٢) المهتمين بالأدب، وهو أبو علي محمد بن أرسلان الذي اقترح عليه أن يجمع الأمثال الجاهلية والإسلامية، فاستجاب الميداني له، ومدحه في مقدمة الكتاب بأسلوب زاهر بضروب الصنعة الفنية، والصور البيانية، وذكر مصادره في تصنيف كتابه، إذ طالع ما جمعه المفضل بن محمد، والمفضل بن سلمة، كما قرأ كتب أبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي عبيد القاسم بن سلام، والأصمعي، وأبي زيد...، وتحدّث بعد ذلك عن منهجه في الكتاب، وأشار إلى سبب تسمية كتابه بـ (مَجْمَعُ الأمثال) إذ قال: «وسميت الكتاب (مجمع الأمثال) لاحتوائه على جميع ما ورد منها، وهو ستة آلافٍ ونيفٍ والله أعلم بما بقي منها، فإن أنفاس الناس لا يأتي عليها الحصر، ولا تَنفَدُ حتى يَنفَدَ العصر».

وقد أورد الميداني بعضاً من أقوال العلماء واللغويين والأدباء في شرح معنى لفظة (المثل) ومنهم: المبرّد، وابن السكّيت، وابن المقفّع، وإبراهيم النّظام.

أمّا منهجه في عرض مادة الكتاب فهو يقوم على الأسس التالية:

بعد المقدمة عرض مادة كتابه من الأمثال في ثلاثين باباً، الأبواب الثمانية والعشرون تضمنت الأمثال مرتبةً على حروف الهجاء، والباب التاسع والعشرون تضمّن أيام العرب دون الوقائع، أما الباب الثلاثون فقد اشتمل على مقتطفات من كلام النبي ﷺ، مع اختيارات من كلام الخلفاء الراشدين مما يندرج ضمن الحكيم والمواعظ.

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، وقد أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري.

(٢) السلاجقة: أصلهم من قبيلة تركية، استوطنوا الأراضي الواقعة في أقصى تركستان، وتمكنوا من السيطرة على

أجزاء من بلاد فارس والمشرق الإسلامي.

- يَبَيِّنُ في مقدمته أنه اتبع طريقة التسلسل الهجائي معتداً بالحرف الأول فقط من المثل، فالمِثْلُ: **إِنَّ فِي الشَّرِّ خِياراً**^(١) أورده قبل المثل: **إِنَّ الحَديدَ بالحَديدِ يُفْلِحُ**^(٢).

- تقوم طريقته في عرض الأمثال على ذكر المثل، وبيان المراد منه، وشرح المفردات الغريبة فيه مع ذكر القصة المرتبطة به، فمن ذلك: قصة المثل **(أوفى من أمّ جميل)** وقصة المثل: **(هذه بتلك والبادي أظلم)**.

- عني الميداني بالجوانب اللغوية والنحوية والصرفية في شرح الأمثال.

● فمن الجوانب اللغوية تَبَيَّنَ في غير موضع على وجود لغات في لفظة معينة.

ففي المثل: **(إِنَّ البِغَاثَ^(٣) بِأَرْضِنَا يَسْتَنسِر)** ذكر أن البِغَاثَ فيه ثلاث لغات الفتح والضم والكسر، وفي مَوْضِعٍ آخر ذكر الأضداد حيث قال: **«وَالسَّدَفُ: الضَّوْءُ وَالظُّلْمَةُ، وَالْحَرْفُ مِنَ الْأَضْدَادِ»**.

● ومن الجوانب النحوية: بعض التعليقات النحوية التي كان يوردها بعد الأمثال، فمن ذلك قوله معلقاً على لفظة **(فزار)** التي وردت بلا هاء في بيت شعري وأصلها فزاره: **«فحذف الهاء من فزاره كما تحذف في الترخيم، وإن كان هذا في غير النداء، ويجوز أن يكون أراد فزاري فحفف ياء النسبة»**.

وكان يذكر أقوال بعض العلماء والنحاة واللغويين ففي المثل: **(جاء القوم قَضُّهُمْ بِقَضِيضِهِمْ)** أي جاؤوا كلهم، قال: **«وقال سيبويه: ويجوز قَضُّهُمْ بالنصب على المصدرية.. قال الأصمعي: ولم أسمعهم ينشدون قَضُّهَا إلا رفعاً»**.

(١) أي أن ثمة منافع في بعض الأمور السيئة.

(٢) أي يستعان على الأمر الشديد بما يشاكله.

(٣) ضرب من ضِعَاف الطير.

- ومن الجوانب الصرفية قوله في المثل: (اليمين الغموس تدع الدار بلاقع)
- «الغموس: فعول بمعنى فاعل»، كما أورد الألفاظ التي جاءت على صيغة (أفعل) وذكرها العرب في أمثالهم مثل: أوفى، أبصر، أظلم.
- لم يعتد بـ (ال التعريف) فالمثل (المنية ولا الدنية) أوردته في باب الميم والمثل (اليوم خمر وغداً أمر) أوردته في باب الباء.
- أهمل ألف همزتي الوصل والقطع وألف فعل الأمر وألف همزة الاستفهام، فالمثل (اتقّ شرّ من أحسنت إليه) أوردته في باب التاء، والمثل (أحشفاً وسوء كيلة) أوردته في باب الحاء.
- افتتح كل باب من أبواب الكتاب بما ورد في كتب الأمثال السابقة، ثم أورد في نهاية كل باب ما ورد على وزن (أفعل)، فعلى سبيل المثال: أورد في نهاية باب الشين (أشأم من البسوس)، وفي نهاية باب الحاء (أخطب من سحبان وائل).
- وأضاف مجموعة من أمثال المولدين إلى ما ورد على صيغة (أفعل) من الأمثال، ومن ذلك: كفى المرء نبلاً أن تُعدّ معاييه.
- الكتاب مطبوع حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ويقع في أربعة أجزاء، وثمة طبعة أخرى جيدة بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
- نكتة الأمثال ونفحة السحر الحلال للكلاعي^(١):
- هو أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، من أهل بلنسية، تولى الخطبة في جامعها، وتسلم قضاءها، كان إماماً في علم الحديث، ومشاركاً في الأدب ونظم الشعر، استشهد في معركة (أنيشة) سنة ٦٣٤هـ.

(١) انظر ترجمته في الديباج المذهب لابن فرحون ٣٨٥/١ - ٣٨٨.

وقد بنى كتابه على ما تضمّنه كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام من أمثال العرب التي اعتمد الخطباء والأدباء عليها في شواهدهم.

يعد هذا الكتاب من الكتب الفريدة في بابها؛ إذ نثر فيه أبو الربيع أمثال أبي عبيد بأسلوب أدبي رفيع، وتابعه في كتابه (الأمثال) من حيث ترتيب الأبواب التي تضمنت موضوعات اجتماعية متعددة، واستوفى فيه معظم أمثال أبي عبيد.

اتبع أبو الربيع المنهج التالي في عرض مادة الكتاب:

- بدأ بمقدمة أظهر فيه هدفه من وضع الكتاب، وبيّن فيها الطريقة التي اتبعها: «هذا كتابٌ قصدت فيه قصد التذكرة المتلوة بلسان الحقيقة المجلوة على مَنَصَّة البيان في أجمل المناظر البديعة، وأبهى الصور الأنيقة، مكّلة المقاطع والأجزاء بما يَجِلُّ عن المثل من لآلئ الأمثال، متخلّلة الأثناء بما تضمّنه كتاب أبي عبيد الساري مسرى الخيال في مخاطبة الآفاق والأجيال».

فهدفه من الكتاب يتجلى في إعادة إظهار أمثال أبي عبيد في حُلّة جديدة خاصّة به، يضاف إلى ذلك هدفٌ إرشادي وعظي، فقد أراد المؤلف مخاطبة النفس الإنسانية، وتوجيه النصائح الداعية إلى الزهد في الدنيا، والتزود للآخرة، فلأمثال أثر عميق في النفس الإنسانية لارتباطها بالأحداث الاجتماعية.

- لجأ أبو الربيع في بعض المواضع إلى التقديم والتأخير في ترتيب الأمثال عند الضرورة، وزاد بعض الألفاظ على المثل، واستبدل ببعض الألفاظ ألفاظاً أخرى تقتضيها السجعة، وحذف بعض الألفاظ من بعض الأمثال، واصطنع ما يشبه المثل عند الحاجة إلى ذلك.

- حرص على إيراد الأمثال ضمن نصوص تألفت فيها الجمل، وتعاضدت مع الأبيات الشعرية، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة.

للكتاب أهمية مميزة لأنه يمثل جانباً من جوانب اهتمام الأندلسيين بمصنفات المشاركة، ويُظهر ثقافة الكلاعي، وسعة اطلاعه على التراث الفكري والأدبي. الكتاب مطبوع، حققه الدكتور علي كردي، وهو صادر عن دار سعد الدين في دمشق.

جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري^(١):

هو الحسن بن عبد الله بن سهل ولد ونشأ في عسكر مُكرّم، وكان تاجراً تنقّل في بلاد متعددة، ولكن تجارته لم تشغله عن التصنيف، لم تتوسع كتب التراجم في عرض الأحداث التي رافقت حياته، وثمة خلاف في سنة وفاته والعصر الذي عاش فيه، فهو من رجال القرن الرابع أو الخامس الهجري، من أشهر مؤلفاته: كتاب الصناعتين، ديوان المعاني، جمهرة الأمثال، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، الفروق.

كتاب جمهرة الأمثال من أصول كتب الأدب؛ لما اشتمل عليه من أمثال وأخبار عن العرب في الجاهلية والإسلام، إلى جانب الشواهد المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب الأوائل في الشعر والنثر.

ومنهج العسكري يقوم على ذكر الأمثال مرتبةً بحسب تسلسل حروف الهجاء، وشرح الأمثال شرحاً وافياً، وتفسير ما ورد فيها من غريب الألفاظ.

وقد أعقب كل باب من أبوابه الثمانية والعشرين بما أورده حمزة بن الحسن الأصبهاني المتوفى حوالي ٣٥٠ هـ من الأمثال التي ضربت في المبالغة وبدأت بصيغة (أفعل) بعدما أبعد الأمثال المولدة عنها، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه إذ قال:

«وميّزت ما أورد حمزة الأصبهاني من الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة، وهي

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء للحموي ١٣٥/٣، وخزانة الأدب للبغداد ١١٢/١، والأعلام للزركلي

الأمثال على (أفعل من كذا) فأوردت منها ما كان عربياً صحيحاً، ونفيت المولّد السقيم، ليتبرأ كتابي من العيب الذي لزم كتاب حمزة في اشتماله على كل غث من أمثال المولّدين، وحشوة الحضريين، فصارت العلماء تلغيه، وتسقطه وتنفيه».

تظهر مقدمة العسكري أسلوبه المشرق ولغته الناصعة، وقد بدأها بعد حمد الله تعالى ببيان أهمية الأمثال في الكلام مستندلاً بآيات كريمة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾^(١) و ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

وأشار فيها إلى أن الأمثال تزيد المنطق تفخيماً، وتكسبه قبولاً، وتجعل له قدراً في النفوس، وحلاوة في الصدور، وهي تعين المتكلم على الاستفادة منها في ميادين المجادلة، وحلبات المقابلة، ويبيّن أنها من أجلّ الكلام وأنبله وأشرفه لقلّة ألفاظها، وكثرة معانيها، وهي على إيجازها تعمل عمل الإطناب، وهي علم وفن قائم بذاته لا يتقنه إلا من اجتهد في طلبه، ووضح أن من ينهض لشرح الأمثال عليه أن يقف على أصولها، ويحيط بأحاديثها، ويجب أن تكون له قدم راسخة في علم الرواية، وأن يكون متقناً لغريب اللغة.

يتضح اهتمام المؤلف بالأمثال العربية الأصيلة، فقد نأى بنفسه عن الأمثال المولّدة السقيمة التي وردت عند حمزة الأصبهاني، ورأى فيها عيباً ينقص من شأن كتابه، واعتنى بتفسير الأمثال وشرحها، وإيراد الأشعار والحكايات المرتبطة بها، والأقوال التي تصلح أن تكون أمثالاً ووردت في شرحه، فكتب إلى جانبها حرف (الميم) لتمييز مما يجاورها، ثم ختم المقدمة ببيان أصل لفظة (المثّل) والتعابير المشتقة منها والمرتبطة بها.

الكتاب مطبوع في جزئين، وهو صادر عن دار الجيل في لبنان وبحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش.

(١) الحج: ٧٣.

(٢) إبراهيم: ٢٥.



الفصل الثالث

كتب الثقافة الأدبية العامة والأماي



كتب الثقافة الأدبية العامة

تشتمل كتب الثقافة الأدبية العامة على اختيارات أدبية متنوعة شعرية ونثرية، وتتضمن عرضاً لبعض القضايا اللغوية والنحوية والنقدية والبلاغية والفلسفية والإنسانية، وتحتوي على بعض التعليقات والشروح والتوضيحات المرتبطة بآية قرآنية، أو حديث نبوي شريف، أو مجموعة أبيات شعرية، أو نص نثري.

فكان هذه الكتب باقة أزهار ملونة، أو نسيج مزركش بألوان شتى، فهي تشبه الموسوعات الثقافية التي تمسك من كل علم وفن بطرف.

لكنها تتصف بخلوها من منهج واضح منظم يبين طريقة المؤلف في عرض مادة الكتاب، ففي معظمها يجد القارئ تداخلاً بين الاختيارات الشعرية والنثرية، ومزجاً بين الجد والهزل لدفع الملل، ويلمس استطراد المؤلف، وهو أن ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر مختلف، ثم يعود إلى موضوعه الأول.

اكتسبت كتب الثقافة الأدبية العامة أهمية واضحة لغناها بالجوانب الأدبية والثقافية، ولكونها من مصادر تاريخ الأدب والشعوب والسياسة والفكر، والدين، فهي تجمع بين الفائدة والتسلية.

وقد لمعت أسماء عدد من أدباء العربية في هذا النوع من التأليف، فكانت مصنفاتهم ومازالت المنبع الذي يستقي منه الباحثون والدارسون ما يروي ظمأهم الثقافي، والأدبي، والفكري، ومن أشهرهم: الجاحظ صاحب الحيوان والبيان والتبيين، وابن قتيبة صاحب عيون الأخبار، والمبرّد صاحب الكامل في اللغة والأدب، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، والحصري القيرواني صاحب زهر الآداب، وابن عبد البر القرطبي صاحب بحجة المجالس، وأبو حيان التوحيد صاحب الإمتاع والمؤانسة، والقالي صاحب الأمالي وغيرهم..

كتاب الحيوان للجاحظ^(١)

اتصف الجاحظ بروحه المرحه، ويميله نحو الظرف والسخرية، وبشخصيته الموسوعية وثقافته المتنوعة، وقد بدا ذلك في معظم مؤلفاته.

أما كتابه الحيوان فقد ألفه في المرحلة الأخيرة من حياته، إذ عانى من المرض والشيخوخة، وأشار إلى ذلك في مقدمة كتابه معللاً تقصيره فيه إن وجد.

اشتمل الكتاب على الجوانب التالية:

الجوانب الطبيعية: وهي الجوانب المتعلقة بالحيوانات وطبائعها، وبالأجناس البشرية، وتأثير الطبيعة على الكائنات الحيّة من إنسان وحيوان ونبات.

الجوانب الطبيّة: فقد ذكر الجاحظ الأمراض عند الإنسان والحيوان، وعرض كثيراً من المفردات والمصطلحات الطبية.

الجوانب الاجتماعية: وتظهر في حديث الجاحظ عن الشعوب كالعرب والفرس وعاداتهم وأحوالهم ومعارفهم.

الجوانب الدينية والفقهية: فقد تحدث عن آيات القرآن الكريم، وحديث النبي الكريم محمد ﷺ، وتناول بعض المسائل الفقهية والدينية، وتحدّث عن بعض الطوائف الدينية وعاداتها، وأشار إلى النزاع بين أهل الكلام.

الجوانب السياسيّة والتاريخية والجغرافية: تحدث الجاحظ عن سياسة بعض الأقوام والأفراد، وذكر الخصائص الجغرافية لكثير من البلدان، كما عرض بعض القضايا التاريخية.

الجوانب الأدبية: تظهر بوضوح في اختيارات الجاحظ الشعرية والنثرية، فالكتاب

(١) وردت ترجمته عندما تناولنا رسالة التريبع والتدوير.

غني بالأشعار والأمثال والقصص والنوادر والملح الطريفة.

أهدى الجاحظ كتابه إلى محمد بن عبد الملك الزياد وزير المتوكل العباسي، وهو في حال سيئة أثقلها المرض وتقدم السن، ومع ذلك فقد كان كتابه موسوعة علمية وأدبية أظهرت ثقافته، وخبرته في الحياة.

منهج الجاحظ في كتابه (الحيوان)

١ - جعل كتابه في سبعة أقسام عرض فيها مادته على الشكل التالي:

- في الجزء الأول أورد المقدمة التي ردّ فيها على من انتقد كتبه، وذكر فيها ما يزيد على الأربعين كتاباً، ثم تحدّث عن فضل الكتاب وضرورة اقتنائه، وأورد نظرية شاملة تتعلق بالإنسان والحيوان وتظهر قدرة الله عزّ وجل وعظيم سلطانه على الكون، ثم عقد مناظرة بين الكلب والديك تعد من أهم المصادر في علم الكلام.

- في الجزء الثاني تابع تلك المناظرة المهمة بين الكلب والديك، وأتى ببعض النوادر والحكايات الغريبة.

- الجزء الثالث خصصه للكلام على بعض أنواع الطيور كالحمامة والغراب والمهدهد والخفّاش، وذكر بعض الحشرات كالذباب والخنّافس، وانتقل إلى جانب آخر يتعلق بالأحوال النفسية والعقلية عند الإنسان كالخوف والغضب والجنون، والفهم والفراسة، وغير ذلك...

- والجزء الرابع تحدّث فيه عن أنواع أخرى من الحيوانات كالنمل، والقرد، والخنزير، والأفعى، والظليم (ذكر النعام)، وأورد حديثاً عن النار وأنواعها عند العرب والعجم، وارتباطها بالعادات الدينية عند بعض الشعوب.

- أما الجزء الخامس فقد تابع فيه الحديث عن النار، وذكر تفسيراً لبعض الآيات

القرآنية، وتحدّث عن الألوان واختلافها، وعن الماء وأثره، ثم انتقل إلى الحديث عما قيل في مديح النصارى، وغيرهم من أصحاب الديانات، وذكر أنواعاً من الطيور والبهايم التي تألف بيوت البشر، وبيّن الفرق بين الإنسان والبهيمة، وأورد طائفة من الأحاديث والأشعار والنوادر المتعلقة بذلك.

- وفي الجزء السادس لحصّ الجاحظ ما ورد في الأجزاء السابقة، وتحدّث عن الضب، وشرح بعض القصائد المتعلقة بالحيوانات كقصيدي البهراني وبشر بن المعتمر، وتحدّث أيضاً عن الثأر عند العرب، وعن الجبان، وأورد كلاماً عن الهدهد والتمساح والأرنب.

- وفي الجزء السابع والأخير أعاد تلخيص ما أورده في الأجزاء السابقة مظهراً الأدلة والبراهين التي تثبت صحة آرائه التي عرضها في الكتاب، فذكر أن كل ما في الكون من أحياء وموجودات دليلٌ واضحٌ على قدرة الله العجيبة وحكمته الباهرة، وتحدّث في هذا الجزء عن غرائز الحيوانات كالخوف والافتراس وغيرها، وعاد إلى ذكر بعض الحيوانات كالفيل والزرافة وغيرها...

٢ - استقى الجاحظ مادّة كتابه من مصادر ثقافية ودينية متنوّعة وهي:

أ - المصادر العربية (الإسلامية واللغوية والأدبية): فقد اعتمد على القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وما تناقله الرواة من أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم ونوادرهم المتعلقة بالحيوانات.

ب - المصادر اليونانية: ومنها كتب أرسطو (كتاب الحيوان)، وكتب جالينوس الذي تحدّث عن الضب وبعض أنواع الطيور.

ج - المصادر الفارسية: ومنها نقل الجاحظ أساطير الفرس، وعاداتهم الدينية، وقصصهم المتعلقة بالحيوانات، ودلالات النار.

د - مصادر دينية أخرى كالديانة اليهودية والديانة النصرانية، كما نقل عن المعتزلة كثيراً من الجوانب التي أظهرت إتقانه لعلم الجدل والكلام.

٣ - اتصف منهج الجاحظ بالطابع العلمي القائم على إعمال الحواس والعقل، وقد تجلّى ذلك فيما يلي:

- التجربة والمعاينة: وذلك بإجراء التجارب على الحيوانات وصولاً إلى النتائج الدقيقة، فكان يجمع بين الحيوان وعدوه ليرى ردة فعله وسلوكه، وكان يشرّح الحيوانات ويفحص جوفها.

- السماع: فقد كان يسمع من أهل العلم والمعرفة في عصره، ويأخذ عنهم ما يراه جديراً بالنقاش والتحقيق، فيدونه بعد نفي الشبهة عنه.

- الاعتماد على الشك وصولاً إلى اليقين.

- النقد العلمي إذ كان ينبّه على المواضع التي يرى فيها خطأ أو ضعفاً، فينتقد الخرافات، ويشير إلى عدم اكتمال أدوات المعرفة الدقيقة في هذا الأمر أو ذاك، ومن ذلك أنه عاب على أرسطو أنه لم يعتمد في تحقيقه على السماع والمعاينة، وأنه إذا تكلم في بعض المواضع على حيوان فإنه لا يستوفي كل ما يتعلّق به من الحركات والغرائز والنظام الغذائي.

٤ - ابتعد الجاحظ في منهجه عن التنظيم والترتيب المنطقي في عرض مادة الكتاب، فهو يستطرد كثيراً، ولا يجمع الأفكار المتشابهة والمتلازمة في موضع واحد.

٥ - أظهر الجاحظ في منهجه العلمي انتماءه إلى مذهب المعتزلة الذي يعتمد على العقل في البحث عن المعرفة، والوصول إلى الحقيقة، ويستند دوماً إلى الجدل والمناظرة.

مزايا الكتاب:

- يعد كتاب الحيوان أول مصدر في المكتبة العربية يتناول الحيوانات من حيث

طبائعها وغرائزها وسلوكها، وعلاقتها بالإنسان، أما ما سبقه من كتب عن الحيوانات فقد تناولتها من الجانب اللغوي، أي من حيث الألفاظ التي تعبّر عن أسمائها، وأسماء أعضائها، وحركاتها، وأوصافها، وألوانها، ولم تتعرض للجانب العلمي المتعلق بطبيعة الكائن الحي.

- أظهر الجاحظ في كتابه قدرة الله عز وجل، وحكمته، وبديع خلقه في جميع الكائنات الحية، ومنها الحيوانات.

- عكس الكتاب ثقافة الجاحظ الموسوعيّة من جهة، وبَيّن الحرية الفكرية التي سادت في عصره من جهة أخرى، وقد ظهرت في أثر العلوم العقلية المرتبطة بالاعتزال كالفلسفة والمنطق في الأدب.

طبع الكتاب غير مرة، وأفضل الطبعات الطبعة التي حققها عبد السلام هارون، وصدرت بين عام ١٩٣٨م وعام ١٩٤٥م عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة، وتقع في سبعة مجلدات مع فهرس شاملة.

وقد صنع عبد المعين الملوحي ونعيم الحمصي (المختار من كتاب الحيوان) وصدر عن وزارة الثقافة السورية سنة ١٩٧٩م.

البيان والتبيين

ألّفه الجاحظ بعد كتابه (الحيوان) وأهداه إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد الذي تسلّم الوزارة بعد محمد بن عبد الملك الزيّات، وقد ورد فيه ذكر كتاب الحيوان في غير موضع.

والبيان يعني ظهور المعاني القائمة في النفس بواسطة إحدى الدلالات أو الوسائل التعبيرية، والتبيين يعني قدرة الإنسان على إظهار أفكاره بوضوح.

تناول الجاحظ في كتابه عدداً كبيراً من القضايا البلاغية والنقدية والأدبية، وعرضها في ثلاثة أقسام ضمّنها الجوانب التالية:

- **القسم الأول:** خصصه لموضوع البيان، فذكر شرفه ومكانته وعيوبه كاللثغة والفأفة، وتناول لثغة واصل بن عطاء الذي كان أحد أئمة المعتزلة البلغاء، وتحدث عن وجوه الفصاحة والبلاغة، وعرض نماذج من أقوال الفصحاء وآثارهم، وأتى على ذكر طبقات الشعراء، وألقابهم، وتناول أحاديث الحمقى والنوكى.

- **القسم الثاني:** ذكر فيه الخطابة وأقسامها وأثرها، وذكر بلاغة الرسول الكريم محمد ﷺ في أحاديثه وخطبه، كما تحدث عن خطب الصحابة رضوان الله عليهم، وتحدث عن الشعر الحولي، وطبقات الشعراء، ومذاهب المطبوعين منهم، وأصحاب الصنعة، وتكلم على اللكنة والعبي والحصر واللحن واللحنين.

- **أما القسم الأخير** فقد ردّ فيه الجاحظ على الشعوبيين الذين عابوا على العرب جملة من الأمور، منها اتخاذ العصا والقوس عند الخطابة، مبرزاً قدرته الفائقة على الجدل والنقاش.

وفي هذا القسم أورد كثيراً من حكم النسّاك وخطب الخوارج وكلامهم، وسياسة بني العباس ودهائهم، كما تحدث عن أمية الرسول الكريم وبلاغته، وعن أثر الشعر وقيّمته.

الكتاب ذو قيمة كبيرة من النواحي التاريخية والأدبية والنقدية، فقد جمع فيه الجاحظ ألواناً مختلفة من ثقافات اليونان والفرس والهنود، فنقل أخبارهم وحكمهم، كما ضمّنه كثيراً من القضايا البلاغية والنقدية، والاختيارات الشعرية منذ الجاهلية حتى عصره، وأورد فيه الرسائل المتنوعة (ديوانية، إخوانية) والوصايا، والأخبار، والقصص المتعلقة بالنسّاك والزهاد، والنوادر الطريفة عن الحمقى.

الكتاب مرآة عكست روح الجاحظ المرحّة وفكرة الثاقب، وآراءه القيمة في قضايا

كثيرة، وأظهرت عروبتة الحقيقية حين دافع عن العرب وعاداتهم، وردّ على اتهامات الشعوبيين.

لا نجد في الكتاب منهجاً واضحاً مع تقسيم الجاحظ الكتاب إلى ثلاثة أقسام؛ لأنه استطرد كثيراً وكرّر بعض الموضوعات في غير موضع، وهذا هو شأن التأليف في جميع كتب الثقافة الأدبية العامة الزاخرة بالفوائد الجمّة التي تنير الفكر وتوسّع المدارك، وكتاب الجاحظ ما هو إلاّ أساسٌ راسخ لصرح أدبي خالد، وقد ذكر ابن خلدون أن أصول الأدب وأركانه أربعة وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرّد، والبيان والتبيين للجاحظ، والنوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة تبع لها، وفروعٌ عنها.

الكتاب مطبوع عدة طبعات أجودها طبعة حققها عبد السلام هارون، وهي صادرة عن مكتبة الخانجي في مصر ١٩٥٠م، وتقع في أربعة أجزاء.

الكامل في اللغة والأدب للمبرّد^(١)

هو أبو العبّاس محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي المعروف بالمبرّد، كان عالماً جليلاً، وشيخاً من شيوخ اللغة والأدب، والنحو والتصريف والعروض، من أساتذته أبو حاتم السجستاني، ومن تلامذته الأخفش الأصغر، من أهم مؤلفاته: الكامل في اللغة والأدب، الفاضل وهو على غرار كتاب الكامل لكنه أصغر منه، كما أنه خلا من المسائل النحوية والصرفية التي اشتمل عليها (الكامل)، المقتضب وهو في النحو والصرف، المذكر والمؤنث، المقصور والممدود، توفي سنة ٢٨٦هـ.

كتاب الكامل من أشهر كتب الأدب واللغة في القرن الثالث الهجري، وسبق أن ذكرنا ما قاله ابن خلدون عن أركان الأدب الأربعة، فالكامل واحدٌ منها.

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٩٥/١، والأعلام للزركلي ١٤٤/٧.

يتضمّن الكتاب مجموعة من القضايا المتنوعة التي فصّل فيها المبرد، وشرح جوانبها، واستمدّها من اللغة والنحو والأدب شعره ونثره ويشتمل على جوانب أخرى تتعلق بالقرآن الكريم والأخبار والتاريخ والسياسة وغير ذلك.

فهو يشبه البيان والتبيين من حيث الاهتمام بالجوانب الأدبية، ولكنه يختلف عنه من حيث عناية المبرد بالجوانب النحوية، وهذا أمر مرتبط باشتغاله في علم النحو. يميل الجاحظ في البيان والتبيين نحو الدعابة والظرف والسخرية في بعض المواضع، أما المبرد في الكامل فيبدو جاداً، ولكنه يذكر بعض التعليقات اللطيفة التي تمنح القارئ استراحة فكرية من ثقل بعض الموضوعات النحوية واللغوية التي أوردّها في الكتاب. وقد وضع المبرد مضمون كتابه في المقدمة إذ قال:

«هذا كتاب ألفناه يجمع ضرباً من الآداب، ما بين كلام منشور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسّر كلّ ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستعلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً».

لا يختلف منهج المبرد عن سائر مناهج أصحاب كتب الأدب عامة، فالسمات البارزة فيه هي: الاستطراد، ومزج الجد بالهزل، والتداخل في عرض الموضوعات، وعدم اتباع منهج منظم في عرض مادة الكتاب، مع وجود الأبواب الكثيرة التي تضمنت كمّاً كبيراً من الاختيارات الأدبية.

ولكنه يتسم أيضاً بما يلي:

١ - حرص المبرد على عرض مادة كتابه ضمن إطار موسوعي تضمّن جميع ألوان الثقافة العربية والإسلامية من آيات قرآنية، وحديث نبوي شريف، وشعر، وخطب، وأمثال، وأخبار، ولغة، ونحو، وبلاغة، وغير ذلك.

فقد أورد مجموعة من الأمثال العربية مع قصصها، ومقتطفات من خطب العصر الجاهلي وخطب النبي الكريم، والخلفاء الراشدين، وخطب العصر العباسي، وذكر أخبار بعض الشعراء مع نماذج من أشعارهم كامرئ القيس، وجريز، والفرزدق، والراعي النميري، وبشار بن برد وغيرهم، وتناول عدداً من الموضوعات الشعرية كالوصف والمدح والفخر والهجاء... وكانت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة من الشواهد الأساسية التي اعتمد عليها في شروحه اللغوية والنحوية، وعرض المبرّد كثيراً من القضايا البلاغية كالتشبيه الذي خصص له باباً كاملاً تحدّث فيه عن التشبيه العجيب، والمحمود، والمستحسن، والمفرط الذي تجاوز الحد، والجميل المليح، والجيد، والمصيب، وتحدّث أيضاً عن المجاز ومنه المجاز القرآني، كما فصّل في الكناية فذكر أنواعها، والأساليب التي ترد فيها كالتغطية أو التعمية، والعدول عن لفظ خسيس إلى آخر مستحسن.

واهتم بالجوانب اللغوية والنحوية والصرفية، فمن اللغة: تعليقاته اللغوية، وكلامه على بعض الألفاظ الغريبة والنادرة كشرحه للفظه (الأنيض) فقد بيّن أن أبا زيد الأنصاري وأبا مسحل الأعرابي ذكراها في نوادرهما، وهي تعني اللحم النبيء.

ومن النحو حديثه المستفيض عن لام الاستغاثة ولام الإضافة، واستشهاده بأقوال النحاة وآرائهم ومنهم سيبويه، كما تحدّث عن استخدام (لا أبا لك) عند العرب، وخصص باباً للآيات القرآنية التي أخطأ النحاة في الاستشهاد بها.

ومن الصرف أنه خصّ النسب بباب سماه النسب إلى المضاف ومنه النسب إلى الاسم المركب كقولنا في النسب إلى عبد القيس عبقسي، وإلى عبد الشمس عبشمي، وإلى عبد الدار عبدري، وكذلك في النسب إلى بعلبك بعلبي، وإلى جُحْتَنَصَّر بجحتي، وتحدّث أيضاً عن أوزان بعض الألفاظ مثل فُعَل.

تتضح عنايته بذكر الأخبار، والحوادث التاريخية والسياسية، حين أورد أخبار

الصحابة الكرام والخلفاء، والخوارج، وتحدث عن عقيدتهم وفرقهم وحروبهم.

٢- تتسم مادة الكتاب بغلبة الثقافة العربية الخالصة، وخلوها من الثقافات الأعجمية كال يونانية والفارسية، فهو بذلك يختلف عن الجاحظ في كتابيه الحيوان والبيان والتبيين.

٣- تظهر الغاية التعليمية بوضوح في كتاب الكامل، فالمبرّد حريص على تقديم كمّ كبيرٍ من الفوائد المتنوعة، فمن المرجح أنه أملى كتابه على طلابه، ثم قرئ عليه، فأجازه، وانتشر بين الناس وهذا ما يفسر كثرة الشروح والتعليقات والشواهد وكشف اللثام عن الغريب المستغلق.

الكتاب مطبوع، وله طبعات كثيرة أولها طبعة لايزغ في ألمانيا، وثمة طبعة في مصر بدأها زكي مبارك وأتمها أحمد محمد شاكر، وأجودها الطبعة التي حققها د. محمد الدالي الصادرة عن مؤسسة الرسالة في بيروت ١٩٨٦م وتقع في أربعة أجزاء والجزء الرابع مخصص للفهارس.

عُني الباحثون بالكتاب فالشيخ سيد المرصفي شرح الكتاب، وعلق عليه وجمع المتن مع الشرح في كتاب قيّم سماه (رغبة الأمل من كتاب الكامل) وقد درّسه في الجامع الأزهر، ود. حسين نصّار صنع كتاباً سماه (المختار من كتاب الكامل) وهو صادر عن وزارة الثقافة المصرية، ود. محمد الدالي صنع كتاباً سماه أيضاً (المختار من كتاب الكامل) وهو صادر عن وزارة الثقافة السورية.

عيون الأخبار لابن قتيبة^(١)

يتضمّن كتاب عيون الأخبار اختيارات متنوعة من الشعر، والأمثال، وأقوال العلماء، والحكماء، والبلغاء، وأخبار الخلفاء، ومقتطفات من خطبهم، ويشتمل على أمور متعلقة بالإنسان وصفاته وطبائعه، ويتناول بعض الجوانب الاجتماعية كالسلطة والزواج والزهد وغيرها، كل ذلك ضمن إطار أدبي شائق، وبلغه مشرقة تشع بياناً وبلاغة، وقد ذكر ابن قتيبة في مقدمة كتابه مضمونه والغرض منه إذ قال:

«هذه عيون الأخبار نظمها لمغفل الأدب تبصرةً، ولأهل العلم تذكرةً... وهي لقاح عقول العلماء، ونتاج أفكار الحكماء.. والمتخير من كلام البلغاء، وفطن الشعراء، وسير الملوك... جمعت لك منها.. لتأخذ نفسك بأحسنها، وتقومها بثقافتها، وتخلصها من مساوئ الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها..، إن هذا الكتاب وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام دالٌّ على معالي الأمور، ومرشد لكرهم الأخلاق، زاجر عن الدناءة، ناه عن القبح، باعث على صواب التدبير، وحسن التقدير...».

ومع أن عيون الأخبار من كتب الثقافة الأدبية العامة لكنه يتسم بنوع من التنظيم والترتيب في عرض مادته، يبدو ذلك في اعتماد ابن قتيبة فيه على الأسس التالية:

١- بدأ كتابه بمقدمة مطولة عرض فيها مضمون كتابه، والهدف من تأليفه، فقد وضعه للخاصّة والعامة على اختلاف شرائحهم الاجتماعية، واهتماماتهم وطبائعهم، وأشار إلى أن العلم المأخوذ عن عامة الناس الذين خبروا الحياة لا يقلّ شأنًا عن العلم المكتسب من علماء اللغة والنحو والدين.

(١) تقدمت ترجمة ابن قتيبة ضمن كتب معاني الشعر في كتابه (المعاني الكبير في أبيات المعاني).

٢ - قسم كتابه إلى عشرة أقسام، سُمّي كل قسم منها كتاباً، وأطلق على كل كتاب اسماً مستوحى من طبيعة مضمونه وهذه الأقسام هي:

كتاب السلطان، كتاب الحرب، كتاب السؤدد، كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة، كتاب العلم والبيان، كتاب الزهد، كتاب الحوائج، كتاب الطعام، كتاب النساء.

٣ - سعى ابن قتيبة إلى ترتيب أبوابه وفق تناسب وتقارب يجمع بينها، فباب الحرب يلي باب السلطان، وباب الحوائج يلي باب الإخوان، وباب الطبائع يلي باب السؤدد، فثمة صلة معنوية تربط بين المفاهيم السابقة، ويبدو أن ابن قتيبة راعى ذلك.

٤ - اجتهد المؤلف في المناسبة بين الموضوع الرئيسي والموضوعات الفرعية ضمن كل كتاب على حدة، ففي كتاب الإخوان أورد أخباراً وأشعاراً عن اختيار الإخوان، وواجب الصديق تجاه صديقه وتحدث عن الزيارة والمحبة، والهدايا، والتهاني، والتعازي، والاعتذار، والعتاب بين الإخوان، والأصدقاء.

٥ - ولكنه مع ذلك كسر هذا التناسب والتنسيق بالاستطراد والتداخل بين الأفكار والموضوعات، وبإقحام نادرة لطيفة، أو خبر طريف لدفع الملل عن القارئ شأنه في ذلك شأن سائر مؤلفي كتب الثقافة الأدبية العامة.

٦ - خلا الكتاب من المسائل النحوية واللغوية، واقتصر على الاختيارات الأدبية.

٧ - اتصف منهجه بالدقة والموضوعية والأمانة العلمية، ظهر ذلك في:

أ) استقصاء جميع أجزاء الموضوع الواحد، ففي كتاب الحوائج على سبيل المثال:
ذكر الحاجة والهدية، والإلحاح في طلب الحاجة، وحال المسؤول عند السؤال والشكر والثناء وغير ذلك.

ب) العناية بذكر السند قبل إيراد الأخبار.

ج) الاستشهاد بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال بعض الأنبياء، والاعتماد على الشعر لتعزيز كلامه وآرائه في كثير من الجوانب التي عرضها وبسط القول فيها. يعد الكتاب مصدراً مهماً من مصادر الأدب والأخبار والتاريخ والحياة الاجتماعية عند العرب.

للكتاب طبعات كثيرة، منها طبعة صادرة عن دار الكتب المصرية بين الأعوام ١٩٢٤ - ١٩٣٠م وهي طبعة علمية مفهسة تقع في أربعة أجزاء.

الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي^(١)

هو أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، من أشهر أدباء القرن الرابع الهجري وهو إلى جانب ذلك مفكر وفيلسوف وقد لقب بفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة.

قضى شطراً كبيراً من حياته في بغداد، لكنّه كان كثير الترحال، فتنقّل بين بغداد والري ونيسابور وشيراز، وغيرها من المدن طلباً للعلم وسعيّاً وراء الرزق، فاكسب ثقافة موسوعية عالية المستوى أركانها الفقه الإسلامي، والحديث النبوي، وعلم الكلام والتوحيد، والمنطق والفلسفة والتصوّف، واللغة والنحو والأدب.

اشتكى التوحيدي من الضائقة المالية وسوء الحال، وتذمّر من مهنة الوراقة (نسخ الكتب وتجليدها) التي كان يعمل بها، وسمّاها حرفة الشؤم، فهي تقصر العمر وتذهب البصر ولا تعود عليه بالمنفعة المادية المجزية؛ لذلك كان على خلاف دائم مع أصحاب المال والنفوذ، إذ كان على يقين بأن الحياة ظلمته، وسلبته المكانة العالية التي يجب أن يكون فيها، وقد توفي سنة ٤١٤ هـ بعد حياة مملأها البؤس والاضطراب والقلق.

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء للحموي ٣٨٠/٥، والأعلام للزركلي ٣٢٦/٤.

ألف التوحيدي عدداً من المصنفات، منها الأدبية: كالإمتاع والمؤانسة، ومثالب وزيرين أي مساوي الوزيرين ابن العميد والصاحب بن عباد، والهوامل والشوامل، والبصائر والذخائر، والصدافة والصديق، ومنها الفلسفية كالمقابسات، ومنها الصوفية كالإشارات الإلهية، والحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي.

أما كتابه الإمتاع والمؤانسة فهو يتضمن تسجيلاً للمسامرات التي جرت بينه وبين الوزير البويهري الحسن بن أحمد المعروف بابن العارض في أربعين ليلة.

ففي مستهل كل جلسة كان الوزير يقترح موضوعاً للمسامرة، وقد يكون أدبياً، أو لغوياً، أو فلسفياً، أو علمياً، وكان التوحيدي يشرح جوانب الموضوع المذكور، ويستفيض فيه، ويستطرد ليغني الجلسة ويجعلها ممتعة ومؤنسة، ثم يختتم التوحيدي المسامرة بملحة الوداع، فيذكر أبياتاً من الشعر أو حكمة مأثورة، أو قصّة قصيرة فيها موعظة.

ثمّة خلاف بين الباحثين حول أجوبة التوحيدي، فبعضهم يرى أنه كان يرتجلها، ويناقش الوزير في القضايا المتنوعة دون تحضير مسبق، وبعضهم يرى أنهما كانا يحضران ما يريدان مناقشته في تلك الجلسات العلمية؛ لاتصاف الأحاديث والأجوبة بالدقة والإحكام والإلمام بالموضوع من جميع جوانبه.

دوّّن أبو حيان ما جرى في هذه المسامرات من أحاديث ونقاش وجدل بعدما انقضت جميعاً، وأهداها إلى صديقه أبي الوفاء المهندس اعترافاً بالجميل الذي أسداه إليه حينما وصله بالوزير ابن العارض.

منهج التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة:

أولاً - من حيث الشكل:

١ - عرض التوحيدي موضوعات الكتاب ضمن مسامرات في أربعين ليلة، وفي كل ليلة كان يذكر مجموعة من القضايا اللغوية أو النحوية، أو الأدبية، أو الفلسفية، أو العلمية، على شكل أسئلة وأجوبة، فالوزير يقترح الأسئلة، والتوحيدي يجيب عنها ويناقشه فيها.

٢ - تفاوتت هذه المسامرات من حيث الطول والقصر، فقد يحتاج موضوع واحد إلى ليلتين، وقد يُناقش غير موضوع في ليلة واحدة.

٣ - فصل التوحيدي بين الليالي، فتحدث عن موضوعات كل ليلة بمفردها.

ثانياً - من حيث المضمون:

١ - اتصفت ليالي الإمتاع والمؤانسة بطابع موسوعي ثقافي، فقد تنوعت الموضوعات، وتعددت وتناول فيها التوحيدي جوانب وقضايا من اللغة والأدب والشعر والفلسفة والمنطق والبلاغة والتاريخ والغناء والسياسة والطبيعة وغيرها، منها:

أ - الجوانب الفلسفية والمنطقية: ومن ذلك أنه أورد المناظرة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى بن يونس القُنائي في المفاضلة بين المنطق اليوناني والنحو العربي، وتحدث عن رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا^(١)، وأشخاص مؤلفيها، وتعرض لمسألة تبسيط الفلسفة، وتناول بعض المصطلحات المنطقية، وأشار إلى فلاسفة عصره.

ب - الجوانب الأدبية والبلاغية: فقد تحدث عن مراتب النظم والنثر، وبلاغة كل من الشعر والنثر كالخطابة والأمثال، وتناول البديع، وأورد لُمعاً من جوامع كلم

(١) هم جماعة من الفلاسفة العرب المسلمين، أرادوا من خمسين رسالة ألفوها أن يوفقوا بين العقيدة الإسلامية والحقائق الفلسفية العقلية، وقد تضاربت الآراء حول عقيدتهم وفكرهم.

الرسول الكريم محمد ﷺ، واستشهد بكثير من الأبيات الشعرية، كما أظهر قدرته الإنشائية في مناسبه بين الألفاظ والمعاني، والربط المحكم بين الأفكار، واهتمامه ببعض ضروب الصنعة اللفظية والمعنوية.

ج - الجوانب اللغوية والنحوية: فقد تناول موضوعات تتعلق بالاسم والحرف وبالفروق اللغوية بين بعض الألفاظ (الحادث والمحدث والحديث)، وذكر بعض القضايا المتصلة بالمعاني النحوية.

د - الجوانب العلمية: فقد تحدث عن كثير من الكائنات الحيّة (طاووس، أفعى، فيل، نخل) وتناول أيضاً جوانب تتعلق بالحرارة والبرودة، والرطوبة، وغير ذلك...

٢ - مزج التوحيدي بين الموضوعات الجدية والهزلية، ولكن الطابع العقلي كان مهيمناً على الكتاب، وقد ظهر الجانب الهزلي في الحديث عن الغناء والقيان، ومحبي الطرب وبعض الأخبار المأجنة، لدفع الملل وجذب القارئ.

٣ - خلا الكتاب في بعض المواضع من الترتيب المنطقي لموضوعات المسامرات، فالليلة الواحدة قد تتضمن موضوعات متعددة لا صلة بينها، ففي الليلة الثانية تحدّث عن فلاسفة عصره، وأدبائه، وتناول أيضاً علم النجوم.

٤ - برزت ظاهرة الاستطراد في بعض المواضع، وهذا أمر طبيعي في مصنفات الثقافة الأدبية العامة التي تعكس سعة العلم، وغزارة المعارف التي يمتلكها المؤلف.

خصائص الكتاب ومزاياه:

- يعد الكتاب موسوعة ثقافية عرضت الجوانب المعرفية والفكرية في القرن الرابع الهجري وأظهرت سعة ثقافة التوحيدي، ويّنت شخصيته من الجوانب الثقافية والفكرية والاجتماعية والوجدانية.

- أظهر الكتاب تأثر التوحيدي بالجاحظ في رده على الشعوبية ودفاعه عن العرب ولغتهم، ففي الليلة السادسة ذكر التوحيدي مفاضلة بين العرب والعجم، وتحدث عن عادات العرب وأخلاقهم، ومزايا لغتهم.

- كتاب الإمتاع والمؤانسة أول مصدر يكشف اللثام عن رسائل إخوان الصفا، فقد ذكر التوحيدي في الليلة السابعة عشرة أسماء خمسة من مؤلفيها.

طبع الكتاب في ثلاثة أجزاء، وصدر عن لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، بتحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، وكانت الطبعة الأولى في عام ١٩٣٩م، ثم أعيد طبعه في القاهرة سنة ١٩٥٣م.

العقد الفريد لابن عبد ربّه^(١)

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه القرطبي الأندلسي، أديب شاعر عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري في الأندلس، ولازم عدداً من الأمراء فيها، وهم: محمد بن عبد الرحمن، والمنذر بن محمد، وعبد الله بن محمد، وعبد الرحمن الناصر، تأرجحت حياته بين العلم والأدب والفقه من جهة وبين اللهو والطرب من جهة أخرى.

لعل شعره خير دليل على ذلك، إذ نظم أشعاراً في الغزل والشراب، ولكنه في أواخر أيامه أراد التكفير عن ذلك فقام بتمحيص تلك الأشعار، ونقضها بقصائد في الزهد والمواعظ، سماها الممحّصات، وجعلها على أعاريض قصائد الغزل وقوافيها.

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٢/١، وبيتمة الدهر للنعالي ٣٦٠/١، والأعلام للزركلي ٢٠٧/١.

يقال: إنه ألف ديواناً شعرياً كبيراً^(١) لكنه فقد ولم يصل إلينا، توفي ابن عبد ربه في

عام ٣٢٨ هـ.

أما العقد الفريد فقد ذكره المؤرخون والأدباء باسم (العقد) فقط، وقيل: إن صفة الفريد أضيفت إليه فيما بعد حينما انتشر بين الناس ونال إعجابهم واستحسانهم.

والكتاب موسوعة أدبية ثقافية جمع فيه المؤلف كثيراً من الأخبار، والأشعار، والأقوال، والأمثال والنوادر، والطرائف، وضمّن موضوعات متنوعة مستمدة من الأدب والفكر والتاريخ والسياسة والحياة الاجتماعية.

وبين ابن عبد ربه في مقدمة الكتاب مضمونه والطريقة التي اتبعها في عرض مادته مشيراً إلى أن جهده في هذا الكتاب يظهر في حسن الاختيار والاختصار، وبراعة التأليف بين الاختصارات والاختيارات المتنوعة، ودقة تصنيفها بحسب مضمونها ضمن أبواب الكتاب، وقد عرض المؤلف تمهيداً قبل كل باب سماه (فرشاً) قدم فيه أفكاراً تتصل بموضوع الباب، وأظهر فيه أسلوبه المشرق ولغته الناصعة، وعن ذلك يقول: «وقد ألّفت هذا الكتاب، وتخيّرت جواهره من متخيّر جواهر الآداب.. فكان جوهر الجوهر ولُبّ اللباب، وإنما لي فيه تأليف الاختيار، وحسن الاختصار، وفرش في صدر كل كتاب...».

تحدّث ابن عبد ربه عن الغاية من تأليف كتابه، فقد أراده أن يكون مصدراً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه الخاصة والعامة.

فتنوع المادّة، وشمول الموضوعات مع حسن الاختيار كان دافعاً من دوافع تأليف

(١) قام الدكتور محمد رضوان الداية بجمع شعر ابن عبد ربه من كتابه العقد الفريد، ونشره باسم ديوان ابن عبد ربه، وهو صادر عن دار الفكر بدمشق، وثمة طبعة جيدة صادرة عن مكتبة العبيكان في الرياض، والشعر فيها من جمع وتحقيق: د. محمد أديب عبد الواحد جمران وهي الأولى في عام ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، وثمة طبعة أخرى صادرة في الدار البيضاء بالمغرب وهي بتحقيق محمد بن تاويت عام ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٨ م.

الكتاب، وثمة دافع آخر وهو رغبة ابن عبد ربه في لفت الأنظار إلى الأندلس، وإثبات التفوق في التأليف، والتأكيد على أن أدباء المغرب والأندلس لا يقلّون شأنًا عن أدباء المشرق، وعن ذلك يقول:

«.. ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته، وبلدنا على انقطاعه، حظاً من المنظوم والمثثور...»، وقد أظهر ذلك من خلال شعره الذي أورده في مواضع كثيرة من كتابه.

أما منهجه فيه فهو قائم على نظام طريف لطيف، إذ أطلق المؤلف على كتابه عنوان العقد، وتحيلّه على أنه عقدٌ مكوّن من خمس وعشرين جوهرة، جعلها أبواب الكتاب، وهي على التوالي: اللؤلؤة، الفريدة، الزبرجدة، الجمانة، المرجانة، الياقوتة، الجوهرة، الزمردة، الدُرّة، اليتيمة، العسجدة، المجنّبة، الواسطة، فالباب أو الكتاب كما أطلق عليه يحمل اسم جوهرة من جواهر العقد، وجعل اثنتي عشرة جوهرة في جانب، واثنتي عشرة جوهرة أخرى تناظرها في الجانب الآخر، وتحمل الاسم نفسه أيضاً، فاللؤلؤة تناظرها اللؤلؤة الثانية، والجمانة تقابلها الجمانة الثانية وهكذا... وتتوسط جانبي العقد جوهرة نفيسة سماها (الواسطة) وبذلك اكتملت خمس وعشرون جوهرة.

من سمات منهجه أنه استهلّ كل باب بتمهيد سماه (فرشاً) كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وقصد أن يحذف الأسانيد من كتابه، واكتفى بنسبة القول إلى صاحبه بغية التخفيف من الإطالة، ومن الملاحظ أن ابن عبد ربّه الذي أراد أن يظهر تفوق الأندلسيين وعلو شأنهم في النظم والنثر لم يستطع التحرر من القيود المشرقية، فجلّ الاختيارات الأدبية التي أوردها ذات أصول مشرقية، وهذا ما دفع صاحب بن عباد إلى القول عن الكتاب حين اطلع عليه: «هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا».

ويظهر التأثر بالتأليف المشرقي بجلاء في التشابه الكبير بين العقد الفريد وعيون

الأخبار لابن قتيبة من حيث المنهج، وعرض المادة، وأسماء الأبواب أو الكتب، فثمة سبعة أبواب مشتركة بين الكتابين، وهي: السلطان، الحرب، العلم والأدب، المواعظ والزهد، الطبائع، الطعام، النساء، ولم يذكر ابن عبد ربّه أنه تأثر بابن قتيبة، ولكنّ التلاقي بين الكتابين في كثير من الجوانب يؤكد ذلك.

وتأثر المغاربة والأندلسيين بالتصنيف المشرقي ناجم عن إعجابهم به، ورغبتهم في تقليده والنسج على منواله من جهة، ومضاهاته والتفوق عليه من جهة أخرى، ولهذا كثرت المصنفات الأندلسية التي اعتمد مؤلفوها على المصنفات المشرقية كالمعارضات، والشروح اللغوية والأدبية، وكتب الثقافة الأدبية العامة.

ومع ذلك فكتاب العقد الفريد لم يخل من اللمسات الأندلسية الرقيقة التي ظهرت في شعر ابن عبد ربّه، وبعض النصوص والأخبار الأندلسية التي أوردها في مواضع متفرقة فيه.

طبع الكتاب طبعات كثيرة، أجودها طبعة حققها أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإياري، وصدرت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٩٤٠م في سبعة أجزاء (الجزء السابع منها مخصص للفهارس)، وثمة طبعة أخرى صادرة عن دار الكتاب العربي في بيروت عام ١٩٨٣ م.

زهر الآداب وثمر الألباب للقيرواني^(١)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني أديب ناقد من أهل القيروان، اشتغل في عمل الحصر، وله شعر رقيق، وهو ابن خالة الشاعر أبي الحسن الحصري القيرواني صاحب (يا ليل الصب) ومن مؤلفاته: ثور الطرف ونور الظرف، وهو مختصر عن

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٣/١، ومعجم الأدباء ٣٥٨/١، والأعلام للزركلي ٥٠/١.

زهر الآداب، والمصون في سر الهوى المكنون، توفي سنة ٤٥٣ هـ.

كان دافع الحصري إلى تأليف الكتاب تلبية طلب أحد أصدقائه المهتمين بالكتب، فقد ارتحل صديقه إلى المشرق وجمع ما تيسّر منها، ثم اقترح على القيرواني أن يختار مما ورد فيها مادة لكتاب يُكتفى به عن جملتها، ففعل القيرواني، وألف كتاب زهر الآداب، وهو كسائر كتب الأدب العامة يتضمن اختيارات أدبية شعرية ونثرية، ويشتمل على الأخبار، والطرائف، والنوادر، وبعض الجوانب البلاغية، والآراء النقدية، ولم يلتزم المؤلف منهجاً واضح المعالم، أو طريقة معينة في التبويب، ولم يستغن عن ظاهرة الاستطراد في معظم مواضع الكتاب.

تتصف مادة الكتاب بالرصانة والجد والبعد عن المجون في الأخبار والأشعار، ويغلب عليها الاهتمام بأخبار صحابة رسول الله ﷺ، ولكتاب زهر الآداب تتمّة (ذيل) من تصنيف الحصري القيرواني نفسه سماه: (جمع الجواهر في الملح والنوادر).

طبع الكتاب أكثر من مرّة، ومن طبعاته طبعة اعتنى بها الدكتور زكي مبارك في أربعة أجزاء وصدرت في القاهرة عام ١٩٢٥ م ثم ١٩٢٩ م، وطبعة بتحقيق محيي الدين عبد الحميد في أربعة أجزاء ١٩٥٣ م، وثمة طبعة أخرى بتحقيق علي البحاي في جزئين عام ١٩٥٣ م، ثم أعيدت طبعة محيي الدين عبد الحميد في بيروت عام ١٩٧٢ م في أربعة أجزاء.

بهجة المجالس لابن عبد البر^(١)

هو يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر النُمري القرطبي، كان فقيهاً حافظاً محدّثاً، تنقّل بين عدد من المدن الأندلسية كدانية، بلنسية، شاطبة وفيها توفي سنة ٤٦٣هـ، وقد وضع مصنفات في الفقه والحديث، والتاريخ، والسير، والأنساب، والأدب، وتراجم الرجال، منها: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وبهجة المجالس الذي سنلقي الضوء عليه.

عنوانه الكامل: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذهن والمهاجس.

جمع المؤلف فيه كثيراً من نواذر العرب وأمثالها وأجوبتها، وضّمّه مجموعة من الاختيارات الأدبية الشعرية والنثرية، وأورد فيه الأخبار، والحكم التي تغرس في النفس مكارم الأخلاق، ويبيّن في مقدمة الكتاب أنه اختار النصوص التي تصقل الموهبة، وتحذب النفس، وترسخ الفضائل والقيم النبيلة.

الكتاب مقسّم إلى مئة واثنين وثلاثين باباً، أولها: باب أدب المجالس وحق المجلس الصالح، وباب في وصف النساء وما يمدح من نفوسهن.

افتتح المؤلف كل باب بالأحاديث النبوية الشريفة، تيمناً بذكر الرسول الكريم محمد ﷺ، ثم أتى بالحكم والأشعار والأمثال التي تناسب مضمون الباب وتوافقه، وذكر أيضاً ما يعارضه ليكون ما يقدمه للقارئ أبلغ وأشفي وأمتع.

حرص ابن عبد البر على نسبة كل قول إلى صاحبه، وردّ كل خبر إلى مصدره، والتزم الوقار والتحفظ في إيراد النصوص المختارة، فهي تدعو إلى مكارم الأخلاق

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٤٨/٢، والمغرب لابن سعيد ٤٠٧/٢، والأعلام للزركلي

والقيم النبيلة، وتخلو من الفحش والابتذال.

طبع كتاب بمحة المجالس بتحقيق د. محمد مرسي الخولي في جزئين، وصدر عن الدار المصرية للتأليف والترجمة في القاهرة.

الأغاني للأصفهاني

هو أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي، ولد بأصبهان سنة ٢٨٤هـ، ونشأ ببغداد واستوطن فيها، وتوفي سنة ٣٥٦هـ. أديب شاعر علامة نسابة أخباري واسع الرواية. قال فيه ابن خلكان: «كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة، والنسب ما لم أر قط من يحفظ مثله، ويحفظ دون ذلك من علوم أخر: منها اللغة والنحو والخرافات والمغازي والسير، وشيئاً كثيراً من علم الجوارح والبيطرة والقلب والنجوم والأشربة».

وقد صنف أبو الفرج عدداً غير قليل من المصنفات ذكر منها ياقوت في معجم الأدباء ستة وعشرين كتاباً، ووصفها بقوله: «لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه». من هذه المؤلفات: أخبار القيان، والإماء الشواعر، ومقاتل الطالبين.

أما كتابه الأغاني فهو أوسع كتب الأدب العربي وأعظمها شهرة وأكثرها تداولاً على مر العصور، إذ مثل ثقافة العصر الذهبي للحضارة العربية وحصيلة معارفه الغنية، فحوى عيون المنظوم والمنثور والقصص والأخبار والتراجم والتاريخ، وأحوال المجتمع والناس، والموسيقى والغناء والمجون، وقد ترجم فيه أبو الفرج لأكثر من خمسمئة شاعر وشاعرة من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ومحدثين، كما ترجم لكثير من المغنين والمغنيات في الدولتين الأموية والعباسية، وجمع فيه الأغاني العربية قديمها وحديثها، وجعل مبناه على مئة الصوت التي اختارها إبراهيم الموصلي وابن جامع للرشيد بناء على طلبه. وبدأ فيه بذكر الأصوات

الثلاثة المختارة من جميع الغناء، ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانع لحنه وطريقته، على شرح لذلك، وتفسير للمشكل من الغريب، وبيان عروض الشعر وضربه. «وأتى في كل فصل من ذلك بنتف تشاكله، ولمع تليق به، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها من فائدة إلى مثلها، ومتصرفاً فيها بين جد وهزل، وآثار وأخبار، وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها الماثورة، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام».

وقد جمع أبو الفرج مادة هذا الكتاب في خمسين سنة، وقدمه إلى سيف الدولة، فأعطاه ألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد، فقال: «لقد قصر سيف الدولة، وإنه ليستحق أضعافها». وكان الأمير الأندلسي الحكم المستنصر قد بعث في كتاب الأغاني إلى مصنفه أبي الفرج، وأرسل إليه فيه بألف دينار من الذهب العين، فبعث إليه بنسخة منه قبل أن يخرجها إلى العراق.

وكان الصاحب بن عباد يستصحب في سفره ثلاثين جملاً محملة بكتب الأدب، فاستغنى عنها بكتاب الأغاني. ولم يكن هذا الكتاب يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره، وفي عصرنا الحديث نجد الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري يستصحب معه هذا الكتاب أينما حل وارتحل. وقد وصفه ابن خلدون، فقال: «لعمري إنه ديوان العرب، وجامع أشتات المحاسن، ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها، وأتى له بها».

أما منهج هذا الكتاب فهو كما بيّنه أبو الفرج من أنه بناء على الأصوات، وبدأ بذكر الأصوات الثلاثة المختارة وما لزم عن ذلك من حديث عن شعرائها المتأخرين في الزمان فضلاً عن أنهم من غير المشهورين. ومن ثم لا نجد لكتاب الأغاني تبويماً موضوعياً أو ترتيباً زمنياً أو أي منهج معلوم آخر، وإنما شأنه في ذلك شأن مصنفات الأدب القديم

من غلبة الاستطراد والانتقال من موضوع إلى آخر، وأبو الفرج يقول: «وفي طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء، والاستراحة من معهود إلى مستجد، وكل منتقل إليه أشهى إلى النفس من المنتقل عنه، فما رتبناه أحلى وأحسن، ليكون القارئ له بانتقاله من خبر إلى غيره ومن قصة إلى سواها، ومن ملوك إلى سوقة، وجد إلى هزل، أنشط لقراءته، وأشهى لتصفح فنونه».

وقد عمد القدماء والمحدثون إلى اختصاره أو تجريده أو تهذيبه أو الاختيار منه^(١). وطبع الأغاني طبعات كثيرة أقدمها طبعة بولاق بمصر سنة ١٨٦٨م في عشرين جزءاً، وأجودها طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥م.

كتب الأمايلي

نوعٌ من كتب الثقافة الأدبية العامة عُرف بهذه التسمية (الأمايلي) وهي: جمع إملاء على غير قياس، أو أنها جمع أملية كأغنية وأمسية، وهي: «أن يقعد عالمٌ وحوله تلاميذه بالمحابر والقراطيس، فيتكلم بما فتحه الله تعالى عليه، ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً». فالأمايلي كل ما يمليه شيخ على طلابه في العلوم والمعارف المختلفة، ومن هنا كثرت الكتب التي تحمل اسم الأمايلي كثرةً بالغةً في تراثنا العربي، وكثيراً ما كان المؤلفون في القديم يستعيضون عنها بكلمة (مجالس)، ومعناها والقصد منها واحد. ولا يعيننا من هذه الكتب إلا ما كان في اللغة والأدب وهو أيضاً كثير نختار فيما يلي بعضاً منها:

(١) من هذه الكتب: مختصر الأغاني لابن نايقا البغدادي، وتجريد الأغاني لابن واصل الحموي، ومختار الأغاني في الأخبار والتهاني لابن منظور. ومن الكتب المحدثه: زناات المثلث والمثلثاني في روايات الأغاني للأب أنطون صالحاني، ومهذب الأغاني للشيخ محمد الحضري.

١- مجالس ثعلب:

صنّفها أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار الشيباني بالولاء، المعروف بثعلب لتوقد ذكائه وشدة معرفته، ولد سنة (٢٠٠هـ) أيام خلافة المأمون العباسي في مدينة بغداد، ونشأ فيها وتلقى العلم عن أشهر علمائها أمثال: الفراء، وابن الأعرابي، والمبرد حتى حذق العربية بشتى علومها، لكنه عني بالنحو أكثر من عنايته بغيره، وغدا إماماً للكوفيين في النحو واللغة والحديث، وقد اشتهر بقوة الحافظة وصدق اللهجة، إلى جانب كونه حجة موثقاً ومحدثاً ناجحاً، عمّر ثعلب دهرًا طويلاً، وكان ديناً ورعاً، وأصيب في أواخر أيامه بصمم شديد، فصدّمته فرس وهو خارج من المسجد بعد صلاة العصر وتوفي سنة (٢٩١هـ) ومن أشهر مؤلفاته: كتاب (فصيح ثعلب)، و(قواعد الشعر) و(شرح ديوان زهير) و(شرح ديوان الأعشى) و(معاني القرآن) و(مجالس ثعلب)، وسماه (المجالس) أو ما يعرف بأماليه^(١).

يُعدّ مجالس ثعلب من أهم مؤلفاته، وهو يجمع جمعاً دقيقاً دروسه التي ألقاها على تلامذته في مجالس متعددة في أحد مساجد بغداد.

وقد تأثر ثعلب في كتابه هذا، بأدباء عصره، كالجاحظ في نظريته الشاملة الموسعة للأدب، فجاء الكتاب ليضمّ كلّ ما له صلة بالأدب، بهذا المعنى الواسع من شعر ونثر وخبر ومثل وحكمة، إلى جانب القرآن الكريم، والحديث الشريف، مع ضروب شتى من لغة وتفسير وإعراب ونحو وصرف وبلاغة.

وكتابه هذا، ذو منهج تعتريه العفوية، ويسيره الاستطراد من خبر إلى خبر ومن قاعدة إلى أخرى، دون ضابط أو نظام معين، فلا نعثر على تبويب لموضوعات النحو التي

(١) وفيات الأعيان ٣٠/١.

أوردتها، فهو لم يقسّم الأبحاث إلى أسماء وأفعال وحروف، أو لم يقسّم الأسماء إلى مرفوعات ومنصوبات ومجرورات، وإنما كان يُملي القاعدة التي يصادفها في النص أو الخبر الذي يعرضه على طلابه.

وهذا ليس غريباً على كتب التأليف في القرن الثالث الهجري، حيث ساد الاستطراد وتنوع الموضوعات وعدم التبويب، ثم إن رواة المجالس قد سَخَلُوا كلَّ ما يدور في حلقاتها من أسئلة وأجوبة، فالطابع العام للكتاب كان طابعاً نحوياً، يعلم قواعد اللغة العربية من خلال النصوص الشعرية، والأخبار، والأمثال النثرية، وذلك أفضل لتعليم اللغة من التحريد القاعدي بعيداً عن النصوص، كما أن هذا الأسلوب يضيف متعة وحيوية على المجالس ويشوق الدارسين، فلا يكون النحو علمياً وحسب ويميل نحو الجفاف. ومما يزيد في قيمة كتاب مجالس ثعلب، أنه من أسبق كتب الأمالي في النحو العربي.

ومما يلاحظ على الكتاب ما يلي:

- يعد صورة واضحة لمدرسة الكوفة النحوية، التي يعد ثعلب في رأس علمائها، مع ذكر لبعض آراء البصريين أحياناً ومناقشتها بطريقة الكوفيين.
- ضم الكتاب أمثلة من عيون الشعر العربي، مع كثير من الأخبار التاريخية، والاجتماعية، والوصايا والخطب، والنوادر والملح، والأقوال والحكم، التي اختارها المؤلف بكل عناية متوخياً فيها الأهمية والدقة.
- الهدف التعليمي قائم في ذهن المؤلف؛ مما جعل كتابه معرضاً لكثير من التساؤلات والإجابات بينه وبين مريديه، التي لم يتردد أحياناً بالإجابة عنها ب (لا أدري).
- تقسيم الكتاب إلى مجالس كان تقسيماً شكلياً؛ إذ لا نعثر فيها على اختلاف ولا على خطة منسقة اتبعها في كل منها، إلا ما كان من تأكيد بافتتاح كل مجلس بخبر أو

شعر مقدّم بإسناد كامل عن صاحبه.

طبع الكتاب باسم (مجالس ثعلب) لأبي العباس أحمد بن يحيى بدار المعارف بمصر (١٩٤٨م) بتحقيق وشرح عبد السلام هارون ثم أعيد نشره ثانية (١٩٥٦م).

شاهد من الكتاب:

الخبر الأول في الكتاب عن أم سعيد: (كانت أم سعيد بنت سعيد بن عثمان بن عفان عند هشام بن عبد الملك، ثم طلقها، فندم على طلاقها، فتزوجها العباس بن الوليد ابن عبد الملك ثم طلقها، فندم على طلاقها، فتزوجها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز. فدرس لها العباسُ أشعبَ بأبيات قالها، وقال له: إن أنشدتها إياها، فلك ألف دينار، قال: فأتاها فأنشدتها، فقالت له: دسك العباس، وجعل لك ألف دينار، فأخبره عني، ولك ألف دينار، ثم قالت: وما قال؟ فقال: قال:

أسعدهُ هل إليك لنا سبيلٌ وحتي القيامة من تلاقٍ

فقالت: إن شاء الله. فقال:

بلى، ولعلّ دارك أن تواتي بموتٍ من حليلك أو فراقٍ

قالت: بفيك الحجر. قال:

فأرجع شامتاً وتقرّ عيني ويجمع شملنا بعد انشقاقٍ

فقالت: بل نشمت بك إن شاء الله^(١).

ومن الأخبار الطريفة القصيرة قوله:

(أخبرنا محمد، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى - إملاءً - حدثنا ابن شيبه، حدثنا

(١) مجالس ثعلب ٥/١.

محمد بن سَلَام قال: زعم يونس بن حبيب الضبي قال: صنع رجل لأعرابي ثريدةً يأكلها، ثم قال: لا تصقّعها، ولا تشرمها، ولا تقعرها. قال: فمن أين آكل؟ لا أبالك «ثم يشرح ثعلب الكلمات الغريبة التي وردت في الخبر» فيقول: قوله لا تصقّعها: أي لا تأكل من أعلاها، ولا تشرمها أي لا تحرقها، ولا تقعرها أي لا تأكل من أسفلها^(١).

ومما أورده من الفوائد اللغوية قوله: (ذو الظفر ما لم يصد، وما اصطاد فهو ذو المخلب، الريش والرياش: اللباس الحسن. يقال: أعطى النابغة النعمان إبلاً وريشها أي بما يصلحها من الآلة والثياب. وقال: إذا قيل غزا غزاةً فهو بمعنى عمل سنة، وإذا قال: غزا غزوةً أراد مرةً^(٢)).

٢- أمالي يموت بن المزروع:

هو أبو بكر يموت بن المزروع العبدي البصري من عبد القيس، شاعرٌ أديبٌ من مشايخ العلم، وكان لا يعود مريضاً خوفاً من أن يتطير باسمه، ويقول: بُليت بالاسم الذي سَمَّاني به أبي، وسَمَّى نفسه «محمداً» فذكره بعض المؤرخين في «المحمدين» ولكن اسمه الأول غالب عليه، له رواية للأخبار وحكايات أورد بعضها ابن خلكان.

وهو ابن أخت الجاحظ، من أهل البصرة، تلقى علومه الدينية، واللغوية، والأدبية، فيها، ثم زار بغداد (سنة ٣٠١هـ) وهو شيخ كبير، وزار مصر مراراً والتقى أهلها في المساجد فرووا عنه كتاب الأمالي الذي أملاه عليهم في الأخبار، والملح، والآداب والنوادر. فقد عُرف عن ابن المزروع أنه كان من السابقين إلى التأليف في فن الإملاء، كما كان شاعراً مجيداً، حفظت له المصادر الكثير من أشعاره، وقد توفي بطبرية وقيل في دمشق

(١) مجلس ثعلب ٩/١.

(٢) المصدر نفسه ٤٤/١.

سنة (٣٠٤هـ)^(١).

أما كتابه «الأمالي» فهو يضم نوادر الأخبار، وأشعاراً لم ترد عند غيره، فقد كان حريصاً على إيراد أخباره وملحه معتمداً على الأسانيد، أما مادة الكتاب فليست منسقة مبوبة، بل هي على عادة المؤلفين آنذاك، تجمع الأخبار، والأشعار، والنوادر، والنقد مختلطاً بعضها ببعض، والمؤلف ينتقل بينها مستطرداً من فنٍ إلى آخر، فأما ابن المزرع ذات طابع أدبي محض لا يهتم بالنحو، ولا بالشرح اللغوي، فهو كتاب في الأخبار والأشعار، والنوادر، التي تهدف إلى الإمتاع الأدبي.

وقد عُثر في دار الكتب الظاهرية بدمشق سنة ١٩٧٩م على كتيب ملحق بكتاب (الفوائد والأخبار) لابن دريد حققه إبراهيم صالح هو (أمالي ابن المزرع).

شاهد من الكتاب:

من الأخبار والأحاديث النبوية:

حدثنا أبو طالب محمد بن الحسين.... قال: حدثنا أبو بكر محمد بن المزرع، يموت من حفظه عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟»^(٢).

من النوادر والملح: قال يموت بن المزرع، قال لي سهل بن صدقة يوماً وكان بيننا مداعبة: ضربك الله باسمك؟ فقلت له مسرعاً: أحوجك الله إلى اسم أبيك^(٣).

(١) مروج الذهب ١٠٥/٥، ونزهة الألباء ٢٣٨، وتاريخ بغداد ٣٨/٢، ومعجم الأدياء ٥٧/٢٠.

(٢) أمالي ابن المزرع، ص ١٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٩.

وقال: حدثنا يموت..... عن مروان بن أبي حفصة قال: دخلت بيت الناطفي مولى (عنان) وقد ضربها فقلت:

بَكَتْ عَنَّا فَجَرَى دُمُعُهَا كَالدُّرِ قَدْ تُوبِعَ فِي خِيَطِهِ

قال: فقالت والعبرة في حلقها:

أَجَلٌ، وَمَنْ يَضْرِبُهَا ظَالِمًا تَيْبَسُ يُنْمَاهُ عَلَى سَوَاطِئِهِ

فقال مروان: هي والله أشعر الجن والإنس^(١).

ومن مختاراته في البلاغة:

وحدث يموت عن خاله الجاحظ قال: يُحِبُّ للرجل أَنْ يكون سَخِيًّا لَا يَبْلُغُ التَّبْذِيرَ، شَجَاعًا لَا يَبْلُغُ الْهَوَجَ، مُحْتَرَسًا لَا يَبْلُغُ الْحَبْنَ، مَاضِيًّا لَا يَبْلُغُ الْقَحَّةَ، قَوَّالًا لَا يَبْلُغُ الْهَذَرَ، صَمُوتًا لَا يَبْلُغُ الْعِيَّةَ، حَلِيمًا لَا يَبْلُغُ الذِّلَّ، مُنْتَصِرًا لَا يَبْلُغُ الظُّلْمَ، وَقَوْرًا لَا يَبْلُغُ الْبَلَادَةَ، نَاقِدًا لَا يَبْلُغُ الطَّيْشَ. ثم وجدنا رسول الله ﷺ قد جمع ذلك في كلمة واحدة وهي قوله: «خير الأمور أوسطها» فعلمنا أنه عليه السلام قد أوتي جوامع الكلم، وعلم فضل الخطاب^(٢).

٣- أمالي ابن دريد:

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أزد عُمان من قحطان، من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. ولد في البصرة سنة (٢٢٣هـ)، وانتقل إلى عُمان فأقام فيها اثني عشر عاماً، ثم عاد إلى البصرة، ليرحل بعدها إلى فارس، حيث قلّده (أل ميكال) ديوانها، فمدحهم بقصيدته (المقصورة) ثم رجع إلى بغداد، واتصل بالمقتدر العباسي، فأجرى عليه في كل شهر خمسين ديناراً، وأقام هناك

(١) أمالي ابن المزرع، ص ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

إلى أن توفي فيها سنة (٣٢١هـ).

وعرف ابن دريد بشدة وفائه وإخلاصه، وحنينه إلى أصحابه وموطنه الذي غادره، وهو شديد السخاء المادي، والعطاء العلمي الذي دام طوال حياته، اشتهر بقوة الذاكرة، وشدة الذكاء، وسرعة البديهة؛ فقد تصدر حلقات التدريس، ومجالس التعليم ستين عاماً يلتقي بتلاميذه ومريديه ليسمعوا منه، وكان نتاجه النثري كله محاضرات أدبية، ولغوية يلقيها عليهم، فقد جند نفسه للتعليم، حتى إن معظم شعره يهدف للغرض التعليمي، رغم موهبته الشعرية التي برزت في سن مبكرة، ووسمت شعره بالعدوية والرقّة، والجزالة والقوة، كما أن لابن دريد معرفة كبيرة بعلم الأنساب، تجلّت في كثير من مؤلفاته. ومن كتبه (الاشتقاق في الأنساب)، (المقصود والممدود)، (جمهرة اللغة)، (ذخائر الحكمة)، (السحاب والغيث)، (تقويم اللسان)، (أدب الكاتب)، (الأمالي)^(١).

وقد سيطر طابع الأدب العربي بمعناه الواسع على كتاب الأمالي لابن دريد، بما ضمّه من الخبر الممتع، والشعر الرائع، واللغة القوية، والوصية النافعة، والمثل السائر، والأحاديث المسلية، والأدعية البليغة، فقد اتسم بخصائص فن الأمالي التي تجمع من كل روض زهرة، فهو كتاب متنوع غزير المادة غني بالمعلومات، فيه الأخبار التي لم تخل من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، والأقوال المأثورة، والحكم والمواعظ والوصايا من النثر، أو قصائد الشعر ومقطعاته، أو الشروح اللغوية، فابن دريد ينتقل من خبر إلى شعر دون رابط إلا ما ندر، فهدفه من الكتاب تعليمي يشبع رغبة الطلاب ويقصد إفادتهم، ويصقل أساليبهم، ويرضي شغف العالم.

وبإحصاء ما في أمالي ابن دريد من أخبار نجد أنها بلغت (٢٤٣) ثلاثة وأربعين

(١) تاريخ بغداد ١٩٥/٢، ومروج الذهب ٣٢٠/٤، وبغية الوعاة ٧٦/١.

ومئتي خبيرٍ أدبي، وأكثر من (١٧٠) سبعين ومئة مقطوعةٍ شعريةٍ ترجع إلى ما قبل القرن الرابع الهجري موثقةً بأسانيده إلى أشهر رواة العرب. ومما يلاحظ على الكتاب أننا لا نعثر فيه بين كلِّ ما ذكرنا على مادةٍ تتعلق بالنحو أو الصرف، فهو كتابٌ أدبيٌّ لغويٌّ بحت.

طُبِعَ كتاب أمالي ابن دريد الطبعة الأولى عام (١٩٨٤م) في الكويت بتحقيق (مصطفى السنوسي) السلسلة التراثية رقم (١٠).

شاهد من الكتاب:

من الأخبار المقرونة بآيات قرآنية كريمة -الخبر الثامن والخمسون بعد المئة-: (عن مجالد قال: قيل للشعبي إنّا لنستحيي مما تُسأل فتقول: لا أدري، فقال لكن ملائكة الله لم يستحيوا حيث سئلوا عما لا يعلمون ، فقالوا: «لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم»^(١)).

ومن الأخبار المقرونة بالأحاديث الشريفة -الخبر السادس والأربعون- : (أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا عمي الحسين بن دريد عن ابن عائشة عن صفوان بن عيسى قال: حدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: اطلبوا الحوائج إلى الحسان الوجوه، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن إنما يعني من الوجوه التي تحل، فقال ابن عائشة: لا إلا من الوجوه التي يدل عليها الخير و أنشد:

وجهُكَ الوجهُ لو تُسأل به المُزُنُ من الحُسْنِ والجَمالِ استهلاً^(٢)

ومن الأدعية البليغة: (ما رواه الأصمعيّ قال: بلغني أنّ معاذ بن جبل كان يقول إذا تعارَّ (أرق) من وسنِّه ليلاً: (اللهم غارت النُّجوم، ونامت العيون، وأنت حيٌّ قيوم، لا

(١) أمالي ابن دريد، ١٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ١٠٢.

تأخذك سنة ولا نوم، فراري من النار بطيء، وطلبي الجنة ضعيف، وليس عندي إلا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك^(١).

٤- أمالي أبي علي القالي:

هو أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، نسبةً إلى (قالي قلا) في أرمينيا الأصل الذي يتحدّر منه، ونسبةً إلى بغداد لطول مُقامه فيها، وهو أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب . ولد القالي في (منازجرد) بالجزيرة الشاميّة سنة (٢٨٨هـ) ونشأ فيها، ثم رحل إلى العراق وأقام فيه (٢٥) سنة، حيث تعلّم في بغداد وتلقّى الأدب والنحو واللغة في مساجدها، وعلى يد كبار شيوخها من العلماء والأدباء، ومنها رحل إلى الأندلس تلبيةً لدعوة الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٣٠هـ) فاستقبل استقبالاً عظيماً، وكان موضع إكرام الحكام والعلماء، وعُهد إليه بمهمة التدريس في مسجدَي قرطبة والزهراء، وهناك قضى بقية حياته بين التدريس والتأليف إلى أن توفي سنة (٣٥٦هـ) .

ومن أشهر تصانيفه كتاب (النوادر) ويسمى (أمالي القالي)، (البارع)، (المقصود والممدود والمهموز) و(الأمثال)^(٢).

يُعَدُّ كتاب أمالي القالي، كتاب أدبٍ ولغةٍ، وهو من أغنى الكتب الأدبية مادةً، وأضبطها روايةً، وأدقّها تحقيقاً، يقع في ثلاثة أجزاء، عُرف الجزء الثالث منه باسم ذيل الأمالي والنوادر وهو يضمُّ الأدب بمعناه الواسع (الأخذ من كل علمٍ أو فنٍ بطرف)، ويهتم بأبحاث اللغة وقضاياها دون التعرض للنحو أو الإعراب إلا ما ندر.

والأمالي كما يدل اسمه أمالٍ كان يلقبها القالي على طلاب العلم في جامع قرطبة،

(١) أمالي ابن دريد، ١٦٨.

(٢) نفح الطيب ١/٢٥٠، ٤٨/٢، ووفيات الأعيان ١/٢٠٥.

وجامع الزهراء، كل خميس ثم ضُمَّت إلى بعضها فألفت هذا الكتاب. ولم يكن هدف القالي أن تكون كتاباً، وهذا ما يفسر طابع الاستطرد والجمع، فهو لا يخضع إلى أي شكل من أشكال التنسيق، وإنما ترد القضايا فيه بحسب ما كانت تستدعيها حاجة الإملاء وأسئلة الدارسين، وكان القالي يلجأ إلى الاستطرد كلما سنحت له خاطرة تتصل بالموضوع الذي يتحدث عنه. وكتاب الأمالي كتاب أدبي جامع، حشد فيه المؤلف مجموعة غنيّة من الأخبار، والأشعار الجميلة النادرة، وروائع من النثر، وطرائف من النوادر، وأتبع ذلك كلّ بالشرح والتفسير والتعليقات اللغوية، مما يدل على علمه الغزير، وإطلاعه الواسع على اللغة العربية .

فالباحث في الكتاب يلمس أن مادته غزيرة متنوعة، حوت الأدب من شعر، ونثر وأمثال وحكم، ونصائح ومواعظ وأخبار، وقصص ونوادر وطرائف. هذا إلى جانب تفسير آيات من القرآن الكريم، أو شروح للأحاديث النبوية الشريفة.

ومن الجدير بالذكر أن الشعر شغل الحيز الأكبر من هذه الأمالي وقد اختاره القالي على الأغلب من قصائد طويلة من غرر الشعر العربي المتسم بالجزالة والقوة وصدق العاطفة وعمق المشاعر.

ومما يلاحظ على الكتاب:

- الطابع التدريسي الذي طغى على أسلوبه ليكون أقرب في نمط تأليفه إلى الكامل للمبرد منه إلى الكتب الأخرى، والاستطرد وعدم الثبات على موضوع معين ليشابه في ذلك طريقة الجاحظ، فهو كتاب أدب وأخبار، مع اهتمام باللغة يبدو في شرح النصوص وتحليلها.
- فيه شيء من غريب القرآن والحديث، واهتمام بالإتباع والإبدال في اللغة.
- لم يضع المؤلف مخططاً لكتابه ولم يقسّمه إلى عناوين يُدرج تحتها اختياره بل وردت عفويّة دون تنظيم.

● حوى الكتاب تراجم وأخباراً لعدد من الشعراء الذين اختار من قصائدهم.

شاهد من الكتاب:

مما جاء في مقدمة الأمالي للقيالي قوله: (فأملت هذا الكتاب من حفظي في الأخمسة بقرطبة، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة، وأودعته فنوناً من الأخبار، وضروباً من الأشعار، وأنواعاً من الأمثال، وغرائب من اللغات، على أي لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا أشبعته، ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته، ولا فناً من الخبر إلا انتخلته، ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته، ثم لم أخله من غريب القرآن، وحديث الرسول ﷺ، علماً أي أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحد، وفسرت فيه من الإتيان ما لم يفسره بشر، ليكون الكتاب الذي استنبطه إحسان الخليفة جامعاً والديوان الذي ذكر فيه اسم الإمام كاملاً، وأسأل الله عصمة من الزيغ والأشر، وأعوذ به من العجب والبطر، وأستهديه السبيل الأرشد، والطريق الأقصد^(١)).

(مطلب الكلام على مادة نسا وقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ﴾^(٢) الآية. ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ﴾^(٣) الآية.

قَالَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بْنُ الْقَاسِمِ الْبَغْدَادِي: قرأ أبو عمرو بن العلاء: ما ننسخ من آية أو ننسأها. على معنى أو نؤخرها. والعرب تقول: نسا الله في أجلك، وأنسا الله أجلك، أي أخر أجلك.

وقال النبي ﷺ: من سره النساء في الأجل، والسعة في الرزق، فليصل رحمه والنساء: التأخير، يقال: بعته بنساء وبنسيئة، أي بتأخير، وأنسأته البيع.

(١) أمالي القالي، المقدمة ص ٣.

(٢) البقرة: ١٠٦.

(٣) التوبة: ٣٧.

وَقَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، والمعنى فِيهِ عَلَى مَا حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بن الأنباري، رحمه الله: أنهم كانوا إذا صدروا عَنْ مَنِي قام رَجُل من بني كنانة يُقَال لَهُ: نعيم بْن ثعلبة، فَقَالَ: أَنَا الذي لا أعاب، ولا يرد لي قضاء، فيقولون لَهُ: أَنَسِنَا شهراً، أي أَخَّر عنا حُرمة الْمُحَرَّم فاجعلها في صَفَرٍ، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا تمكنهم الإغارة فيها، لأن معاشهم كَانَ من الإغارة، فَيُجِلُّ لهم المحَرَّم ويُحَرَّم عليهم صَفَرًا، فإذا كَانَ فِي السنة المقبلة حَرَم عليهم الْمُحَرَّم وأحلَّ لهم صَفَرًا، فَقَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ .

وقَالَ الشاعر:

أَلَسْنَا النَّاسِيْن عَلَى مَعَدٍّ شَهْرَ الْحِلِّ نَجْعُلُهَا حَرَامًا
وَقَالَ الْآخَرُ:

وَكُنَّا النَّاسِيْن عَلَى مَعَدٍّ شَهْرَهُمُ الْحَرَامَ إِلَى الْحَلِيلِ^(١)

٥ - أمالي ابن الشجري:

هو أبو السعادات الشريف ضياء الدين هبة الله بن علي بن محمد الحسيني بن.... ابن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، المعروف بابن الشجري سبقت ترجمته في- الحديث عن كتب الحماسة حماسه ابن الشجري.

يضم كتاب أمالي ابن الشجري (٨٤) أربعة وثمانين مجلساً أو أمليّة، ومادتها غزيرة متنوعة، فيها أشتاتٌ من فروع الأدب بمعناه الواسع، إلى جانب علوم اللغة بمختلف فنونها، ففي الكتاب قواعد للنحو وأخرى للصرف، ومختارات أدبية من عيون الشعر العربي، وغرر نثره، تناولت شتى الأغراض والموضوعات، إلى جانب أخبار طريفة، ومشكلات إعرابية

(١) أمالي القالي ٤/١.

فلسف فيها ابن الشجري قواعد النحو، إلى مشكلاتٍ في علم العروض من زحافات البحور الشعرية وغيرها، مع أمثال عربية سائرة، وفوائد بلاغية قيّمة.

ولم ينسَ المؤلف مادة الكتابة فقد أولاهما اهتمامه، وتعرّض لبعض قواعد الخط والإملاء، وهو في ذلك كله يعرّج على المفردات اللغوية الغريبة النادرة، فيتناولها بالشرح والتفسير، ويدعم أقواله بأمثلة من الشعر، أو النثر، أو القرآن، أو الحديث. ولعلّ أبرز ما في الكتاب تلك التعليقات الكثيرة التي يوردها ابن الشجري لتيسير علم النحو وقواعده على الطلبة، وإيضاح مشكلات الصّرف وأسسها، مع شيءٍ من الشعر، باذلاً قصارى جهده ليعرض قواعد النحو والصّرف من خلال نصوص الشعر، والأخبار الأدبية الطريفة، حتى لا يأتي هذا العلم جافاً صعباً على الطالب، وهذا مما يغني فكره، ويصقل لغته، ويمتّع نفسه؛ مما أعطى للكتاب قيمةً جليّ بين الكتب القديمة في تعليم اللغة العربية.

والباحث في أمالي ابن الشجري يلمس شيئاً من التبويب في تقسيم الكتاب بجزأيه إلى حلقات أو مجالس، بلغت (٨٤) مجلساً، ولكنه لو تناول كل مجلس في البحث، لوجده قد ورّع المادة فيه توزيعاً عفويّاً كما ساقته حاجة الإملاء في المجلس الواحد، ففي كلّ مجلس عرضٌ للأدب بمعناه الواسع وفروعه المختلفة، والانتقال من فرع إلى آخر بعفوية يستدعيها الاستطراد دون تنسيق لمراحل الانتقال من مادة إلى أخرى، فإذا أراد تقديم قاعدة نحوية أو صرفية، أورد ابن الشجري خبراً أدبياً في الغالب مقروناً بأبيات شعرية تتضح فيها المشكلة التي يريد شرحها فيعمد إلى إيضاح القاعدة وقد يدعمها بذكر آية قرآنية تبدو فيها القاعدة واضحة، ثم ينتقل إلى شرح الأبيات الشعرية، أو الآية، فيشرح الألفاظ اللغوية، ثم يعود إلى متابعة الخبر الأدبي، والحديث عن الشعر في ذلك الخبر، وإذا صادفته جوازات شعرية توقف عندها وبين جوازها، وأوضح إعرابها، وقد ينتقل إلى قاعدة صرفية فيوضحها، أو إلى إملائية فيتناولها بالشرح مع الأمثلة، وقد يستوقفه بيت من الشعر فيه علل عروضية فيشير إلى زحافات البحر.. وهكذا...

لكن ابن الشجري لم يعتمد إلى إسناد الأخبار والأقوال - كعادة مؤلفي الأمالي - إلا ما كان من شعرٍ ينسبه إلى قائله.

طبع الكتاب الطبعة الأولى في دائرة المعارف الإسلامية بحيدر آباد في (٧٨) مجلساً، وطبع في وزارة الثقافة بدمشق بتحقيق عبد المعين ملوحي وأسماء الحمصي (١٩٧٠م) في جزئين، كما طُبِعَ في مؤسسة الرسالة ببيروت (١٩٨٤م) بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن من كلية الآداب ببغداد في (٨٤) مجلساً.

شاهد من الكتاب:

مما أورده ابن الشجري (في المجلس الثاني) (تقاسيم في التثنية) فقال: (التثنية والجمع المستعملان بالحرف أصلهما: التثنية والجمع بالعطف. فقولك: جاء الرجلان ومررت بالزيدين أصله: جاء الرجل والرجل ومررت بزيد وزيد فحذفوا العاطف والمعطوف، وأقاموا حرف التثنية مقامهما اختصاراً، وصحَّ ذلك لاتفاق الذاتين في التسمية بلفظ واحد، فإذا اختلف لفظ الاسمين، رجعوا إلى التكرار بالعاطف كقولك: جاء الرجل والفرس، ومررت بزيد وبكر إذا كان ما فعلوه في المتفقين من الحذف يستحيل في المختلفين. ولما التزموا في المتفقين من الحذف، كان التزامه في الجمع مما لا بد منه ولا مندوحة عنه، لأن حرف الجمع ينوب عن ثلاثة فصاعداً، إلى ما لا يدركه الحصر. ويدل على صحة ذلك أنه ربما رجعوا إلى الأصل في تثنية المتفقين وما فوق ذلك من العدد فاستعملوا التكرير بألفاظه، إما للضرورة وإما للتفخيم. فللضرورة كقول القائل كأن بين فكَّها والفكَّ. أراد أن يقول: كأن بين فكَّيها، فقاده الوزن والقافية إلى استعمال العطف ومثله: (ليثٌ وليثٌ في مكان ضنك) ومثله في ما جاوز الاثنين قول أبي نواس:

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يوم الترحُّل خامس^(١)

(١) أمالي ابن الشجري، المجلس الثاني / ١٤.

البَابُ الثَّانِي

المصادر اللغوية والنحوية والصرفية

المعاجم

كتب فقه اللغة

كتب النحو والصرف



الفَصْلُ الْأَوَّلُ

المصادر اللغوية (١)

المعاجم

معاجم الألفاظ

معاجم المعاني

المعاجم العربية الحديثة



المعجم

المعجم كتاب يضم كمّاً ضخماً من مفردات اللغة، ويتضمن شرحها وتفسير معانيها، ويعنى بضبطها، وطريقة نطقها، واشتقاقها، مع إيراد شواهد تبين مواضع استعمالها، ولفظة «المعجم» مشتقة من الجذر اللغوي (عَجَمَ)، وهي تدل على الإبهام والغموض والخفاء، والبعد عن الفصاحة والبيان، ومنه رجل أعجمي وأعجم ومستعجم وهو من كان في لسانه عُجْمة أي لا يفصح في كلامه، وعجم التمر والزبيب: النواة في داخل الثمرة وكل ما كان في جوف مأكول، سميت بذلك لخفائها واستتارها، والعجماء: البهيمة، جمعها عجماءات وهي الحيوانات سميت بذلك لعدم قدرتها على النطق والكلام^(١).

والمُعْجَم اسم مفعول على وزن مُفْعَل، من الفعل أَعْجَمَ يُعْجَم، وصيغة (أعجم) على وزن (أفعل) تدل على إثبات الأمر أو نفيه، تبعاً لموقعها في السياق، والدلالة المرتبطة بها؛ فالفعل (أشكى) في قولنا: (أشكى فلاناً) يعني: أزلت الشكوى عنه، لا جعلته يشكو، والفعل (أعجم) يأتي بمعنى النفي والإثبات فقولنا: أعجم في كلامه: أي جعله أعجمياً بعيداً عن الفصاحة والبيان، ولكن قولنا: (أعجم الكتاب) أي: أزال عُجْمَتَهُ وإبهامه وغموضه بالنقط أو بالشرح والتفسير، فالمعجم هو الكتاب الذي زال الإبهام والغموض عن الألفاظ فيه بالضبط والشرح، وبيان مواضع الاستخدام، وتجمع لفظة المعجم على مُعْجَمَات ومُعْجَم.

ثمّة لفظة أخرى شاع استعمالها بين اللغويين، وأطلقت على المعاجم وهي القواميس جمع كلمة قاموس، معناها في الفارسية البحر الواسع العميق، وقد أتت من معجم الفيروز أبادي (القاموس المحيط) الذي كثر استعماله، فأصبحت كلمة قاموس مرادفة لكلمة معجم.

للمعاجم أنواع متعددة: منها معاجم الألفاظ، ومعاجم المعاني، والمعاجم التي تعنى بترجمة

(١) انظر ما ورد في الصحاح للجوهري مادة (عجم) ٢٨٣/٧.

الألفاظ من لغة إلى لغة أخرى، والمعاجم المتخصصة التي تجمع ألفاظ علم، أو اتجاه أو فن معين مع مصطلحاته، والمعاجم التاريخية التي تتناول الألفاظ من حيث نشوؤها وتطورها عبر العصور.

سنتناول في هذا الفصل نوعين مهمين من المعاجم هما: معاجم الألفاظ، ومعاجم المعاني ولكن قبل دراسة هذين النوعين لابد من معرفة المراحل التي مرَّ بها المعجم العربي حتى أصبح في صورته المكتملة، هذه المراحل التي جمعت فيها اللغة ليست منفصلة زمنياً أو متعاقبة وإنما هي متداخلة متزامنة، لكن تقسيمها على هذا النحو يحقق السهولة واليسر في دراستها، يدلّ على ذلك أن بعض الأعلام من علماء اللغة صنفوا الرسائل الصغيرة، والكتب في زمن واحد، وسيتضح ذلك في مراحل نشوء معاجم الألفاظ.

جمع اللغة

تضافرت مجموعة من العوامل التي دفعت العلماء إلى جمع اللغة وتدوينها ودراستها، ففي المقام الأول تتصدّر خدمة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تلك العوامل، يتجلى ذلك في ضرورة فهم كلام الله عز وجل ورسوله الكريم محمد ﷺ، ووجوب بيان الجوانب اللغوية والنحوية والبلاغية فيهما، ومن هذه العوامل حرص العلماء على اللغة العربية، وصونها من العجمة، واللحن (الخطأ في النطق والإعراب) لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية ودخول كثير من الأعاجم في الدين الإسلامي واحتكاكهم بالعرب، وتأثير ذلك في صفاء اللغة وفصاحتها، يضاف إلى ذلك الرغبة في دراسة اللغة لذاتها، فبعد ما كانت وسيلة لخدمة الدين الإسلامي وإعلاء شأنه، وفهم الكتاب والسنة اللذين أظهرها اللغة العربية الفصيحة في أبهى صورها، أصبحت اللغة وعلومها غاية سعى إليها علماء غير عليها، شمروا عن سواعدهم، ونهضوا لجمعها وتدوينها ووضع مصنفات فيها حباً لها، ورغبة في سبر أغوارها، فيتمموا وجوههم نحو البوادي حيث كانت اللغة فيها فصيحة سليمة خالية من شوائب العجمة، وقام هؤلاء العلماء الرواد بملازمة الأعراب الفصحاء، والسماع منهم وتلقف

ما يتفوهون به من ألفاظ وأشعار وأخبار وأمثال.

لقد كانت مصادريهم الأساسية في جمع اللغة وتدوينها: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وما سمعوه من الأعراب الفصحاء، أو نقلوه عنهم.

معاجم الألفاظ

هي كتب لغوية تساعد في الكشف عن لفظ نجهل معناه، أو لا نمتلك المعرفة الدقيقة عنه، وتفيد في ضبط الألفاظ، والاطلاع على تطوّر معانيها ودلالاتها، ومعرفة الشواهد المتنوعة التي وردت فيها تلك الألفاظ.

مراحل نشوء معاجم الألفاظ

أثمرت جهود علماء اللغة في القرنين الهجريين الأول والثاني مصنفات دوّنوا فيها ما جمعوه من الألفاظ والأساليب اللغوية، والنوادر والغريب، وقد ظهرت هذه المصنّفات ضمن أشكال أو أنماط تأليفية تطوّرت فيها من حيث المنهج وطريقة عرض المادة اللغوية، سنتناول هذه الأشكال منذ بداية ظهورها وصولاً إلى المعاجم.

الشكل الأول:

الرسائل اللغوية الصغيرة وكتب النوادر والغريب، وهي مصنفات لم يلتزم فيها أصحابها ترتيباً معيناً أو منهجاً محدّداً واضحاً، فقد عرضوا الألفاظ النادرة، والاستخدامات اللغوية الغريبة، وشرحوا قسماً منها دون تبويب وتنظيم.

لم تقتصر جهود العلماء في هذه المصنّفات على غرائب اللغة ونوادرها التي جمعوها من كلام الأعراب الفصحاء، وإنما تناولت غريب القرآن الكريم وغريب الحديث النبوي الشريف، وقد ظهرت طائفة من العلماء الذين صنفوا كتباً في أكثر من نوع من أنواع الغريب، (غريب القرآن، غريب الحديث، غريب اللغة ونوادرها)، منهم قطرب ٢٠٦هـ، والأصمعي ٢١٦هـ،

وابن الأعرابي ٢٣١هـ، وغيرهم..

أشهر المصنفات التي ظهرت في هذه المرحلة ضمن هذا النمط التأليفي كتب النوادر، كالنوادير لأبي زيد الأنصاري^(١) ٢١٥هـ، والنوادر لأبي مسحل الأعرابي ٢٣١هـ^(٢).

من العلماء الذين ألفوا في نوادر اللغة، ولم تصلنا كتبهم أبو عمرو بن العلاء ١٥٧هـ، ويونس بن حبيب ١٨٢هـ، والكسائي ١٨٩هـ، وقطرب ٢٠٦هـ، وأبو عمرو الشيباني ٢٠٦هـ، والفراء ٢٠٧هـ، والأصمعي ٢١٦هـ، وغيرهم...

من الطبيعي أن تتسم حركة جمع اللغة بالعفوية، وأن يكون التدوين فيها بعيداً عن التنسيق أو الترتيب على غرار ما كانت عليه حركة جمع الشعر، فقد كانت الغاية متجهة إلى لَمّ المتفرّق، وجمع المتناثر^(٣).

لذلك قسّم أبو زيد الأنصاري كتابه (النوادر في اللغة) إلى خمسة عشر باباً: ثلاثة منها للشعر، وسبعة للرجز، وخمسة للنوادر، لكنها قسمة شكلية، فالأبواب متشابهة من حيث المضمون، وهي تدل على طريقة عفوية في عرض المادة اللغوية، فقد تقصّى أبو زيد الألفاظ النادرة، والاستعمالات الغريبة في الكلام، وعزّز ذلك بشواهد من الشعر والرجز والأمثال والقرآن الكريم والحديث الشريف، وأضاف بعض التعليقات النحوية والصرفية والعروضية.

وفي نوادر أبي مسحل الأعرابي يبدو جهد اللغوي في أولى مراحل جمع اللغة وتدوينها، فالألفاظ النادرة لا تسير وفق نسق واضح المعالم، إذ نجد الجزء الأول منه يتضمن مجموعة كبيرة من الألفاظ المستمدة من موضوعات متعددة لا رابط بينها، أما الجزء الثاني فقد جاء

(١) هو مطبوع صادر عن دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، علق عليه سعيد الخوري الشرتوني.

(٢) هو مطبوع في جزئين، حققه د. عزة حسن صادر عن مجمع اللغة العربية بدمشق، عام ١٩٦١ م.

(٣) انظر مصادر التراث العربي، د. عمر الدقاق، ص ١٣٧.

في بابين، الأول: اشتمل على الألفاظ المتعلقة بالنخل وزرعه، وأجزائه.. والباب الثاني: احتوى كثيراً من الألفاظ الغريبة والأساليب التي قلّ استعمالها في الكلام، وقد عرضها أبو مسحل في طريقة لا تختلف عن طريقة أبي زيد، فيما أن يذكر الشعر أو الرجز ثم يشرح ما فيهما من النادر، وإما أن يذكر اللفظ النادر ثم يسوق معه شاهداً من الرجز أو الشعر أو أقوال العرب وأمثالهم أو القرآن الكريم أو الحديث الشريف، ولا يخلو الكتاب من بعض التعليقات المرتبطة بالظواهر اللغوية كالمشترك اللفظي والترادف والأضداد واللغات.

من الكتب التي تمت بصلة وثيقة إلى كتب النوادر كتب غريب اللغة التي كانت مع كتب النوادر من المصادر الأساسية التي أخذ منها مؤلفو المعاجم اللغوية الشاملة مادة مصنفاتهم، من هذه الكتب: (الغريب المصنّف) لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤هـ، و(المنتخب من غريب كلام العرب) لعلي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل ٣١٠هـ، و(غريب اللغة) لمحمد بن القاسم الأنباري ٣٢٨هـ.

من الكتب التي ظهرت ضمن هذا النمط التأليفي: كتب غريب القرآن الكريم التي صنفها عدد من العلماء منهم: أبو فيد مؤرج بن عمر السدوسي ١٩٥هـ، والنضر بن شميل ٢٠٣هـ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ٢١٠هـ، والأصمعي ٢١٦هـ وغيرهم^(١).

ومنها أيضاً كتب غريب الحديث الشريف التي ألّف فيها: النضر بن شميل ٢٠٣هـ، وقطرب ٢٠٦هـ، والفراء ٢٠٧هـ، وأبو عبيدة بن معمر بن المثنى ٢١٠هـ، والأصمعي ٢١٦هـ وغيرهم^(٢).

(١) منهم: ابن قتيبة ٢٧٦هـ، كتابه (تفسير غريب القرآن)، والراغب الأصفهاني ٥٠٢هـ كتابه (المفردات في غريب القرآن) وهما مطبوعان.

(٢) منهم: أبو عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤هـ كتابه: (غريب الحديث)، محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ كتابه: (الفائق في غريب الحديث)، ابن الأثير الجزري مجد الدين ٦٠٦هـ كتابه: (النهاية في غريب الحديث) وهي مطبوعة.

الشكل الثاني:

الرسائل والكتب الصغيرة التي دوّنت فيها الألفاظ بالاعتماد على وحدة الموضوع أو على جوانب لغوية أو لفظية معينة، فظهرت بذلك ملامح التطور المنهجي في عرض المادة اللغوية.

١ - الكتب التي وضعت وفق موضوع معين:

كتاب المطر، وكتاب اللبأ واللبن لأبي زيد الأنصاري^(١)، وكتاب الخيل، وكتاب الإبل، وكتاب الشاء، وكتاب أسماء الوحوش وصفاتها، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب النخل والكرم، وكتاب النبات والشجر للأصمعي^(٢)، فكل كتاب من هذه الكتب يشتمل على الألفاظ التي تدور حول محور واحد، وترتبط بموضوع محدد.

٢ - الكتب التي رتب فيها الألفاظ وفق أحد حروف أصولها:

منها كتاب المميز لأبي زيد الأنصاري، وهو صغير الحجم يقع في تسع وعشرين صفحة، لذلك يمكن وصفه بالرسالة أيضاً، وفي هذا الكتاب أورد الكلمات التي تنتهي بهمزة وتبدأ بحرف من حروف اللغة، فإذا أنهى الكلمات التي تبدأ بهذا الحرف، انتقل إلى مجموعة أخرى تبدأ بحرف آخر، وتنتهي بالهمزة أيضاً، ولكنه لم يرتّب هذه الكلمات ترتيباً هجائياً، كما أنه لم يرتّبها ترتيباً هجائياً ضمناً أيضاً، فعلى سبيل المثال أورد الألفاظ: رزأ - ربأ - رجأ - رفاً - بلا ترتيب هجائي.

(١) طبع كتاب المطر وكتاب اللبأ واللبن في بيروت ١٩٠٨م في مجموعة من الرسائل اللغوية بعنوان (البلغة في شذور اللغة) بعناية المستشرق هفتر والأب لويس شيخو.

(٢) طبع كتاب النخل والكرم، وكتاب النبات والشجر، في مجموعة (البلغة في شذور اللغة) وطبع كتاب الإبل وكتاب خلق الإنسان في مجموعة (الكنز اللغوي في اللسان العربي) الصادر في بيروت وطبع كتاب الشاء وكتاب الخيل بعناية المستشرق هفتر، وطبع كتاب أسماء الوحوش وصفاتها بعناية المستشرق جابر.

٣ - الكتب التي رُتبت فيها الألفاظ اعتماداً على جوانب لغوية متعددة، منها:

• كتب الأضداد وهي كتب جمعت فيها الألفاظ التي تدلّ على معنيين متضادين كالجون التي تعني الأبيض والأسود، والصريم التي تدل على الليل والنهار.

من أشهر العلماء الذين صنفوا كتباً في الأضداد الأصمعي ٢١٦هـ، وأبو حاتم السجستاني ٢٥٥هـ، وابن السكّيت ٢٤٤هـ، وقد طبعت كتبهم معاً بعنوان (ثلاثة كتب في الأضداد)^(١)، ومنهم أيضاً ابن الأنباري ٣٢٨هـ صاحب كتاب (الأضداد).

• كتب مثلث الكلام وهي كتب رُتبت فيها الألفاظ التي وردت كل لفظة منها بحركاتها الثلاث وبمعانٍ مؤتلفة أو مختلفة، كالعُمر: الماء الكثير، والعُمر: الإنسان الغرّ الذي لم يدخل معترك الحياة، و الغمر: الحقد والغل، والألوة، والألوة والإلوة: اليمين، وممن صَنَّف في مثلث الكلام قطرب ٢٠٦هـ، وابن السّيد البَطْلِيُّوسي ٥٢١هـ، وابن مالك ٦٧٢هـ.

• كتب المذكر والمؤنث وهي الكتب التي جمعت فيها الألفاظ الدالة على المذكر أو على المؤنث، من أشهر العلماء الذين صنفوا كتباً في هذ الجانب الفراء ٢٠٧هـ^(٢)، والأصمعي ٢١٦هـ، وابن السكّيت ٢٤٤هـ، والمفضل بن سلمة ٢٩٠هـ أو ٣٠٠هـ، وابن الأنباري ٣٢٨هـ وغيرهم.

• كتب المشترك اللفظي وهي الكتب التي جمعت فيها الألفاظ التي تدل كل منها على أكثر من معنى واحد، ومن هذه الكتب (المدّاخل في اللغة) لأبي عمر المطرّز المعروف بالزاهد ٤٣٥هـ، و(شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة) لأبي الطيب اللغوي ٣٥١هـ،

(١) نشرها المستشرق هفتر في بيروت ١٩١٣م.

(٢) كتابه مطبوع ضمن مجموعة لغوية تشتمل على كفاية المتحفظ في اللغة لابن الأجدابي، ومختصر كتاب الوجوه في اللغة للخوارزمي، والمذكر والمؤنث للفراء.

و(المسلسل في غريب لغة العرب) لأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي ٥٣٨هـ.

صُنفت هذه الكتب في زمن متأخر عن تصنيف الكتب السابقة، ولكنها تركت أثراً في تصنيف معاجم المعاني فيما بعد.

٤ - كتب الأبنية الصرفية للأسماء والأفعال:

منها كتب الاشتقاق وهي كتب جمعت فيها الألفاظ ذات الاشتقاق الواحد، مثل كتاب (فَعَلَ، وَأَفْعَلَ) لقطرب ٢٠٦هـ، وكتاب (فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ) لأبي حاتم السجستاني ٢٥٥هـ، وكتاب (فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ) للزجاج ٣١١هـ^(١) منه على سبيل المثال ما ورد في (باب الباء من فعلت وأفعلت والمعنى واحد):

«بَشَرْتُ الرجل بخير، وَأَبَشَرْتُهُ أَبَشْرُهُ وَأَبَشْرُهُ، وَأَبَشَرَهُ وبَشْرَتُهُ، مشدداً أيضاً من البشارة، وإنما قيل لها البشارة لأن الرجل إذا سمع ما يحبَّ حَسُنَتْ بَشْرُهُ وجهه...، وتقول: بدأ الله الخَلْقَ يَبْدُوهُمْ بَدْءاً، وأَبْدَأَهُمْ إِبْدَاءً، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾، وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فهذا من أبداً»^(٢).

ثمّة كتب اهتم فيها أصحابها بصيغ الأسماء، منها: كتب المقصور والممدود، وهي الكتب التي جمعت فيها الألفاظ المنتهية بمزة بعد ألف زائدة، وهي الألفاظ الممدودة مثل: رداء، علباء، حمراء، ومعها الألفاظ المنتهية بألف زائدة أو غير زائدة وهي الألفاظ المقصورة مثل: ملهى، مرمى، بشرى.

من أشهر العلماء الذين صنفوا في المقصور والممدود، أبو محمد يحيى بن المبارك البيهقي

(١) هو مطبوع وصادر عن الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ١٩٨٤م.

(٢) فعلت وأفعلت، ص ٥١، تحقيق: رمضان عبد التواب وصبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٥م.

٢٠٢ هـ، والفرّاء ٢٠٧ هـ، والأصمعي ٢١٦ هـ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤ هـ، وابن السكيت ٢٤٤ هـ، وابن دريد ٣٢١ هـ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن ولّاد ٣٣٢ هـ، وغيرهم^(١)..

الشكل الثالث:

هو المعاجم الشاملة الواسعة، ففي هذه المرحلة صُنفت مجموعة من المعاجم التي اتصفت بالاستيعاب والشمول والتنظيم.

أول معجم شامل منظّم وصل إلينا هو معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي^(٢) ١٧٥ هـ، وهو باكورة التأليف المعجمي الذي يسير على نسق محدد، ويعتمد على منهج واضح في عرض المادة اللغوية، وقد فتح الخليل باب التأليف في المعاجم، فسار بعضهم على منهجه، وابتدع لغويون آخرون طرائق أخرى.

سنستعرض هذه الطرائق ونبين المعاجم التي سارت وفقها:

أ - الطريقة الأولى: رتبت فيها الألفاظ بحسب مخارج الحروف، وهي طريقة ابتدعها الخليل، وتبعه فيها آخرون من أشهر علماء اللغة والأدب، منهم: أبو علي القالي ٣٥٦ هـ، معجمه (البارع)، وأبو منصور الأزهري ٣٧٠ هـ معجمه (تهذيب اللغة)، والصاحب بن عبّاد ٣٨٥ هـ معجمه (المحيط في اللغة)، وابن سيده ٤٥٨ هـ معجمه (المحكم والمحيط الأعظم).

(١) انظر: المقصور والممدود لابن ولاد، تحقيق الدكتور إبراهيم عبد الله، المقدمة، ص ١٨ - ١٩.

(٢) من أشهر علماء البصرة في اللغة والنحو والعروض والموسيقا والشعر، كان ورعاً زاهداً في الدين مقبلاً على العلم، وهو أستاذ سيبويه، توفي في البصرة، انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧٢/١، وإنباه الرواة للقفطي ٣٤١/١، والأعلام للزركلي ٣١٤/٢.

فالترتيب المتبع في هذه المعاجم ترتيب صوتي وسنين ذلك في موضعه.

ب - الطريقة الثانية: رتب فيها الألفاظ ترتيباً هجائياً (ألفبائياً) مع مراعاة أوائل

الأصول، من أشهر العلماء الذين صنفوا معاجمهم وفق هذه الطريقة:

ابن دريد ٣٢١هـ معجمه (جمهرة اللغة)، وابن فارس ٣٩٥هـ وله معجمان هما (مقاييس

اللغة) و (محمل اللغة)، والزمخشري ٥٣٨هـ معجمه (أساس البلاغة).

ج - الطريقة الثالثة: رتب فيها الألفاظ ترتيباً هجائياً ألفبائياً مع مراعاة أواخر

الأصول، أشهر من صنف المعاجم وفق هذه الطريقة الجوهري ٣٩٢هـ معجمه (تاج اللغة

وصحاح العربية) وهو معروف بصحاح الجوهري، والمؤلف هو رائد هذه الطريقة، وأول من

ابتدعها وسار عليها.

ومنهم: الصاغاني ٦٥٠هـ، معجمه (الغُباب الزاخر) وله كتاب (التكملة والذيل

والصلة) الذي جمع فيه مافات الجوهري في معجمه (الصحاح)، واتبع منهجه في ترتيب المواد

الغوية، وابن منظور ٧١١هـ معجمه (لسان العرب)، والفيروز أبادي ٨١٧هـ معجمه (القاموس

المحيط)، والمرتضى الزبيدي ١٢٠٥هـ، معجمه (تاج العروس من جواهر القاموس).

● الطريقة الأولى: سنتناول فيها المعاجم التي رتب فيها الألفاظ ترتيباً صوتياً وفق

مخارج الحروف، وسنبداً بمعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٥هـ^(١).

صنف الخليل حروف اللغة العربية في مجموعات تبعاً لتدرج مخرجها من جهاز النطق عند

الإنسان، ووضع لكل مجموعة اسماً يناسب خروج أصوات هذه الحروف من أعضاء جهاز

النطق.

لعل اهتمام الخليل بالموسيقا والعروض والشعر أدى إلى ابتكاره هذه الطريقة في ترتيب

(١) تقدمت ترجمته.

الحروف وفق مخارجها، وهذه المجموعات هي بالترتيب:

- الحروف الحلقية وتشتمل على ع ح ه خ غ فهي تخرج من الحلق.
- الحروف اللّهُوية وتشتمل على ق ك وهي تخرج من اللهاة.
- الحروف الشّجرية وتشتمل على ج ش ض لأنها تخرج من شجر الفم أي جوفه وما اتسع منه.
- الحروف الأسلية وتشتمل على ص س ز ومخرجها من أسلة اللسان وهي طرفه المستدق.
- الحروف النّطعية وتشتمل على ط د ت وهي تخرج من النّطع وهو موضع اللسان من الحنك.
- الحروف اللّثوية وتشتمل على ظ ذ ث ومخرجها اللّثة.
- الحروف الدّلّقية وتشتمل على ر ل ن ومخرجها دلق اللسان أي طرفه.
- الحروف الشفوية وتشتمل على ف ب م وهي تخرج من الشّفة.
- الحروف الهوائية وتشتمل على حروف العلة وهي: و ا ي وهي تخرج من الهواء الصادر من الفم.

فترتيب الحروف عند الخليل إذن كما يلي:

ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي
قد يختلف ترتيب هذه الحروف اختلافاً طفيفاً في بعض المعاجم الأخرى التي اتبعت طريقة الترتيب الصوتي لمخارج الحروف.
بدأ الخليل بحرف العين مع أنه ليس أقصى حروف الحلق، فالهمزة تسبقه في ذلك، لأن

العين حرف لا يلحقه إبدال أو حذف كالذي يطرأ على الهمزة، والبدائية بحرف العين جعلت المعجم يحمل اسم العين.

وعن ذلك نذكر ماورد في مقدمة المعجم عن الغاية من تأليفه وسبب الابتداء بحرف العين: «هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري - رحمه الله - من حروف أ، ب، ت، ث، مع ما تكلمت به... أراد أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومحاطبتها... فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول أ، ب، ت، ث، وهو الألف، لأن الألف حرف معتل، فلما فاتته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق... فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب».

اتبع الخليل في معجم العين منهجاً واضحاً يقوم على الأسس التالية:

- رتب المواد اللغوية بحسب مخارجها ترتيباً صوتياً.

- استقصى الأبنية في اللغة، فأورد الثنائية، والثلاثية، والرابعة، والخماسية، وكانت هذه الأبنية الأساس الذي اعتمد عليه في تقسيم معجمه إلى أبواب.

- اتبع نظام التقاليب: فالثنائي له تقلبان، والثلاثي له ستة تقاليب، والرابعي له أربعة وعشرون تقليباً، والخماسي له مئة وعشرون تقليباً.

ففي الجذر اللغوي (ح . ر . ب) نجد: حرب، حبر، برح، بحر، ربح، رحب.

وفي الجذر اللغوي (ع . د . م) نجد: عدم، عمد، معد، دعم، دمع، مدع.

وكان ينبه على ما ليس له معنى، أو استعمال عند العرب من هذه التقاليب، فلفظة (مدع) على سبيل المثال لم تستعمل من كلام العرب، فأُهملت.

أظهر نظام التقاليب الألفاظ التي تحمل المعاني والدلالات في البناء الثلاثي، ولكنه في

الوقت نفسه أفرز كثيراً من الألفاظ المهملة، وغير المستعملة خاصة في البناءين الرباعي والخماسي، إذ يكثر عدد الحروف وتكثر الثقاليب، وكان الخليل يشير إلى المستعمل والمهمل في الأبنية الثنائية والثلاثية، أما في الأبنية الأخرى فكان يكتفي بإيراد المستعمل دون المهمل.

- أورد الخليل الألفاظ في معجمه معتمداً على الجذر الأصلي لها، فجردها من حروف الزيادة واكتفى بحروفها الأصلية.

- جعل معجمه أقساماً على عدد الحروف، وسمى كل قسم كتاباً، فكل كتاب خاص بحرف من الحروف وبدأ بكتاب (العين)، ثم قسم كل كتاب (حرف) إلى أبواب جاءت على النحو التالي:

● **باب الثنائي الصحيح أو الثنائي المضاعف:** وهو ما اجتمع فيه حرفان متماثلان من الحروف الصحيحة (أي لفظ أدغم فيه الحرفان المتشابهان أو المثلان مثل: (عقّ، قعّ).

سماه الخليل بالثنائي المضاعف أو المضعف لأنه لم يفك التضعيف، وقد بدأ بأول حرف وهو العين وألحقه بالحرف الذي يليه وفق الترتيب الصوتي وهو الحاء، ثم ألحقه بالهاء، ثم بالغين وهكذا حتى وصل إلى العين مع الميم، ولم يقف عند العين مع حروف العلة أو (الحروف الهوائية أ و ي).

● **باب الثلاثي:** وهو ما اشتمل على ثلاثة أحرف، ومنه الصحيح والمعتل.

وقد بدأ بالثلاثي الصحيح وهو ما كانت حروفه الثلاثة صحيحة، غير معتلة، وتناول أيضاً ضمن كل حرف الثلاثي المعتل فعلى سبيل المثال: في باب الثلاثي الصحيح من حرف العين ذكر باب العين والهاء والقاف، وقال: ع ه ق. ه ق ع مستعملان ع ق ه. ق ه مهملان ثم ذكر باب العين والهاء والكاف، وباب العين والهاء والجيم ثم انتقل إلى باب العين والضاد والهاء وقال: (ع ض ه مستعمل فقط) ثم ذكر باب العين

والهاء والزاي فالعين والهاء والطاء، فالعين والهاء والذال وهكذا...، وآخر الثلاثي الصحيح كان باب (عيم) العين والباء والميم، وذكر بعد أبواب الثلاثي الصحيح أبواباً من الثلاثي المعتل مثال ذلك:

باب العين والهاء وما يكون معهما من (و ا ي) مثل (عوه، هوع، هيع مستعملات)، باب العين والحاء وما يكون معهما من (و ا ي) مثل (خوع يستعمل فقط).

● **باب اللفيف:** وهو ما اجتمع فيه حرفا علة في أي موضع، ويشتمل على اللفيف المفروق واللفيف المقرون معاً^(١)، ففي اللفيف من العين ذكر الجذر (عوي)، وأورد المعاني المختلفة باختلاف الألفاظ المشتقة منه كالعوّاء والمعاوية، والعوّة، ثم ذكر الجذر (عيي) ثم (وعي)، وانتقل بعد ذلك إلى باب الرباعي.

● **باب الرباعي:** وهو ما تألف من أربعة حروف أصلية مثل دحرج، عكبر، هجرع، عسقل.

● **باب الخماسي:** وهو ما تألف من خمسة أحرف أصلية مثل: سَفَرَجَل، وفي باب الخماسي من العين قال الليث عن الخليل: «الخماسي من الكلمة على خمسة أحرف، ولا بد أن يكون من تلك الخمسة واحد أو اثنان من الحروف (ر ل ن ف ب م) فإذا جاءت كلمة رباعية أو خماسية لا يكون فيها واحد من هذه الستة فاعلم أنها ليست بعربية»^(٢)، وذكر من الخماسي: عفنقس و عقنفس، هبنقع، قذعمل...

ثمة خلاف بين العلماء في نسبة معجم العين إلى الخليل، فقد قيل: إنه صاحب فكرة

(١) اللفيف المفروق هو ما اجتمع فيه حرفا علة وفصل بينهما حرف مثل: وعي، أما اللفيف المقرون هو ما اجتمع فيه حرفا علة ولم يفصل بينهما فاصل مثل عوي.

(٢) العين ١/١٦٠.

المعجم ولكنّ منفذها هو تلميذه الليث بن المظفر، وقيل: إن الخليل وضع فكرة المعجم وبدأ بقسم منه ثم أكمله الليث، وقيل: إن الخليل هو صاحب فكرة المعجم ووضعه.

طريقة البحث عن المادّة اللغويّة في معجم العين:

١ - نجد الكلمة من حروف الزيادة إن كانت مزيدة، والحروف مجموعة في كلمة (سألتمونيها).

٢ - نرد حرف الألف إلى أصله الواوي أو اليائي فكلمة استطاع تصبح بالتحديد طاع والألف أصلها واوي فتصبح الكلمة طوع.

٣ - نرتّب حروف الكلمة تبعاً للترتيب الصوتي الذي اعتمده الخليل في معجمه، فكلمة (طوع) ترتب حروفها ترتيباً صوتياً فتصبح عطو، فنجد عطو أولاً ثم طوع، أما سائر التقاليد فقد ذكر الخليل أنها غير مستعملة، وكلمة زرع ترتب حروفها صوتياً فتصبح عزر، وبعد الترتيب الداخلي للحروف ترتب الحروف الأولى التي تبدأ بها الكلمات المطلوبة ترتيباً صوتياً أيضاً.

٤ - إذا كانت الكلمة من باب الشائي المضعف فإنها تبقى على حالها ولا نفك التضعيف لوجود باب الشائي المضعف، والكلمات الرباعية والخماسية تبقى على حالها أيضاً.

٥ - إذا كانت الكلمة ثلاثية نقدم الثلاثي الصحيح على المعتل مثال (عرب ثم عطو).

٦ - نقدم الشائي على الثلاثي إذا اتحدا في الحرف الأول مثال: (عقّ ثم عرف).

أمثلة:

[١] - علقم - الاستعفاف - العقوق - معرفة.

• نجد كل كلمة من حروف الزيادة ولا نفك التضعيف.

علقم - عَفَّ - عَقَّ - عرف.

• نرتب الحروف في كل كلمة ترتيباً صوتياً تبعاً لمخارجها.

عقلم - عَفَّ - عَقَّ - عرف.

• نضع الكلمات من باب الشائي المضعف أولاً ثم نذكر الكلمات الأخرى مع الانتباه إلى أن الكلمات التي تشترك بالحرف نفسه تذكر الأبنية الشائية منها أولاً ثم الثلاثية وما فوقها ولو كان الحرف الثاني في الثلاثي وما فوقه سابقاً للحرف الثاني في الشائي.

فالكلمات السابقة ترتب على النحو التالي:

عَقَّ - عَفَّ - عرف - علقم.

العقوق - الاستعفاف - المعرفة - العلقم.

فالثنائي قبل الثلاثي، والثلاثي قبل الرباعي، وفي الشائي القاف قبل الفاء.

[٢] - الأضداد - الفرزدق - الأحياء - يستقل - التابعون.

• ضدّ - فرزدق - حيّ - قلّ - تبع.

• ضدّ - قزدرف - حيّ - قلّ - عتب.

• عتب - حيّ - قلّ - قزدرف - ضد.

• التابعون - الأحياء - يستقل - الفرزدق - الأضداد.

[٣] - يحيى - الأعرابي - يعطيهم - ملامة - خلّته.

• حيّ - عرب - عطو - لوم - خلّ.

• حيّ - عرب - عطو - لمو - خلّ.

• عرب - عطو - حيّ - خلّ - لمو.

فباب الثلاثي الصحيح قبل باب الثلاثي المعتل

- يعطيهم - الأعراي - يحيى - خلته - ملامة.
- [٤] - الدابة - الاستكبار - الكفاف - الجلال - اضطراب.
- دبّ - كبر - كفّ - جلد - ضرب .
- دبّ - كرب - كفّ - جدل - ضرب.
- كفّ - كرب - جدل - ضرب - دبّ.
- الكفاف - الاستكبار - الجلال - اضطرب - الدابة.

معجم العين مطبوع في سبعة أجزاء وفهارس، حققه الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، وصدر عن دار الرشيد للنشر في بغداد.

ثمة كتاب لأبي بكر الزبيدي محمد بن الحسن (٣٧٩ هـ) صاحب (طبقات اللغويين والنحويين) اختصر فيه العين وسماه (مختصر العين) وصل إلينا بفضل كثير من مضمون كتاب الخليل، وقد اتبع منهج الخليل عدد من العلماء في المعاجم التي صنّفوها، منهم:

— أبو علي القالي ٣٥٦ هـ^(١) ومعجمه (البارع):

غير فيه ترتيب الحروف تغييراً طفيفاً، وجعلها على النحو التالي:

ه ح ع خ غ ق ك ض ج ش ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و ا ي.

المؤلف هو أبو علي القالي البغدادي، واسمه إسماعيل بن القاسم بن عيذون، منسوب إلى بلدة قالنقلا، كان عالماً في اللغة والأدب في بغداد، ارتحل إلى الأندلس ودرس فيها، وألف عدداً من الكتب كالأمالي، والبارع.

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٧٤/١، وإنباه الرواة للقفطي ٢٠٤/١، ونفح الطيب للمقري

٨٥/٢، والأعلام للزركلي ٣٢١/١، وقد تقدمت ترجمته عند دراسة كتاب الأمالي .

أما أبواب المعجم فهي مماثلة لأبواب العين، لكنّ القالي أضاف بعد باب الثلاثي المعتل باباً سَمَّاه الحواشي أو الأوشاب، ذكر فيه أسماء الأصوات، ومحاكاة أصوات الطيور والحيوانات.

وقد بقيت من معجم (البارع) قِطْعٌ طبعت في مجلّد واحد بعنوان (البارع في اللغة)، بتحقيق هاشم الطعان، ونشر مكتبة النهضة في بغداد، ودار الحضارة العربية في بيروت ١٩٧٥ م.

– أبو منصور الأزهري^(١) (٣٧٠هـ) ومعجمه (تهذيب اللغة):

هو محمد بن أحمد الهروي، والأزهري نسبةً إلى جده الأزهر، أصله من هَرّاة في خراسان، كان عالماً في اللغة والفقه، أقام في قبيلة هوازن مدة طويلة، فازدادت فصاحته.

التزم في معجمه منهج الخليل في العين، وجعل أبواب المعجم على النحو التالي: المضاعف – الثلاثي الصحيح – الثلاثي المعتل مع إلحاق المهموز بالمعتل بالألف – اللفيف وهو من الثلاثي أيضاً فمن لفيف العين: (عوى – وعى) – الرباعي – الخماسي – وأكثره من الغريب الذي لا تستعمله العرب إلا في القليل النادر من الاستخدامات اللغوية.

أراد الأزهري أن يبعد عن اللغة العربية ما يسيء إليها من التصحيف والخطأ، ويعيد إليها فصاحتها ونقاء صورتها، لذلك سمّى معجمه تهذيب اللغة أي تشذيبها وتنقيتها من الشوائب، واعتمد في ذلك على السماع عن الأعراب الفصحاء، والرواية عن الثقات، مراعيّاً قدر الإمكان النأي عن الإطالة والحشو، فقد قال في مقدمة الكتاب:

«ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب»، ولكنّ المادة اللغوية في تهذيب اللغة كانت أكثر ضخامة مما هي

(١) انظر معجم الأدباء للحموي ٢٩٧/٦، والأعلام للزركلي ٣١١/٥.

عليه في معجم العين.

طبع الكتاب في خمسة عشر جزءاً مع جزء للفهارس، وحققه مجموعة من الباحثين المتخصصين في اللغة، وصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ثم صدر جزءٌ حققه الدكتور رشيد العبيدي، أورد فيه بعض الاستدراكات على الأجزاء (٧، ٨، ٩) وصدر عام ١٩٧٥ م عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وصنع له صلاح الفرطوسي فهرساً للمواد اللغوية في مجلة المورد العراقية.

- صاحب بن عبّاد ٣٨٥هـ^(١) ومعجمه (المحيط في اللغة):

المؤلف هو أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد الأصبهاني، كان كاتباً للوزير ابن العميد في زمن حكم بني بويه، والصاحب لقب أطلقه عليه أبو منصور بويه بن ركن الدولة، وابن عباد هو صاحب القول الشهير عن كتاب العقد الفريد: «هذه بضاعتنا ردت إلينا». لم يتعد فيه عن منهج الخليل، فقد التزم الترتيب الصوتي للحروف، ورتب الأبواب ضمن كل حرف كما رتبها الخليل، فبدأ بالشائي المضعف، فالثلاثي الصحيح، فالثلاثي المعتل، فالرباعي، فالخماسي، وفي معجمه يجد القارئ اهتماماً بالعبارات المجازية. الكتاب مطبوع، حققه محمد حسن آل ياسين، وهو صادر عن دار عالم الكتب في بيروت.

- ابن سيده الأندلسي ٤٥٨هـ^(٢) ومعجمه (المحكم والمحيط الأعظم):

المؤلف هو أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى، أصله من مرسية، كان أديباً لغوياً،

(١) انظر وفيات الأعيان ٧٥/١، ومعجم الأدباء ٢٧٣/٢، والأعلام للزركلي ٣١٦/١.

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٤٢/١، وإنباه الرواة للقفطي ٢٢٥/٢، ونفح الطيب للمقري ٨٧٥/٢، والأعلام للزركلي ٢٦٣/٤.

ذا مكانة علمية مرموقة، ألف مع كونه ضريباً معجمي المحكم والمخصص، وله شرح مشكل شعر المتنبي.

قصد ابن سيده في معجمه أن يجمع ما تفرّق من المواد اللغوية في الكتب والرسائل؛ ليكون مصدراً يغني عن الرجوع إليها جميعاً، واهتم فيه بشرح كثير من المسائل النحوية والصرفية، وعني فيه بجودة التنظيم وحسن العرض.

الكتاب مطبوع، وصادر عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي، حققه عدد من الباحثين منهم: مصطفى السقا، د. حسين نصار، عبد الستار فراج، إبراهيم الإياري.

● الطريقة الثانية: سندرس فيها المعاجم التي رُتبت فيها الألفاظ ترتيباً هجائياً ألفبائياً مع مراعاة أوائل الأصول.

ابتعد العلماء في هذا النوع من المعاجم عن الترتيب الصوتي، ونظام التقاليب، وسعوا إلى تصنيف معاجم أكثر سهولة من حيث ترتيب الحروف، وعرض المواد اللغوية، من هذه المعاجم:

– جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي^(١) ٣٢١هـ:

المؤلف هو أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، كان عالماً في اللغة والأدب، وشاعراً وله ديوان مطبوع، اتصل بالمقتدر العباسي ونال عنده مكانة عالية، من مؤلفاته: الاشتقاق، الملاحن، وهما مطبوعان.

وقد أراد في معجمه أن يجمع (الجمهور) من كلام العرب، ويعدّ الوحشي المستنكر، فاستوعب الفصح المتداول، واهتم بالغريب الفصيح، وأورده ضمن أبواب المعجم، أما منهج ابن دريد في معجمه فهو يقوم على الأسس التالية:

(١) انظر وفیات الأعيان لابن خلكان ٤٩٧/١، ومعجم الأدباء ٤٨٣/٦، والأعلام للزركلي ٨٠/٦.

- اعتمد على الترتيب الهجائي (الألفبائي) للحروف.
- أبقى على نظام التقاليد الذي اعتمد فيه على الترتيب الألفبائي لجميع حروف اللفظة، فالباحث عن كلمة (المعجم) في الجمهرة يجب أن يجدها في (جمع) لا في (عجم)؛ لأن ابن دريد اعتمد على الترتيب الألفبائي الضمني لكل لفظة فالجيم تسبق العين والعين تسبق الميم.
- قسّم الأبنية إلى الثنائي الصحيح فبدأ بالثنائي المضاعف وألحق به الرباعي المكرّر أو الرباعي المضاعف مثل بثبث و بججج، والثنائي في المعتل وما تشعب منه (وهو اللفيف عند الصرفيين)، ثم انتقل إلى الثلاثي الصحيح وألحق به عدة أبواب هي: المعتل العين^(١)، والمعتل اللام^(٢) ثم النوادر في الهمز^(٣)، ثم أورد الرباعي الصحيح، وألحق به عدة أبواب، ثم الخماسي الصحيح وألحق به أيضاً عدة أبواب، ثم باب اللفيف، فباب النوادر، وختم المعجم بأبواب لغوية كثيرة، لم يتبع فيها ترتيباً معيناً، وأورد ضمن كل باب جميع الأحرف وما يندرج ضمنها من الألفاظ.
- فابن دريد يشابه الخليل في فكرة التقاليد، ولكنه يختلف عنه في الأبواب التي أورد فيها الأبنية وفي ترتيب النوادر ضمن المعجم، وفي اعتماد التقاليد لحروف الكلمات على الترتيب الألفبائي لا الترتيب الصوتي، وفي إيراد جميع حروف الهجاء ضمن كل باب، أما الخليل فقد أورد ضمن كل حرف جميع الأبواب المذكورة في معجمه.
- كان ابن دريد يستهل كل باب بالكلمة التي تبدأ بالحرف الذي عقد الباب له مع الحرف الذي يليه في الترتيب الهجائي الألفبائي.

(١) وسماه: باب ما كان عين الفعل منه أحد حروف اللين مثال: الباب، البيب، التوت، النون...

(٢) وذكر في موضعه أبواب ما ألحق بالثنائي الصحيح بحرف من حروف اللين وما تشعب منه.

(٣) ففي الألف في الهمز أنت، وفي الباء في الهمز بسأ، بهأ، وفي الجيم في الهمز حسأ.

فالباء في الثنائي المضعف: بَتْ - بَتْ - بَجَّ - بَجَّ - بَحَّ - بَحَّ ...

والباء في الثلاثي الصحيح: بتر - بتع - بتك - بتل - بتم - بتن - بقي.

بشج - بشح - بشخ - بشر - بشع - بشق - بثل - بثو..

بجح - بجح - بجخ - بجذ - بجر - بجز...

وكذلك في بقية الحروف.

ففي باب الدال: يبدأ بالدال مع الدال، ويذكر ضمنه ما يلي الدال من الحروف أي (د ز ر - د ذ ه - د ذ و) ثم ينتقل إلى الدال مع الراء، ثم الدال مع السين، ثم الدال مع الشين، إلى آخر حروف الهجاء.

أما الدال مع الحروف التي سبقتها مثل الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الخاء فلا يذكرها في ذلك الموضع لأنه أوردتها في الأبواب السابقة للدال لسير المعجم على نظام التقاليد المعتمد على الترتيب الألفبائي.

وفي باب الراء بدأ بذكر الأصول التي تبدأ بالراء مع الزاي وراعى التسلسل الألفبائي في الحروف التالية للزاي مثل رزق، رزك، رزم، رزن، رزي، ثم ذكر الأصول التي تبدأ بالراء مع السين مثل رسع، رسف، رسل، ولكنه لا يذكر في هذا الباب ربح لأنه ذكرها في برح، ولا رجح لأنه ذكرها في جرح ولا رحم لأنه ذكرها في حرم ولا رزح لأنه ذكرها في حرز، ولا رسخ لأنه ذكرها في خرس وهكذا^(١).

لكن ابن دريد لم يتقيد تقيداً دقيقاً بالأبنية التي كانت أساس أبواب معجمه، فقد خرج عليها في بعض المواضع، وهذا ما أدى إلى تشتت الأبنية، وتفرق الألفاظ، يضاف إلى ذلك

(١) انظر حركة التأليف عند العرب، د. أجد الطرابلسي ٢٧، ومصادر التراث العربي، د. عمر الدقاق، ص ٢٠١

أن الملحقات التي أوردها في أبواب الشنائي والثلاثي والرباعي والخماسي جعلت منهج المعجم أكثر تعقيداً، وأبعد تناولاً، ومن هنا قام عدد من الباحثين بوضع فهرس تفصيلية لمحتوى المعجم ليكون أقرب مأخذاً.

يمتاز معجم جمهرة اللغة بعناية ابن دريد فيه بلهجات العرب ولغاتها، وباهتمامه بالدخيل والمعرب، وهو من أصول اللغة التي اعتمد عليها مؤلفو المعاجم بعده.

المعجم مطبوع في حيدر آباد بالهند عام ١٣٤٤ هـ في ثلاثة مجلدات ضخمة، يضاف إليها مجلد للفهارس، وكان ذلك بعناية محمد السورتي والمستشرق سالم كرنكو.

طريقة البحث عن المادة اللغوية في معجم جمهرة اللغة:

أمثلة :

[١] - دحرج - استعفاف - ثمالة - امتطى - علم - م.

• نجرد الكلمات من حروف الزيادة ونعيدها إلى أصلها ولا نفك التضعيف لوجود باب الشنائي المضعف.

دحرج - عفّ - ثمل - مطو - علم - م.

• نرتب الحروف ضمن كل كلمة ترتيباً ألفبائياً.

جحدر - عفّ - ثلم - طمو - علم - م.

• نرتب الكلمات ترتيباً ألفبائياً بحسب الحروف الأولى فيها مع مراعاة الشنائي، أي

نضع الشنائي قبل الثلاثي إذا اشتركا بالحرف نفسه.

ثلم - جحدر - طمو - عفّ - علم - م.

عفّ وعلم اشتركتا بحرف العين، فالثنائي قبل الثلاثي لوجود باب الشنائي المضاعف، وإن

كان الحرف الثاني في الثلاثي سابقاً للحرف الثاني في الشنائي ضمن التسلسل الهجائي، فلو

كان لدينا علٌّ وعَفَرُ فإننا نضع علَّ قبل عَفَرٍ لأنها ثنائية مع أنَّ الفاء تأتي قبل اللام في الترتيب الألفبائي.

● الترتيب النهائي: الثمالة - دحرج - امتطى - الاستعفاف - علم - لم.

[٢] - قادرين - عبيدة - مقروب - أُسود^(١) - الأساود^(٢).

● قدر - عبد - قرب - أسد - سود.

● درق - بدع - برق - أدس - دسو.

● أدس - بدع - برق - درق - دسو.

● أُسود - عبيدة - مقروب - قادرين - الأساود.

[٣] - اشترط - استوعب - انتفاضة - الهبوب.

● شرط - وعب - نفض - هبَّ.

● رشط - بعو - ضفن - بهَّ (لا نفك التضعيف في الجمهرة).

● بهَّ - بعو - رشط - ضفن.

● هبَّ - وعب - شرط - نفض.

الهبوب - استوعب - اشترط - انتفاضة.

(١) أُسود: جمع أسد.

(٢) الأساود جمع الأسود، وهو الثعبان العظيم، وتأتي بمعنى السيد العظيم في قومه، بعض المعاجم تعيد الكلمتين إلى أصل واحد وهو (سود)، ولكننا هنا أعدنا أُسود إلى أسد، وأعدنا الأساود إلى سود.

معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣٩٥هـ)^(١):

هو أبو الحسين، أحمد بن فارس القزويني، أقام مدّة في همدان، ثم انتقل إلى الري وفيها كانت وفاته، وابن فارس من أبرز اللغويين الذين تفقّهوا في العربية وخصائصها، من أشهر مصنفاته: الصاحي في فقه اللغة، متخيّر الألفاظ، معجم مقاييس اللغة، معجم مجمل اللغة، وهي مطبوعة كلها.

اختط ابن فارس في هذا المعجم منهجاً جديداً مختلفاً عما وجدناه في العين والجمهرة، فهو لم يرتب المواد اللغوية ترتيباً صوتياً كالخليل، أو ألفبائياً بالاعتماد على أوائل الأصول وتقليباتها كابن دريد.

إن فكرة المقاييس عنده تقوم على أساس يرجع مفردات كل مادة لغوية إلى معنى أو معانٍ مشتركة بينها، فقد أراد ابن فارس في معجمه (المقاييس) وفي (مجمل اللغة) أيضاً البحث عن أسس جديدة لترتيب المواد؛ لذلك قام بالكشف عن المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ المادة، وسمى تلك المعاني الأصول والمقاييس، وطبق هذه الأسس على معجمه وبها سمّاه، وإن لم تكن قد طبقت تماماً على الألفاظ الثنائية المضاعفة والثلاثية جميعها.

يقوم منهجه في المعجم على الأسس التالية:

١ - قسم معجمه إلى كتب (الكتاب يعني الباب) وهي تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء، ثم قسّم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب: أولها باب الثنائي المضاعف، وثانيها: باب الثلاثي الأصول من المواد اللغوية، وثالثها: ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية.

٢ - رتب ابن فارس موادّ كل باب ترتيباً هجائياً ألفبائياً، فكان يعيد اللفظة إلى أصلها ويجذف الزوائد.

(١) انظر وفیات الأعيان لابن خلكان ٣٥/١، وبيمة الدهر للثعالبي ٢١٤/٣، والأعلام للزركلي ١٩٣/١.

٣ - طرح فكرة التقاليب، فذكر كل مادة في باب الحرف الأول منها، فعلى سبيل المثال:
نجد كلمة (بقل) في كتاب أو باب الباء، و(قبل) في كتاب القاف، لكننا نجد (بقل) مع تقاليبها الخمسة مجتمعة في موضع واحد عند ابن دريد في الجمهرة.

٤ - وفي البابين الأولين (الشائي المضاعف، والثلاثي) لم يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالحرف الذي يليه، أي كان يجمع الحرف مع ما يليه من حروف الهجاء كما فعل ابن دريد في الجمهرة، ثم يعود إلى جمعه مع الحروف التي تسبقه في الترتيب الألفبائي؛ ولذلك يُمثّل لمواده اللغوية بالدائرة، فهو يعود إلى نقطة البداية التي تجاوزها، ففي باب الهمزة والتاء وماثلتهما يتوقع القارئ أن يأتي المؤلف بالمواد على هذا الترتيب:

(أتب، أتل، أتم، أتن، أنه، أتو، أتي) ولكن الباء في أتب لاتلي التاء بل تسبقها، ولذلك أخرها في الترتيب إلى آخر الباب فجعلها بعد مادة (أتي)، وفي باب التاء من المضاعف يذكر أولاً (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهي الحروف ثم يرجع إلى التاء والباء (تب) لأن أقرب مايلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الخاء.^(١)

وفي حرف الجيم على سبيل المثال لا يبدأ بتأليفه مع الهمزة فالباء فالتاء فالثاء، وإنما الجيم مع الحاء، فالحاء، فالدال.. وذلك في الشائي.

فقد استهل كتاب الجيم بالمضاعف فبدأ بكلمة: جح - جح - جح - جد - جد - جر - جر - جس - جم - جن، ... جو.. وبعد ذلك يعود إلى جمع الجيم مع الحروف التي تسبقه في الترتيب الهجائي فيذكر: جأ - جب - جث.

وكذلك الأمر في الثلاثي من الجيم، إذ بدأ بالجيم والحاء وما يثلثهما، فاستهل هذا الباب ضمن كتاب الجيم بلفظة جحد، وبعدها جحر، جحس، جحش، جحظ، جحف، جحل،

(١) انظر مقدمة مقاييس اللغة.

جحم، جحن، ولكنه لم يذكر المواد التي تنتهي بالحروف السابقة للحاء لأنها غير مستعملة، ثم انتقل إلى الجيم مع الحاء ومايثلثهما فذكر جنحر، جنحف ثم انتقل إلى باب الجيم والبدال ومايثلثهما فذكر جدر، جدس، جدع، جدف، جدل، جدم، جدو، جدي، ثم عاد ليستوفي الحروف السابقة للجيم فذكر جذب، جدث، جدح.

يتصف مقاييس اللغة بالإيجاز، فقد أهمل ابن فارس شرح بعض الألفاظ، وتجاوز ذكر بعض أسماء اللغويين الذين اقتبس منهم كالخليل والأصمعي وأبي زيد وابن دريد في مواضع قليلة من معجمه، فهو حريص على نسبة الأقوال إلى أصحابها في معظم المواضع التي ترد فيها، وكان ينتقد آراءهم إذا اقتضى الأمر ذلك.

يتصف أيضاً بعنايته بالمجاز، وبالألفاظ الدخيلة التي خرجت عن أقيسة كلام العرب، كما يتصف باهتمامه بالألفاظ المنحوتة وخاصة في البناء الرباعي.

أما الأمثلة التوضيحية لطريقة البحث عن المواد اللغوية فيه فسنذكرها بعد معجمه الآخر (مجل اللغة) لاشتراك المعجمين بالطريقة نفسها، والمنهج نفسه في ترتيب المواد اللغوية وعرضها.

صدر معجم مقاييس اللغة في القاهرة ضمن ستة أجزاء بتحقيق عبد السلام هارون ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م، وطبع طبعة أخرى في مصر بمطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

معجم مجمل اللغة لابن فارس:

يتشابه مجمل اللغة ومقاييس اللغة في جوانب كثيرة، فقد اتبع ابن فارس في المجمل المنهج نفسه الذي سار عليه في المقاييس، ولكن الهدف من التأليف يختلف بينهما، فقد أراد ابن فارس أن يقدم في مجمل اللغة الألفاظ اللغوية الصحيحة الواضحة والمشهورة المتداولة؛ لذلك

ابتعد فيه عن الغريب والوحشي المستنكر من الألفاظ لكنه اهتم في مقاييس اللغة بأصول الألفاظ، واشترك جميع صيغ المادة اللغوية بمعنى رئيسي واحد أو بأكثر من معنى.

وقد رأينا أن مقاييس اللغة معجم مختصر أوجز فيه المؤلف في بعض المواضع، ولكنَّ يحمل اللغة خرج في صورة أكثر إيجازاً أو تركيزاً، فغدا المقاييس بالمقارنة معه مطولاً موسعاً.

طريقة البحث عن المادة اللغوية في معجمي مقاييس اللغة، ومجمل اللغة:

أمثلة:

[١] - العفاف - العباب - العقوق - العلم.

• نجرد الكلمة من الزوائد ونعيدها إلى أصلها ولا نفك التضعيف لوجود باب للشائي المضاعف.

عَفَّ - عَبَّ - عَقَّ - علم.

• نراعي في ترتيب الكلمات وضع الشائي قبل الثلاثي والثلاثي قبل الرباعي إذا اشتركت بالحرف نفسه، مع الانتباه إلى ترتيب الحرف الأول من كل كلمة مع الحرف الذي يليه في الترتيب الهجائي الألفبائي.

عَفَّ - عَقَّ - عَبَّ - علم.

• العفاف - العقوق - العباب - العلم.

[٢] - استقلَّ - استعمر - دحرج - ضبط - غلال - معلل.

• قلَّ - عمر - دحرج - ضبط - غلَّ - علَّ.

• دحرج - ضبط - علَّ - عَمَّر - غلَّ - قلَّ.

[٣] - العباب - العمامة - الإعجاب - العلقم - عكرمة - العنجهية.

• عبَّ - عمَّ - عجب - علقم - عكرم - عنجه.

• عَمَّ - عَبَّ - عَجَب - عَكْرَم - عَلَقَم - عَنَجَه.

[٤] - بَتَك - بَشْر - بَكَّ - بَرَم.

• بَكَّ - بَتَك - بَشْر - بَرَم.

وضعنا الثنائي قبل الثلاثي لاشتراكهما بالحرف نفسه، ثم رتبنا الألفاظ تبعاً لترتيب الحرف الأول مع ما يليه في الترتيب الهجائي.

طبع (محمل اللغة) طبعتين في وقت واحد تقريباً، فقد حققه هادي حسن حمودي، وصدر عن منشورات القسم الثقافي بجامعة الدول العربية في الكويت ضمن خمسة أجزاء، وحققه زهير عبد المحسن سلطان وصدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت ضمن مجلدين كبيرين ١٤٠١هـ - ١٩٨٤م.

أساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ)^(١):

هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، نسبةً إلى (زمخشري) في بلاد فارس، طاف كثيراً في البلاد، وجاور في مكة المكرمة بعد أداء فريضة الحج، واستقر في الجرجانية، كان واسع العلم وإماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب والبلاغة، من مؤلفاته:

(الكشاف) في تفسير القرآن، الفائق في غريب الحديث، (المفصل) في النحو، شرح كتاب سيبويه، أعجب العجب في شرح لامية العرب، المستقصى وهو في الأمثال، أساس البلاغة، وغيرها.

في هذا المعجم يذكر الزمخشري المعاني الحقيقية للألفاظ، ويتبعها بالمعاني المجازية، ويكتفي بالأفصح من اللغات عادةً، وهو يميل إلى شرح معنى اللفظة بأسلوب غير مباشر؛ أي يشرحها بإيراد شواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر وكلام العرب للدلالة على مواضع

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٨١/٢، ومعجم الأدباء للحموي ١٤٧/٧، الأعلام للزركلي ١٧٨/٧.

استخدامها في الكلام الفصيح.

إن منهج الزمخشري في أساس البلاغة يقوم على ترتيب الألفاظ ترتيباً ألفبائياً لا تعقيد فيه، فقد قسم كتابه إلى أبواب بحسب حروف الهجاء من الألف إلى الياء، وفي كل باب كان يذكر الحرف الذي عقد الباب عليه مع سائر حروف الهجاء، ففي باب الهمزة ذكر الهمزة مع الباء، ثم الهمزة مع التاء، وهكذا حتى وصل إلى الهمزة مع الياء، ولم يقسم كل حرف إلى أبواب كما مرّ معنا في المعاجم السابقة، ولم يخص باباً للثنائي.

وما يميز هذا المعجم من غيره تلك الشواهد التي تبين المعاني المجازية للألفاظ والترتيب السهل الذي عرض المواد اللغوية ضمنه، ومن أمثلة ما ورد في كتابه نسوق مثلاً عن مادة (أبد) إذ ذكر ما يلي:

«لا أفعله أبد الآباد، وأبد الأبيد، وأبد الآبدين، ونقول: رزقك الله عمراً طويلاً الآباد بعيد الآماد، وأبدت الدواب: توحّشت، وهي أوابد ومتأبدات، وفرس قيد الأوابد، وهي نُقَر الوحوش، وقد تأبد المنزل سكنته الأوابد... ومن المجاز: فلان مولعٌ بأوابد الكلام وهي غرائب، وبأوابد الشعر وهي التي لا تُشاكل جودةً، قال الفرزدق: لَنْ تُدْرِكُوا كَرَمِي بِلُؤْمِ أَبِيكُمْ وَأَوَابِدِي بَتْنَحْلِ الْأَشْعَارِ».

طريقة البحث عن المادة اللغوية في أساس البلاغة:

نحدر الكلمة من الزوائد، ونردّ الحرف المعتل إلى أصله، ونفك التضعيف، لعدم وجود باب للثنائي المضاعف، ونبحث عن اللفظة بحسب ترتيب حروفها تبعاً لأوائل الأصول.

أمثلة:

[١] الألفاظ: فتاك - فتنة - بهاء - حميد - مهنة.

نجرّد الألفاظ من الزوائد ونعيدها إلى أصلها.

● فتك - فتن - بهي - حمد - مهن.

نرتب الكلمات بحسب تسلسل حروفها ضمن الترتيب الهجائي.

● بهي - حمد - فتك - فتن - مهن.

[٢] الألفاظ: فرزدق - الأسود^(١) - الأسود^(٢) - العدل.

● فرزدق - أسد - سود - عدل.

● أسد - سود - عدل - فرزدق.

طبع معجم أساس البلاغة طبعات كثيرة منها طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٢م، وطبعة دار المعرفة في لبنان ١٩٧٩م، وطبعة مكتبة لبنان ١٩٩٦م.

● الطريقة الثالثة: سنتناول ضمنها المعاجم التي رتب فيها الألفاظ ترتيباً هجائياً مع مراعاة أواخر الأصول.

ارتأى بعض اللغويين ممن اشتغلوا في تأليف المعاجم اتباع طريقة مختلفة عن الطريقتين السابقتين بغية تحقيق الاستيعاب والشمول، وتيسير البحث عن المواد اللغوية.

تقوم هذه الطريقة على أساس ترتيب المواد اللغوية ترتيباً هجائياً يُعنى بأواخر أصولها مع مراعاة الحرف الأول منها من حيث تسلسل الحروف الهجائية، وأشهر المعاجم التي اتبع فيها أصحابها هذه الطريقة هي:

(١) اعتمدنا على اشتقاقها من الجذر (أسد).

(٢) اعتمدنا على اشتقاقها من الجذر (سود) مع الانتباه إلى أن بعض المعاجم تعيد اللفظتين إلى الأصل (سود).

الصَّحاح للجوهري (٣٩٣هـ أو ٤٠٠هـ)^(١):

هو أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تنقّل بين بلاد الشام، وبلاد فارس، والعراق، والحجاز، ومصر، أقام في نيسابور، ودرّس فيها، وكتب المصاحف، يقال: إنه اعتلى سطح أحد المساجد فيها، وقال: أيها الناس إني عملت في الدنيا شيئاً لم أُسبق إليه - يقصد الصحاح - وسأعمل للآخرة أمراً لم أُسبق إليه، فاستخدم جناحين خشبيين وحاول الطيران بهما، فأخفق وسقط ومات، من مؤلفاته: عروض الورقة (مطبوع في المغرب ١٩٨٤م) والمقدمة في النحو، والصحاح.

كتاب الصَّحاح: ويقال الصَّحاح بكسر الصاد وهو جمع الصحيح، كقولنا ظريف وظُراف، ويقال: الصَّحاح بفتح الصاد فيكون نعتاً مفرداً كقولنا: بريء وبرّاء. سُمي الجوهري كتابه (الصَّحاح) لأنه سرد في معجمه ما صحَّ عنده روايةً، ودرايةً وسماعاً من اللغة، وقد أراد في معجمه أن يحقق هدفين هما:

أ - التزام الصحيح من الألفاظ. ب - تيسير البحث عن المواد اللغوية.

ومنهجه فيه يقوم على الأسس التالية:

١ - جعل لكل حرف باباً خاصاً به كباب الهمزة، باب الباء، باب التاء... وقسّم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلاً.

٢ - اعتمد في هذه الأبواب على أواخر الأصول أو الجذور اللغوية، واتبع في الفصول تسلسل الحروف الهجائية، فكلمة الكتاب مأخوذة من الجذر (ك، ت، ب) ونجدها في باب الباء فصل الكاف، ونراعي تسلسل الحروف الهجائية بعد فصل الكاف، ففي باب الباء فصل

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء للحموي ٢/٢٦٩، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٤/٢٠٧، والأعلام للزركلي

الألف نجد الجذور التالية: أ ب - أ ت ب - أ د ب - أ ر ب - أ س ب - أ ش ب - أ ل ب - أ ن ب - أ و ب - أ ه ب... (قدم في معجمه الواو على الهاء)

وفي باب الباء عموماً نجد الأصول أو الجذور: أ ر ب - ت ر ب - ج ر ب - ح ر ب - د ر ب - ذ ر ب - س ر ب - ك ت ب...

وفي باب الفاء فصل الألف نجد الأصول: أ ز ف - أ س ف - أ ص ف - أ ف - أ ن ف...

وقد جمع الجوهري، الواو والياء في باب واحد؛ لأنهما في آخر الكلمة كثيراً ما يقبلان ألفاً، ولكنه لم يجمع بينهما بحسب الأصول، بل فرّق فأثبت الواو ثم الهاء، ثم الياء، ولم يجعل الرباعي في باب مستقل، وإنما كان يثبت الكلمة مراعيّاً الحرف الثاني، فالثالث.. فقد جمع الألفاظ في فصولها سواء كانت ثنائية البنية أو ثلاثية أو رباعية..

تتسم طريقة الجوهري باليسر والسهولة، ولعل ما دفعه إلى اعتماد أواخر الأصول في ترتيب الألفاظ هو تفكيره الصرفي، فلام الكلمة غير معتلة الآخر لا يتغير، وإنما يقع التغير غالباً في عين الكلمة، لذلك بنى نظامه على آخر الكلمة.

اتصف معجم الصحاح بحسن التنظيم، وجمع المواد اللغوية الكثيرة، والتنبيه على الماضي والمضارع والأمر، والمصدر، واللازم والمتعدي، واتسم بكثرة أحكام النحو والصرف، وقد لقي اهتماماً كبيراً من اللغويين، فاختصره الرازي في كتابه (مختار الصحاح)، واستدرك الصاغاني (٦٥٠هـ) ما فات الجوهري في كتابه الصحاح، وذيل عليه، وجمع ذلك في كتابه (التكملة والذيل والصلة)، وهو مطبوع في ستة أجزاء وصادر عن دار الكتب المصرية بالقاهرة ابتداء من عام ١٩٧٠م وانتهاء بعام ١٩٧٩م بتحقيق عبد العليم الطحاوي.

طبع الصحاح عدة طبعات، وكثر تداوله بين الناس، لقرب مأخذه، وسهولة

طريقته، من هذه الطبعات طبعة حققها أحمد عبد الغفور عطا، وصدرت عن دار العلم للملايين في بيروت ١٩٥٦م ضمن ستة أجزاء، وللمعجم مقدمة ضافية قدّم لها الأديب العربي عباس محمود العقاد.

لسان العرب لابن منظور (١٧١١هـ)^(١):

هو محمد بن مكرم بن علي، ولد في طرابلس الغرب وقيل في مصر، ويعرف بابن منظور الإفريقي عمل في ديوان الإنشاء في مصر، وولي القضاء في طرابلس، ثم عاد إلى مصر، وأمضى بقية حياته فيها، كان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والأدب، صنف كثيراً من الكتب، واختصر كثيراً من المطولات، من أشهر مصنفاته: معجم لسان العرب، وأخبار أبي نواس، مختصر الأغاني، مختصر الحيوان للجاحظ، مختصر الذخيرة لابن بسام، وغيرها... توفي في القاهرة.

لسان العرب أشهر مصنفات ابن منظور، ويمكننا القول: إنه أشهر المعاجم العربية، فهو موسوعة ثقافية لغوية أدبية، يتصف بغزارة مادته، وكثرة شواهد التي استمدّها من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب وأشعارها وأقوالها وأمثالها، وقد جمع ابن منظور مادة معجمه من مصادر كثيرة، صرح بخمسة منها في مقدمة كتابه، هي: تهذيب اللغة للأزهري، المحكم لابن سيده، الصّحاح للجوهري، حواشي ابن بري، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

اتبع ابن منظور في معجمه المنهج التالي:

١ - رتب المواد اللغوية بحسب أواخر الأصول، وقسّم معجمه إلى ثمانية وعشرين باباً

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات لمحمد بن شاکر الکتبي ٢/٢٦٥، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني

٤/٢٦٢، والأعلام للزکلي ٧/١٠٨.

بحسب حروف الهجاء، وصدر كل باب بكلام عن الحرف الذي عقد الباب له من حيث مخرجه وآراء النحويين فيه.

٢ - استفاض في عرض المادة اللغوية، فذكر الشواهد المتنوعة التي تبين مواطن استخدام اللفظة بجميع صيغها واشتقاقاتها، واهتم باللغات واللهجات والروايات المختلفة، وذكر أسماء المواضع والبلدان، وأكثر من الأحكام النحوية والصرفية، وأورد المترادفات والنوادر وغيرها من الظواهر اللغوية، ولم يقتصر على الصّحاح من الألفاظ وإنما استوعب جميع المواد اللغوية.

طبع لسان العرب طبعات كثيرة أشهرها طبعة دار صادر في عام ١٩٦٨م في خمسة عشر جزءاً، وقد أعادت دار المعارف طبعه في ستة أجزاء كبيرة، بعدما أعادت ترتيب المواد فيه بحسب أوائل الأصول.

القاموس المحيط للفيروز أبادي (٨١٧هـ)^(١):

هو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز أبادي (وفيروز أباد قرية قرب شيراز) طاف في بلاد الشام ومصر والعراق، واستقر في اليمن ولي قضاء مدينة زبيد فيها، تفقه في علوم كثيرة، وألف عدداً من المصنفات منها: البلغة في تاريخ أئمة اللغة، المغنم المطابة في معالم طابة، العُمر الغوالي في الأحاديث العوالي، القاموس المحيط الذي لقي شهرة واسعة، وقد سادت لفظة القاموس حتى نافست لفظة المعجم، فأصبحت تطلق على المعجم نفسه، ومعناها بالفارسية البحر الواسع.

حرص الفيروز أبادي على استيعاب مفردات اللغة العربية، فضم فيه ما ورد في لسان العرب، وقد تمكن من ذلك مع صغر حجم القاموس المحيط بالمقارنة مع لسان العرب؛ لأنه

(١) انظر ترجمته في البدر الطالع للشوكاني ٢/٢٨٠، والضوء اللامع للسخاوي ١٠/٧٩، والأعلام للزركلي

حذف الشواهد والنصوص التي تبين مواضع استخدام اللفظة، و اتبع فيه المنهج التالي:

- ١ - رتب المواد اللغوية بحسب أواخر الأصول.
- ٢ - اتبع الإيجاز والاختصار لذلك كان معجمه في أربعة أجزاء مع استيعابه وشموله، فقد ذكرنا أنه اكتفى ببيان معاني الألفاظ مجردة من الشواهد، كما أنه وضع حرف (م) بدلاً من معروف، و (ع) بدلاً من موضع، و (ج) بدلاً من جمع، و (جج) بدلاً من جمع الجمع، و (د) بدلاً من بلد.
- ٣ - اهتم بذكر الأعلام كأسماء المحدثين والفقهاء، وذكر قدرًا من مصطلحات العلوم كالفقه والعروض.
- ٤ - ضبط الألفاظ كيلا يؤثر وهم النسخ في التصحيف والتحريف، فالمشهور والمفتوح يتركه، ويضبط ما عدا ذلك كقوله: بالكسر، بالضم، أو بإيراد بعض الكلمات لتكون مفاتيح للنطق الصحيح.
- طبع القاموس المحيط عدة طبعات في مصر وضمن أربعة أجزاء، ثم صدر عن مؤسسة الرسالة في بيروت ضمن مجلد واحد ضخيم يتميز بالوضوح والتفصيل.
- ألّف أحمد فارس الشدياق كتاب (الجاموس على القاموس)، وقيد فيه كثيراً من الانتقادات على معجم (القاموس المحيط)، ونبه على التصحيف والتحريف الذي وقع فيه .

تاج العروس للمرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)^(١):

هو الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرزاق، لقبه المرتضى الحسيني الواسطي العراقي أصلاً، الزبيدي تعلماً وشهرة، وزيد مدينة في اليمن، ولد في الهند، وارتحل في طلب العلم، وحجّ مراراً، وأخذ العلوم عن كبار العلماء والشيخوخ، واستكمل في مصر علومه اللغوية والدينية

(١) انظر فهرس الفهارس ٣٩٨/١ - ٤١٣، والأعلام للزركلي ٧/٧٠.

ولاسيما علوم الحديث، توفي في مصر، له كثير من المؤلفات أشهرها: تاج العروس، وشرح إحياء علوم الدين للغزالي.

أما معجمه فعنوانه الكامل (تاج العروس من جواهر القاموس)، وهو من أوسع معاجم العربية وأشملها، والزبيدي من أشهر اللغويين المتأخرين الذين عاشوا في القرن الثاني عشر الهجري، وهذا الأمر يستر له الاطلاع على كثير من المعاجم والكتب التي كانت المصادر الأساسية لمعجمه، وقد ذكرها المؤلف في مقدمة الكتاب، وبلغ عددها ١٢٠ كتاباً منها: القاموس المحيط للفيروز أبادي، الصحاح للجوهري، تهذيب اللغة للأزهري، المحكم لابن سيده، الأفعال لابن القطّاع، لسان العرب لابن منظور، فصيح ثعلب وشروحه، العباب للصاغاني، أساس البلاغة للزخشي، الرّوض الأنف للسهيلي، والأنساب للسمعاني وغيرها...

هذا الكم من المصادر جعل الكتاب موسوعة ثقافية متنوعة الموضوعات تماثل لسان العرب، و تضاهيه في بعض الجوانب، فقد جمع فيه الزبيدي أهم ما اشتملت عليه مؤلفات سابقيه، في اللغة والنحو والصرف، والبلدان، والأدب والأمثال، والطب والنبات وغيرها.

سار الزبيدي في تاجه على منهج الفيروز أبادي في قاموسه، فاتبع الخطوات التالية:

١ - صَدَّر كل باب بكلام على الحرف الذي عقد الباب له من حيث مخرجه وصفاته وحالات الإعلال والإبدال فيه.

٢ - اعتنى بذكر أسماء المواضع والأماكن والبلدان، والأعلام من العلماء والمحدثين والفقهاء، كما أورد كثيراً من المصطلحات العلمية.

٣ - اهتم بذكر الغريب والأعجمي والمولد، والتفت إلى اللهجات العامية ولاسيما المصرية، وأورد المعاني المجازية للألفاظ والاستخدامات اللغوية.

يتصف تاج العروس بالاستيعاب والشمول وتوخي الدقة التامة في ضبط الألفاظ، وبالمحافظة على عبارة الفيروز أبادي في قاموسه، بوضعها بين قوسين، والالتزام بنصها حتى في الشرح الذي وضعه عليها.

صدرت الطبعة الأولى من التاج في مصر سنة ١٣٠٦هـ - ١٨٩٠ م ضمن عشرة أجزاء، وقد قام بعد ذلك لفيف من المحققين العرب في دولة الكويت بتحقيق التاج بدءاً من عام ١٩٦٤م، فصدر في أربعين جزءاً.

طريقة البحث عن المادة اللغوية في معاجم أواخر الأصول:

تتشترك جميع المعاجم السابقة التي تناولناها في طريقة استخراج المادة اللغوية منها، وذلك بتجريد اللفظة من الزوائد، وبفك التضعيف، وبترتيب حروف اللفظة بعد ذلك بحسب باب الحرف الأخير، وفصل الحرف الأول مع مراعاة الوسط.

أمثلة:

[١] - استقبال - استيطان - الهبوب - مشفى - القلّة.

• قبل - وطن - هب - شفي - قلل.

• هب - قبل - قلل - وطن - شفي.

• الهبوب - استقبال - القلّة - استيطان - مشفى.

[٢] - الأضداد - الأسود - صفاء - الآثار - الخلف.

• ضدد - سود - صفو - أثر - خلف.

• سود - ضدد - أثر - خلف - صفو.

• الأسود - الأضداد - الآثار - الخلف - صفاء.

نتنقل إلى النوع الثاني من المعاجم وهو معاجم المعاني:

معاجم المعاني

في هذه المعاجم تُرتَّب الألفاظ ضمن مجموعات بحسب معانيها أو موضوعاتها، وهي تفيد في إيجاد لفظ أو مجموعة ألفاظ متعلقة بمعنى معين أو موضوع محدد، لوضعها في سياقها الصحيح، والتعبير بدقة تامة عن المعنى المراد بهدف الترجمة أو البحث العلمي أو صياغة النصوص الأدبية.

لقي هذا النوع من المعاجم إقبالا كبيرا من اللغويين، فوضعوا مصنفاتهم التي تدرجت من الرسائل الصغيرة إلى كتب صغيرة الحجم، وانتهت بالمعاجم الواسعة الشاملة، فكانت هذه المصنفات ضمن ثلاثة أشكال من حيث الشكل والمضمون.

الشكل الأول:

الرسائل الصغيرة وهي الرسائل التي وقفنا عليها في تصنيف معاجم الألفاظ، والأساس الذي بُنيت عليه هو وحدة المعنى والموضوع، فالرسالة تتضمن الألفاظ الدالة على معنى واحد يتعلق على سبيل المثال بجنس من الحيوانات، أو نوع من النبات، أو مظهر من مظاهر الطبيعة.

من أشهر العلماء الذين صنفوا هذه الرسائل: أبو زيد الأنصاري، وله من الرسائل: المطر، اللبأ واللبن، ومنهم الأصمعي وله من الرسائل: الإبل، الشاء، النخل، ومنهم ابن قتيبة، وله من الرسائل: الخيل، الإبل، الأشربة.

وهذا مثال من كتاب (المطر) لأبي زيد الأنصاري في أسماء الرعد:

«... وفي الرعد الإزّام وهو صوت الرعد غير الشديد منه... وفيه التهزّم وهو أشد صوت الرعد، شديده وضعيفه، وهو الهزيم.. وفيه القَعْقَعَة وهو تتابع صوت الرعد في شدة، وجمعها القعاقع، وفيه: الرَّجْسُ والرَّجَسَان، وهو صوت الرعد الثقيل.. وفيه الصَّاعقة وجمعها

الصَّوَاقِق وهي نار تسقط من السماء في رعد شديد... وفيه الأزيز، وهو صوت تسمعه من بُعد، والرَّزُّ الصوت مثل الأزيز»^(١).

لقد شكّلت هذه الرسائل النواة الأساسية لمعاجم المعاني التي اتصفت بالاستيعاب والشمول، فتلك الرسائل كانت مصادر غنية بالألفاظ التي فرّق اللغويون بين المعاني التي تدل عليها بدقة متناهية.

الشكل الثاني:

وضع علماء اللغة كتباً ضمن إطار المعاني والصفات، وكانت أكبر حجماً من الرسائل اللغوية السابقة، لكنها أغزر مادةً، وهي في الوقت نفسه لم تبلغ مستوى التأليف في المعاجم الواسعة الشاملة، من أهم الكتب التي ألفت في هذا الجانب:

كتاب الألفاظ لابن السكيت (٢٤٤هـ)^(٢):

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت، أخذ اللغة والنحو عن عدد من أئمة الكوفة والبصرة، من مؤلفاته: الأضداد، القلب والإبدال، إصلاح المنطق، الألفاظ، وقد هدّبه وشرحه الخطيب التبريزي، وطبع في بيروت بعنوان: مختصر تهذيب الألفاظ بعناية الأب لويس شيخو.

يقع الكتاب في (١٥٠) مئة وخمسين باباً، في كل باب تناول ابن السكيت معنى معيناً، وذكر الألفاظ المستعملة للتعبير عن جوانب ذلك المعنى وأحواله.

تتعلق هذه المعاني المذكورة ضمن الأبواب بالصفات الجسدية والمعنوية عند الإنسان، وثمة أبواب تضمنت الألفاظ المتعلقة بمعان مستمدة من مظاهر الطبيعة وحوائج الإنسان.

(١) كتاب المطر، ص ١١.

(٢) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٠٩/٢، والأعلام للزركلي ١٩٥/٨.

أراد ابن السكّيت أن يحقق الاستقصاء والشمول في كتابه، ولكنه لم يصل إليهما فكتابته لا يرتقي إلى مستوى المعاجم الشاملة المنظمة، لأنه خلا من الترتيب المنهجي المنظم لأبواب الكتاب، ولمضمون كل باب على حدة، ولكن الكتاب محاولة رائدة ناجحة في تصنيف كتب المعاني التي اعتمد عليها مؤلفو المعاجم الشاملة المنظمة، وهو مصدر جيد لعدد كبير من الألفاظ المرتبطة بمعان مختلفة متعلقة بالطبيعة والإنسان، اعتمد فيه ابن السكّيت على ما ذكره اللغويون السابقون كالأصمعي وأبي زيد الأنصاري في هذا الجانب، وأورد فيه كثيراً من الأشعار التي يحتاج بها.

كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني (٣٢٥هـ)^(١):

هو عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني، أديب شاعر، وإمام في اللغة والنحو، كان كاتباً لأمير همذان بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي.

قسّم الهمذاني كتابه إلى أبواب كثيرة تجاوزت ثلاثمائة باب (٣٠٠)، شابهت في مضمونها أبواب كتاب الألفاظ لابن السكّيت، لكنها كانت أكثر عدداً منها.

والفرق بين الكتابين يتجلى في أسلوب العرض، فقد اهتم ابن السكّيت في كتاب (الألفاظ) باستقصاء الألفاظ الدالة على معنى معين بمعزل عن السياق التركيبي، أما الهمذاني في (الألفاظ الكتابية) فقد اهتم بالتركيب والعبارات المستخدمة لأداء معنى معين والتعبير عنه، ولعل الهدف من ذلك يكمن في أن الهمذاني أراد تقديم جمل وعبارات وتركيب سهلة الحفظ، قريبة المأخذ للطلبة والناشئين، لتكون معيناً لهم على الكتابة والتعبير عن المعاني المقصودة.

مثال: في كلامه عن صفة الكرم عند الإنسان أورد العبارات التالية في باب السخاء:

(١) انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ١٣٧، والأعلام للزركلي ٣٢١/٣.

«هو طلق اليدين، رحب الصدر، رحب اليدين، سَبَطَ الأنامل، نديّ الكفين، واسع الباع، رحب الذراع».

انتقى الهمداني جلّ مادة الكتاب مما اشتهر عن البلغاء والكتّاب من عبارات مشهورة وجمل معبّرة، وأورد كثيراً من الشواهد المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والأمثال.

كتاب الألفاظ الكتابية مطبوع في بيروت، بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٨٨٥م.

كتاب جواهر الألفاظ لُقْدَامَة بن جعفر (٣٢٠هـ)^(١):

هو قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، من أشهر كتّاب الدواوين، كان أديباً ناقداً، كاتباً مبرزاً، بليغاً، مولعاً بالبديع في كتاباته، من أشهر كتبه نقد الشعر، كتاب الخراج، وكتاب جواهر الألفاظ، توفي في بغداد.

لا يختلف الكتاب من حيث المضمون والموضوع عن الكتابين السابقين، ولكنه يتميز منهُما بميل مؤلفه إلى السجع والازدواج اللفظي، ورصف العبارات المترادفة المسجوعة المنمقة، ويبدو أن أسلوبه الأدبي، وكلفه بالبديع قد تركا أثراً واضحاً في كتابه، فسار بذلك مع تيار الصنعة اللفظية الذي ظهر في عصره، ودفع كثيراً من الكتّاب إلى السير معه.

لم يشرح المؤلف الألفاظ التي أوردها، ولم يفرق بين معاني الاستخدامات اللغوية المنتشرة في الكتاب، فابتعد بذلك عن فكرة التأليف المعجمي، ودنا كثيراً من فن الكتابة ووسائلها وأساليبها السائدة.

مثال: من باب عقده لمعنى (أَصْلَحَ الفاسد):

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٢٠٣/٦، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٩٧/٣، والأعلام للزركلي

يقال: «أصلح الفاسد، وحصد المعاند، وأقام المائد، وقوم الحائد، وردّ الشارد، ولم الشعث، وكفّ الحدث، ورمّ ما شدّر وانتكت، وضّمّ النثر، وجانب الشرّ والأشّر، ورمّ الرثّ، ووصل ما قُطع واجتثّ...».

الكتاب مطبوع بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد في مصر عام ١٩٣٢م.

الشكل الثالث:

إنه الشكل الذي تطوّر فيه تأليف كتب المعاني، فتحققت الشروط الصحيحة للتأليف المعجمي وهي: الشمول، والاتساع، وترتيب الألفاظ الدالة على المعاني الكثيرة ترتيباً منظماً ضمن تبويب منسّق بعيد عن العشوائية، من أهم الكتب التي يمكن وصفها بأنها من معاجم المعاني نذكر مايلي:

التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري^(١):

قسّم المؤلف كتابه إلى أربعين باباً، وخصّ كل باب منها بمعنى من المعاني العامة، وقسّم كلّ باب إلى فصول صغيرة تتضمن المعاني الفرعية المتشعبة عن المعاني العامة، وقدم مادة الكتاب متبعاً الاختصار في كثير من المواضع، فلم يذكر الشواهد المناسبة للمعاني والألفاظ إلا في مواضع قليلة، ومن هنا كان عنوان الكتاب (التلخيص في معرفة أسماء الأشياء)، وقد أورد الألفاظ الدالة على المعاني المختلفة، وذكر مرادفاتهما، ونبه على الفروق بينها، وحاول أن تكون موضوعات الكتاب والمعاني المرتبطة بها متنوعة شاملة، فهي في معظمها تتناول الإنسان من حيث صفاته الخلقية، والخلقية، وحاجاته وحياته، والطبيعة حوله بكل ما فيها من كائنات حية، وسماء، وأرض، وغير ذلك..

(١) تقدمت ترجمته عندما تحدثنا عن كتابه جمهرة الأمثال.

مثال عن الطير^(١):

«الطير جماعة، والواحد، طائر، ولا يقال للواحد طير، والعامّة تقول، وهي لغة رديئة لا يميزها البصريون غير أبي عبيدة.. ويقال لذكر الحمام: ساق، ولأنثى عِكْرمة.. والطاووس من قولهم: تطوّست الجارية إذا تزوّجت».

الكتاب مطبوع ضمن جزئين في مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩م - ١٩٧٠م
بتحقيق د. عزة حسن.

فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (٢٩٤ هـ)^(٢):

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد، أديب لغوي من أشهر أعلام عصره، لقّب بالثعالبي لأنه كان يعمل في خياطة فراء الثعالب، ولكنه اتجه إلى العلم والتأليف، له شعر كثير، من أشهر مصنفاته: يتيمة الدهر، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، خاص الخاص، وفقه اللغة وسرّ العربية.

جعل الثعالبي كتابه في قسمين، الأول: في فقه اللغة، والثاني: في سرّ العربية.
أورد القسم الأول ضمن ثلاثين باباً، وقسّم كل باب إلى عدد من الفصول، يختص كل فصل بجانب من جوانب المعنى الذي عقد الباب عليه.

وتفاوتت هذه الفصول من حيث غزارة المادة تفاوتاً يرتبط باختلاف الموضوعات فيها، فالباب الأول وهو في الكلّيات يقع في أربعة عشر فصلاً، والباب العاشر وهو في سائر الأوصاف والأحوال المتضادة يقع في ثمانية وثلاثين فصلاً، أمّا الباب الثالث على سبيل المثال

(١) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ٦٦٨/٢ الباب ٣٥.

(٢) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٠/١، وشذرات الذهب لابن العماد ٢٤٦/٣، والأعلام

للزركلي ١٦٣/٤.

وهو في الأشياء التي تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها فيقع في أربعة فصول.
تناول الثعالبي ضمن هذه الأبواب والفصول عدداً كبيراً من المعاني والجوانب المتعلقة بها،
منها: الكليات أي ما أطلقه أئمة اللغة في تفسير لفظة (كل)، فذكر ضمن هذه المعاني على
سبيل المثال: كل ما علاك فأظلك فهو سماء، وكل بناء مرتع فهو كعبة، وكل أرض مستوية
فهي صعيد.

ومن هنا أيضاً النبات، الحيوان وأوصافه وأحواله، الإنسان وكل ما يتعلق به، الشدة، القلة
والكثرة، الطول والقصر، الألوان وضروبها، الأمراض وأدواؤها، الأصوات، الجماعات، الأطعمة
والأشربة، وغيرها...

وقد نبّه الثعالبي في مقدّمة الكتاب على أنه أخذ ممن سبقه من اللغويين كالخليل
والأصمعي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفرّاء...

ومن الواضح أن المؤلف أولى الألفاظ المفردة اهتماماً كبيراً، ولم يلتفت إلى التراكيب
والعبارات كما وجدنا عند الهمداني وقدامة بن جعفر، وكان يحدّد دلالة الألفاظ المذكورة بدقة،
وبيّن الفروق بينها من حيث المعنى الذي تدلّ عليه.

فمن ذلك على سبيل المثال ما ذكره في الباب الثالث (في الأشياء التي تختلف أسماؤها
وأوصافها باختلاف أحوالها، فصل فيما ورد عن الأئمة وعن أبي عبيدة):

«لا يقال: كأس إلا إذا كان فيها شراب، وإلا فهي زجاجة، ولا يقال: مائدة إلا إذا
كان عليها طعام، وإلا فهي خُوان...»^(١).

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في الباب الثامن عشر (في ذكر أحوال وأفعال للإنسان وغيره،
فصل في ترتيب الحب وتفصيله).

(١) فقه اللغة وسر العربية، ص ٣٥، ضمن الفصل الأول.

«أول مراتب الحبّ الهوى، ثم العلاقة، وهي الحب اللازم للقلب، ثم الكلف وهو شدة الحب، ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب، ثم الشَّغَف وهو إحراق الحبّ القلب مع لَذَّةٍ يجدها، وكذلك اللّوعة واللاعج، فإن تلك حرقّة الهوى، وهذا هو الهوى المحرق، ثم الشَّغَف وهو أن يبلغ الحبُّ شَغَاف القلب وهي جلدَةٌ دونه وقد قرئنا جميعاً ﴿شغفها حباً﴾^(١) ثم الجوى، وهو الهوى الباطن، ثم التَّيَم وهو أن يستعبده الحب، ومنه سمي تيم الله أي عبد الله، ومنه رجلٌ متيّم، ثم التَّبل، وهو أن يُسَقِّمَه الهوى، ومنه رجلٌ متبول، ثم التدليه وهو ذهاب العقل من الهوى، ومنه رجلٌ مُدَلِّه، ثم الهَيُوم، وهو أن يذهب على وجهه لَعَلَّةُ الهوى عليه، ومنه رجل هائم»^(٢)، ولم يكن الثعالبي من الشواهد القرآنية والشعرية، واكتفى بالقليل منها.

أما القسم الثاني من الكتاب وهو في مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها، ويعرف اختصاراً بسرّ العربية فقد جعله الثعالبي في تسعة وتسعين (٩٩) فصلاً تناول فيها أساليب العرب في التعبير، وطرائقهم في التقديم والتأخير، والكناية، وحمل اللفظ على المعنى، والتذكير والتأنيث، والنحت، وتكرار اللفظ، وأبنية الأفعال وغير ذلك من الجوانب الأسلوبية والنحوية والصرفية والبلاغية التي عرفت في كلام العرب وسننها فيه.

وهو لا يقل أهمية عن القسم الأول مع صغر حجمه بالمقارنة بينهما، ولكنه يقدّم للقارئ كثيراً من الفوائد اللغوية والأسلوبية والاستخدامات الدقيقة للألفاظ للتعبير عن معانٍ محددة. الكتاب مطبوع، أجود طبعاته طبعة صادرة عن مؤسسة مصطفى الباي الحلبي بمصر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م بتحقيق مصطفى السقا وآخرين.

(١) سورة يوسف : ٣٠.

(٢) فقه اللغة وسر العربية، ص ١٦٧ ضمن الفصل الواحد والعشرين.

المخصّص لابن سيده (٤٥٨ هـ)^(١):

المخصّص أضخم معاجم المعاني، وأغناها وأوسعها وأشملها، اعتمد ابن سيده في تأليفه على جمهرة كبيرة من الرسائل اللغوية، ومعاجم الألفاظ، ومعاجم المعاني، وكتب اللغة، والثقافة الأدبية العامة، والشعر، والمعارف المتنوعة، منها: إصلاح المنطق لابن السكّيت، فصيح ثعلب، جمهرة ابن دريد، أدب الكاتب لابن قتيبة، كتب الأصمعي، وغيرها..

وعنوان المعجم يدلُّ على مضمونه فقد خصَّ كل لفظة بمعناها الدقيق، وذكر مواضع استخدامها في الكلام، واتبع فيه منهجاً واضحاً منظماً، يقوم على تقسيم المعجم إلى كتب تتضمن أبواباً كبيرة، تشتمل على فصول متنوعة الموضوعات، وكان ينتقل من موضوع إلى آخر وفق تسلسل منطقي حسن، فقد بدأ بالإنسان وطبائعه وحوادثه، ثم انتقل إلى الحيوان مبتدئاً بلصق فصائله بالإنسان، ثم تناول الجوانب الطبيعية من سماء ورياح، ومياه، ونباتات، ومعادن وغير ذلك...، وخصص الأجزاء الثلاثة الأخيرة للنحو والصرف.

بدأ ابن سيده معجمه بمقدمة تحدّث فيها عن موضوعات الكتاب، وبيّن محاسنه، والفوائد الجمة التي أودعها فيه، وأتى على ذكر المصادر التي استقى من مَعِينها مادّة كتابه، وبيّن الغرض من تأليف معجمه (المخصّص).

يمتاز المعجم بمجموعة من الخصائص التي تكسبه أهمية واضحة، وتجعله في مقدمة المعاجم التي تناولت المعاني المتنوعة وما يتعلق بها من الألفاظ، أهمها:

● الانتقال من العموم إلى الخصوص، ومن الكليّات إلى الجزئيات، والابتداء بالجواهر قبل الأعراض، وتقديم الكم على کیف.

(١) أبو الحسن علي بن إسماعيل، تقدمت ترجمته عندما تناولنا معجمه المحكم والمحيط الأعظم.

يتضح ذلك في التسلسل المنطقي، والتدرج الموفق في عرض الموضوعات فقد بدأ بالإنسان وهو مفهوم عام، عرضه ضمن كتاب خلق الإنسان، ثم فرّع منه مجموعة من الأبواب، أولها باب الحمل والولادة، وعن هذا الباب فرّع فصولاً تتعلق بالمعنى الذي عقد الباب له، منها على سبيل المثال: أسماء ما يخرج مع الولد.

ومن الأبواب: باب الرضاع والفظام والغذاء وسائر ضروب التربية، ويتفرع عنه الغذاء السيء للولد، أسماء أول ولد الرجل وآخرهم، أسماء ولد الرجل في الشباب والكبر، أسنان الأولاد وتسميتها..

● التزام التقييد والتحديد؛ أي تقييد كل لفظة بالمعنى الدقيق، وتحديد دلالتها وبالمقابل تقييد المعنى باللفظة المناسبة، وتحديد مواضع ورودها في الكلام للتعبير عن المعنى المراد.

● ذكر عناوين المصادر وأسماء العلماء الذين أخذ عنهم، ونسبة كل قول أو رأي إلى صاحبه وهذا يدل على الأمانة العلمية التي اتصف بها ابن سيده.

● التوسع في الشواهد المستمدة من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، وغريب كلام العرب لترسيخ المعنى والألفاظ المتعلقة به في ذهن القارئ ونفسه، وبيان مواضع استخدام الألفاظ في الكلام.

● الإشارة إلى الروايات المتضاربة لشاهد معين أو استخدام لغوي محدد، فابن سيده يذكرها جميعاً، ولا يقحم نفسه فيها، ولا يقطع بصحة رواية على أخرى، مما يدل على موضوعيته في التأليف وعرض المادة العلمية.

لقد شابه ابن سيده في (المخصص) الثعالبي في (فقه اللغة) والعسكري في (التلخيص) من حيث التبويب والتفريع والانتقال من الأعم إلى الأخص، ولكنه كان أكثر إحكاماً،

وأعمق فكراً، وأفضل تبويماً، لذلك استحق معجمه أن يتصدر كل ما صُنّف في هذا الجانب. طبع المخصص في المطبعة الأميرية بالقاهرة في سبعة عشر سَفراً (جزءاً) وقعت في خمسة مجلّدات ثم أعيد نشره في المكتب التجاري ببيروت عام ١٩٦٦م مصوّراً عن طبعة القاهرة عام ١٩٢١م.

وثمة اختصار للمخصص صنعه كل من عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، جاء خالياً من الأسانيد، والروايات والشواهد، وطبع بعنوان (الإفصاح في فقه اللغة) وصدر عن دار الفكر العربي بمصر بين عامي ١٩٦٤م و ١٩٦٧م ضمن مجلدين، وهي الطبعة الثانية منه، وفيها إضافات وزيادات مفيدة تواكب العصر.

المعاجم العربية الحديثة:

من المفيد لدارس اللغة العربية الاطلاع على بعض المعاجم التي اجتهد أصحابها في إخراجها ضمن صورة واضحة، واتباع طريقة سهلة تيسّر للدارسين والباحثين الرجوع إليها. في جميع هذه المعاجم رُتبت المواد اللغوية ترتيباً يأخذ بأوائل الحروف، نذكر من أهمها:

١ - محيط المحيط: ألفه بطرس البستاني (١٨٨٣م) واعتمد في مادته الأساسية على القاموس المحيط مع إضافات استقاها من الصحاح ولسان العرب وأساس البلاغة، وزيادات اقتضتها معطيات العصر ومصطلحات العلوم والحضارة، له عدة طبعات منها طبعة صادرة عن مكتبة لبنان عام ١٩٨٧م.

٢ - قطر المحيط: لبطرس البستاني نفسه، وهو اختصار لمعجمه السابق، أراده أن يكون أكثر سهولة وأقرب تناولاً، وقد أدخل عليه بعض التعديلات؛ كحذف الشواهد وبعض المصطلحات والألفاظ العامية.

٣ - أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد: ألفه سعيد الخوري الشرتوني (١٩١٢م)، كان الهدف الأساسي من تأليفه تقديم معجم موجز سهل التناول، ييسر للناشئة حسن الاستخدام والبحث عن المواد اللغوية، وقد تناول فيه بعض القضايا اللغوية بالشرح والتفصيل كالمجاز والترادف، والدخيل والمولد والمغرب.

٤ - المنجد: ألفه لويس المعلوف (١٩٤٦م) جعله مختصراً لأقرب الموارد، وأضفى عليه بعض الزيادات التي استقاها من مصادر لغوية كثيرة أهمها تاج العروس، وزوده برموز لبعض المصطلحات مثل: م للمؤنث، مص للمصدر، وللمعجم ملاحق مفيدة جمعت فيها المفردات التي لم ترد في المتن، والأمثال والأقوال السائرة، والأعلام.

٥ - معجم دوزي: ألفه المستشرق الهولندي ذو الأصل الفرنسي رينهرت دوزي (١٨٨٣م) سماه بالفرنسية (ملحق القواميس العربية)، عمل فيه قرابة أربعين عاماً، اعتمد فيه على كثير من الكتب العربية، وبعض المعاجم القديمة التي كانت سائدة في المغرب والأندلس، واهتم فيه بالألفاظ التي كانت سائدة في الديار الأندلسية والمغربية الإسلامية.

٦ - متن اللغة: ألفه العلامة الشيخ أحمد رضا (١٩٥٣م) عضو الجمع العلمي العربي بدمشق (بجمع اللغة العربية الآن)، جمع فيه ما تناثر في بطون المصادر اللغوية القديمة، وأضاف إليه ما استحدث من الألفاظ والمصطلحات التي أقرها الجمع، وذكر فيه الألفاظ العامية ذات الأصل الفصيح، صدر عن دار الحياة ببيروت بين عامي ١٩٥٨م و ١٩٦٠م في خمسة مجلدات.

٧ - المعجم الكبير: وهو واحدٌ من ثلاثة معاجم أشرف مجمع اللغة العربية في القاهرة على إصدارها وهي (المعجم الكبير، المعجم الوسيط، المعجم الوجيز) خدمة للغة

العربية، وتلبية لحاجة الباحثين الدارسين.

أريد لهذا المعجم أن يكون كبيراً واسعاً، لذلك صدر منه خلال خمسة وعشرين عاماً جزءان فقط اشتملا على حرفي الهمزة والباء، (كل حرف في جزء).

وقد روعي فيه الجمع بين القديم والحديث من الألفاظ، واستخدام القياس والاشتقاق والتعريب وإيراد المصطلحات العلمية والفنية وشرحها بإيجاز، والاهتمام بالأعلام والأماكن.

٨ - المعجم الوسيط: أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة، أعد مواده إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون.

تضمّن المعجم كثيراً من الألفاظ التي اقتضاها التطور الحضاري والعلمي، فاشتمل على الألفاظ المولدة والمحدثة والمعربة والدخيلة التي أقرّها المجمع، وأهمّل الألفاظ الحوشية الغريبة التي هُجرت في الاستعمال، وتضمّن صوراً توضيحية لكثير من الأشياء والنبات والحيوان، وراعى في المفردة المذكورة تقديم الفعل على الاسم، والمجرّد على المزيد، والمعنى الحسي على المعنى العقلي، والحقيقي على المجازي، والفعل اللازم على الفعل المتعدي.

طبع المعجم الوسيط في مجلدين بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦١م ثم صدرت طبعة منقحة ومزودة عام ١٩٧٢م وأصدرت إدارة إحياء التراث الإسلامي في قطر طبعة أخرى عام ١٩٨٥م.

٩ - المعجم الوجيز: أشرف على إصداره مجمع اللغة العربية في القاهرة بالتشاور مع وزارة التربية والتعليم في مصر، وهو معجم موجز مدرسي يلائم مراحل التعليم العام، ولم يختلف من حيث المنهج وطريقة عرض المواد اللغوية عن المعجم الوسيط.

١٠ - الصحاح في اللغة والعلوم: ألفه الحققان نديم المرعشلي وأسامة المرعشلي،

ونشره في دار الحضارة العربية ببيروت في مجلدين عام ١٩٧٤م، ثم في مجلد واحد ١٩٧٥م.

ذكر المصنّفان أن الهدف من تأليف هذا المعجم ذو شقين:

الأول: تجديد (صاحح الجوهرى)، **والثاني:** إضافة ماجدّ في اللغة من مصطلحات علمية وفنية أقرتها مجامع اللغة العربية ومؤسسات التعريب، وقد أضافا في نهايته ملحقات خاصة بالمصطلحات الإنكليزية والفرنسية واللاتينية.

وتجديد الصحاح في المعجم اعتمد على تهديه بتجاوز كثير من القضايا النحوية والصرفية، واختصار الشواهد الموعلة في الغرابة، أما المصطلحات المذكورة فيه فهي تواكب جميع العلوم والفنون، وتندرج ضمن جذور عربية أو تبقى على أنها دخيلة أو معرّبة.

١١ - المعجم العربي الأساسي: أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع مؤسسة (لاروس) العالمية، والهدف منه أن يكون مخصصاً للناطقين بغير العربية ممن بلغوا مستوى متوسطاً أو متقدماً في دراستها، وللطلبة الجامعيين من غير العرب، وللمثقفين منهم عموماً، ولا يقتصر المعجم عليهم، فهو مفيد للعرب أيضاً.

والمعجم يعتمد الترتيب الهجائي لحوالي ٢٥٠٠٠ كلمة، فيذكر جذورها ويفسّره بدقة وإيجاز، ويستحضر الشواهد المناسبة من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والأمثال، ويشتمل على بعض الرموز الخاصة بمفاهيم لغوية معينة مثلاً: (ج - ا ث جمع مؤنث سالم ج - و ن جمع مذكر سالم).

والمعجم ذو طابع موسوعي؛ فهو يتناول عدداً كبيراً من مصطلحات العلوم والفنون والحضارة، ويذكر طائفة كبيرة من أسماء الأعلام والأماكن والبلدان والأنهار، وينأى عن الغريب الحوشي من الكلام، والمهجور من الألفاظ، ويذكر الكلمات المولدة والدخيلة التي أقرتها مجامع اللغة العربية.

وفي ختام كلامنا على المعاجم نذكر بعض الدراسات التي قدمها الباحثون ضمن كتب
عن المعاجم:

- ١ - معجم المعاجم لأحمد الشرقاوي إقبال.
- ٢ - المعجم العربي نشأته وتطوّره لد. حسين نصّار.
- ٣ - المعاجم العربية لعبد الله درويش.
- ٤ - المعجمات العربية لوجدي رزق غالي.
- ٥ - المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطوّرها لإميل يعقوب.





الفصل الثاني

المصادر اللغوية (٢)

كتب فقه اللغة



كتب فقه اللغة

يدل مصطلح فقه اللغة على الفهم العميق للغة، والمعرفة الدقيقة بأسرارها وخصائصها، وهو ملازم للعلم الذي يدرس القضايا اللغوية المتعلقة بمخارج الحروف والأصوات واللهجات واللحن، والظواهر اللغوية كالغريب، والاشتقاق، والترادف، والمشارك اللفظي، والأضداد، إلى جانب الدخيل والمعرّب والأعجمي، والتأصيل اللغوي والتطور الدلالي المرافق له، وغير ذلك من الجوانب التي تدرس الكلمة في صورتها المفردة، أو التركيبية، أو الدلالية، وتتناول اللغة وخصائصها وصلتها بغيرها من اللغات.

ومن المفيد لدارس اللغة العربية على وجه العموم، وللمكتبة العربية على وجه الخصوص أن يعرف أهم المصادر التي تناول فيها أصحابها ما سبق ذكره من القضايا والجوانب اللغوية.

كتب اللغات (اللهجات)

لا يختلف مفهوم اللغة عن مفهوم اللهجة فكلاهما يدلّان على صفات لغوية أو صوتية معينة في الكلام يشترك فيها أفراد بيئة محدّدة، نتيجة لأسباب اجتماعية أو جغرافية أو فردية. لقيت اللهجات أو اللغات اهتماماً كبيراً من اللغويين والعلماء فألّفوا كتباً خاصة لها، أو تناولوها ضمن مصنفات لم تخصص في الأصل لها، منها:

- المعاجم بنوعيتها، معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني، وأهمها جمهرة اللغة لابن دريد، والمخصص لابن سيده.

- الرسائل اللغوية التي اهتم فيها مؤلفوها بالألفاظ المتعلقة بمعنى محدد، كالمرآة لأبي زيد الأنصاري، والنخل والكرم للأصمعي.

- كتب النوادر والغريب كنوادر أبي زيد الأنصاري.

- كتب الأمثال كمجمع الأمثال للميداني، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري.

- كتب النحو وضرائر الشعر، كالكتاب لسيوييه وضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي.
إن القرآن الكريم مصدر أساسي لمعرفة لهجات القبائل العربية، وقد تجلّى هذا الأمر في القراءات السبع والقراءات الشاذّة التي اهتم بها القراء وعلماء اللغة واحتجوا بها، وهي تحسد لغات أفصح القبائل العربية كقريش وتميم وهوازن وغيرها.

أما الكتب التي خصّصها أصحابها لعرض اللغات أو اللهجات فأهمها:

- ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤هـ.
- كتاب (اللغات في القرآن الكريم) رواية إسماعيل بن عمرو بن حسين المقرئ ٤٢٩هـ، وهما مطبوعان.

ثمّة كتب أخرى ذكرها ابن النديم في كتابه الفهرست ولكنها لم تصل إلينا، أهمها^(١):

- اللغات ليونس بن حبيب ١٨٣هـ.

- اللغات للفراء ٢٠٧هـ.

- اللغات لأبي زيد الأنصاري ٢١٥هـ.

- اللغات للأصمعي ٢١٦هـ.

كتب الاشتقاق:

أدرك علماء اللغة أهمية الاشتقاق^(٢)، وأثره في حيوية اللغة وتطورها، فتناولوه بالبحث والدراسة منذ وقت مبكر.

(١) انظر الفهرست ص ٥٣، المطبعة الرحمانية، مصر.

(٢) وهو أخذ صيغة لغوية من جذر (أصل) لغوي على أن يتناسب في المعنى ويتفق في الحروف الأصلية، ويرجع إلى أصل واحد يوحي باشتراكها مع تغيير في اللفظ المشتق من حيث الصوت وهيئة التركيب. انظر: دراسات في فقه اللغة، د. مسعود بوبو، ص ١٥٢.

وقد بين اللغويون القدماء والمتأخرون أثر الاشتقاق في التجديد اللغوي، وتوليد الألفاظ بعضها من بعض، وتحقيق الشراء والتوسع اللغوي، وأظهروا أهميته في الثبوت من أصالة الألفاظ التي يُشكُّ في عريبتها، وبذلك يمكن معرفة الدخيل والأعجمي، وبيان الجذور العربية التي اشتقت الألفاظ منها.

ألف في هذا الجانب جماعة من اللغويين أبرزهم:

قطرب ٢٠٦هـ، والأصمعي ٢١٦هـ، والأخفش ٢٢١هـ، وأبو نصر الباهلي ٢٣١هـ، والمفضل بن سلمة ٢٥٠هـ، والمبرد ٢٨٥هـ والزجاج ٣١١هـ، وابن السراج ٣١٦هـ، وابن دريد ٣٢١هـ، وأبو جعفر النحاس ٣٣٨هـ، وابن خالويه ٣٧٠هـ، والرماني ٣٨٤هـ، وابن جني ٣٩٢هـ، وابن فارس الرازي ٣٩٥هـ.

من أشهر كتب الاشتقاق المطبوعة المؤلفة قديماً:

• الاشتقاق لابن دريد ٣٢١هـ حققه عبد السلام هارون في جزئين، وطبع في القاهرة ١٩٨٥م وقد بدأ فيه باشتقاق اسم النبي محمد ﷺ، ثم اشتقاق أسماء أجداده وصولاً إلى معد بن عدنان.

• رسالة في الاشتقاق لابن السراج تحقيق: محمد علي درويش، ومصطفى الحدي ١٩٧٢م.

• اشتقاق أسماء الله للزجاجي ٣٣٧هـ.

ومن أشهر كتب الاشتقاق المؤلفة حديثاً:

• الاشتقاق والتقريب لعبد القادر المغربي، القاهرة ١٩٤٨م.

• الاشتقاق لعبد الله أمين، القاهرة ٢٠٠٠م.

وقد ورد موضوع الاشتقاق في كتب فقه اللغة المؤلفة قديماً كالمرزهر للسيوطي، والخصائص لابن جني، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، وورد أيضاً في الكتب المؤلفة حديثاً كفصول

في اللغة لد. رمضان عبد التواب، ودراسات في فقه اللغة لد. صبحي الصالح، وفقه اللغة لد. علي عبد الواحد وافي.

كتب الترادف

المقصود بالترادف إطلاق الألفاظ المفردة على شيء واحد، وهذا يعني أن تدل مجموعة من الألفاظ على معنى واحد، ويمكن إيجاز مفهوم الترادف بقولنا: هو ما اختلف لفظه واتفق معناه.

والترادف من الظواهر اللغوية التي تقدم للغة ثراءً واتساعاً في أساليب التعبير، وقد أقبل علماء اللغة على تصنيف كتب خاصة بالترادف مع تضارب آراء العلماء بين مثبت ومنكر لها^(١).

من أهم الكتب المصنفة في ظاهرة الترادف:

ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعي ٢١٦هـ، والأسماء المختلفة للشيء الواحد لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤هـ، والألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ٣٨٤هـ.

ثمة رسائل لغوية صنفت لعرض المترادفات ضمن جانب معين كأسماء الخمر للأصمعي،

(١) فمن العلماء الذين أثبتوا ظاهرة الترادف: الأصمعي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وابن السكيت، وابن جني، وابن سيده، وغيرهم فهؤلاء يؤيدون أن الألفاظ تتعدد وتدل على معنى واحد.

ومن العلماء الذين أنكروا ظاهرة الترادف: ثعلب، وأبو علي الفارسي، وابن فارس، وأبو هلال العسكري وأبو منصور الثعالبي وغيرهم... وهؤلاء يقولون: إن للشيء اسماً واحداً، وكل ما دل عليه من ألفاظ أخرى نعت له أو صفة، وكل صفة تدل على معنى يختلف عن معنى الصفة الأخرى.

وهذا ما دفع بعض علماء اللغة إلى تصنيف كتب في الفروق اللغوية بين الألفاظ التي يذهب مؤيدو الترادف إلى إلغاء الفروق بينها، ومن صنف في الفروق أبو هلال العسكري.

وأسماء الخيل لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأسماء الدواهي عند العرب للمبرّد، وأسماء الأسد لابن خالويه، ولأبي سهل الهروي.

وقد تناول بعض اللغويين ظاهرة الترادف ضمن كتب اللغة التي لم تخصص للترادف فقط كابن جني في الخصائص، وابن سيده في المخصص، والسيوطي في المزهري. وبالمقابل صنف بعض اللغويين كتباً في الفروق أظهرها فيها الفروق بين الألفاظ التي ذهب مؤيدو الترادف إلى ترادفها كأبي هلال العسكري الذي فرّق في كتابه (الفروق اللغوية) بين معاني الألفاظ المتعددة، وأثبت أنها لا تدل على معنى واحد، وثمة فروق دقيقة بينها تلغي ترادفها.

ففرق بين الكأس والقدر، فالكأس لا تكون إلا مملوءة، والقدر تكون مملوءة وغير مملوءة، وفرّق بين الخوان والمائدة، فالمائدة ما كانت تضم أنواعاً من الطعام، فإذا لم تكن كذلك فهي خوان.

وفرّق بين المدح والتقريظ فالمدح للحيّ والميت، والتقريظ لا يكون إلا للحيّ، وخلافه التأبين الذي لا يكون إلا للميت.

وفرّق بين الحب والود، والإرادة والمشية، والجود والكرم، والقديم والعتيق...

كتب المشترك اللفظي:

تعني ظاهرة الاشتراك اللفظي أن يدلّ لفظ واحد على معنيين أو أكثر، وبعبارة مختصرة يمكن القول: إن المشترك اللفظي ما اتحدت صورته واختلف معناه.

لفظة (العين) على سبيل المثال تطلق على عضو الرؤية عند الإنسان، وعلى الجاسوس، وعلى نبع الماء، وعلى المال، وعلى سنام الإبل وغير ذلك..

ولفظة الغروب تدل على غروب الشمس، وعلى جمع غَرْب وهي الدلو العظيمة

المتثلة، وعلى جمع غَرَب بمعنى الوهاد المنخفضة، وقد اختلفت آراء علماء اللغة في قبول هذه الظاهرة وإثباتها، أو إنكارها^(١)، أو التوسط في النظرة إليها بين القبول والإنكار^(٢).

من أهم الكتب التي صنفت في المشترك اللفظي:

- الوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي ١٥٠هـ، حققه د. عبد الله شحادة.
- الوجوه والنظائر في القرآن لهارون بن موسى الأزدي الأعور ١٧٠هـ.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه لإبراهيم بن محمد الزبيدي ٢٠٢هـ.
- ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه للأصمعي ٢١٦هـ.
- الأجناس من كلام العرب أو ما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٢٤هـ، وقد خصص هذا الكتاب لعرض المشترك اللفظي في الحديث النبوي الشريف.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي العميشل ٢٤٠هـ.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن السكيت ٢٤٤هـ.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرّد ٢٨٥هـ.
- المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه لكراع (علي بن الحسن الهنائي ٣١٠هـ).
- ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي السعادات هبة الله بن الشجري ٥٤٢هـ.

(١) ممن أثبتها ابن جني، ومن أنكرها ابن درستويه، وأبو هلال العسكري.

(٢) فأبو علي الفارسي رأى أن الاشتراك اللفظي موجود بسبب استعارة اللفظة نفسها لتؤدي معنى آخر غير الذي دلّت عليه، فهذه الظاهرة ليست أصلاً في اللغة ولكنها من قبيل تداخل اللغات، أو الاستعمال المجازي للألفاظ.

- المشترك وضعاً والمختلف صقلاً لياقوت الحموي ٦٢٦هـ.
- وفي كتاب النوادر لأبي مسنح الأعرابي عبد الله بن حريش عرض لألفاظ المشترك اللفظي.
- ثمة مصنفات جمع فيها أصحابها بين المشترك اللفظي وغريب اللغة، وخير ما يمثلها ثلاثة كتب مشهورة هي:
- المداخل في اللغة لأبي عمر المطرّز المعروف بالزاهد محمد بن عبد الواحد ٣٤٥هـ^(١).
- شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة لأبي الطيب عبد الواحد بن علي ٣٥١هـ^(٢).
- المسلسل في غريب لغة العرب أو المسلسل من كلام العرب لأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي ٥٣٨هـ^(٣).
- اعتمد أصحاب الكتب السابقة على إظهار صورة الغريب من حيث إطلاق الألفاظ الغريبة على غير ما اشتهر من معانيها، والاستفادة من ظاهرة الاشتراك اللفظي في الكلام لبيان تلك المعاني غير المشهورة والمتداولة.
- فالأوص: العسل. والعسل عذو الذئبة، والذئبة: كوة السرج^(٤)...
- والهلال: هو القمر في مستهل الشهر العربي، لكنه يعني أيضاً: حديدة يعرّقب بها الصياد الحمار الوحشي، وما أحاط بطرف الإصبع من اللحم، وبقيّة الماء في الحوض وغير

(١) كتابه مطبوع، حققه أ. محمد عبد الجواد، وهو من منشورات المكتبة الأنجلو أميريكية، مصر.

(٢) كتابه مطبوع، حققه أ. محمد عبد الجواد، دار المعارف، الطبعة الثالثة، مصر.

(٣) كتابه مطبوع، حققه أ. محمد عبد الجواد، راجعه: إبراهيم الدسوقي البساطي، وزارة الثقافة، مصر.

(٤) المداخل، ص ٥٠، ٥١.

ذلك من المعاني التي لم تشتهر في الكلام^(١).

والخذنيذ: الرجل الجواد الشجاع، والشجاع: الشري، والشري من الخيل: الفائق الجواد^(٢)...

يكاد منهج هذه الكتب يكون واحداً، فقد عرض أصحابها الألفاظ الدالة على معنيين مختلفين بطريقة طريفة تعتمد على تفرّع الألفاظ بعضها من بعض، فالمعنى الذي تدلّ عليه اللفظة يغدو لفظة جديدة تدلّ على معنى آخر، وبذلك تحمل اللفظة ذاتها معنيين مختلفين.

كتب الأضداد

المقصود بالأضداد أن تدلّ اللفظة الواحدة على معنيين متضادين، لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد، كالطول والقصر، والقوة والضعف، والليل والنهار.

ولهذه الظاهرة اللغوية أثر واضح في نمو الثروة اللفظية، والانتساع في التعبير، ويلاحظ التشابه بين الأضداد والمشارك اللفظي من حيث دلالة اللفظة الواحدة على معنيين، لكن الاختلاف بينهما يكون في التباين أو التضاد من حيث المعنى، ولا تشتمل ظاهرة الأضداد على ما يعرف في علم البديع بالطباق أي، الألفاظ أو المعاني المتضادة، لأن الأضداد كظاهرة لغوية تعني اللفظة الواحدة الدالة على معنيين متعاكسين.

اختلف علماء اللغة في دراسة هذه الظاهرة، وتباينت آراؤهم بين مثبت لها ومنكر^(٣)، وقد بدؤوا في تأليف كتب الأضداد منذ بداية القرن الثالث الهجري.

(١) شجر الدر، ص ٤٠، ٤١.

(٢) المسلسل، ص ٧٧.

(٣) فمن أنكرها ثعلب ٢٩١هـ، وابن درستويه ٣٤٧هـ الذي ألف كتاباً في إبطال الأضداد، وابن دريد الذي اشترط أن يكون التضاد في لغة (لهجة) واحدة، بحجة أنه من غير المعقول إطلاق اللفظ على المعنى ونقيضه في الوقت نفسه، فيكون ابن دريد في موضع الوسط بين القبول والإنكار ومن أثبت ابن الأنباري، وابن فارس.

أشهر الكتب التي صنفوها في هذا الجانب:

- الأضداد لقطرب محمد بن المستنير ٢٠٦هـ^(١).
 - الأضداد للأصمعي ٢١٦هـ.
 - الأضداد لابن السكيت ٢٤٤هـ.
 - الأضداد للسجستاني ٢٥٥هـ^(٢).
 - الأضداد للصاغاني ٦٥٠هـ.
 - ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرّد ٢٨٥هـ^(٣).
 - الأضداد لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ٣٢٧هـ^(٤).
 - الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي ٣٥١هـ^(٥).
 - الأضداد في اللغة لأبي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدّهّان ٥٦٩هـ^(٦).
- لعل أوفى هذه الكتب هو كتاب ابن الأنباري (الأضداد في اللغة)، فقد استوفى ما جاء في كتب الأضداد السابقة لكتابه، ودافع فيه عن اللغة العربية من حيث إن ورود الأضداد فيها لا يسبب لها مذمة أو نقصاً كما راق لبعض الشعوبيين أن يصفوها، فقد

(١) نشره هانز كوفلر في برلين ١٩٣١م مع تعليقات وفهارس.

(٢) نشرت كتب الأصمعي، وابن السكيت، والسجستاني ضمن كتاب واحد عنوانه ثلاثة كتب في الأضداد ويليها

ذيل في الأضداد للصغاني، نشرها أوغست هفتر، بيروت، ١٩١٣م.

(٣) مطبوع بتحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة.

(٤) مطبوع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.

(٥) مطبوع بتحقيق د. عزة حسن، مجمع اللغة العربية في دمشق، ١٩٦٣م، ضمن مجلدين.

(٦) مطبوع بتحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٩٦٣م.

ذهبوا إلى أنَّ ظاهرة الأضداد في اللغة العربية تدل على نقص في وسائل التعبير، وقلة في البلاغة والحكمة، فردّ الأنباري عليهم ذلك، وأثبت بالحجج والأدلة القاطعة والشواهد المستمدة من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر والرحز، أن السياق هو الذي يحدد المعنى المراد، فالأصل أن تقع الكلمة على معنى واحد، ولكن وقوعها على معنى آخر معاكس للمعنى الأول ناجم عن اختلاف لغات العرب، فلفظة (الجون) على سبيل المثال تعني الأبيض عند حي من أحياء العرب، وتعني الأسود عند حي آخر، ثم أخذ أحد الحيين عن الآخر، وهذا من باب الاتساع في اللغة.

ولم يخل القرآن الكريم من هذه الظاهرة، فثمة ألفاظ من الأضداد وردت فيه مثل: عسعس بمعنى أقبل وأدبر، وقد وردت في قوله تعالى من سورة التكوين الآية (١٧): ﴿والليل إذا عسعس﴾ فذكر المفسرون أنها تأتي بمعنى أقبل وتأتي بمعنى أدبر، ومنها أيضاً أسر بمعنى أظهر الأمر وكنمه، ففي قوله تعالى في سورة التحريم الآية (٣): ﴿وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً...﴾ بمعنى أظهر، وفي قوله تعالى من سورة يوسف الآية (٧٧): ﴿فأسرّها يوسف في نفسه ولم يُبدّها...﴾ بمعنى كتم^(١).

أما أبو الطيب اللغوي، فقد أفاد من جهود سابقه، وقدم كتاباً غزير المادة، حسن المنهج، إذ رتب فيه الكلمات ترتيباً هجائياً ألفبائياً، وأورد الكثير من الشواهد المتنوعة، وضبط الألفاظ ضبطاً دقيقاً.

كتب المعرب والدخيل

إن الصلات البشرية والاجتماعية والاقتصادية التي نشأت بين العرب وغيرهم من الأقوام والأمم، كالفرس واليونان والهنود سببت دخول كثير من الألفاظ الأعجمية إلى اللغة العربية،

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٤، وانظر المصدر السابق ٥٠٧/٢.

وهي ظاهرة لغوية طبيعية تدل على حيوية اللغة العربية، وابتعادها عن الجمود أو القصور عن استقبال ألفاظ جديدة والتفاعل معها.

تعددت آراء اللغويين القدماء والمحدثين في مفهوم المعرب والدخيل، والمولّد والأعجمي، فمنهم من حدّد مفهوم كل مصطلح بدقة، ومنهم من لم يجد فرقاً بين المعرب والدخيل.

المعرب: لفظ استعاره العرب الخُلص (الأقحاح) في عصر الاحتجاج من لغة أخرى واستعملوه في كلامهم، وهو أيضاً لفظ أعجمي غيّر العرب بعد دخوله العربية بطرق لغوية مختلفة؛ كالنقص أو الزيادة أو القلب في الحروف، أو بصوغه وفق الأوزان العربية، أو بالاشتقاق منه.

الدخيل: لفظ دخل اللغة العربية من لغات أخرى، ولكنّ دخوله لا يقتصر على عصر الاحتجاج، وقد تبقى الكلمة الدخيلة على حالها، أو تُغيّر تغييراً طفيفاً.

ثمّة خلاف بين العلماء في أمر وجود الأعجمي في القرآن الكريم فمنهم من أنكر وجوده، ومنهم من أثبت وجوده، ومنهم من وُفق بين الرأيين.

والحق أن بعض الألفاظ الأعجمية وقعت في القرآن الكريم، ولكنّ وجودها لا يتنافى مع نزوله بلسان عربي مبين، فأكثر القرآن عربي ولأكثر حكم الكل^(١).

إن ورود الأعجمي في القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو كلام العرب في عصر الاحتجاج يجعل اللفظ معرباً، لذلك نجد أصحاب المعاجم يذكرون بعد أي لفظ معرب العبارة: «معرب، وقد تكلمت به العرب»، أو «أعجمي معرب، وقد جاء في أشعار العرب» كلفظة دمشق على سبيل المثال.

لهذا السبب قال الجواليقي في المعرب: «هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من

(١) انظر ما ورد عن ذلك في المظهر للسيوطي ١ / ٢٦٩.

الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح»^(١).

أما أشهر الكتب التي تناولت المعرب والدخيل فهي:

- المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي أبي منصور موهوب بن أحمد ٥٤٠هـ^(٢).

عرض المؤلف فيه جميع الألفاظ التي دخلت إلى اللغة العربية، وعُربت حتى عصره، وحرص على بيان اللغات الأصلية التي كانت مصدر هذه الألفاظ، وبيّن أصولها في لغاتها، واجتهد في نسبة الأقوال والآراء إلى أصحابها من علماء اللغة.

وقد بدأ كتابه بفصل عن الألفاظ التي تعرف بأنها معربة من حروفها وسماء: (باب ما يعرف من المعرب بأتلاف الحروف)، ورتّب الألفاظ المعربة ترتيباً هجائياً، واستشهد بكثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والشواهد الشعرية، ولا يخلو الكتاب من وهم في بعض المواضع من حيث نسبة بعض الألفاظ إلى العجمة وهي عربية، وليست معربة، فثمة ألفاظ عربية كثيرة دخلت إلى اللغات الأعجمية، كالفارسية على سبيل المثال بسبب العلاقات التي نشأت بين العرب وغيرهم من الأقوام وما نجم عنها من تبادل أو اقتراض لغوي.

- شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي شهاب الدين محمد بن

عمر ٩٧٧هـ^(٣).

(١) انظر المعرب للجواليقي ٩٥.

(٢) الكتاب مطبوع، طبع في لاينز بألمانيا عام ١٨٦٧ م، تحقيق المستشرق إدوارد سخاد، وطبع أيضاً في دار الكتب المصرية، القاهرة، عام ١٩٦٠ م، تحقيق أحمد محمد شاكر.

(٣) طبع الكتاب في المطبعة الوهية ١٨٨٢ م، ثم في مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ، ثم في مكتبة الحرم الحسيني ١٣٧١

والدخيل لفظ أعجمي غالباً لا يعرّب ويبقى على حاله التي كان عليها قبل أن يدخل اللغة العربية، وقد رتب المؤلف الكلمات الدخيلة ترتيباً هجائياً، وأشار إلى جهود الجواليقي في كتابه (المعرّب)، وأورد كثيراً من الكلمات المعرّبة، وبَيَّن أنها ليست دخيلة، وتحدّث أيضاً عن المؤلّد، وهو ما لم يتعرض له الجواليقي في كتابه.

كتب اللحن والتثقيف اللغوي

تضافرت مجموعة من العوامل التي جعلت اللغة العربية لغة الفصاحة والبيان، ومكّنت أصحابها من النطق بها في الصورة المثلى الخالية من اللّحن أو الخطأ اللغوي الذي يظهر ضمن المستوى الدلالي أو الصرفي أو النحوي أو الإملائي أو الصوتي.

إن الفصاحة سمةً للغة العربية منذ الجاهلية، وقد عزا علماء اللغة فصاحتها إلى ابتعاد العرب عن الأعاجم، وحدّدوا المكان والزمان المعتمدين في الاحتجاج بها.

فالمكان قلب شبه الجزيرة العربية حيث استوطنت القبائل العربية التي أخذت اللغة الفصيحة عن ألسنة أبنائها كقريش وتميم وأسد وهذيل؛ لبعدها عن الحدود التي تفصلها عن الأعاجم كالفرس والروم، والزمان يبدأ من عهد الجاهلية القريب من الإسلام وينتهي بالقرن الثاني الهجري.

وقد حرص العرب على لغتهم، فهي رمز عروبتهم التي يجب ألا يشوبها ما يعكر صفاءها، ويؤثر في فصاحة أبنائها.

ومما زادها شرفاً وفصاحةً نزول القرآن الكريم بها، وهذا ما دفع العرب إلى التشدد في الاحتجاج بها، ووضع شروط صارمة ينبغي وجودها في من يُحتج بكلامه من العرب الفصحاء^(١)

(١) انظر مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري، د. أحمد قدور، منشورات وزارة الثقافة في

الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٦م، ص ٥٠ وما بعدها.

الذين حفظوا الكثير من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب.

ويبدو أن رغبة العرب المسلمين في الفهم الصحيح للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هي التي دفعت علماء اللغة والنحو إلى التعمق في دراسة اللغة العربية، ووضع القواعد النازمة لفصاحتها، وصياغة الأحكام النحوية والصرفية التي تضمن حمايتها من اللحن وصونها من الخطأ الذي شاع على ألسنة الناس بعد دخول كثير من الأعاجم في الدين الإسلامي، واختلاطهم بالعرب المسلمين، الأمر الذي أدى إلى استفحال الخلل في اللسان العربي نفسه، وتحول اللحن إلى ظاهرة أثارت مخاوف اللغويين، لذلك نهض كثير منهم، ووضع القواعد التي تحفظ الألسنة من الخطأ، وصنّف الكتب الخاصة بهذه الظاهرة، وقدم فيها سبل معالجتها والقضاء عليها بعرض الأمثلة التي شاع اللحن فيها، وتصحيح أخطائها، وتقويم ما اعوجّ منها، وحاد عن الشكل الفصيح.

بدأ التأليف في موضوع اللحن منذ زمن مبكر، أي في أواخر القرن الثاني الهجري، فوضع اللغويون مصنفات كثيرة، أهمها:

- ما تلحن فيه العوام للكسائي ١٨٩هـ وهو رسالة صغيرة.
- إصلاح المنطق لابن السكّيت ٢٤٤هـ حرص فيه على ضبط ما يتشابه لفظه ويختلف معناه، وضبط ما يختلف لفظه ويتشابه معناه، حيث يكثر الخطأ في مثل هذه الحالات.
- أدب الكاتب لابن قتيبة ٢٧٦هـ.
- الفصيح لثعلب ٢٩١هـ، مع شرح الفصيح للهروي ٤٣٣هـ، وقد اهتم ثعلب في الفصيح بالدلالة على الأفصح إذا تعددت لغات اللفظ الواحد، وتصحيح الخطأ السائد في الكلام.
- ما تلحن فيه العامة لأبي طالب المفضل بن سلمة المتوفى حوالي ٣٠٠ هـ.

- لحن العوام للزبيدي ٣٧٩هـ.
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكّي الصقلّي ٥٠١هـ.
- درّة الغواص في أوهام الخواص للحريزي ٥١٦هـ.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي ٥٢١هـ.
- تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجوالقي ٥٣٩هـ.
- المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لابن هشام اللخمي ٥٧٧ هـ الذي ردّ فيه على الزبيدي وابن مكّي.
- تقويم اللسان لابن الجوزي ٥٩٧هـ.
- ذيل فصيح ثعلب للبغدادي ٦٢٩هـ.
- بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي ٩٧١هـ.
- شرح درّة الغواص للخفاجي ١٠٦٩هـ.

قد يقع اللحن من العامة، ويتسرّب إلى الخاصة والمثقفين، وهو لحن شاع واتسع، فصححه اللغويون، وحذّروا من الوقوع فيه، ويبدو أن اللحن الذي يشتمل على الجانبين الدلالي والصرفي هو السائد في معظم مصنفات لحن الكلام، وقد حرص المؤلفون على عرض ما تضعه العامة في غير موضعه، والتنبيه على كل لفظة أو استخدام لغوي خالف القواعد اللغوية.

ولبيان بعض الجوانب التي تناوها اللغويون في كتب اللحن والتثقيف اللغوي، سنقف عند كتاب (ما تلحن فيه العامة) للمُفضّل بن سلمة^(١).

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٤٦٠، وإنباه الرواة للقفطي ٣/٣٠٤، والأعلام للزركلي ٧/

هو أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، لغوي، عالم بالأدب، كان من خاصة الفتح بن خاقان وزير المتوكل، من كتبه: الفاخر، جماهير القبائل، ما يحتاج إليه الكاتب، الاستدراك على العين، ضياء القلوب، توفي نحو ٢٩٠ هـ أو ٣٠٠ هـ.

بدأ المفضل كتابه بمقدمة بيّن فيها أهمية اللغة العربية في إعراب القرآن الكريم، وتأويله، ووضح سوء انتشار اللحن في الكلام، وسرد أبواب الكتاب التي أربت على الثلاثين، منها:

● باب ما جاء من الأسماء بالفتح والعامّة تغلط فيه، منه:
هو فَصُّ الخاتم، وهو مَسْكُ الشاة: جلدها، و لا تقل مِسْك، إنما المسك الطيب الذي يُشَمُّ.

● باب ما جاء بالفتح من الأفعال والعامّة تغلط فيه، منه:
يقال دَمَعْتُ عيني، ولا تقل دَمِعْتُ، وَعَجَزْتُ عن الشيء، ولا تقل عَجَزْتُ.

● باب ما جاء من الأسماء بالكسر والعامّة تغلط فيه، منه:
يقال: هو رِخْوٌ ولا تقل: رِخْوٌ، وهي كِفَّة الميزان، ولا تقل كَفَّة.

● باب ما جاء من الأفعال بالكسر والعامّة تغلط فيه، منه:
يقال: قَضِمْتُ الدابة شعيرها، ولا تقل: قَضَمْتُ.

● باب ما جاء بالصاد والعامّة تغلط فيه.

● باب ما تغلط فيه العامّة من الصفات.

وفي الكتاب روايات كثيرة عن الفراء، وأبي عمرو الشيباني، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، وابن الأعرابي، وابن السكيت.

من أهم المصادر التي استقى منها المفضل مادة كتابه إصلاح المنطق لابن السكيت، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والفصيح لثعلب، وقد أورد مجموعة من الشواهد المتنوعة المستمدة من القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر، والرجز.

للكتاب قيمة كبيرة؛ فهو من الكتب المتقدمة في لحن الكلام، والمشملة على ألفاظ وقع اللحن فيها، ولم تذكرها كتب لحن العامة الأخرى، كما أنه ضم أقوالاً لعلماء فقدت كتبهم في لحن العامة.

تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكّي الصقلي (٥٠١هـ)^(١):

هو أبو حفص عمر بن خلف بن مكّي الصقلي فقيه محدث لغوي عالم بالعربية، استوطن تونس وتولّى قضاءها وخطابتها، من شيوخه ابن رشيق القيرواني صاحب العمدة. أراد ابن مكّي في كتابه التنبيه على الأخطاء اللغوية التي وقع فيها أهل صقلية من الخاصة والعامة، والطبقات العلمية المتعددة، كالقراء، والمحدثين، والفقهاء، والأطباء، وأهل العقود والمواثيق.

وتلك الأخطاء تتعلّق بالتصحيف الذي وقع في الألفاظ من الأسماء والأفعال والمصادر، وفي الأبنية المختلفة، وقد تناول في كتابه عدداً من الظواهر اللغوية كالترادف والأضداد، والمشارك اللفظي، وأورد جانباً مرتبطاً بأصول الكتابة العربية وقواعدها وأضاف بعض التعليقات التي تغني الثقافة العامة للقارئ.

إنّ حرص ابن مكّي على سلامة اللغة العربية وتنقيتها مما يعكّر صفوها دفعه إلى تأليف كتابه ليكون تشديداً للسان العربي الذي طاله الزلل، وتقويماً للعقل العربي الذي تقبّل في بعض الأحيان أخطاء في اللفظ والدلالة نجمت عن الاحتكاك بالأعاجم، وسوء في تأويل بعض

(١) انظر ترجمته في إنباه الرواة للقفطي ٣٢٩/٢.

المعاني، وتغيّر في الألفاظ والأبنية.

جعل ابن مكي كتابه ضمن خمسين باباً، بدأها بباب التصحيف، وتناول بعد ذلك ما غيّر من الألفاظ بالزيادة أو بالنقص أو بتغيير الحركات، أو بتذكير المؤنث أو تأنيث المذكر، ولعله أراد ترتيب الأبواب ترتيباً قائماً على المقابلة بينها، فكأنه يجمع بين الشيء وضده في موضع واحد تسهياً للفهم والحفظ.

يتصف منهج ابن مكي بحسن التنظيم، والوضوح في عرض مادة الكتاب، وبالدقة في نسبة الآراء والتعليقات إلى أصحابها من اللغويين، ويتسم باعتماده على مجموعة متنوعة من الشواهد التي استمدّها من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وآثار الصحابة الكرام وتابعيهم، والأمثال والأقوال السائدة، وأشعار العرب، وأرجازهم، وأخبارهم.

للكتاب مكانة متميزة بين مصنفات لحن الكلام، فابن مكي لم يكتف بذكر الخطأ اللغوي وتقديم التوجيه الصحيح الفصيح له، وإنما أورد مجموعة من الفوائد اللغوية والصرفية والثقافية وتعدّها إلى الكتابية أيضاً، كما أنه سعى إلى تقديم شيء جديد بتناول أخطاء الجماعات العلمية، والطبقات الاجتماعية، وأراد أن يخص أهل بلده صقلية بكتاب يذكر فيه أخطاء العامة والخاصة منهم، ويضاهي أو يجاري فيه المشاركة في تصنيف كتب لحن الكلام، فالمصنفات المشرقية السابقة لكتابه تناولت لحن العامّة بمعناها المتسع كمصنفات الكسائي ١٨٩هـ والفرّاء ٢٠٧هـ والأصمعي ٢١٦هـ، أو لحن الخاصّة كمصنفات أبي أحمد العسكري ٣٨٢هـ، وأبي هلال العسكري ٣٩٥هـ، أو التصحيفات الواقعة في ألفاظ المحدثين فقط، مع الإشارة إلى تصحيفات القراء والفقهاء واللغويين كشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري، والتنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ٣٦٠هـ، وتصحيفات المحدثين لأبي هلال العسكري، أو الأغلاط الواقعة من قبل الرواة في كتب اللغة، كالتنبيهات على أغاليط الرواة في كتب اللغة المصنفات لعلي بن حمزة البصري التميمي ٣٧٥هـ.

أما ابن مكي الصقلي فقد حاول أن يجمع في كتابه كل ذلك فتناول التصحيف والتحريف (التبديل) والأخطاء اللغوية في الأسماء، والأفعال، والمصادر، والصيغ، ولم يفرّق بين خاصّة وعامة، وحشد أخطاء الجماعات العلمية المتنوعة.

كتب المذكر والمؤنث

من الظواهر اللغوية التي عرفت لها لغتنا العربية التذكير والتأنيث، وقد أبدى علماء اللغة اهتماماً واضحاً بها فدرسوها، ووضعوا لها مصنفات كثيرة، بينوا فيها أن التأنيث يكون حقيقياً ويكون مجازياً، وأجمعوا على أن علامات المؤنث الحقيقي هي التاء المربوطة، والألف الممدودة، والألف المقصورة.

ثمة عدد من العلماء الذين صنفوا كتباً في المذكر والمؤنث أشهرهم:

- الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد ٢٠٧هـ^(١).
- الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب ٢١٦هـ.
- أبو عبيد القاسم بن سلام ٢٢٣هـ.
- أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت ٢٤٤هـ.
- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ٢٥٥هـ.
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ٢٨٥هـ.
- أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم توفي حوالي ٣٠٠هـ.
- أبو محمد القاسم بن محمّد بن بشار الأنباري ٣٠٤هـ.

(١) طبع كتابه ونشر ضمن مجموعة لغوية تشتمل على ثلاثة كتب هي: مختصر كتاب الوجوه في اللغة للخوارزمي، كتاب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأجدابي، كتاب المذكر والمؤنث للفراء.

- أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الرّجّاج ٣١١هـ.
 - أبو بكر محمّد بن القاسم الأنباري ٣٢٨هـ.
 - أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ٣٣٠هـ.
 - أبو الفتح عثمان بن جني ٣٩٢هـ.
 - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ.
 - أبو البركات عبد الرحمن بن محمّد الأنباري ٥٧٧هـ.
 - أحمد بن أحمد بن محمّد السجاعي الشافعي البدراوي ١١٩٧هـ.
- ومنظومته: فتح المنان بشرح ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان.
- سقف عند أحد هذه الكتب لبيان مادّة الكتاب ومنهج المؤلف في عرضها:
- مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلّمة (توفي حوالي ٢٩٠هـ أو ٣٠٠هـ) ^(١):**
- يقع الكتاب في مقدمة وثلاثة عشر باباً، ففي المقدمة تحدّث عن علامات التأنيث التي سبقت الإشارة إليها وهي (التاء المربوطة أو الهاء، والألف الممدودة، والألف المقصورة)، ثم عرّج على وجوب إلحاق الهاء بالمؤنث السماعي عند تصغيره، وعدّد الألفاظ التي تستثنى من هذه القاعدة.
- في الباب الأول:** وضع الفرق بين المذكر والمؤنث بالهاء في الوصف إن كانا يشتركان فيه مثل: قائم وقائمة، فإذا كان الوصف خاصاً بالمؤنث استُغني عن إدخال الهاء فيه، مثل: حائض، طامث، طالق، وقد شذ في الشعر ما جاء بالهاء.
- في الباب الثاني:** تحدّث عن صيغة (فعليل) المعدولة عن (مفعول) والتي يستوي في

(١) تقدمت ترجمته عندما تناولنا كتاب (ما تلحن فيه العامة).

الوصف بها المذكر والمؤنث بشرط أن يذكر الموصوف مثل: امرأة قتيل، كف خضيب.

في الباب الثالث: تحدث عن صيغة (فعول) المعدولة عن (فاعل) ويستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث مثل امرأة صبور، وشكور.

في الباب الرابع: ذكر صيغة (مفعال) كامرأة مذكر ومئنث، وبين أنه لا يدخلها الهاء، لأنها معدولة عن الصفة انعدالاً أشد من صبور وشكور.

في الباب الخامس: ذكر بعض الألفاظ التي تذكر وإن استعملت مع المؤنث لأن الأصل استعمالها مع المذكر مثل: أميرنا امرأة، ووصي بني فلان امرأة.

في الباب السادس: تناول المفضل الهاء التي تدخل على المذكر للدلالة على المبالغة في المدح أو الذم وليست للتأنيث مثل: رجل راوية، علامة.

في الباب السابع: درس الجمع الذي يفرق بينه وبين واحده بالهاء، وهو اسم الجنس وذكر أنه يجوز فيه التذكير والتأنيث، وبهذا الباب فرغ المفضل من المؤنث الذي يُدرك علمه بالقياس كما قال.

وقد تناول في الأبواب الستة التالية المؤنثات السماعية، فخصّص باباً لما يذكر ويؤنث من الإنسان، وباباً ثانياً لما يذكر، وباباً ثالثاً لما يؤنث، وباباً رابعاً لما يذكر ويؤنث من سائر الأشياء، وباباً خامساً لما يذكر، وباباً سادساً لما يؤنث.

وبذلك أنهى أبواب كتابه التي حاول أن يعرض فيها ضمن منهج واضح منظم كل ما يتعلق بالألفاظ المذكورة والمؤنثة من حيث علامات التأنيث، والصيغ التي تأتي عليها.

لخص المفضل في كثير من المواضع عبارة الفراء في كتابه المذكر والمؤنث، وقصد في كتابه الاختصار، ونصّ على ذلك في نهاية الباب السابع، لذلك لا نجد في كتابه إلا ثمانية شواهد شعرية، وكان يطالعنا برأيه في تعليل ما يرويه في بعض المواضع من كتابه، من ذلك قوله:

«والعَنَاقُ تُصَغَّرُ عُنيَقاً، وأحسب أنهم ذهبوا في ذلك إلى أنه اسم للمؤنث خاصةً، إذا كان الذكر جَدِيّاً، فاستغنوا عن الهاء في التصغير»^(١).

تناولنا فيما سبق أهم الكتب التي صنّفها علماء اللغة لدراسة الظواهر اللغوية، والوقوف على جوانبها المختلفة، وسننتقل إلى التعريف بأشهر كتب فقه اللغة في تراثنا العربي اللغوي، وهي تعد المصادر الأساسية التي يستقي منها اللغويون والدارسون مادّة لغوية غنيّة لا تقتصر على جانب واحد، وإنما تتناول كثيراً من القضايا التي شغلت العلماء القدماء والمحدثين، أهم هذه الكتب:

الخصائص لابن جني ٣٩٢هـ^(٢):

هو أبو الفتح عثمان بن جنيّ عالم في النحو والصرف، وممسكٌ بزمام الأدب والشعر، كان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأُردي، لازم ابن جنيّ شيخه أبا علي الفارسي، ونقل عنه، من مؤلفاته: سر صناعة الإعراب، التنبيه على شرح مشكلات الحماسة لأبي تمام، الفسر وهو شرح ديوان المتنبي، ألف ابن جنيّ كتابه بعد وفاة شيخه أبي علي الفارسي ٣٧٧هـ، وأهداه للسلطان بهاء الدولة البُويهي، وسماه (الخصائص)، لأنه وقف فيه على خصائص اللغة العربية وأحكامها في القضايا اللغوية المتنوعة، وقد تناول فيه قدراً كبيراً من الموضوعات المتعلقة بعلم البلاغة، وعلم الأصوات اللغوية، وعلمي النحو والصرف، وعلم اللسانيات، وعلم فقه اللغة.

أحرز المؤلف بكتابه قصب السبق في دراسة التفاصيل والجزئيات ضمن تلك الموضوعات المتنوعة على نحو يتّصف بالعمق والتحليل، ويعتمد على استنباط الأحكام والقوانين بإعمال

(١) مختصر المذكر والمؤنث، ص ٤٤.

(٢) انظر ترجمته في معجم الأدباء للحموي ١٥ / ٣٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣١٣/١، والأعلام

للزركلي ٢٠٤/٤، وكتاب الخصائص مطبوع بتحقيق محمد علي النجار في ثلاثة أجزاء، وبإشراف الهيئة المصرية

العامة للكتاب ١٩٥٢م - ١٩٥٦م.

العقل والتفكير المنطقي في قضايا اللغة، وقد عبّر عن ذلك بعبارة بليغة فصيحة تعكس فكره الأصيل، ونظريته الثاقبة في فهم القضايا اللغوية.

الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ٣٩٥هـ^(١):

سمّاه ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ليكون منسوباً إلى الصاحب بن عبّاد ٣٨٥هـ الذي كان مهتماً بالكتب والعلوم والثقافة، ولذلك ألف ابن فارس كتابه، وأهداه إلى ابن عبّاد، ليكون في خزانة كتبه.

تناول المؤلف في كتابه موضوعات لغوية كثيرة عرضها ضمن أربعة أقسام:

ففي **القسم الأول**: عرض مجموعة من الموضوعات اللغوية العامة المتعلقة بنشأة اللغة العربية وتطوّرها، وأنواع اللغات وغير ذلك، وفي **القسم الثاني**: تناول مجموعة من القضايا النحوية والصرفية والصوتية، وفي **القسم الثالث**: تحدّث عن التراكيب وطرائق التعبير، أما **القسم الرابع**: فقد خصصه للشعر.

اعتمد في كتابه على المصنفات السابقة له، وبَيّن ذلك في مقدمة الكتاب، وأشار إلى أن عمله يقوم على الجمع والاستقصاء والتوضيح والتنظيم، وعن ذلك يقول: «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرّق في أصناف العلماء المتقدمين رضي الله عنهم...، وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مُشكّل، أو جمع متفرّق...»

وابن فارس يسمي فقه اللغة علم العرب، ويسميه أيضاً العلم باللغة، ولهذا العلم أصل وفرع عنده، فالأصل مرتبط بدراسة موضوع اللغة من حيث نشأتها وتطوّرها، والصلات التي

(١) أحمد بن فارس بن زكريا من علماء اللغة والنحو والأدب، تقدمت ترجمته عندما تناولنا معجمه مقاييس اللغة، وكتاب الصاحبي مطبوع، نشر عام ١٩١٠ في المطبعة السلفية بعناية محب الدين الخطيب، ثم طبع بتحقيق د. مصطفى الشومعي في مؤسسة بدران ببيروت عام ١٩٦٣م. وثمة طبعة جيدة بتحقيق سيّد صقر.

تجمع بين الألفاظ والمعاني من جهة، وبين الألفاظ بعضها مع بعض من جهة أخرى لمعرفة آلية نظم الكلام، والبنية التركيبية والإفرادية فيه.

أما الفرع فهو مشتق عن الأصل ويرتبط بدراسة الألفاظ ومدلولاتها، وبفهم الظواهر اللغوية السائدة، كالغريب والمترادف، والمشارك اللفظي...

أكثر ابن فارس من الشواهد المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر، وعزا الأقوال والآراء اللغوية إلى أصحابها، وأبدى رأيه في كثير من المواضيع التي كان يناقش فيها قضية لغوية معينة كما في باب الأسماء كيف تقع على المسميات.

الكتاب مصدر مهم لدراسة مجموعة من القضايا اللغوية على نحو يهتم بالتفاصيل والجزئيات، والعلاقات النازمة لأجزاء الكلام ضمن الخطاب اللغوي.

فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي ٢٩٤ هـ:

وقد تقدم الكلام على هذا الكتاب ضمن معاجم المعاني، وهو من أوفى المصادر التي جمع فيها مؤلفها مفردات اللغة وصنفها وفق معانيها، ووقف فيها على بعض القضايا اللغوية التي تكشف اللثام عن خصائص اللغة العربية وأسرارها، كالتقديم والتأخير، والتخصيص والتعميم، وإجراء ما لا يعقل مجرى العاقل، وإقامة الواحد (المفرد) مقام الجمع، وغير ذلك من الجوانب المتعلقة بفقه اللغة.

فكان هذا الكتاب اشتمل على كتابين، الأول عني بالجانب المعجمي، والثاني عني بالجانب اللغوي.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ٩١١هـ^(١) :

المؤلف هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، كان فقيهاً محدثاً مفسراً للقرآن الكريم، وكان عالماً في اللغة والنحو، والبلاغة والبيان، وثقافته الموسوعية مكنته من وضع مصنفات في مختلف العلوم التي أتقنها، فأربت على ثلاثمئة كتاب منها: الأشباه والنظائر، بغية الوعاة، وكتاب المزهر في علوم اللغة وأنواعها.

تناول السيوطي في هذا الكتاب كثيراً من القضايا اللغوية التي جمعها من كتب اللغة السابقة لكتابه، وأحسن تنسيقها وترتيبها، وقد صنّف هذه القضايا اللغوية ضمن خمسين نوعاً، وجعل لكل مجموعة من هذه الأنواع اسماً أو عنواناً محدّداً، إذ أدرج الأنواع الثمانية الأولى ضمن اللغة من حيث الإسناد، وتناول فيها الصحيح، والمتواتر والمرسل، والأفراد، والمصنوع، وأدرج بعدها الأنواع الثلاثة عشر التالية؛ أي من التاسع وهو معرفة الفصيح إلى الحادي والعشرين وهو معرفة المولد، وتناول في هذه الأنواع الموضوعات اللغوية المتعلقة بالألفاظ، ثم أورد الأنواع الثلاثة عشر التالية؛ أي من الثاني والعشرين وهو خصائص اللغة إلى الرابع والثلاثين وهو النحت ضمن موضوعات متعلقة باللغة من حيث المعنى، ثم أورد الأنواع الخمسة التالية؛ أي من الخامس والثلاثين وهو الأمثال إلى التاسع والثلاثين وهو الملاحن ضمن موضوعات اللغة من حيث لطائفها ومُلَحِّها، أما النوع الأربعون وهو الأشباه والنظائر فقد أدرجه ضمن حفظ اللغة وضبط مفاريدها، أما الأنواع الثمانية التي تليه ومنها: الفصيح والضعيف والمذموم والمهمّل والمعرّب والمولد فقد أدرجها ضمن رجال اللغة ورواتها، والنوعان الأخيران وهما معرفة الشعر والشعراء، ومعرفة أغلاط العرب لم يدرجهما ضمن

(١) انظر ترجمته في الكواكب السائرة للغزي ٢٢٦/١، وشذرات الذهب لابن العماد ٥١/٨، والأعلام للزركلي

موضوعات أخرى، وأبقاهما مرتبطين بما يدل عليه اسم كل منهما.

يبدو تأثير السيوطي في الكتاب بطرائق المفسرين والمحدثين والمعجميين من حيث الاهتمام بالألفاظ وكل ما يتعلق بها من ضبط، ووزن، ومعنى، ودلالة، وفصاحة، وغرابة، وهو أمر طبيعي من عالم كالسيوطي متبحر في علوم القرآن، والحديث الشريف، ويظهر تأثيره بهم من حيث طريقة التشعيب والتفريع التي عرض ضمنها القضايا اللغوية المتنوعة.

الكتاب مطبوع حققه: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ونشرته دار إحياء الكتب العربية بإشراف عيسى البابي الحلبي.



الفصل الثالث

المصادر النحوية والصرفية

كتاب سيوييه - لسيوييه

المقتضب - للمبرد

الأصول في النحو - لابن السراج

إيجاز التعريف في علم التصريف - للجبائي

المتع الكبير في التصريف - لابن عصفور



المصادر النحوية والصرفية

مقدمة في علم النحو والصرف:

إنَّ علم النَّحو من العلوم المهمّة التي لا غنى عنها وهو من أسمى العلوم قدراً وأنفعها أثراً، به يتشكّف أود اللسان ويسلّس عَنان البيان، ولقد أثر عن إسحاق بن خلف البهراني أنه قال:

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكَنِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يُلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

النَّحو في اللغة: القصد، يُقال: نحوتُ نحوه أي قصدتُ قصده. والنَّحو الطريق يُقال: هذا نحوي أي: طريقي، فالمتكلم بالنحو إنما يقصد الكلام الصحيح والسَّير في الطريق السَّليم، والمراد هنا النَّحو بمعنى المنحو أي المقصود. وفي الاصطلاح: هو علم يُعرّف به أحوال أواخر الكلمات العربيّة إعراباً وبناءً. وقيل: هو قواعد تعرف بها صيغ الكلمات العربيّة وأحوالها حين إفرادها وتركيبها. وتُجمع الروايات على أن أبا الأسود الدؤلي هو الذي وضع بذرة النَّحو الأولى.

وقد استنبط العلماء الأقدمون المسائل والقواعد النَّحوية، اعتماداً على ما جُمع من علوم اللّغة والأدب، وكان من مصادرها القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي الموثوق بصحته وعربية قائله، كما اعتمدوا على مشافهة العرب والرَّحلة إليهم، حيث يقيمون في بواديهم النائية، وبذلوا في تتبع النصوص المختلفة جهداً شاقاً وتحملوا كثيراً من مشاقِّ السَّفر والرَّحلة وخشونة العيش للاحتلاط بالعرب الأقحاح، ثم أخذوا يستعرضون الجزئيات التي جمعوها ويضعون لها الكليات المناسبة.

وأعملوا أذهانهم في استخراج القواعد المضبوطة الجامعة، وأصبحت القواعد التي

وُضِعَتْ بعد الاستقراء والقياس الصحيح هي المقياس لعلم النحو.

أمّا علم الصَّرْف في اللّغة فهو: التّغيير والتّقلب من حال إلى حال، و هو مصدر الفعل (صَرَفَ)، من صَرَفَ الزّمان وصرّوفه وتصاريفه، أي: تقلّباته، وتصريف الرّيح تحويلها من وجه إلى وجه. واصطلاحاً بالمعنى العَمَلِيّ: تحويلُ الأصلِ الواحدِ إلى أبنيةٍ مختلفةٍ، لِمَعَانٍ مقصودةٍ، لا تحضُلُ إلّا بها، كاسمَي الفاعلِ والمفعولِ، واسمِ التّفضيلِ، والتّشبيهِ والجمعِ، إلى غير ذلك. وبالمعنى العِلْمِيّ: علمٌ بأصول تُعرَفُ بها أحوالُ أبنيةِ الكلمةِ، التي ليست بإعرابٍ ولا بناءٍ. والأبنيةُ: جمعُ بناءٍ، وهي هيئةُ الكلمةِ الملحوظةُ، من حركةٍ وسكونٍ، وعددِ حروفٍ، وترتيب. وللکلمات العربية حالتان: حالةُ إفرادٍ وحالةُ تركيبٍ. فالبحثُ عنها، وهي مُفردةٌ، لتكون على وزنٍ خاصٍّ وهيئةٍ خاصّةٍ هو من موضوع علم الصَّرْف، أمّا البحثُ عنها وهي مُركبةٌ فهو من موضوع علم النّحو.

ولم يكن الصَّرْف - في بداية التّأليف اللّغوي - مستقلاً عن النّحو، بل كان جزءاً منه كما في الكتاب لسيبويه والمقتضب للمبرّد، وغيرها، وأول مَنْ أَلَفَ فيه منفصلاً عن النّحو هو المازنيّ (أبو عثمان بكر بن محمّد ت ٢٤٩هـ) في كتابه (التّصريف). وبقي كثير من العلماء يدمجونهما حتّى عهدٍ قريب .

١- كتاب سيبويه لسيبويه

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام النّحاة، وحجّة العرب، لقبه (سيبويه) وهي كلمة فارسية تعني رائحة التفاح قيل: كان من يلقاه لا يزال يشمّ منه رائحة الطيب، فلُقّب بذلك. وُلِدَ عام مئة وأربعين للهجرة (١٤٠هـ)، سلالة فارسية، ونشأته بصرية، قدِم البصرة وهو غلام صغير فكان منشؤه بها حيث مراكز العلم، وقد كان شاباً حسناً، جميلاً نظيفاً، مفرط الذّكاء إلا أنه كان فيه حُبسة في عبارته، وهو أول من بسط علم النّحو،

وصاحب (الكتاب) حجة العربية ودستورها، من أشهر شيوخه: حماد بن سلمة والخليل ابن أحمد الفراهيدي، وكان من أبرز من تتلمذوا على يديه: الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة، وقطرب بن المستنير. مرض سيويه وتوفي سنة ١٨٠ هـ ولم يجاوز الأربعين^(١). لعظم منزلة كتاب سيويه كان يُهدى إلى الملوك والوزراء، ووسمه بعضهم بـ (قرآن النحو)؛ لأنه حمّالٌ أوجه، وقالوا لمن أراد قراءته: هل ركبت البحر؟ تعظيماً له. ومن الملاحظ أنّ سيويه لم يبدأ كتابه بمقدمة يشرّح فيها سبب تأليفه أو زمانه أو مصادره، ولم يُنه كلامه فيه بخاتمة يبيّن فيها نتائج عمله، كما لم يضع لكتابه عنواناً، ولعلّ السبب كان في قرب أجله الذي لم يمكنه من ذلك، أو في حداثة التأليف في ذاك الزمان. وقد صار اسم (الكتاب) علماً بالغلبة عليه.

أمّا من حيث المضمون فالكتاب يُعدّ أول كتاب نحوي وصل إلينا، وقد جمع فيه مصنّفه عدداً من علوم العربية كالنحو والصّرف والأصوات اللّغوية وغيرها، كما أكثر فيه من الاستشهاد بالقرآن الكريم، والأشعار، والأمثال، وكلام العرب الفصحاء، للاحتجاج وإقامة الدليل الصحيح على كل مسألة، في حين قلّل من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف؛ نظراً لما يدخل فيه من مسألة الحكم عليه بالصّحة والضعف والزّواية بالمعنى، أمّا الشواهد الشعرية، فقد زادت على ألف بيت، لم يهتم سيويه بإسنادها إلى قائلها، والغالب في الأمر أنّ ذلك بسبب قدم معظمها وعدم معرفة أصحابها، أو لنسبة بعضها لأكثر من قائل. والكتاب كذلك يفتقر إلى الترتيب المنظم في الأبواب وعرض المادّة فيها، فهو منهج الفطرة والطّبع، يدرس أساليب الكلام في الأمثلة والتّصوص ليكشف عن الرأي فيها صحّةً وخطأً، أو حسناً وقبحاً، أو كثرةً وقلةً؛ إذ جمع المصنّف في كتابه ما تفرّق من أقوال من تقدّمه من العلماء في علمي النحو والصّرف، كالخليل، ويونس، وأبي عمرو بن

(١) وفيات الأعيان ١ / ٣٨٥، وتاريخ بغداد ١٢ / ١٩٥، والأعلام ٥ / ٨١.

العلاء وغيرهم. ومن الملاحظ على الكتاب عدم اقتصره على التحو والصرف فقط، بل إحاطته بفروع العربية، مما يبدو في ذكره لأحكام في القراءات، والتجويد، وفقه اللغة، والبلاغة، والمعاجم وأصحابها، والشعر وصناعته.

ومنهج سيبويه في كتابه يقوم على الأبواب، بترتيب قد لا يتلاءم مع أساليب التبويب في مؤلفاتنا المعاصرة، ولكنه يُعدّ في عصره إنجازاً متميّزاً، وقد أودعه جملةً من الأحكام والقواعد بدأها بقوله : (اعلم ...) وقد تندرج في أثناء الكلام، وقد يستطرد بأمثلة أو أحكام تتعلق بالباب نفسه أو أحد أمثلة الباب.

ولعلّ ما جعل كتاب سيبويه غامضاً أحياناً؛ استدراكاته الكثيرة، فقد يستدرك على الباب نفسه، فيلتبس الأمر على مَنْ لم يتدبره، وقد يبلغ بالاستدراك عدداً من الأبواب. وربما دفع سيبويه إلى هذا التّمط من التأليف، طبيعة التّصنيف في عصره، في عدم استخدام الحواشي، وتدوينها في متن الكتاب نفسه، وأمر آخر يواجه قارئه في عصورنا هذه، يبدو في مصطلحاته الجزئية وفي كثيرٍ من عباراته التّحوية التي تغيرت مع الزمن، فأصبحت كتب النحو المتأخرة ذات طابع أسلوبي مابينٍ لأسلوب كتاب سيبويه، فضلاً عما ورد فيه من عباراتٍ خاصّة للمصنّف تحتاج إلى الإلف والممارسة .

ومما يلفت الانتباه، أنّ سيبويه كان إذا اختلفت أقوال العلماء فإنه يحكيها ويوازن بينها ثم يحكم بالترجيح، وقد ضمّ إلى أقوال هؤلاء العلماء ما استنبطه بنفسه من القواعد، اعتماداً على سماعه من العرب الخُلص، مضيفاً تعليقات لم يُسبق إليها، مستخدماً القياس في أغلب الأحيان قائلاً: (القياس كذا) أو (القياس يأباه). وهكذا حتى جاء الكتاب شاملاً كلّ ما يحتاج إليه من طلبه.

فقد قُسم الكتاب إلى قسمين، وجاءت موضوعاته متسلسلة كالتالي:

الجزء الأول: وما اشتمل عليه الآتي:

الكلمة، فاعل اللازم والمتعدي من الأفعال وأشباهها، أسماء الأفعال، إضمار الفعل المصادر المنصوبة، الحال، المفعول فيه، الجر والتوابع، عمل الصفات بعض المنصوبات المبتدأ والخبر، النكرة والمعرفة، الابتداء، إن وأخواتها، كم، النداء، النسبة، الترخيم، لا التبرئة، الاستثناء، الضمائر، أي، من، ذا، نواصب الفعل المضارع وجوازمه، أسماء الشرط، توكيد الأفعال.

الجزء الثاني: ويشتمل من الموضوعات على:

ما ينصرف وما لا ينصرف، النسب، التصغير، حروف القسم، نونا التوكيد، إدغام المضعّف، المقصور والممدود، تمييز الأعداد، التكسير، أوزان المصادر، صيغ الأفعال. فسيبويه لم يُرتّب الأبواب ترتيباً يطابق تصنيفها، بل قدّم وأخّر لمقتضى التسلسل المنطقي في مسائل الأبواب، ولمراعاة ما استوجب الإطالة على ما قلّ الكلام عليه، وقد يدعوه الكلام في أحد الموضوعات استطراداً أو استدراكاً إلى تعدد الأبواب ثم يستأنف الكلام فيرجع إلى الموضوع الذي يليه، ولكن سيبويه في كلّ ذلك بذل ما في وسعه للتنبيه على ما كان يقدمه ويؤخّره.

طُبِعَ كتاب سيبويه طبعاتٍ عديدة وأوّلَى هذه الطبعات أشرف عليها المستشرق الفرنسي هر تويغ ورنبرغ في باريس بين أعوام (١٨٨١م) و (١٨٨٩م) في مجلدين. وطبع كذلك في بولاق بعناية محمود مصطفى في أعوام ١٣١٦م و ١٣١٨م.

وطبع بعدها على مراحل في القاهرة بتحقيق عبد السلام محمد هارون، الجزء (الأول والثاني) عن دار القلم عام ١٩٦٦م (والثالث والرابع) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عامي

١٩٧٣م و١٩٧٥م واشتمل الجزء (الخامس) على الفهارس، عام ١٩٧٧م.

شاهد من الكتاب:

من باب الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول.

«والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل، ولا يتعدى فعله إلى مفعول آخر، وما يعمل من أسماء الفاعلين والمفعولين عمل الفعل، الذي يتعدى إلى مفعول، وما يعمل من المصادر ذلك العمل، وما يجري من الصفات التي لم تبلغ أن تكون في القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين، التي تجري مجرى الفعل المتعدي إلى مفعول، وما أجري مجرى الفعل وليس بفعل ولم يقو قوته، وما جرى من الأسماء التي ليست بأسماء الفاعلين التي ذكرت لك، ولا الصفات التي هي من لفظ أحداث الأسماء، وتكون لأحداثها أمثلة لما مضى ولما لم يمض وهي التي لم تبلغ أن تكون في القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين التي تريد بها ما تريد بالفعل المتعدي إلى مفعول مجراها وليس لها قوة أسماء الفاعلين التي ذكرت لك ولا هذه الصفات، كما أنه لا يقوى قوة الفعل ما جرى مجراها وليس بفعل. والفاعل والمفعول في هذا سواء، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته كما فعلت ذلك بالفاعل. فأما الفاعل الذي لا يتعده فعله فقولك: ذهب زيدٌ وجلس عمرو.»^(١)

٢- كتاب المُقْتَضَب للمبرِّد

هو أبو العباس المبرِّد محمد بن يزيد الثُّمالي، من بني ثُمالة باليمن، ويُقال: إنَّ الذي لقبه بالمبرِّد شيخه المازني (أبو عثمان بكر بن محمد ت ٢٤٩هـ)، وذلك أن المازني لما صنَّف كتاب الألف واللام سأله عن دقيقه وعويصه، فأجابه بأحسن جواب، فقال له: قم فأنت

(١) سيبويه، هارون ١/٣٣.

المبرّد - بكسر الراء، أي المثبت للحق. ولد المبرّد بالبصرة (٢١٠هـ) وفيها نشأ، وتلمذ على يد علمائها منذ صغر سنه، فكان يتردد على حلقات العلم يأخذ عن أعلام البصرة النحو، واللغة، والتصريف، واهتم برواية الأشعار والأخبار.

ومن شيوخه: أبو عمر الجرمي الذي قرأ عليه كتاب سيبويه وأثنى عليه، وأبو عثمان المازني الذي ختم عليه كتاب سيبويه وروى عنه القراءة، وأبو حاتم السجستاني وهو من أعلم الناس باللغة والشعر.

وقد تصدّر أبو العباس للتدريس وهو غلام فكان يُقرأ كتاب سيبويه، لمعرفته الدقيقة به باعتراف كبار العلماء، وكانت وفاته بالبصرة عام (٢٨٦هـ) ^(١).

يُعدّ كتاب المُقتَضَب من أعظم الكتب النحوية الأصلية الرائدة بعد كتاب سيبويه، ولكن لم تدع له شهرة كشهرته، ولم يعرف قدره إلا خاصّة العلماء، ومما يميز المقتضب أنه أول كتاب عالج مسائل النحو والصرف بأسلوب واضح وعبرة مبسطة.

وقد اعتمد المبرّد في تأليف الكتاب على إيراد القضية التي يعالجها في صورة جملة، ثم يشبعها شرحاً وتبسيطاً متأثراً بأسلوبه التدريسي، كما كان ينجح أحياناً إلى استطرادات لغوية نحوية غير التي يعرضها، وبما أن المبرّد أحد أئمة المدرسة البصرية فقد تجلّى في كتابه الاتجاه البصري في النحو. وتستوقفنا في المقتضب الكثير من الانتقادات لقضايا من كتاب سيبويه، حيث يورد المبرّد النص الذي جاء به سيبويه ليتناوله بالنقد، مبيناً وجهة النظر التي يعتقدها في تلك القضايا، كل ذلك بعبارات موجزة أسهل وأبسط شرحاً من عبارات سيبويه، ألف المبرّد كتابه (المقتضب) قبل كتابه (الكامل) ولهذا نراه كثيراً ما يُحيل في كتابه الكامل إلى المقتضب.

(١) بغية الوعاة ١١٦، وتاريخ بغداد ٣/٣٨٠، ووفيات الأعيان ١/٤٩٥، والأعلام ٧/١٤٤.

نشر المقتضب بتحقيق محمد عبد الخالق عزيمة عن لجنة إحياء التراث الإسلامي
في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة عام ١٩٦٣م في أربعة أجزاء.

شاهد من الكتاب:

(هَذَا بَابُ الْفَاعِلِ) وَهُوَ رَفْعٌ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ وَجَلَسَ زَيْدٌ، وَإِنَّمَا كَانَ الْفَاعِلُ رَفْعاً؛ لِأَنَّهُ هُوَ وَالْفِعْلُ جَمْلَةٌ يَحْسُنُ عَلَيْهَا السُّكُوتُ، وَتَجِبُ بِهَا الْفَائِدَةُ لِلْمُخَاطَبِ فَالْفَاعِلُ وَالْفِعْلُ بِمَنْزِلَةِ الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ، إِذَا قُلْتَ: قَامَ زَيْدٌ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ الْقَائِمُ زَيْدٌ وَالْمَفْعُولُ بِهِ نَصَبٌ إِذَا ذَكَرْتَ مَنْ فَعَلَ بِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَدَّى إِلَيْهِ فَعَلَ الْفَاعِلُ، وَإِنَّمَا كَانَ الْفَاعِلُ رَفْعاً وَالْمَفْعُولُ بِهِ نَصَباً لِيُعْرَفَ الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ بِهِ مَعَ الْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْتَ لَكَ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَنْتَ إِذَا قُلْتَ قَامَ زَيْدٌ، فَلَيْسَ هَهُنَا مَفْعُولٌ يَجِبُ أَنْ تَفْصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا الْفَاعِلِ، فَإِنَّ الْجَوَابَ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ لَهُ لِمَا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ رَفْعاً فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا لَبْسَ فِيهِ لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَلَمَّا سَنَذْكُرُهُ مِنَ الْعِلَلِ فِي مَوَاضِعِهَا، فَرَأَيْتَهُ مَعَ غَيْرِهِ، عَلِمْتَ أَنَّ الْمَرْفُوعَ هُوَ ذَلِكَ الْفَاعِلُ الَّذِي عَهْدَتْهُ مَرْفُوعاً وَحْدَهُ، وَأَنَّ الْمَفْعُولَ الَّذِي لَمْ تَعْهَدْهُ مَرْفُوعاً، وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: لَمْ يَقَمْ زَيْدٌ، وَلَمْ يَنْطَلِقْ عَبْدُ اللَّهِ، وَسَيَقُومُ أَخُوكَ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّمَا رَفَعْتَ زَيْدًا أَوَّلًا لِأَنَّهُ فَاعِلٌ، فَإِذَا قُلْتَ: لَمْ يَقَمْ، فَقَدْ نَفَيْتَ عَنْهُ الْفِعْلَ^(١).

٣ - كتاب الأصول في النحو لابن السراج:

هو أبو بكر عرف بابن السراج محمد بن سهل النحوي البغدادي، كان أحد علماء العربية المُجَمَّع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والأدب، وكان مع علمه أديباً شاعراً، تُعَدُّ أشعاره من أجمل شعر النُّحَاة، يغلب عليها طابع التفكير وتدلل على تَمَكُّنٍ من التصرف بصيغ الكلام. نشأ في بغداد وأخذ النحو عن أبي العباس المبرد، وإليه انتهت

(١) المقتضب، المبرد ٨/١ .

الرئاسة في النحو من بعده، وكان واسع الثقافة متعدد الجوانب، تعمق في القديم كما أفاد من الحديث في زمنه، فمزج بين الثقافة العربية الخالصة وبين الثقافات الوافدة على الفكر العربي آنذاك، ويتجلى ذلك بدراسة الموسيقى، والمنطق، والقراءات. ولعلّ اهتمام ابن السراج بالنحو بدأ يظهر بعد انتصار الزّجاج له حتى همّ بضربه لخطئه في مسألة نحوية، وذلك عندما حضر عند الزّجاج مسلماً عليه بعد موت المبرد، فسأل رجل الزّجاج عن مسألة نحوية فقال لابن السراج: أجبه يا أبا بكر، فأجابه فأخطأ؛ فانتهره الزّجاج وقال: والله لو كنت في منزلي لضربتكَ، ولكن المجلس لا يحتمل هذا، وقد كنا نشبّهك في الذكاء والفطنة بالحسن بن رجاء وأنت تخطئ في مثل هذا، فقال: قد ضربتني يا أبا إسحاق وأدبتني وأنا تارك ما درست مذ قرأت كتاب سيبويه لأنني شُغلت عنه بالمنطق والموسيقى، وأنا أعاود، فعَاوَدَ ونظَرَ في دقائق كتاب سيبويه، مُخالفًا أصول البصريين في مسائل كثيرة، توفي ابن السراج ببغداد سنة (٣١٦هـ) تاركاً مصنفات عديدة أثنى عليها العلماء...^(١).

لكتاب الأصول في النحو منزلة خاصة في نفوس النحاة، وفي تاريخ النحو العربي، ولآرائه أهمية كبرى كُتب لها الانتشار بين الدارسين؛ فقد كانت بحوث النحو والصرف متداخلة قبل صدور هذا الكتاب. وابن السراج يُعد من أوائل مَنْ صنفوها ورتبوها وأخضعوها لمنهج علمي في التأليف، ولا يخفى على قارئ الأصول أنّ مؤلفه كان منهجياً قويم النظر في عرض مادة كتابه، لم يشأ أن يُجري دراسته النحوية على النهج الذي أَلْفَنَاهُ في كتب من سبقه، فقد اعتمد كثيراً على ما جاء في كتاب سيبويه مختصراً مسائله منظماً لأبوابه في ترتيب جيد بعيد عن التداخل، كما أخذ عن المازني والمبرد، مدركاً أن مدار علم النحو في كتابه مبني على استخراج الأصول النحوية، مع التزام الدقة في كل موضوع، فقد رتب أصوله على الشكل الذي عرفناه في الوقت الحاضر، فبدأ بمرفوعات الأسماء، ثم

(١) إنباه الرواة ١٤٥/٣، ومعجم الأدباء ١٩٧/١٨، ووفيات الأعيان ٤٦٢/٣.

المنصوبات، والمجرورات، وانتقل بعد ذلك إلى التوابع كالنعت والتوكيد وعطف النسق وعطف البيان، والعطف بالحروف، ثم أشار إلى نواصب الأفعال وجوازمها، وانتهى إلى مسائل الصَّرف. ومن الملاحظ أن كتابه خالٍ من المقدمة، قليل الاستطراد، موضوعاته المتشابهة محصورة في بابٍ واحدٍ لا في أبواب متفرقة كما هي الحال في كتاب سيبويه. فابن السراج يبدأ بتعريف النحو العربي وينتهي بباب الضرورة الشعرية.

فهذا العمل البارع الذي قام به أبو بكر بن السراج في القرن الثالث الهجري، وجمع فيه أبواب النحو والصرف لقي إقبالاً وإعجاباً من معظم دارسي العربية؛ فهو غاية في الشرف والفائدة، فقد اختصر فيه أصول العربية، وجمع مقاييسها، ونظر في دقائق كتاب سيبويه، وعوّل على مسائل الأخفش والكوفيين وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة حتى قيل: ما زال النحو مجنوناً حتى عقّله ابن السراج بأصوله.

طُبِعَ الكتاب بمطبعة النعمان بالنجف ١٩٧٣م بتحقيق عبد الحسين الفتلي بمساعدة من المجمع العلمي في العراق، وطبع في مؤسسة الرسالة في بيروت ١٩٨٧م بتحقيق عبد الحسين الفتلي .

شاهد من الكتاب:

أقسام الكَلِم العربي _ شرح الاسم: الاسم: ما دل على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصاً وغير شخص، فالشخص نحو: رجل وفرس وحجر وبلد وعمر وبكر. وأما ما كان غير شخص فنحو: الضرب والأكل والظن والعلم واليوم والليلة والساعة. وإنما قلت: «ما دل» على معنى مفرد لا فرق بينه وبين الفعل، إذا كان الفعل يدل على معنى وزمان، وذلك الزمان إما ماضٍ، وإما حاضر، وإما مستقبل. فإن قلت: إن في الأسماء مثل اليوم والليلة والساعة، وهذه أزمنة، فما الفرق بينها وبين الفعل؟ قلنا: الفرق أن الفعل ليس هو زماناً فقط

كما أن اليوم زمان فقط، فالיום معنى مفرد للزمان ولم يوضع مع ذلك المعنى^(١).

٤ - كتاب إيجاز التعريف في علم التصريف للجَيَّاني:

هو أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الدمشقي نسبة إلى قبيلة طيء، ونسبةً إلى جَيَّان (بالأندلس) مسقط رأسه وبداية نشأته، كما ينسب إلى دمشق التي اتخذها دار مقامه في آخر حياته وما برحها حتى مات ودفن في ثراها بسفح قاسيون سنة ٦٧٢ هـ.

وقد أثنى العلماء على ابن مالك الثناء الحسن، ووصفوه بشتى الصفات الحميدة فقالوا: إنه كان راجح العقل، حسن الأخلاق، متين الدين، رقيق القلب، صادق اللهجة، شديد الورع والعفة، متوقد الذهن، غاية في الذكاء، صاحب معرفة واسعة في القراءات والحديث والنحو والصرف واللغة والشعر، طارت شهرته في الآفاق حتى عرفه القاصي والداني واعترفوا بعلو منزلته ورفعة شأنه وغزارة علمه وكثرة مؤلفاته^(٢).

استهل ابن مالك كتابه هذا بمقدمة جميلة، استفتحها بحمد الله وتمجيده والصلاة والسلام على صفوة العالم وخيرته، ثم ضمَّنْها عدَّة أمور بدأها بالإشادة بموضوع الكتاب - علم التصريف - وبيان أهميته وعِظَم مزيَّته، ثم تطرَّق إلى الحديث عمَّا منَّ الله عليه به من التمكين في هذا الفن الذي قد بلغ فيه الغاية فألمَّ بشوارده، وازداد من فوائده، وتحصَّل على قواعده، واستطاع تفصيل مقاصده، وصوغها بعبارات تُستعذب، وألفاظ لا تُستصعب، ثم أودعها مجموعةً في كتابه «إيجاز التعريف في علم التصريف» موضحاً أنه وضع هذا الكتاب تشرفاً بخدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين، وقد خلت المقدمة

(١) الأصول في النحو، ابن السراج ٣٦/١.

(٢) الوافي بالوفيات، ٣/٣٦٠.

من بيان المنهج الذي اتبعه المؤلف، ومن ذكر الموضوعات التي اشتمل عليها، لكن لا يخفى على الناظر فيه أنه تضمن جُلَّ مسائل التصريف وأهم قضاياها هذا العلم.

وقد قسّمه مصنّفه إلى فصول بلغ عددها ستين فصلاً، أورد فيها مادته العلمية بأسلوب سهل، وعبارة واضحة ودقيقة، مع جودة في التقسيم ومهارة في التفصيل وتسلسل في الأفكار، فجاء كل فصل مستقلاً بمسائله التي أكملت ما قبلها؛ ممّا يسهل فهم قضايا الكتاب واستيعابها، إذ بدأ بتعريف علم التصريف، ثم انتقل إلى تفصيل موضوعاته الواحد تلو الآخر، فتحدث عن المجرّد والمزيد من الأسماء والأفعال وأوزانها، ثم حركة عين المضارع، وبناء الفعل، ثم الميزان الصرفي وحروف الزيادة ومواقعها، وختم كتابه بالحديث عن الإدغام وحروفه وأحكامه. وتتجلى في الكتاب سمات بارزة رفعت من قدره، وأعلت من شأنه، ويمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولاً- حسن الأسلوب، ووضوح العبارة وسلاسة الألفاظ، مع جودة التقسيم وحسن التفصيل، وتسلسل الأفكار.

ثانياً- اشتماله على كثير من آراء علماء التصريف واختلافاتهم، ولم يكتف المصنّف بسردها والأخذ بها دون تمحيص، بل وقف منها موقف العالم المدقق والخبير المحقق، فقام بعرضها، ومناقشتها مناقشةً علميةً تدل على سعة علمه وتوقد ذهنه.

ثالثاً - أيّد ما رآه راجحاً بالدليل الساطع، والحجة القوية، وفنّد ما ضعف دليله أو غابت حجته، غير مكترثٍ بصاحب الرأي وإن علت مكانته، فهو يَنْشُد الحق ويسعى إليه، فأثّر وجدده أخذ به وأيّد قائله أيّاً كان.

طبع الكتاب بتحقيق محمد المهدي في المدينة المنورة عن طريق عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية عام ٢٠٠٢م، وثمة طبعة في القاهرة عام ٢٠٠٩م بتحقيق

محمد عثمان مكتبة الثقافة الدينية .

شاهد من الكتاب:

قال رحمه الله: «وَفُعِّلَ كِبْرَقَعٌ وَجُرْشَعٌ»، ولم يروه سيبويه لكن رواه الأخفش من أئمة البصرة، والفراء من أئمة الكوفة وزيادة الثقة مقبولة، وزعم الفراء أن الفتح في جُرْشَع أكثر من الضم. ومما يؤيد رواية هذين الإمامين قول العرب: مالي من ذاك عُنْدُ أَي بُدُّ، فجاءوا به مفكوكاً غير مُدغم، ولا يفعلون ذلك بذي مثلين متحركين لا يوازن فَعَلًا أو فَعَلًا ولا فُعَلًا إلا إذا كان أحدهما مزيداً للإلحاق كَقَرَدَد، أو كان ما قبلهما مزيداً للإلحاق نحو: «أَلْنَدَد»، بمعنى الألد، ومعلوم أن «عُنْدًا» ليس موازناً لَفَعَل وأخواته فيتعين كونه ملحقاً بَفُعِّل إما بزيادة إحدى الدالين فيكون من العُنود، وإما بزيادة النون قبلها فيكون من الأعداد .. إلخ^(١).

٥ - كتاب الممتع الكبير في التصريف لابن عُصفور:

هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمِي الإشبيلي، المعروف بابن عصفور، حامل لواء العربية بالأندلس في عصره. ولد بإشبيلية عام (٥٩٧هـ) أخذ النحو واللغة والأدب عن أشهر علماء عصره، من كتبه «السالف والعدار» و«شرح الجمل» و«سركات الشعراء» و«شرح الحماسة»...، توفي بتونس عام ٦٦٩هـ^(٢).

جاء في مقدمة كتاب «الممتع الكبير» عن ابن عصفور أنه: «وجه أندلسي مشرق، يُقَرَّب إلينا بالأسلوب الممتع، والعرض المبسَّط، والمعالجة اليسيرة، والنَّفَس الأندلسي اللطيف، ما توضع في علم التصريف، من تجريد بعيد، وحشونة مصطنعة، وتعقيد ثقيل، فهو يتخطى تاريخ عصره، ويكون مقدّمة للوضوح والبيان والتيسير».

(١) إيجاز التعريف في علم التصريف ٣٥/١.

(٢) فوات الوفيات ٥٤٦/١، ٩٣/٢، وكشف الظنون ١٨٢٢، والأعلام ٢٧/٥.

نستشف من تلك المقدمة إشكالية عميقة تتعلق بتيسير العلم وبسطه منهجياً ليكون أكثر سلاسة وإفادة، فقد انصبَّ في علم التصريف عشرات من الكتب، تعالج موضوعه ومواده بمختلف الوسائل والأساليب، فكان منها حتى القرن السابع زاداً وافرٌ، يزخر بالمتون الجافة الضنيّة بالعطاء، والشروح المطوّلة البعيدة المنال، والحواشي والتقييدات المتداخلة، حتى وُصِفَ هذا العلم بأنه أعسر من الإعراب، وأضيق سبيلاً على المرتادين، ولكن عندما تناول ابن عصفور هذا العلم، استطاع أن ينفحه بأنفاسه الأندلسية، ويصبغه بألوان البساطة والسلاسة والصفاء، ليقربه إلى النفوس والعقول.

«فقد استوفى في كتابه المادة الصّرفية، مما يحتاج إليه كل دارس أو باحث أو مؤلف، وعرضها بأسلوب تعليمي ميسر، يقيم حواراً ودّياً بينه وبين قارئه، ويُشركهم في صياغة النتائج والمعلومات، ويوظّف ما في نفوسهم من تساؤلات ومشكلات، تتعلق بالموضوع وعناصره ومبادئه وقواعده»؛ لذلك كلّهُ أعجب به العلماء، حتى إنّ أبا حيان النحوي كان يلازمه في جميع أسفاره، ويجمع منه النسخ المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب «الممتع الكبير في التصريف» ألّف على فترات، لأن ابن عصفور عمل على تنمية مادته العلمية، وصقله وتهذيبه، وإضافة الحواشي المفيدة إليه، إلى أن وافته المنية، فتلقّفه العلامة أبو حيان النحوي غصّاً طرياً، وقد افْتُتِنَ به أيّما افتتان، وأدرك قوته ويُعد مقصده، فوصفه بالممتع الكبير، وهو كذلك بلا مرأى.

طُبِعَ الكتاب عام ١٩٨١م، وثمة طبعة ثانية عام ١٩٩٦م بتحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون.

شاهد من الكتاب:

باب تمييز ما يدخله التصريف مما لا يدخله: اعلم أنَّ التصريف لا يدخل في أربعة أشياء. وهي: الأسماء الأعجمية [التي عجمتها شخصية]، كـ «إسماعيل» ونحوه؛ لأنها نقلت من لغة قوم ليس حكمها كحكم هذه اللغة. والأصوات كـ «غاق» ونحوه؛ لأنها حكاية ما يصوت به، وليس لها أصل معلوم. والحروف، وما شُبِّهَ بها من الأسماء المتوغلة في البناء، نحو «من» و «ما»؛ لأنها لافتقارها بمنزلة جزء من الكلمة التي تدخل عليها. فكما أن جزء الكلمة، الذي هو حرف الهجاء، لا يدخله تصريف فكذلك ما هو بمنزلة. وقد جاء بعض [الكلمات] المبنية مشتقاً، نحو «قَطُّ»؛ لأنها من «قططت» أي: قطعت؛ لأن قولك: «ما فعلته قط» معناه: «فيما انقطع من عمري». وكذلك «ذا» و «ذي» و «الذي» ونحو ذلك، مما يدخله التحقير، ويستعمل استعمال المتصرف، وليس ذلك بالكثير، وكلما كان الاسم من شبه الحرف أقرب كان من التصريف أبعد^(١).



(١) الممتع الكبير في التصريف، بتحقيق فخرالدين قباوة، ٣٦/١.



البَابُ الثَّالِثُ

المصادر البلاغية والنقدية



الفصل الأول

المصادر البلاغية

البدیع فی البدیع لابن المعتز

دلائل الإعجاز فی علم المعانی للجرجاني

أسرار البلاغة للجرجاني

منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجي

الإيضاح في علوم البلاغة للقريني



المصادر البلاغية:

مقدمة في علم البلاغة:

البلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء، يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها، وبلغ الشيء منتهاه.

وتقع البلاغة في الاصطلاح وصفاً للكلام، والمتكلم فقط، ولا توصف الكلمة بالبلاغة، لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه، ولعدم السماع بذلك. والغاية منها تأدية المعنى الجميل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر ساحر، مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يُخاطَبون. ويعتمد علم البلاغة على اللفظ والمعنى، وتأليف للألفاظ يمنحها قوةً وتأثيراً وحسناً، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب موطن الكلام ومواقعه، وموضوعاته وحال السامعين، والنزعة النفسية التي تملكهم، وتسيطر على نفوسهم .

وينقسم علم البلاغة إلى ثلاثة أقسام:

- علم المعاني: وهو علمٌ تُعرَفُ به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.

- علم البيان: وهو علمٌ يُعرَفُ به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

- علم البديع: وهو علمٌ تُعرَفُ به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.

ومما لا شك فيه أن العرب جُبلوا على حبّ الفصاحة والبيان واللُسن، وأنهم فُتنوا بتذوق الأسلوب ونقده، فكانت لهم في الجاهلية آراء نقدية كانت - بصرف النظر عن

طبيعتها وحجمها - الأساس الأول الذي اعتمد عليه النقد الأدبي عند العرب. وبدهي أن يكون النقد الأدبي الأساس لعلم البلاغة الذي اكتملت أصوله واتضحت معالمه بعد ذلك، وقد برزت الحاجة إلى وضعه في الفترة التي بدأ فيها منبع الفصاحة للعربي يضمحل أو تقل درجته في نفوس العرب. حدث كل ذلك عندما اختلط العرب بشعوب الأمصار التي تم فتحها وضمها إلى الدولة الإسلامية، حيث كان تأثر اللغة العربية بذلك الاختلاط أمراً حتمياً، ومن ثم ظهرت الحاجة إلى وضع أصول وقواعد تمكن طلاب اللغة والأدب من تجنب الزلل، أو الوقوع في الخطأ في الأسلوب والبيان. هذا فضلاً عن القول إنّ العرب كانت تهدف من وراء وضع علم البلاغة إلى الإلمام بإعجاز القرآن الكريم، وفهم أسرار ذلك الإعجاز، خاصة أنّ العرب كانوا من أيام الجاهلية يفتخرون ويتباهون بمقدراتهم البيانية والبلاغية، وكانوا يتسابقون في ذلك ويتنافسون، وظل هذا الوضع على حاله إلى أن جاءهم القرآن الكريم فشدهم ما فيه من بيان وقوة تعبير حتى قال قائلهم: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمورق وإن أسفله لمغدق، ما يقول ذاك بشر. وربما كان إعجابهم بالأسلوب القرآني من الأسباب القوية التي دفعتهم إلى وضع علم البلاغة حتى يتم لهم الكشف عن إعجاز القرآن الكريم من جهة، وليتمكنوا من الاستفادة منه في تجويد أساليبهم الأدبية، وطرائقهم التعبيرية من جهة أخرى، ولا غرؤ في ذلك، فكلنا يعلم أنّ القرآن الكريم هو معجزة الرسول ﷺ. وعليه فإننا نستطيع القول إنّ علم البلاغة العربية كان ثمرةً لجهود علماء أجلاء عاش بعضهم في القرن الثالث الهجري، في حين برز جلهم في القرون الأربعة اللاحقة. ويحسن بنا القول هنا إنه لا بد من التفريق بين فكرة البلاغة بوصفها فناً وبين البلاغة العلم المعروف. فقد كان للجاهليين أثر بارز وفضل كبير في فن البيان أو البلاغة، في حين نال العرب الذين عاشوا بعد بزوغ فجر الإسلام، بزمان غير قصير، شرف وضع علم البلاغة بأحكامه ومفرداته المعروفة.

١ - كتاب البديع لابن المعتز

هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد الخليفة العباسي. ولد في بغداد عام (٢٤٧هـ)، وهو الشاعر المبدع الذي أولع بالأدب، فقد قصد فصحاء الأعراب وأخذ عنهم، وجاءته النكبة من حيث يسعد الناس؛ إذ آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد فخلعوه، وأقبلوا على ابن المعتز فلقبوه «المرتضي بالله» وبايعوه بالخلافة، فأقام يوماً وليلاً، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه، وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه. فمات مقتولاً في بغداد عام (٢٩٦هـ) وللشعراء مراثٍ كثيرة فيه. ومن كتبه:

«الزهر والرياض» و «البديع» و «الآداب» و «الجامع في الغناء» و «أشعار الملوك» وله «ديوان شعر» في جزئين^(١).

لم تكن غاية ابن المعتز من كتابه، -كما صرح في مقدمته- أن يقدم للأدباء والشعراء بحثاً بلاغياً يرشدهم إلى الفنون البديعية، وإنما غايته أن ينفي عن المحدثين ما ينسبه إليهم بعضهم، أو ما ينسبونه هم لأنفسهم من فضل ابتداعهم لفن البديع، مثبتاً لهم أن الفنون البديعية قديمة في الكلام العربي شعره ونثره، ويقتصر أثر المحدثين فقط على إطلاق اسم (البديع) على (الأساليب التعبيرية اللطيفة المميزة) وهم من تخيروا للفنون البديعية أسماءها.

ويعدّ كتاب البديع أول مصدر تناول هذه الظاهرة البلاغية في الشعر العباسي في تطورها الحضاري، فكشف عن حقيقة التجديد في الأداء الفني لدى الشعراء المولّدين؛ فهو بذلك أول صياغة لجماليات الخطاب الأدبي في التراث العربي، وأول تجربة رائدة في تاريخ

(١) الأغاني ٢٧٤/١٠ - ٢٨٥، وتاريخ بغداد ١٢٥/٢، والفهرست ١٧٤، والأعلام ١١٨/٤.

البلاغة العربية، نالت لهذا التقدير والاهتمام من القدماء والمحدثين. وكان لابن المعتز فضل السبق في هذا النوع من التأليف حين قال: «وما جمع فنونَ البديع ولا سبقني إليه أحد».

ولا يسعنا إلا القول: إن البديع ظاهرة قديمة، لكنَّ حديث ابن المعتز عنها أكسبها الوضوح والتحديد، ولهذا عُدَّ كتابه حدثاً عظيم الأهمية في تاريخ البلاغة والنقد العربيين للسببين التاليين:

الأول: أنه حدد خصائص مذهب البديع ووضح مفهومه، وتعدَّد محاولته هذه أول محاولة من نوعها قصد بها تحديد مفهوم المصطلحات البديعية التي كانت لا تزال غائمةً مضطربة في أذهان بعض الناس، ولذلك بحث عن هذه الخصائص وأحصاها وعرفها والتمس لها الأمثلة والشواهد.

الثاني: أنه كان ينبوعاً ثراً استقى منه النقاد اللاحقون وتأثروا بأحكامه، وحذوا حذو مصطلحاته.

وقد تضمَّن كتاب البديع ثمانية عشر نوعاً من الأنواع البديعية منها: الاستعارة والتجنيس، والمطابقة، وردّ أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي والالتفات.

وفي رأي ابن المعتز أنَّ الأنواع الخمسة الأولى هي أنواع بديعية حقاً، وأمَّا ماسواها فمن محاسن الكلام والشعر، وهو لم يذكرها إلا لكيلا يُرمى بالتقصير أو الجهل، لأن بعض الأدباء يرى كل محاسن الكلام بديعاً، فأراد أن يُوضَّح ذلك مؤكداً المذهب الأدبي الصحيح فيها.

أما منهج المؤلف في دراسة كل فن من هذه الفنون التي عددها، فإنَّه يقوم على تعريف هذا الفن أولاً، ثم الإتيان بشواهد نثرية مختارة من القرآن، والحديث، وكلام العرب في الجاهلية والإسلام، ثم إردافها بشواهد مختارة من الشعر القديم، وإتباعها بالأمثلة التي يختارها

من شعر المحدثين ونثرهم، ثم اختتام البحث في كل فن بذكر ما جاء فيه من المعيب، ولا يعرج إلا في القليل على بعض الألفاظ فيشرحها، أو يذكر مناسبتها، وهو في كل هذا يعزو القول إلى صاحبه، والكلمة إلى قائلها، ما وسعه ذلك. إن الأمثلة التي أوردها بكثرتها وترتيبها وحسن اختيارها، دليل على ما يتصف به المؤلف من ثقافة عربية أدبية واسعة. فابن المعتز بتصنيفه لكتاب البديع يمثل ظاهرة الشاعر الناقد في التراث العربي، إذ رسم فيه منهج التأليف في البلاغة العربية على امتداد عصور البيان العربي.

طُبِعَ الكتاب بتحقيق المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكوفسكي باللغة العربية، ببغداد، مكتبة المثنى، طبعة ثانية - ١٩٦٧م، (٨ أجزاء)، وطبعة ثالثة بدار المسيرة، بيروت ١٩٨٢م.

شاهد من الكتاب:

محاسن الكلام والشعر - باب الالتفات:

ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر، ومحاسنهما كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدّعي الإحاطة بها، حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره (التذكر أي ضد النسيان)، وأحبينا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدّبين، ويعلم الناظر أننا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة، اختياراً من غير جهل بمحاسن الكلام، ولا ضيق في المعرفة، فمن أحب أن يقتدي بنا، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة، فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع، ولم يأت غير رأينا، فله اختياره.

باب الالتفات: وهو انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى مخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيَّةٍ﴾. وقال: ﴿إِنْ

يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، ثم قال: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(١).

٢ - كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار، الأديب النحوي، والفقيه الشافعي، والمتكلم الأشعري، واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان)، له شعرٌ رقيقٌ، متكلمٌ على مذهب الأشعري، فقيهٌ على مذهب الشافعي. وُلِدَ بجرجان ولم يبرحها حتى لطلب العلم ولما طافَتْ شهرته الآفاق شُدَّتْ إليه الرِّحَالُ وَحُثَّتْ المطيُّ، وظلَّ متصدِّراً جرجان يُفيد الرّاحِلين إليه والوافدين عليها إلى أَنْ تُؤَيِّ وَدُفِنَ بها سنة (٤٧١هـ)، تَتَلَمَذَ على يد شيخه أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي النحوي ابن أخت أبي عليّ الفارسي، ويقال إنه أدرك القاضي الجرجاني علي بن عبد العزيز وتتلّمذ له، وقد قرأ عليه وحمل عنه الأدب وعلومه، وكان يفتخر به في مجالسه، كما أحاط علماً بما صنّفه سابقوه في علوم الدين والفلسفة والكلام والأدب واللغة كأبي عمرو بن العلاء، والخليل، ويونس، والأخفش، وسيبويه، وابن قتيبة، وأبي هلال العسكري وغلّبت عليه شهرة اللغوي النحوي.

ومن مؤلفاته: (التلخيص، العمدة في التصريف، رسالة الشافية، أسرار البلاغة)^(٢).

أمّا دلائل الإعجاز فهو كتابٌ يضع منهجاً للمعرفة عامّةً ولعلم البلاغة خاصّةً، ولقد ثار الجدل كثيراً حول نظريّة «النظم» التي حوّاها الكتاب، فبينَ رافضٍ لها مُرتاب، وبين مُنبهرٍ بما تَوَصَّلَ إليه مؤلّفه، لأن عبد القاهر الجرجاني لم يَتَوَقَّفَ عند مستوى التنظير الذي سبّقه إليه أصحابه من قبل، بل تَعَدَّاهُ إلى مستوى التطبيق، وهذا هو سرُّ تَفُوقِهِ

(١) البديع ١٥٢/١ - ١٥٣.

(٢) الأعلام ٤/٤٨.

على أقرانه وسابقيه. فقد طغى على الجرجاني حبُّ العلم، وخاصةً إذا كان في كتاب الله، فالقارئ لكتابه يلمس تلك المنافحة، من خلال دفاعه عن نظريّة النظم على طريقة المتكلمين، واعتبارها سبب الإعجاز، فهو يُصرّح تارةً ويُلمّح أخرى لأناسٍ قد سبقوه في الكلام عن وجه الإعجاز بفكرٍ لم يَرْضَ به الجرجاني.

وخلاصة رأيه في إعجاز القرآن أنه يخالف الكثيرين من الذين ألفوا في الإعجاز وزعموا أن إعجاز القرآن إنما هو بالصرّفة، أو بعبارة أوضح أنّ الله صرف العرب عن مضاهاته، فالجرجاني يدفع هذه الفكرة بقوة وإصرار، ويلجّ على تبين فسادها في كل مؤلفاته في الإعجاز ويكررها في المؤلّف الواحد، ويذهب إلى أن إعجاز القرآن ليس بالصرّفة وإنما هو في فصاحته وبلاغته، مؤكداً أن الفصاحة ليست باللفظ وحده ولا بالمعنى وحده، وإنما مردّها إلى النظم، أي إلى الأسلوب وخصائصه، ولهذا رأى أن البلاغة كامنة في النّظم الذي هو سرّ الإعجاز، موضحاً وجوه دلّته، كما ألحّ الجرجاني في نظريّته هذه على المواءمة بين الاستقامة النحويّة والصحّة الدلاليّة، وذلك من خلال كشف فاعليّة النحو في توضيح النص وتفسيره واستخراج طاقاته وإتاحة أكبر قدرٍ ممكن لتفسير المبادئ الدلاليّة معتمداً على القواعد النحويّة الضابطة للنظام اللغوي.

وكان المنهج الذي اتخذه الجرجاني في تأليف كتابه هذا، هو أن يُكرّر ويعيد الحديث عن النّظم ويكثر من الأمثلة والشرح ليقرب الفكرة ويُقنع بها الناس، مع ذكر الدليل تلو الدليل في وضوح، لإثبات أن القرآن مُعجز في نفسه في كل زمان ومكان، ويناقش مذهب القائلين بالصرّفة ويبطل حججهم بالأدلة العقلية والنقلية من القرآن الكريم والشعر الرصين، مبيناً صحة نظريّته في النظم مستقراً في ذلك كلام العرب، محققاً القول في البلاغة والفصاحة مبتدئاً بدراسة اللفظ وأن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة وكلمات مفردة، وإنما تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة

لمعنى التي تليها؛ مما دفعه لدراسة الكناية والمجاز والاستعارة والتمثيل والتقديم والتأخير، وقصده من كل ذلك التأكيد على نظرية النظم التي ساق لأجلها كتابه.

ومن طبعات الكتاب: طبعة بتحقيق محمود محمد شاكر - طبعة ثالثة - مطبعة المدني، القاهرة ١٩٩٢ م.

شاهد من الكتاب:

إزالة الشبهة في جعل الفصاحة والبلاغة للألفاظ - بيان مهم في مسألة «اللفظ» والمعنى: «اعلم أنه لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث «اللفظ» كالداء الذي يسري في العروق، ويُفسد مزاج البدن، وجب أن يُتوخى داءً فيهم ما يتوخاه الطبيب في الناقه، من تعهده بما يزيد في مُنته، ويُبقّيه على صحته، ويؤمّنه النكس في علته. وقد علمنا أن أصل الفساد وسبب الآفة، هو ذهابهم عن أن من شأن المعاني أن تختلف عليها الصور، وتحدث فيها خواص ومزاي من بعد أن لا تكون. وإنك ترى الشاعر قد عمّد إلى معنى مبتذل، فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شنفٍ وغيرهما من أصناف الحلي. فإن جهلهم بذلك من حالها، هو الذي أغواهم واستهواهم، وورطهم بما تورطوا فيه من الجهالات، وأدّاهم إلى التعلق بالمحالات. وذلك أنهم لما جهلوا شأن الصورة، وضعوا لأنفسهم أساساً، وبنوا على قاعدة فقالوا: إنه ليس إلا المعنى واللفظ، ولا ثالث وإنه إذا كان كذلك، وجب إذا كان لأحد الكلامين فضيلة لا تكون للآخر، ثم كان الغرض من أحدهما هو الغرض من صاحبه أن يكون مرجع تلك الفضيلة إلى اللفظ خاصة، وأن لا يكون لها مرجع إلى المعنى^(١).

(١) دلائل الإعجاز ٣٠٣/١.

٣ - كتاب أسرار البلاغة للجرجاني:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني . سبقت ترجمته في كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني .

يُعدُّ كتاب عبد القاهر الجرجاني «أسرار البلاغة» أول محاولة جادة ترمي للتمييز بين أقسام البلاغة وفروعها، إذ نجد أن مؤلفه المتفنن في ضروب الخطاب قد درس موضوعاتها دراسة وافية متأنية مكنته من اقتناص هذا العلم، فهو لم يؤلف كتاب «أسرار البلاغة» لغرض ديني أو مسألة تتعلق بإعجاز القرآن، وإنما ألّفه لغاية بلاغية، ووضع الأصول والقوانين، وبين الأقسام، وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية. وقد وُفق عبد القاهر في إبراز الجودة الأدبية التي تؤثر بصورها البيانية في نفس متذوقها، ولذلك نجده قد أوغل في الصور البيانية من تشبيه واستعارة ومجاز، ولم يُغفل الحديث عن الجناس والسجع والطباق، وقد ذكرها لبيان مزيّتها وحُسْنها عندما يطلبها المعنى.

ويبدو أن عبد القاهر قد أقدم على تأليف «أسرار البلاغة» بعد تأليفه لكتاب «دلائل الإعجاز»، مبيّناً أنه بحثٌ خالصٌ في موضوعات علم البيان، إلى جانب بعض ألوان من البديع هي: الجناس والسجع والطباق. وعلى الرغم من أنّ هذه المباحث قد شهدت تطوراً ملحوظاً على يديه إلا أنّ تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة: المعاني والبيان والبديع لم يكن قد استقر حتى عصره. ولعل هذا الأمر هو الذي دفع المتأخرين من علماء البلاغة إلى تسمية العلم الذي يتناول هذه الفنون البلاغية باسم (علم البيان)، وقد أشار الجرجاني في مقدمة كتابه إلى البيان الذي ميز الله به الإنسان من سائر الحيوان وهو قوله تعالى: ﴿الرحمن، علّم القرآن خلق الإنسان، علّمه البيان﴾ [الرحمن: ١-٤].

ويمكن إجمال محتوى «أسرار البلاغة» في ثلاثة موضوعات:

أولاً- حديث عن اللفظ والمعنى، وتأكيد على أهمية المعنى في الكلام، وأن الجودة فيه مردها إلى المعنى دون اللفظ، وعلى هذا فإن ألوان البديع والبيان كالتجنيس والسجع والطباق والاستعارة إنما يعود الحُسن فيها إلى المعنى دون اللفظ.

ثانياً: حديث عن التشبيه والتمثيل والاستعارة مميزاً بين حدّ كل منها والفروق التي تميّز بين معاني هذه الألوان البيانية.

ثالثاً: حديث عن الحقيقة والمجاز بنوعيه: اللغوي والعقلي، ومحاولة التمييز بين مفهوم كل نوع منهما، منتقلاً إلى حديث مختصر عن السرقات الشعرية.

ومن مجموع ما ساق الجرجاني من أمثلة، وما استدل من شواهد قرآنية وشعرية عمد إلى تحليلها ومناقشتها ظهرت لنا عبقريته المتقدمة التي لا ينكرها عليه أحد، خاصة حينما فصل القول في التشبيه العقلي الذي ينتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشيئين يُمزج أحدهما بالآخر، حتى تحدث صورة غير ما كان لها في حالة الأفراد لا سبيل الشيئين يُجمع بينهما وتحفظ صورتها. ومثال ذلك هو قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]. فالشبه "منتزع من أحوال الحمار وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمر العقول، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يُفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه ويتعبه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعض.

طُبِعَ الكتاب بتحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة .

شاهد من الكتاب:

إزالة الشبهة في جعل الفصاحة والبلاغة للألفاظ بيان مهم في مسألة اللفظ والمعنى: «اعلم أن الكلام هو الذي يُعطي العلوم منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشف عن صورها، ويحني صنوف ثمرها، ويدلّ على سرّائها، ويُبرز مكنون ضمائرها، وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان، ونبه فيه على عظم الامتنان، فقال عزّ من قائل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن ١ - ٤]، فلولاه لم تكن لتتعدّى فوائد العلم عالمه، ولا صحّ من العاقل أن يفتق عن أزاخير العقل كئامه، ولتعطلت قُوى الخواطر والأفكار من معانيها، واستوت القضية في موجدوها وفانيها، نعم، ولوقع الحيّ الحسّاس في مرتبة الجماد، ... ومن البين الجليّ أن التباين في هذه الفضيلة، والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة، ليس بمجرد اللفظ، كيف والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمّدت إلى بيت شعرٍ أو فصلٍ نثرٍ فعددت كلماته عدّاً كيف جاء واتّفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبسّقه المخصوص أبان المراد.

نحو أن تقول من الطويل: (فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)، (منزل فقا ذكرى من نبك حبيب)، أخرجته من كمال البيان، إلى مجال الهديان.... وفي ثبوت هذا الأصل ما تعلم به أنّ المعنى الذي له كان هذه الكلم بيت شعرٍ أو فصلٍ خطابٍ، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة، وهذا الحُكم - أعني الاختصاص في الترتيب - يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل، ولا يتصوّر في الألفاظ وجوبٌ تقديم وتأخير، وتخصّص في ترتيب

وتنزيل، وعلى ذلك وُضِعَت المراتبُ والمنازلُ في الجمل المركبة^(١).

٤ - كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجي:

هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي، ولد في (قرطاجنة) شرقي الأندلس عام (٦٠٨هـ)، ونشأ فيها وأخذ عن علمائها وعلماء (غرناطة وإشبيلية)، وتلمذ على يد أبي علي الشَّلوَّبين، ثم هاجر إلى مراكش والتحق بحاشية الخليفة الموحيدي أبي محمد عبد الواحد الذي كان بلاطه عامراً بالفقهاء والعلماء، ومنها انتقل إلى تونس، فذاعت من هناك شهرته، حيث نظم قصيدةً طويلةً اسمها (المقصورة) في أكثر من ألف بيت، بكى فيها الأندلس وامتدح المستنصر (سلطان تونس)، وقد أخذ عنه كثيرون منهم العبدري توفي في تونس عام ٦٨٤هـ^(٢).

كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء على غموضه، مليء بالقضايا الأدبية والفنون البلاغية الواضحة الظاهرة التي لا يُجهد القارئ ذهنه في فهمها، ولا يحتاج إلى إعادة قراءة جملها ليدرك مفهومها العام. وعلى الرغم من كونه - غالباً - لم يعنون لمعارفه بمصطلحات ظاهرة الدلالة على الفن البلاغي المتحدث عنه، إلا أنه بالإمكان وضع اليد على هذا الفن، إذ إن المصنف يصرح بأن كتابه تكلم في البلاغة، وسرعان ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر البلاغة مباحث التشبيه والاستعارة والتمثيل والكناية والتقديم والحذف والتعريف والقصر والجمل الاسمية والفعلية .. ولكن المفاجيء أنه يجد نفسه على موقف من المعارف، ومسلك من الأنظار لا يكاد يتحد مع المواقف والمسالك التي عرفت في كتب البلاغيين قبله أمثال عبد القاهر ومؤيديه.

(١) أسرار البلاغة ٤٨١/١.

(٢) بغية الوعاة ٢١٤، ونفح الطيب ٦٢٧/١، والأعلام ١٥٩/٢.

فالقرطاجني يتناول في هذا الكتاب موضوع الشعر وطريقة نظمه، ونجده يتعمق في ذلك في القسم الثاني والثالث والرابع منه ببحث المعاني والمباني والأسلوب.

كل قسم منها موزع إلى أربعة أبواب، كل منها يسمى المنهج، وكل منها مؤلف من فصول تسمى معلماً أو معرفاً، ويتبعها بملاحظات بلاغية يجمعها في فصول ختامية باسم مأمّ أو مأمّ. وفقرات الكتاب متميزة في كل فصل من فصوله، عنون لها بلفظين على التعاقب إضاءة وتنوير.

وفي كلام حازم إشارات عديدة إلى موضوعات القسم الأول المفقود من الكتاب تدل على أنه يتناول فيه القول وأجزائه والأداء وطرقه.

أمّا القسم الثاني: فيبحث في المعاني وقد قسمه إلى أربعة مناهج، وفي القسم الثالث: تحدث عن المباني، وقسمه أيضاً إلى أربعة مناهج، وفي القسم الرابع والأخير: تكلم في الطرق الشعرية وما تنقسم إليه، معرفاً بمآخذ الشعراء، وقسمه كذلك إلى أربعة مناهج. وهو يختتم أقسامه جميعاً بعبارة (وما تُعتبر به أحوالها في جميع ذلك من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرها لها).

ويتضح لنا من ذلك طريقة تقسيم غريبة، وفكرٌ منطقيٌّ منظمٌ عميقٌ، ومصطلحاتٌ غريبةٌ تدل على سعة ثقافة القرطاجني .

طُبِعَ الكتاب بتحقيق د. محمد الحبيب بن الخوجة الطبعة الثانية بدار العرب الإسلامي في بيروت ١٩٨١م.
شاهد من الكتاب:

المنهج الثاني في الإبانة عن طرق اجتلاب المعاني وكيفيات الثامها وبناء بعضها على بعض، وما تُعتبر به أحوالها في جميع ذلك، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها.

مُعَلِّمٌ عِلَّةٌ طُرُقَ العلم باقتباس المعاني وكيفية اجتلابها وتأليف بعضها إلى بعض: يجب على من أراد جودة التصرف في المعاني وحسن المذهب في اجتلابها والحدق بتأليف بعضها إلى بعض أن يعرف أن للشعراء أغراضاً أول هي الباعثة على قول الشعر، وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس، لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها^(١).

٥- كتاب الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني:

هو أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق، فهو من أسرة علمية ودينية كبيرة، كان لها أثرها في حياته وتفكيره وروحه، كان حلو العبارة فصيحها، أديباً بالعربية والتركية والفارسية، سمحاً كثير الفضائل، واسع المعرفة. ولد عام (٦٦٦هـ)، بالموصل وتعلم الفقه فيها وتولى القضاء، ثم انتقل إلى دمشق، وتولى الخطابة في مسجدها الأموي الكبير، فلما ذاع صيته طلبه السلطان الناصر محمد قلاوون إلى القاهرة، فلبى الدعوة، وتولى القضاء بمصر، ثم عاد إلى دمشق وتوفي فيها عام (٧٣٩هـ). وأشهر مؤلفاته (تلخيص المفتاح)، (الإيضاح في المعاني والبيان) التي تدل على ثقافة القزويني البلاغية والأدبية الواسعة^(٢).

يتناول كتاب الإيضاح علوم البلاغة الثلاثة: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع. وهو عمل جليل من أهم كتب التراث التي تناولت علوم البلاغة سواء في ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه، أم في استيعابه واستقصائه وتحليله، أم في جمعه واستمداده من شتى المصادر والمراجع، أم في أسلوبه الأدبي وكثرة تطبيقاته، وهو أهم كتاب دراسي في البلاغة العربية في

(١) منهاج البلغاء ١/١.

(٢) بغية الوعاة ٦٦، والوافي بالوفيات ٢٤٢/٣، وكشف الظنون ٤٧٣، والأعلام ١٩٢/٦.

العصر الحاضر، كما يمتاز بمقدمته التي هي تأريخ للبلاغة ونشأتها وأطوار التأليف فيها، فقد جمع فيه القزويني كثيراً من آراء عبد القاهر الجرجاني، وأبي يعقوب السكاكي بشيء من التنظيم والشرح وبعض النقد، فكتاب الإيضاح في أصله شرحٌ لتلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي.

وهو عمل جليل من حيث الترتيب والتقسيم وتنظيم البحوث، والاستيعاب والاستقصاء والتحليل، والتعمق في أسرار البلاغة العربية مع كثرة التطبيقات، فهو لم يترك شاردة أو واردة في مسائل البلاغة إلا عرضها عرضاً مفصلاً ودقيقاً، ملماً فيها بالآراء كافة، سواء التي كانت في عصره أو قبل عصره، مما جعل الكتاب غزير المادة، كبير الفائدة في البلاغة والنقد والأدب. فمنهج القزويني في الإيضاح قائمٌ على بسط القول في شرح فنون البلاغة وتفصيل معانيها مستدرِكاً بذلك كل ما خلا منه كتابه الأسبق (تلخيص المفتاح).

شاهد من الكتاب:

قال القزويني في مقدمة كتابه :

أما بعد: فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها، تَرَجَّمْتُه بـ «الإيضاح» وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته تلخيص المفتاح، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشككة، وفصلت معانيه الجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر، مما تضمنه «مفتاح العلوم»، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني.... فاستخرجت زبدة ذلك كله، وهذبتها ورتبتها، حتى استقر كل شيء منها في محله، وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري، ولم أجده لغيري، فجاء بحمد الله جامعاً لأشتات هذا العلم، وإليه أرغب في أن يجعله نافعاً لمن نظر فيه من أولي الفهم.

الفن الأول: علم المعاني: وهو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى

الحال، بل: «يعرف» دون «يعلم»، رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكيليات والمعرفة بالجزئيات، كما قال صاحب «القانون» في تعريف الطب: الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان، وكما قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله: التصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم، ثم المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب:

أولها: أحوال الإسناد الخيري.

وثانيها: أحوال المسند إليه.

وثالثها: أحوال المسند.

ورابعها: أحوال متعلقات الفعل.

وخامسها: القصر.

وسادسها: الإنشاء.

وسابعها: الفصل والوصل.

وثامنها: الإيجاز والإطناب والمساواة^(١).



(١) الإيضاح ١٦/١، ٥٢/١.

الفصل الثاني

المصادر النقدية

عيامر الشعر لابن طباطبا

نقد الشعر لقدامة بن جعفر

الصناعتين الكتابة والشعر للعسكري

الموازنة بين الطائيين للآمدي

العمدة في محاسن الشعر وآدابه للقيرواني



المصادر النقدية:

مقدمة في علم النقد:

النقد عملية معقدة تحتاج إلى العلم والعقل والدربة والمِرَاس، فهو يهدف إلى تنمية التذوق الأدبي عند القارئ، وإغناء ثقافته، وصقل حسّه النقدي، والأخذ بيده إلى مدارج القدرة على تمييز جيد الأدب من رديئه، وتذوقه والإفصاح عن هذا التذوق بنقدٍ هادفٍ قوامه الأصالة والتمرّس والخبرة، وذلك من خلال تعرّفه على الأحكام النقدية التي جادت بها قرائح النقاد منذ نشوء النقد الأدبي عند العرب حتى نضجه واكتماله، وتقويم هذه الأحكام المختلفة، ووضع كل منها في المرتبة التي تليق بها من مراتب السّموّ أو الدّنوّ في سُلّم تقدير الأحكام النقدية، كما تُبصّر الدارس بما لحق النقد العربي من تقدّم أو تخلف يواكب أحداث التاريخ.

فوظيفة النقد ليست مجرد تمييز لجيد الأدب من رديئه، -كما جاء في تعريفه الأولي، بل الحكم عليه وإنزال النصّ المنقود في منزلته من السّموّ أو الدّنوّ، ثم تقويم الأديب الذي أنتج النصّ ووضعه في مكانه بالنسبة لأدباء عصره أو العصور السابقة أو اللاحقة.

وقد عُرف النقد منذ العصر الجاهلي بصورة مبسطة لا تعدو أن تكون مجرد انطباعات عفوية ساذجة وأحكام عامة، لا تعتمد على مقاييس علمية أو جمالية، وكان ذا طابع خاص في العصر الإسلامي له سماته والأسباب التي استدعتها، لنلمس تطوره مع الزمن في العصور التالية.

١- كتاب عيار الشعر لابن طباطبا:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا..... بن الحسن بن علي ابن أبي طالب شاعرٌ مُفلقٌ وعالمٌ محققٌ، شائع الشعر، نبيه الذكر، ولد في أصبهان وبها

مات سنة (٣٢٢هـ)، وكان معروفاً بالذكاء والفطنة، مشهوراً بصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد، من مؤلفاته: كتاب (تهذيب الطبع)، (العروض)، (عيار الشعر).
كان ابن المعتز يتمنى لقاءه، وهو يتمنى لقاء ابن المعتز فلم يقدر لهما ذلك، ذكر له ياقوت شعراً كثيراً في معجمه وأكثره في الغزل والآداب^(١).

يمتاز كتاب (عيار الشعر) بأن مؤلفه جمع ذوق الشاعر إلى علم الناقد، ويتبدى ذوقه في اختيار النصوص التي أوردها في كتابه هذا، وفي الحكم والمفاضلة بين الشعراء، وإبراز مواطن الجمال والقبح في النص، والتنبيه على أسباب فساد الشعر، وتميز اختياراته بالطول لأنه إذا استملح قصيدة لم يورد فيها البيت أو البيتين بل يورد القطعة، تلو القطعة ولا يسعك إلا أن تعجب بحسن اختياره، وصفاء ذوقه.

وتضمن الكتاب - على وجازته - مجموعة من قضايا النقد وأحكامه، فقد ابتدأ المؤلف كتابه بتعريف مفصل للشعر وعناصره وأدواته التي يتألف منها: «التوسع في علم اللغة، والبراعة في علم الإعراب، والرواية لفنون الآداب، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم، ومناقبتهم ومثالبهم، والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه، وفي كل فن قائلته العرب فيه....».

ثم تحدث عن (بناء القصيدة) حديث عالم ناقد مدقق، وتطرق للقضية الخالدة في النقد قضية (اللفظ والمعنى)، ولعله قد استفاد من سابقه من النقاد أمثال الجاحظ وابن قتيبة، في هذه القضية، وفي بعض كبريات القضايا النقدية الأخرى كقضية (القدمي والمحدثين)، ولهذا خصّ (المولدين) وأشعارهم بشيء من عنايته، وعرج على بعض القضايا التي نُسِمِها في عصرنا قضايا بلاغية، وكانت في زمنه من القضايا النقدية، مثل قضية (التشبيه) التي أوردها ابن المعتز في (بديعه) كما تحدث عنها الجاحظ والمبرد-، ووقف عندها

(١) معجم الأدباء ١٧/١٤٣، ١٥٦، والأعلام ٣٠٨/٥.

طويلاً فعرض (ضروب التشبيهات) وكان في كل ضربٍ يتمثل بشواهد من شعر العرب، ويُعقَّب عليها بالنقد والتحليل واستخلاص القواعد. وكان الحديث عن (أخلاق العرب) وصفاتهم ومزايهم جزءاً من علم الأدب، ومعاني الشعر، فلذا حظي بنصيب من كلام ابن طباطبا، وبعد هذه المقدمات التي لا بدَّ منها في (علم النقد)، انتهى للحديث عن (عيار الشعر)، وسطرَّ في هذا القسم عباراتٍ غايةً في الدقة وعمق التجربة وجمع مجموعة من التقاليد العربية سماها (سنن العرب المستعملة بينهم)، وأورد منها، الجمَّ الغفير مستشهداً على كل نموذج منها بما جاء في شعر العرب.

من هذه العادات: (إمساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها، وطائفة من تقاليد العرب في الحب والغزل) مما جاء ذكره في الشعر، ثم عاد إلى صميم موضوع النقد فتحدث عن ظاهرة (التفاوت) في الشعر و(الإغراق) في الوصف وهذه الظاهرة قلماً خلا منها شاعرٌ عربيٌّ، لذا طال وقوفه عندها مع كثير من الشواهد والنماذج. وأردف هذا بنمط آخر سماه (الأشعار الغثة الألفاظ، الباردة المعاني المتكلفة النسيج) وأورد مثلاً عليها (عينية الأعشى) التي عرض منها (٧٦) بيتاً متوالياً، ثم التفت إلى قضية نقدية مهمة هي (السرقات الشعرية).

وقد قسّم ابن طباطبا أنواع الشعر في كتابه تقسيماً يتبع أحوال اللفظ والمعنى متأثراً في ذلك بسابقيه، فبدأ بفصلٍ سمّاه (الشعر الحسن اللفظ الواهي المعنى) وبفصلٍ ثانٍ سمّاه (الشعر الصحيح المعنى الرث الصياغة) وأنبهه بثالثٍ سمّاه (المعنى البارع في المعرض الحسن)، وهذه التقسيمات تذكرنا بتقسيمات ابن قتيبة للفظ والمعنى.

وظل يتنقل - كما هي عادة أكثر المؤلفين في النقد في القرن الثالث الهجري - بين مصطلحات النقد ومصطلحات البلاغة، ثم ختم كتابه بلفتة نقدية جيدة وهي (تأليف الشعر وتنسيقه) متنبهاً في هذا القسم إلى ما تعارف عليه نقاد عصرنا الحديث باسم (الوحدة

العضوية في القصيدة). ويبدو أن ابن طباطبا قد ألف كتابه هذا بناءً على رغبة صديق ذي شأن طلب منه أن يكتب له رسالة في علم الشعر ونقده، بدليل ما يوجد في أوله وفي آخره من مخاطبة لهذا الصديق. فالمطالع لكتاب عيار الشعر يلحظ أن ابن طباطبا تأثر فيه بمن سبقه وبمن عاصره من النقاد، إلا أن شخصيته ظلت واضحة جليّة في كل ما يكتب، وظل ذوقه الذي يدل عليه اختياره يشهد له بالصفاء والتقاء وعمق المعرفة.

طُبِعَ الكتاب بتحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية ١٩٥٦ م.

شاهد من الكتاب: (عِيَارُ الشَّعْرِ)

وعِيَارُ الشَّعْرِ أَنْ يُورَدَ عَلَى الْفَهْمِ الثَّاقِبِ فَمَا قَبْلَهُ واصْطَفَاهُ فَهُوَ وَافٍ، وَمَا مَجْهُ وَنَفَاهُ فَهُوَ نَاقِصٌ. وَالْعِلَّةُ فِي قَبُولِ الْفَهْمِ النَّاقِدِ لِلشَّعْرِ الْحَسَنِ الَّذِي يَرِدُ عَلَيْهِ، وَنَفْيِهِ لِلْقَبِيحِ مِنْهُ، وَاهْتِرَازِهِ لِمَا يَقْبَلُهُ، وَتَكَرُّهِهِ لِمَا يَنْفِيهِ، أَنَّ كُلَّ حَاسَّةٍ مِنْ حَوَاسِّ الْبَدَنِ إِنَّمَا تَقْبَلُ مَا يَنْصِلُ بِهَا مِمَّا طُبِعَتْ لَهُ إِذَا كَانَ وُزُوْدُهُ عَلَيْهَا وُزُوْدًا لَطِيفًا بِاعْتِدَالٍ لَا جَوْرَ فِيهِ، وَبِمُوَافَقَةٍ لَا مُضَادَّةَ مَعَهَا، فَالْعَيْنُ تَأْلَفُ الْمَرَأَى الْحَسَنَ وَتَقْدَى بِالْمَرَأَى الْقَبِيحِ الْكَرِيهَ، وَالْأَنْفُ يَقْبَلُ الْمَشَمَّ الطَّيِّبَ، وَيَتَأَذَّى بِالْمُنْتَنِ الْحَبِيثِ، وَالْقَمُّ يَلْتَذُّ بِالْمَذَاقِ الْخُلُوِّ، وَبِمُجِّجِ الْبَشَعِ الْمُرِّ، وَالْأُذُنُ تَتَشَوَّفُ لِلصَّوْتِ الْخَفِيفِ السَّائِكِ، وَتَتَأَذَّى بِالْجَهْرِ الْهَائِلِ، وَالْيَدُ تَنْعَمُ بِالْمَلَمَسِ اللَّيِّنِ النَّاعِمِ، وَتَتَأَذَّى بِالْخَشَنِ الْمُؤْذِي، وَالْفَهْمُ يَأْنَسُ مِنَ الْكَلَامِ بِالْعَدْلِ الصَّوَابِ الْحَقِّ، وَالْجَانِزِ الْمَعْرُوفِ الْمَأْلُوفِ، وَيَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ، وَيَتَجَلَّى لَهُ، وَيَسْتَوْحِشُ مِنَ الْكَلَامِ الْجَائِرِ الْخَطِئِ الْبَاطِلِ، وَالْمُحَالِ الْمَجْهُولِ الْمُنْكَرِ، وَيَنْفِرُ مِنْهُ، وَيَصْدَأُ لَهُ، فَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ الْوَارِدُ عَلَى الْفَهْمِ مَنْظُومًا مُصَفًّى مِنْ كَدَرِ الْعِيِّ، مَقُومًا مِنْ أَوْدِ الْخَطَا وَاللَّحْنِ، سَالِمًا مِنْ جَوْرِ التَّأْلِيفِ، مُوزُونًا بِمِيزَانِ الصَّوَابِ لَفْظًا وَمَعْنَى وَتَرْكِيبًا اتَّسَعَتْ طَرَقُهُ، وَلَطَفَتْ مُوَالِجَتُهُ، فَقَبِلَهُ الْفَهْمُ وَارْتَاحَ لَهُ، وَأَنْسَ بِهِ^(١).

(١) عيار الشعر ٢٠/١.

٢- كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر:

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، كاتبٌ نصرانيٌّ، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة، يُضرب به المثل في البلاغة، ولد في الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يده، وتوفي ببغداد عام (٣٣٧هـ)، وقد عُهدت إليه بعد إسلامه مناصب حكومية رفيعة، وتولى في أواخر حياته منصب صاحب البريد، وكان إلى جانب عمله الإداري مهتماً بالمسائل الأدبية.

قدّم في كُتبه نظرية جريئة في الشعر وقد تجلّى فيها تأثره بالفلسفة اليونانية التي من المحتمل أن يكون قد تعرّف عليها وفق تقاليد أسرته. من مؤلفاته: الخراج، نقد الشعر، صرف الهم، جلاء الحزن، السياسة^(١).

قسّم قدامة كتابه (نقد الشعر) إلى مقدمة وثلاثة فصول.

أما المقدمة فقد صاغها المؤلف صياغةً موجزةً مركّزةً تحدّث فيها عن قيمة ما أسماه علم النقد وأهميته بين علوم الأدب الأخرى كالعروض، والقوافي، والغريب، مُطلقاً على العلم الذي يبحث في نقد الأشعار اسم (علم جيد الشعر ورديته)، وأنّه لما وجد الناس يتخبطون في هذا العلم، وأنهم قصرُوا في تأليف كتابٍ فيه، أحبّ أن يؤلف كتابه هذا.

وفي الفصل الأول تكلم على حدّ الشعر، وعرّفه تعريفاً حائزاً له عمّا ليس بشعر فقال: إنه (قولٌ موزون مقفًى يدل على معنى)، ثم شرع في الحديث عن هذه العناصر الأربعة التي يتكون منها الشعر، معتبراً إياها صناعة من الصناعات، يتوخّى صانعها أن يبلغ بها الكمال وفصل الحديث في ذلك إلى آخر الفصل.

(١) الفهرست ١٩٤، ومعجم الأدباء ١٢/١٧، وكشف الظنون ٥٩٥/٢، والوافي بالوفيات ١/ ٤١، والأعلام

ثم أفرد الفصل الثاني للحديث عن نعوت العناصر التي يتكون منها الشعر قاصداً بها الشروط التي يجب أن تتوفر فيها لتكون جيدة فيكون بها الشعر مقبولاً مستحسناً. ومن ذلك أن يكون اللفظ سمحاً، سهل مخارج الحروف، فصيحاً، خالياً من البشاعة، سهل العروض.

ويأتي الفصل الثالث مناظراً للفصل الثاني، فقد تضمن الحديث عن العيوب التي تُلحق التُّبح بالعناصر التي يتكون منها الشعر؛ فيأتي بها مُستقبِحاً مُستكرهاً، حيث بدأ بعرض عيوب اللفظ، ثم عيوب الوزن، ثم عيوب القوافي.

فقدامة ينطلق من تعريفه للشعر، إلى حصر العناصر الأولية التي يتكون منها، وهي اللفظ والوزن والقافية والمعنى، وهو في نقده للشعر يرى أن الشعر شأنه شأن أيّة صناعة أخرى، يعتورها طرفان، الطرف الأقصى هو الجودة والطرف الأدنى هو الرداءة، وبين هذين الطرفين تأتي حال التوسط بين الجودة والرداءة. وهو عندما يريد أن ينقد الشعر ينظر في هذه العناصر الأولية بطريقة شكلية محضة، فيحدد النعوت التي يصل الشعر بها إلى أقصى درجات الجودة، ثم يحدد بعد ذلك العيوب التي بها ينحدر الشعر إلى أدنى درجات الرداءة، ولكن غرام قدامة بالمنطق اليوناني يدفعه إلى إحداث تراكيب وائتلاف بين هذه العناصر الأربعة للشعر، فيرى أن العناصر المفردة قد يتآلف بعضها مع بعض على هذا النحو:

(أ) اللفظ مع الوزن (ج) الوزن مع المعنى.

(ب) اللفظ مع المعنى (د) القافية مع المعنى.

ثم يحاول قدامة النظر في هذه العناصر المفردة كل منها على حدة، فيبين علامات الجودة في كل عنصر، ثم ينتقل إلى بيان المحسنات العامة للمعاني التي يورد فيها طرفاً من ألوان البديع، ويضع لها مصطلحات، ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان موجبات الحُسن أو الجودة في العناصر المركبة، حتى إذا انتهى من بيان النعوت انتقل إلى بيان العيوب وأوضحها في العناصر

المفردة أولاً، ثم بعد ذلك أوضح العيوب التي تقع في المعاني عامة، ثم بعد ذلك انتقل إلى بيان العيوب في العناصر المركبة، وهكذا يبدو لنا أن كتاب قدامة بناء هندسي شغل بتقسيم أجزائه وأركانه، وبعد أن أتم هذا التقسيم ملأ هذه الأركان بنقد الشعر، ومن هنا يكمن العيب الرئيس في كتاب قدامة؛ إذ إنه نقد الشعر بعيداً عن الشعر؛ فهو لم يُقِّم نقده للعمل الشعري من خلال ما توجبه الظاهرة الشعرية نفسها، ولكنه انشغل بالسبق إلى إقامة البناء النقدي، ثم أقحم الشعر عليه بعد ذلك وبهذا تظل نظرية قدامة بن جعفر نظرية شكلية محضّة، قيل عنها: إنها لم تدخل يوماً في تيار النقد بمعنى أنها لم تؤثر في العمل النقدي ولا التاريخ النقدي لأنها لم تولد من باطن الشعر، وإنما ولدت من باطن المنطق والفلسفة، ولهذا قد تكون محاولة قدامة مفيدة في جزئياتها المتفرقة لعلماء البلاغة دون علماء النقد.

طُبِعَ الكتاب بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجة، بدار الكتب العلمية - بيروت.

شاهد من الكتاب:

- حدّ الشعر:

إن أول ما يحتاج إليه في العبارة عن هذا الفن معرفة حدّ الشعر الحائز له عما ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز - مع تمام الدلالة - من أن يقال فيه: إنه قول موزون مقفى يدل على معنى.

فقولنا: قول: دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر.

وقولنا: موزون: يفصله مما ليس بموزون، إذ كان من القول موزون وغير موزون.

وقولنا: مقفى: فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف، وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع.

وقولنا: يدل على معنى: يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على

معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى.

فإنه لو أراد مُريدٌ أن يعمل من ذلك شيئاً كثيراً على هذه الجهة لأمكن وما تعذر عليه فإذا قد تبين أن كذلك، وأن الشعر هو ما قدمناه، فليس من الاضطرار إذن أن يكون ما هذه سبيله جيداً أبداً ولا رديئاً أبداً، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران، مرة هذا، وأخرى هذا، على حسب ما يتفق، فحينئذ يحتاج إلى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء^(١).

٣- كتاب الصناعتين للعسكري:

هو أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، شاعرٌ، وناقدٌ، وأديبٌ فاضلٌ، واسع العلم، متوقّد الذّهن، توفي (٣٩٥ هـ). من مؤلفاته: (جمهرة الأمثال، والصناعتين، وديوان المعاني، والمصون في الأدب، والأوائل)^(٢).

يُعتبر كتاب الصناعتين من أجلّ كتب الصناعة الأدبية، وأغزرها مادّةً، ويُعد ثمرة ما أُلّف في هذا الفن، أودع فيه أبو هلال خلاصة ما توصل إليه سابقوه ممن عاجلوا موضوعه كابن سلام في طبقات الشعراء، والجاحظ في البيان والتبيين، وابن قتيبة في نقد الشعر، وابن المعتز في البديع، وقدامة في نقد الشعر، والآمدي في الموازنة، والجرجاني في الوساطة، إلا أنه أكثر من النّقول عن البيان والتبيين.

وعلى الرّغم من أنه كتاب نقدٍ من جهة، فهو كتاب بلاغةٍ من جهة أخرى، بل يمكننا القول: إنه كتاب بلاغة أكثر منه كتاب نقد، وقد صرّح بذلك مؤلّفه في مطلع كتابه مؤكداً حاجة الناس عامّةً إلى معرفة البلاغة والفصاحة، والمتّقفين منهم خاصّةً، مما دفعه إلى تأليف كتابه هذا. وقد بدأ الباب الأول منه بذكر تعريف الحكماء والبلغاء للبلاغة، والحديث عن هذا بإسهاب، لينتقل في الباب الثاني إلى الكلام عن النقد الذي جعله العسكري في

(١) نقد الشعر ٣/١.

(٢) معجم الأدباء ٢٥٨/٨، وبغية الوعاة ٥٠٦/١، والأعلام ١٩٦/٢.

(تميز الكلام جيده من رديه، ونادره من بارده، والكلام في المعاني) وأبرز ما يطالعنا في هذا الباب، رأيه في قضية (اللفظ والمعنى) وأنه من أنصار اللفظ، وإشاره السهل من الكلام وكراهيته للحلف، وهذا ما يُعلل تسميته للسرقة الشعرية بـ (حُسن الأخذ).

والملاحظ على كتابة الصناعتين أنه كان أقرب للبلاغة منه للنقد، فقد طغت عليه مباحثُ البلاغة، إذ استأثر (البديع) بخمسةٍ وثلاثين فصلاً استغرقت حوالي نصف الكتاب.

وخلاصة القول في نقد العسكري أنه توجّه به نحو البلاغة باستثناء بعض الأحكام القليلة التي لم يأت فيها بجديد بل جمع بها آراء النقاد السابقين.

طُبِعَ الكتاب بتحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٢ م.

شاهد من الكتاب:

وجوه السجع

والسجع على وجوه: فمنها أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين، لا يزيد أحدهما على الآخر، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه. وهو كقول الأعرابي: سنة جردت، وحال جهدت، وأيد جمدت، فرحم الله من رحم، فأقرض من لا يظلم. فهذه الأجزاء متساوية لا زيادة فيها ولا نقصان، والفواصل على حرف واحد. ومثله قول آخر من الأعراب، وقد قيل له: من بقى من إخوانك؟ فقال: كلب نابح، وحمار رامح، وأخ فاضح. وقال أعرابي لرجل سأل لئيمًا: نزلت بواد غير ممطور، وفناء غير معمور، ورجل غير مسرور؛ فأقم بندم، أو ارتحل بعدم. ودعا أعرابي، فقال:

اللهم هب لي حقك، وأرض عني خلقك. وقال آخر: شهادات الأحوال، أعدل

من شهادات الرجال. ودعا أعرابي، فقال: أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الدّلّ إلا لك. وقال أعرابي ذهب بابنه السيل: اللهم إن كنت قد أبلت، فإنك طالما عافيت. وقيل لأعرابي: ما خير العنب؟ قال: ما اخضرّ عوده، وطال عموده، وعظم عنقوده. وقال أعرابي: باكرنا وسمي، ثم خلفه وليّ. فالأرض كأنها وشي منشور، عليه لؤلؤ منشور، ثم أتنا غيوم جراد، بمنجل حصاد، فاحترثت البلاد، وأهلكت العباد، فسبحان من يهلك القويّ الأكل، بالضعيف المأكول^(١).

٤ - كتاب الموازنة بين الطائيين للآمدي:

هو الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، ولد في أواخر القرن الثالث في البصرة ونشأ بها وكتب للقضاة من بني عبد الواحد، ثم قدم بغداد وأخذ عن الأخفش، والزجاج، وابن دريد، وابن السراج، وفي بغداد كتب لأبي صقر هارون بن محمد الضبي. كان الآمدي شاعراً له ديوان شعر يبلغ مئة ورقة، وقد ذكر ياقوت نماذج من شعره وقال: كان كثير الشعر، حسن الطبع، جيد الصنعة مشتهراً بالتشبيهات، كما وُصف بأنه حسن الفهم، جيد الرواية والدراية، سريع الإدراك، واسع العلم. وقد انتهت رواية الشعر القديم والأخبار في آخر عمره إليه، وصفه ابن النديم بأنه مليح التصنيف، جيد التأليف على مذهب الجاحظ. توفي سنة (٣٧٠هـ) وقيل (٣٧١هـ).

اشتهر الآمدي بتصنيفه الكثيرة التي تزيد على (١٤) مؤلفاً منها: (المختلف والمؤتلف)، (نثر المنظوم)، (الموازنة)، (معاني شعر البحتري)، (تفسير الغامض من شعر أبي تمام)^(٢).

(١) الصناعتين ٢٦٣/١.

(٢) معجم الأدباء ٨٧/٨، والفهرست ٢٢٧.

يُعدُّ كتاب الموازنة دستور النقد العربي، جاء تأليفه تنويجاً للحركة النقدية التي نشأت حول أبي تمام والبحتري في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وقد بلغت أوجها في هذه الفترة، فكان الآمدي خير من تصدى لها.

فالقرن الثالث الذي دفع إلى بروز شاعرين من أفحل شعراء العربية هما (أبو تمام والبحتري)، تطلّب من القرن الرابع أن يدفع إلى الوجود ناقداً فحلاً يتوّج بجهوده الحركة النقدية التي نشأت حول مذهبيهما فكان الآمدي، وكان كتابه الموازنة معجزة النقد الأدبي في القرن الرابع.

فعلى الرّغم من طول باع الآمدي في النقد وتصانيفه الكثيرة إلا أنه اتخذ هذين الشاعرين موضوعاً لكتابه، لغزارة شعرهما وجودته، وإبداعهما في طرائقه الفنية، كلّ في مذهبه المختلف الذي جنح بعض النقاد إلى اعتباره واحداً.

ولهذا جاء كتاب الموازنة جامعاً لآراء القدماء من نقاد القرن الثالث، وقسم كبير من نقاد القرن الرابع، مُضافاً إليه ما قاله الآمدي ولاحظه من نظرات نقدية ترسّبت لديه من مُمارسته لنقد الشعر القديم والمحدث، كما كان أيضاً خلاصةً لما يدور في المجالس الأدبية، والمحافل النقدية التي تتناول الشعر عامةً وشعر أبي تمام والبحتري خاصةً.

أما خطة الكتاب ومنهجه النقدي، فقد ظهر بما بدأه الآمدي من موازنة، عرض فيها حجج الفريقين المتخاصمين حول أبي تمام والبحتري قاذفاً بها أصحابها في المجالس وندوات المناظرة دون أن يكون هو طرفاً من أطرافها أو مرجّحاً لرأي على آخر، وإنما كان بعمله هذا راصداً فحسب للحركة النقدية التي نشأت حول هذين الشاعرين، ومسجلاً لوجهات النظر النقدية منهما، باستثناء ما تفلّت منه من عبارةٍ ساقها في حجج المتخاصمين وعلى لسان صاحب البحتري، نشتم منها رائحة انخيازه إلى صفوف أنصار البحتري المدافعين عنه.

- وقد اعتمد الآمدي خطةً للموازنة بين شعر الطائيين تقوم على أربعة عناصر:
- ١ - ذكر المساوئ للانتهاز إلى ذكر المحاسن.
 - ٢ - الموازنة التفصيلية بين الشعاعين.
 - ٣ - إفراد بابٍ لما وقع في شعريهما من تشبيهات، وبابٍ آخر لما وقع في شعريهما من الأمثال.
 - ٤ - مختارات مقتطفة من شعر الشعاعين مرتبة حسب حروف المعجم ليسهل على المراجع طريقة الوصول إليها.
- ولا يخفى على الباحثين أن المنهج الذي اتبعه الآمدي، من أدق المناهج وأعدلها وهو إن لم يصل إلى الإنصاف الأكيد، فهو أقرب ما يكون إليه.
- فمضمون الكتاب يدل على مدى غزارة ثقافة الآمدي وسعة اطلاعه على كتب الأدب والنقد، مثل كتاب البديع لابن المعتز، وسرقات الشعراء لابن الجراح، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، وأمالى ثعلب، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام....
- ومن الجدير بالذكر أن نقول: إن الآمدي قد قرأ بإمعان ديواني الشعاعين، واستطاع أن ينتزع ما فيهما من المعاني المتشابهة، وأن يضعها جنباً إلى جنب ويقيم عليها الموازنة. والواقع أن الآمدي كان دقيقاً في تقسيم المعاني لا إلى معاني كلية فحسب، بل إلى معاني جزئية يحصرها في بيت واحد أو بيتين أو في شطر بيتٍ أحياناً، وبذلك تمكّن من أن يقيم عليها الموازنة الصحيحة بطريقة ليس هناك طريقة أصحّ منها، فهو يأخذ المعنى ويشرح ما به من غريب أو مشكل ويتعداه إلى إعطاء المعنى العام له تمهيداً لإقامة الموازنة عليه، وهو وإن كان غرضه أن يوازن بين الشعاعين الطائيين، إلا أن ذلك لم يمنعه من إقامة موازنات فرعية بين أبي تمام من جهة، وشعر قدامة و معاصريه من جهة أخرى، ويفعل مثل هذا الفعل مع البحتري، بذوق عربي سليم قادرٍ على تمييز الحسن من الرديء من الشعر،

وحسن مفرط في نقد الجمال والقبح في المعنى وطريقة الشاعر في التعبير عنه، فضلاً عن جرأة الوثائق على عرض الأحكام النقدية، لا موارد ولا لبس فيها.

طُبِعَ الكتاب بتحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر ١٩٦١م.

شاهد من الكتاب:

قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي:

«ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندي؟ لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر، ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فيستهدف لدم أحد الفريقين، لأن الناس لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر؟ في امرئ القيس والنابعة وزهير والأعشى، ولا في جرير والفرزدق والأخطل، ولا في بشار ومروان، ولا في أبي نواس وأبي العتاهية ومسلم لاختلاف آراء الناس في الشعر وتباين مذاهبهم فيه. فإن كنت - أدام الله سلامتك - ممن يفضل سهل الكلام وقريبه، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق، فالبحتري أشعر عندك ضرورةً. وإن كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة التي تُستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوي ما سوى ذلك، فأبو تمام عندك أشعر لا محالة»^(١).

٥- كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده للقيرواني:

هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، كان أبوه من موالي الأزد، ولد في الحمودية (بالمغرب) عام (٣٩٠هـ)، ثم رحل إلى القيروان وتعلّم فيها، ومدح ملكها، فعُرفَ شاعراً، أديباً، نحويّاً، لغويّاً، ناقداً، حاذقاً، عروضياً كثير التصنيف، حسن التأليف، من المتبحرين في الآداب، إلى أن توفي فيها (٤٥٦هـ).

(١) الموازنة ٢٠ - ٢٤.

من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده) و (قراضة الذهب) و (الشذوذ في اللغة) و (أتمودج الزمان في شعراء القيروان) و (ديوان شعره) ^(١).

يعتبر (العمدة) أشهر تأليف ابن رشيق القيرواني التي تزيد على ثلاثين كتاباً، وهو الكتاب الذي خلد اسمه وشهره من بين آثاره، فقد اطلع على نظريات متفرقة في النقد، فصاغ من شتاتها كتاب العمدة، وانتقل بها من الفوضوية إلى المنهجية، ومن الأحكام الجزئية المفترقة في بطون الكتب إلى التبويب والتنظيم، فجاء حقاً كما أراد له موسوعة في الشعر ومحاسنه ولغته وعلومه ونقده وأغراضه، والبلاغة وفنونها، وما لا بد للأديب من معرفته من أصول علم الأنساب، وأيام العرب، وملوكها وحيولها وبلدانها. فقد حوى (٥٩) باباً في فصول الشعر وأبوابه، و (٣٩) باباً في البلاغة وعلومها و (٩) أبواب في فنون شتى. ومن أبوابه الممتعة باب سرقة الشعر الذي ذكر فيه أنواعها كما يلي: السلخ والاصطراف والانتحال والإغارة والغصب والمرادفة والاهتمام والإلمام والاختلاس. حتى قال عنه ابن خلدون: (وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله).

وكان منهج ابن رشيق في (العمدة) قائماً على تبويب الكتاب أحسن تبويب، فقد عوّل فيه على قريحة نفسه، ونتيجة خاطره، خوف التكرار، ورجاء الاختصار، إلا ما تعلّق بالخبر، وضبطته الرواية، فإنه لا سبيل إلى تغيير شيء من لفظه أو معناه، ليؤتّى بالأمر على وجهه.

ففيه عمّد إلى جميع الأحكام النقدية وتبويبها وإدراجها تحت عنوان معين، وهذا أمر طبيعي في القرن الخامس الهجري، أن نرى اهتمام نقاد ذلك العصر يتركز على

(١) معجم الأدباء ٨/ ١١٠، ١٢١، وبغية الوعاة ١/ ٥٠٤، والأعلام ٢/ ١٩٢.

الأحكام المتفرقة عند نقاد القرون السابقة، وتصنيف المتشابه منها تحت أبواب معينة، وهذا ما فعله القيرواني، إذ كان منسجماً مع منهجه الذي دعا إليه في مطلع الكتاب.

وفضلُ ابن رشيق يبدو واضحاً في عدم اكتفائه بجمع جهود سابقه، و تعدّيها إلى التصدي لمناقشة آراء هؤلاء النقاد ما وسعه إلى ذلك سبيلاً، بكثير من المنطق السليم، لكنه تتبع النصوص الشعرية، ووقف عندها للاستشهاد بها على الوجه الذي استنبطه من استقراءه لها، فهو لم يلتزم منهج المصنفين في البلاغة الذين كانوا يُعنون بالقاعدة على حساب الشاهد الشعري، وهو لم يقع في الخطأ الذي وقع فيه أصحاب المنهج البلاغي الصّرف، فقد بدأ كتابه ناقداً، واستمرّ ناقداً حتى في الأبواب التي أوردها في باب البديع، رغم قصر نفسه أحياناً، وفشله في إيراد الحجة الدامعة أحياناً أخرى.

لكن من الإنصاف القول: إن القيرواني تفرّد ببعض الأحكام دون سواه من النقاد السابقين، رغم أنه لم ينطلق بآرائه النقدية المنقولة أو المبتكرة من اتجاه معين في النقد أو مذهب بعينه.

طُبِعَ الكتاب في المكتبة التجارية الكبرى في القاهرة عام ١٩٥٥ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

شاهد من الكتاب:

باب في المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً، وعليه المدار، والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمّد، لكن بطباع القوم عفواً، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره، حتى صنع زهير الحوليات

على وجه التنقيح والتثقيف، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنّس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظه، أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بُنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدّوا من فضل صنعة الخطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض في قوله:

فلا وأبيك ما ظلمتُ قُريْعُ	بأن يئِنُوا المكارمَ حيثُ شأؤوا
ولا وأبيك ما ظلمتُ قُريْعُ	ولا برموا لَذاك ولا أسأؤوا
بعثرة جَارِهِم أن يُنعشوها	فيُغَيِّرَ حوْلَهُ نَعَمٌ وشَاءُ
فيني مجلدُهم ويقيمُ فيها	ويَمشي إن أريد به المَشَاءُ
وإنَّ الجارَ مِثْلُ الضَّيفِ يَغْدُو	لِوَجْهَتِهِ وإن طال الثَّراءُ
وإني قَدْ علقتُ بحبلِ قوم	أَعَاهُمْ عَلَى الحَسْبِ الثَّراءُ ^(١)



البَابُ الرَّابِعُ

كتب التراجم

كتب الأنساب



الفصل الأول

كتب التراجم



كتب التراجم

تقوم حضارات الأمم على جهود النابغين من أبنائها في حقول العلوم والثقافات والمعارف المتنوعة، والأمة العربية غنيّة بأعلام الأدب واللغة والفكر والفلسفة والفن وغير ذلك من أنواع المعارف وضروبها، وللوقوف على حقيقة ما قدمه أولئك النابغون، وإدراك قيمة آثارهم الخالدة لابد من مطالعة كتب التراجم التي تلقي الضوء على أخبارهم، ومراحل حياتهم، وبيئاتهم، ومؤلفاتهم.

وقد تنوّعت كتب التراجم تبعاً لاختلاف أصحاب تلك التراجم من حيث الحقل المعرفي الذي اشتهروا فيه، والحياة العلمية والاجتماعية والسياسية والثقافية الخاصة بهم، ولم يقتصر التأليف في كتب التراجم على العصور القديمة، وإنما امتدّ إلى العصر الحديث، إذ ظهرت مجموعة من كتب التراجم العامة التي لا غنى للباحث عنها، في مقدمتها أعلام الزركلي.

سنقف في هذا الفصل على أشهر كتب التراجم لبيان مضمونها، ودراسة مناهج مؤلفيها في عرض مادتها.

تراجم الشعراء والأدباء

أبدى مصنفو كتب التراجم اهتماماً واضحاً بالأدباء والشعراء، فأفردوا لهم كتباً خاصة بهم، عرضوا فيها أسماءهم وألقابهم، وجوانب كثيرة من حياتهم، واختيارات أدبية من شعرهم ونثرهم، وقد اختلفت طرائقهم في عرض هذه التراجم، فاتبعوا مناهج تشابه بعضها، وتباين بعضها الآخر، فمنهم من اقتصر على الشعراء القدماء، ومنهم من جمع بين القدماء والمحدثين، ومنهم من اكتفى بعرض تراجم المحدثين، ومنهم من اتبع التصنيف الزمني أو المكاني، أو اعتمد على الاثنين معاً، ومنهم من اتبع الترتيب الهجائي ولم يتقيّد

بتصنيف زماني أو مكاني، ومنهم من ترجم للشعراء والأدباء في العصر الذي عاش فيه فقط.

طبقات فحول الشعراء لابن سلام (٢٣١ أو ٢٣٢ هـ)^(١):

هو أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، ولد في البصرة وعاش في بغداد، وتوفي فيها، نشأ في بيت مهتم بالأدب، فأبوه سلام بن عبد الله كان راوية للأدب، عاصر ابن سلام أشهر علماء اللغة والشعر والرواية كالأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، والمفضل الضبي، ودرس عليهم.

يعدّ الكتاب أقدم مصدر تناول تراجم الشعراء وطبقاتهم، وتضمّن إشارات نقدية مهمة، وحرص فيه ابن سلام على ذكر المشهورين والمعروفين من شعراء العرب وفرسانها وأشرافها.

أما مصطلح (الطبقات) فقد رأى بعض الباحثين أنّ المراد منه هو المراتب الشعرية التي ورّع ابن سلام الشعراء عليها، ووضع لها معايير فنية خاصة.

ثمّة رأي آخر ذكره محقق الكتاب الأستاذ محمود شاكر وهو أن الطبقة لا تعني المرتبة أو المنزلة، وإنما تعني المذهب الشعري، فأصحاب الطبقة الواحدة هم أصحاب مذهب أو منهج شعري واحد، ولكنّ ابن سلام لم يوضح حقيقة هذه المذاهب الشعرية التي صنف الشعراء على أساسها.

أما منهج ابن سلام في كتابه فهو يقوم على الأسس التالية:

يقع الكتاب في قسمين، الأول: مقدمة الكتاب، وهي جزء أساسي منه لاحتوائها على بعض القضايا النقدية، كانتحال الشعر وأسبابه^(٢)، ونقد الشعر، والصفات التي يجب أن

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٣/٧، والوافي بالوفيات ١١٤/٣، والأعلام للزركلي ١٤٦/٦.

(٢) فبعض القبائل العربية قُلت وقائعها ومعاركها، أو قل شعر أبنائها، وهذا ما دفع الرواة إلى الزيادة في أشعارها.

يتسم بها الناقد، كسعة العلم والثقافة من جهة، والدربة على نقد الشعر من جهة أخرى، ومنها الذوق الشخصي والحس النقدي.

أما القسم الثاني: فهو صلب الكتاب، ويتضمن تراجم الشعراء الذين اختارهم، وقد جعل هذه التراجم في عشر طبقات لشعراء الجاهلية، وعشر طبقات لشعراء الإسلام، ووضع في كل طبقة أربعة من الشعراء فكان عدد شعراء الجاهلية أربعين شاعراً، وكذلك شعراء الإسلام، وألحق بشعراء الجاهلية ثلاث طبقات أخرى، وهي:

طبقة أصحاب المراثي، وطبقة شعراء القرى، وطبقة شعراء اليهود.

ولكنه لم يتقيد بعدد واحد في هذه الطبقات الثلاث، فطبقة أصحاب المراثي تشمل على أربعة شعراء وهم: الخنساء، متمم بن نويرة، كعب بن سعد الغنوي، أعشى باهلة.

أما طبقة شعراء القرى العربية فهي تتضمن اثنين وعشرين شاعراً وزّعهم بحسب القرى وهي: المدينة وعدد شعرائها خمسة منهم: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، ومكة وفيها تسعة شعراء، والطائف وفيها خمسة شعراء، والبحرين وفيها ثلاثة شعراء، أما طبقة شعراء اليهود فتضمنت ثمانية شعراء منهم: السموءل بن عادياء، وشريح بن عمران.

وبذلك بلغ مجموع الشعراء الذين ترجم لهم ابن سلام أربعة عشر ومئة شاعر، وقد أورد ابن سلام مجموعة من الشعراء المخضرمين، ولكنه لم يخصص لهم طبقة مستقلة، وإنما وزّعهم بين شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام، فتارةً يذكر بعضهم مع الجاهليين، وتارةً يذكر بعضهم الآخر مع الإسلاميين، فأورد على سبيل المثال كعب بن زهير، والحطيئة، والنابعة الجعدي، وأبا ذؤيب الهذلي في طبقات الجاهليين وهم جميعاً من المخضرمين، وأورد عمرو بن أحرر الباهلي، وحيد بن ثور، والأغلب العجلي في طبقات الإسلاميين وهم مخضرمون أيضاً.

يمتاز الكتاب بمقدمته النقدية التي عرض فيها ابن سلام آراءه في الشعر والشعراء

والنقاد، وأظهر حسّه النقدي، وأصالته العلمية.

وقد حرص ابن سلاّم في تراجمه على ذكر نسب الشاعر، وأخباره، ووقف على بعض آراء العلماء فيه، وأورد اختيارات من شعره، وتحجّى الدقة العلمية في ذكر الأسانيد عند رواية الأخبار.

كتاب طبقات فحول الشعراء أول وأقدم مصدر لتراجم الشعراء يعرض فيه المؤلف مادة الكتاب وفق مبدأ الطبقات والمفاضلة بين الشعراء، اعتماداً على ثلاثة أسس فنية، هي: الجودة (الكيف)، الكثرة (الكم)، تنوع الأغراض الشعرية، وذلك يعني أن المؤلف يقوّم الأداء الشعري للشعراء، ويجعلهم زمراً متفاوتة تبعاً لمواهبهم، وما هذا إلا جانب من جوانب النقد الأدبي.

اعتمد ابن سلاّم على المنهج التاريخي في عرض تراجمه، فقد بدأ بتراجم الجاهليين، ثم انتقل إلى تراجم الشعراء الإسلاميين، ولم يغفل المخضرمين، واعتمد على المعيار الفني (الجودة، كثرة الإنتاج الشعري وغزائه، تنوع الأغراض الشعرية) في الطبقات العشر للشعراء الجاهليين والإسلاميين، ولكنه عندما ألحق بطبقات الشعراء الجاهليين طبقات أخرى كشعراء المرثي، وشعراء القرى، وشعراء اليهود اعتمد على المعيار الموضوعي؛ أي: وحدة الغرض الشعري وهو الرثاء عند شعراء المرثي، واعتمد على المعيار المكاني أو البيئي عند شعراء القرى، إذ قسّم الشعراء تبعاً لقراهم أو مدّهم، واعتمد على المعيار الديني عند الشعراء اليهود.

للكتاب طبعات كثيرة، منها طبعة جيدة حققها أ. محمود محمد شاكر، وهي صادرة عن دار المدني في مجلدين ١٩٧٤م.

الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٧٦هـ)

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري^(١)، كان صاحب ثقافة موسوعية جمعت بين اللغة والنحو والأدب والتاريخ وعلوم الدين، ومؤلفاته تشير إلى ذلك.

أما كتابه (الشعر والشعراء) فقد ورد بمسميات متعددة في بعض المصادر، فهو عند ابن النديم في (الفهرست) الشعر والشعراء، وعند الجاحظ في (المحاسن والأضداد) أخبار الشعراء، وعند ابن قتيبة في (المعارف) الشعراء، وعنده أيضاً في (عيون الأخبار) ورد باسم كتاب الشعر.

لعل عنوان (الشعر والشعراء) هو الأدق تعبيراً عن فحوى الكتاب ومضمونه، ويبدو أن هذه الاختلافات تعود إلى السرعة في ذكر الفكرة من المؤلف، أو الاختصار، أو السهو من الناسخ.

يتسم منهج ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) بالوضوح، وتوخي الترتيب المنهجي، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب إذ قال:

«هذا كتابُ ألفتُه في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأقذارهم، وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، وعما يُستحسن من أخبار الرجل، ويستجد من شعره، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون... وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب، والذين يصحّ الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عزّ وجلّ وحديث رسول الله ﷺ، أما من خفي اسمه، وقلّ ذكره، وكسد شعره، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص، فما

(١) تقدمت ترجمته في قسم المصادر الأدبية.

أقلّ من ذكرت من هذه الطبقة، إذ كنت لا أعرف منهم إلا القليل، ولا أعرف لذلك القليل أيضاً أخباراً، وإذ كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمى لك أسماءاً لا أدلّ عليها بخبر أو زمان أو نسب أو نادرة أو بيت يستجاد أو يستغرب».

يقوم منهج ابن قتيبة على الأسس التالية:

١ - جعل كتابه في قسمين، وبدأ القسم الأول منه بمقدمة طويلة نقدية، إذ عرض آراءه في الشعر والشعراء، ولن نبالغ إن قلنا: إنها تستحق أن تكون وحدها كتاباً مستقلاً، وقد تناول فيها مجموعة من القضايا النقدية المهمة، منها:

أ- قضية الشعر القديم والشعر المحدث^(١)، وما يتعلق بها من المنهج التقليدي للقصيد العربية، فالشاعر يبدأ بذكر الديار والدّمن والآثار، فيستوقف الرفيق، ويخاطب الربيع، ويكي، ويشتهي فراق الأهل والأحبة والطاعنين ليصل ذلك بالنسيب، ويعبر عن شدة الوجد، وفرط الصباية ليستميل نحوه قلوب السامعين لما في الغزل والنسيب من موقع محبب في النفس الإنسانية، ليصف بعد ذلك مصاعب الرحلة، وليشتكي النَّصَب والسهر، وسرى الليل، وحرّ الهجير، ليجعل الشاعر من ذلك سبباً يشجّع فيه السامع (وخاصّة الخليفة أو الوالي أو صاحب النفوذ) على إكرامه، ولهذا فإنه يبدأ بالمديح مستنهضاً الهمة لمكافأة مجزية، ثم ينتقل إلى موضوعات أخرى كالوصف أو الحكمة أو غير ذلك^(٢).

(١) الشعراء المحدثون هم المجددون من أمثال بشار بن برد، وأبي تمام، وأبي النّواس.

وقد ظهر التجديد في الابتعاد عن المقدمة الطللية، ووصف الطعائن والإقبال على ابتكار مقدمات جديدة كالفروسية، والاعتداد بالذات، والحديث عن النفس والمشاعر والآمال والطموح، ووصف الطبيعة والشكاية من الدهر، للتوسع انظر قراءات في الأدب العباسي - الحركة الشعرية، د. أحلام الزعيم، ص ٤٤-٦١، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩١ م - ١٩٩٢ م.

(٢) انظر مقدمة ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء والعبارات له، مع تصرف طفيف، طبعة دار المعارف، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج ١/ ص ٧٤، ٧٥.

وقد عرض ابن قتيبة منهج القصيدة العربية، وذكر أن علماء اللغة والشعر ممن تعصبوا للقديم تمسكوا بهذا المنهج، ولم يسمحوا بتجاوزه، فالشاعر المجيد من يلتزم به ولا يخرج عنه، بيد أن ابن قتيبة عاب عليهم ذلك لأنه وجد من الشعراء المحدثين الذين خرجوا على نهج القصيدة العربية، وعمود الشعر العربي^(١) مَنْ يستحق أن يستجاد شعره، ويوضع في مكانه المناسب بين الشعراء، وقال في ذلك:

«ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد، أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل بين الفريقين، وأعطيت كلاً حظه».

ويتابع قائلاً: «فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله»، ولا يكتفي ابن قتيبة بعرض رأيه في هذه القضية، وإنما يحتج بأسباب عمادها الملاحظة والمنطق^(٢) إذ قال: «فلم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره.. فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يُعدُّون محدثين، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته.. ثم صار هؤلاء قدماء عندنا يبعد العهد منهم...».

(١) تحدّث المرزوقي في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام عن عمود الشعر العربي فقال: «إنهم يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتمامه على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا مناظرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر...».

(٢) انظر دراسة في مصادر الأدب، د. الطاهر أحمد مكي، ص ١٨١ وما بعدها، طبعة دار المعارف، ١٩٧٧ م.

فابن قتيبة يعرض قضية الخلاف بين أنصار الشعر القديم وأنصار الشعر المحدث، ويعبر عن رأيه المعتدل، ونظرته النقدية الواعية، في زمن عاصر فيه تلك المعركة النقدية في القرن الثالث الهجري.

ب- تحدث ابن قتيبة عن أقسام الشعر من حيث اللفظ والمعنى^(١)، ويبيّن أنّ ثمة شعراً لبعض العلماء يتصف بالتكلف ورداءة الصنعة، وتوسّع في حديثه عن الطبع والتكلف عند الشعراء، ودواعي قول الشعر، وذكر منها: الطمع، الشوق، الطرب، الغضب، الشراب، فهي تولّد الانفعالات والمشاعر المختلفة، وأشار ابن قتيبة إلى أن الشعراء مختلفون في الطبع^(٢) (صوغ الشعر بسلاسة) فمنهم من يسهل عليه المدح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسر له الرثاء، ويتعذر عليه الغزل، ووضح أن الطبع وحده لا يكفي لقول الشعر أو نقده، وإنما يحتاج الشاعر والناقد إلى ثقافة تمدّه بالأفكار، وتعيّنه على التصوير.

ج- أتى ابن قتيبة في مقدمته على ذكر عيوب الشعر كالإقواء، والسّناد.

فالإقواء: هو اختلاف الإعراب في القوافي كقول النابغة:

قالت بنو عامر خالوا بني أسدٍ يا بؤس للجهل ضراراً الأقوام
تبدو كواكبهِ والشمس طالعةٌ لا النور نورٌ ولا الإظلامُ إظلامٌ

والسّناد: هو اختلاف إرداف القوافي كقولك (عَلَيْنَا) في قافية و(فينا) في قافية

(١) فقد وجد الشعر أربعة أضرب وهي:

١- ضرب حسن لفظه وجاد معناه. ٢- ضرب حسن لفظه وحلا لكنه من الفائدة خلا. ٣- ضرب جاد معناه وقصُرَت ألفاظه عنه. ٤- ضرب تأخر معناه وتأخر لفظه.

(٢) المطبوع من الشعراء عند ابن قتيبة من اقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي خاتمة قافيته، وتبينت في شعره رونق الطبع، ووشي الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم، انظر ما ذكره ابن قتيبة عن ذلك، وانظر دراسة في مصادر الأدب للطاهر أحمد مكّي ص ١٩٤.

أخرى أو (أصبحينا) في قافية، و(جرّينا) في قافية أخرى، كما في معلقة عمرو بن كلثوم المعروفة^(١).

٢ - انتقل بعد ذلك إلى القسم الثاني من الكتاب، فضمّنه تراجم الشعراء الذين اختارهم من العصر الجاهلي والإسلامي والعبّاسي، متبعاً المنهج التاريخي في ذلك، فبدأ بتراجم الجاهليين، والمحضرين، ثم أورد تراجم الشعراء الإسلاميين، فتراجم المحدثين، وأنهى كتابه بتراجم العباسيين الذين عاصروهم، فبدأ بامرئ القيس وختم بالأشجع السّلمي، ولم يترجم إلا لشاعرتين فقط هما: الخنساء، وليلى الأخيلية، وبلغ عدد تراجمه ٢٠٦ مئتين وست تراجم.

٣ - راعى في تراجم الشعراء اختيار المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب، ويقبل العلماء على الاحتجاج بأشعارهم في اللغة والنحو.

٤ - لم يفاضل بين الشعراء كما فعل ابن سلاّم في طبقاته بناءً على معايير فنية محدّدة (كالجودة والكثرة وتنوع الأغراض الشعرية) وإنما نظر إلى كل شاعر نظرةً مستقلةً عن غيره من الشعراء، وبذلك وضعه في مكانه المناسب، وقَيّم ملكته الشعرية انطلاقاً من نظريته النقدية.

٥ - أورد نسب الشاعر وأخباره وبعض أشعاره وأقوال العلماء فيه، وذكر ما اشتهر من شعره بين العلماء سواء أكان مستحسناً أم مستهجنًا، وساق بعض الأخبار والنوادر التي ذكر فيها الشاعر، ولم يتردد في ذكر الروايات المتعددة حول الخبر الواحد.

٦ - لم يتعصب للشعر القديم، فقد ترجم للقدماء والمحدثين على حدّ سواء مخالفاً

(١) ففي قول عمرو بن كلثوم: «ألا هي بصحنك فاصبحينا» الحاء مكسورة، وفي قوله: «تصفقها الرياح إذا جرّينا» الراء مفتوحة.

بذلك الاتجاه الذي اتبعه ابن سلام في طبقاته.

٧ - كان يذكر بعض التعليقات النقدية على النصوص الشعرية المختارة، وقُلِّمَما يشرح الألفاظ فيها، لكنه يكثر من المقارنة بين الأبيات، ويستقصي ما أخذه اللاحقون من السابقين فللمتقدم فضل السبق، وللمتأخر فضل الزيادة إن أجاد. طبع الكتاب عدة مرات، ومن طبعاته طبعة حققها مصطفى السقا ١٩٢٧م، وثمة طبعة أخرى حققها أحمد محمد شاكر ١٩٥٠م وصدرت في مجلد واحد، ثم صدرت في جزئين عام ١٩٦٦م - ١٩٦٧م.

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أو الأصبهاني^(١) ٣٥٦هـ:

هو أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، توفي في بغداد سنة ٣٥٦هـ، وهو من أعلام الأدب والتاريخ والأنساب واللغة والمغازي والآثار، ومن كتبه مقاتل الطالبين، نسب بني عبد شمس.

كتاب الأغاني مصدر مهم لتراجم الأدباء والشعراء، وهو في الوقت نفسه موسوعة أدبية تشتمل على الأدب والموسيقا والغناء، والتاريخ والأيام، والعادات والتقاليد، وأحوال الناس إلى أواخر القرن الثالث الهجري، وقد سبق ذكره ضمن كتب الأدب، لكننا آثرنا أن نذكره مرة ثانية في هذا الموضع لبيان منهجه في عرض التراجم.

والمحور الأساسي للكتاب هو عرض الأصوات (الأغاني والألحان) المئة التي تم اختيارها للخليفة هارون الرشيد بناءً على طلبه، فكان الأصفهاني يذكر الصوت وملحنه ومغنيه، ويذكر صاحب النص الشعري المغني، فيترجم للشاعر، ويذكر أخباره، وبعضاً من أشعاره، وقد يخرج

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٣٤/١، وبيمة الدهر للنعالبي ٢/٢٧٨، والأعلام للزركلي

إلى ذكر أصوات أخرى من غير المئة المشهورة.

تتضمن الأغاني نحو خمس مئة ترجمة لخمس مئة شاعر وشاعرة من شعراء العصر الجاهلي والإسلامي والعباسي الأول، ولم يرتبهم ترتيباً معيناً، وإنما أوردتهم تبعاً لاختيار الأصوات.

يقوم منهجه فيه على ذكر ترجمة الشاعر وأخباره، والحرص على ذكر الأسانيد المطولة في ذلك، والإشارة إلى الكتب التي يستقي منها مادته، والاهتمام بذكر أخبار العرب وأيامهم (معاركهم) وأنسابهم ومفاخرهم، ضمن الأخبار التي كان يعرضها.

طبع الأغاني في مطبعة بولاق سنة ١٨٦٨م في عشرين جزءاً، وصنع المستشرق برونو جزءاً للتراجم المستدركة سنة ١٨٨٨م، وزاد المستشرق جويدي ثلاثة أجزاء للفهارس فأصبحت هذه الطبعة في أربعة وعشرين جزءاً.

وثمة طبعة أخرى أشرف عليها الحاج محمود ساسي ١٩٠٥م في واحد وعشرين جزءاً، وطبع الكتاب أيضاً في دار الكتب المصرية، كما طبع في دار الثقافة ببيروت وصدر في ثلاثة وعشرين جزءاً، ثم صنع أ. عبد الستار فراج فهرساً ضمن جزءين فأصبحت الطبعة مؤلفة من خمسة وعشرين جزءاً.

طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ٢٩٦هـ^(١):

هو أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، آلت إليه الخلافة يوماً أو بعض يوم، لذلك عرف بخليفة يوم وليلة، وقد مات مقتولاً، كان أديباً شاعراً محباً للعلم، له عدد من المؤلفات في الأدب والشعر وأخبار

(١) انظر ترجمته في الأغاني للأصفهاني ٣٧٤/١٠ طبعة دار الكتب، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢٥٨/١، والأعلام للزركلي ١١٨/٤.

الشعراء، وله ديوان شعر مطبوع، ومن مؤلفاته البديع، وطبقات الشعراء.

أما كتابه الذي عرف باسم (طبقات الشعراء المحدثين) أو (طبقات الشعراء) فقد سماه ابن المعتز (طبقات الشعراء المتكلمين من الأدباء المتقدمين)، وقد ترجم فيه للشعراء المحدثين (وهم المجددون في العصر العباسي) الذين مدحوا خلفاء بني العباس وأمراءهم ووزراءهم، وذكر المخضرمين منهم في الدولتين الأموية والعباسية، وترجم لطائفة من الشعراء المجان والموسوسين الذين كانت أشعارهم موضع تندر وتملح بين الناس، وأورد أشعاراً لبعض الإماء والجواري وبعض الحرائر.

لم يتوسع ابن المعتز في التراجم، ولم يقدم اختيارات شعرية مطوّلة، ولكنه اهتم بتقديم نصوص شعرية لم تكن موجودة إلا عند الخواص، وبذلك اختلف من حيث اختيار الشعراء الذين ترجم لهم عن ابن سلاّم الذي اقتصر في طبقاته على القدماء من فحول الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، واختلف أيضاً عن ابن قتيبة الذي ترجم في الشعر والشعراء للشعراء القدماء والمحدثين واهتم بالمشهورين منهم.

فوجد ابن المعتز قد أورد تراجم الشعراء المحدثين الذين عاشوا في العصر العباسي منذ مطلع عام ١٣٢هـ حتى زمن تأليف الكتاب أي قبيل عام ٢٩٦هـ، وعرض أشعاراً لهم تتصف بالندرة وبقلة شيوعها بين الناس إلا الخاصة منهم.

لا يخلو الكتاب من بعض الآراء النقدية في الشعر المختار، وثمة إضافات لبعض الأخبار أو الأحداث التي تناسب الشعر أو تتصل بالشاعر، ولكن المؤلف أهمل ذكر وفيات معظم الشعراء الذين ترجم لهم.

الكتاب مطبوع، ومن طبعاته الجيدة طبعة صادرة عن دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٦م بتحقيق عبد الستار فراج، وصدرت الطبعة الثانية منه عام ١٩٦٨م.

المؤتلف والمختلف للآمدي ٣٧٠هـ^(١):

هو الحسن بن بشر الآمدي أديب ناقد من أبرز أعلام القرن الرابع الهجري، من مؤلفاته المشهورة الموازنة بين الطائيين، أي بين أبي تمام والبحري.

أما كتابه فهو يتضمن تراجم الشعراء الذين اتفقت أو تقاربت أو تشابهت في الرسم أسماءهم أو ألقابهم أو كناههم، وهذا اتجاه سلكه قبله المشتغلون في علوم الحديث والمهتمون بتراجم رجال الحديث والسند.

ومنهجه في الكتاب يقوم على جمع أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم في مجموعات ليسهل معها بيان الائتلاف والاختلاف فيها، فثمة عدد لا بأس به من الشعراء الذين يحملون اسم امرئ القيس أو عمرو أو يزيد، ومنهم غير واحد ممن عُرفوا بالألقاب اشتهروا بها كالأعشى والنابعة.

وفي هذا الكتاب لم يقتصر على الشعراء القدماء أو المحدثين، وإنما شمل المغمورين والمشهورين ممن تشابهت واختلفت أسماءهم أو ألقابهم؛ من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والأمويين والعباسيين.

وقد سار في عرض هذه الأسماء والكنى والألقاب على حروف المعجم فبدأ بامرئ القيس ثم الأعشى ثم الأخطل وهكذا حتى انتهى بيزيد، ولكنه لم يراع الترتيب الهجائي في الحرف الثاني من كل اسم فكما نلاحظ الأعشى قبل الأخطل.

جعل الآمدي الأسماء المتشابهة في الرسم والمختلفة في الشكل (النقط أو الضبط) في باب واحد، وجعل الباب للأشهر منها، فحرير وحرير في باب الجيم، يزيد وبريد في باب الياء، سهم وشهم في باب السين.

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء للحموي ٧٥/٨، وإنباه الرواة للقفطي ٢٨٥/١، والأعلام للزركلي ١٨٥/٢.

وذكر أيضاً الشعراء الذين تختلف أسماؤهم وتشابه ألقابهم، فذو القروح لقب امرئ القيس، وذو القرع لقب كعب بن خفاجة الأصغر العقيلي، والتراجم في الكتاب ليست وافية، وإنما مختصرة مقتضبة، ولعل السبب مرتبط برغبة الأمدي في تقصّي أسماء الشعراء وألقابهم وكناهم وضبطها بدقة وإزالة اللبس بينها.

فالمؤتلف هو ما اتفق في اللفظ مما اشتهر به غير شاعر في الاسم أو اللقب أو الكنية، والمختلف هو ما تقارب في اللفظ والرسم في الاسم أو اللقب أو الكنية، كابن حبة وابن حبة وأبي الحُصَيْن وأبي الحُصَيْن.

ومع ضالة حجم الكتاب فقد ضم خمسة وأربعين وسبعمئة شاعر، ومنهم عدد لا بأس به ممن لم يترجم لهم ابن سلام أو ابن قتيبة.

الكتاب مطبوع، ومن طبعاته طبعة بتحقيق عبد الستار فراج، وهي صادرة عن دار إحياء الكتب العربية في القاهرة ١٩٦١م.

معجم الشعراء للمرزباني ٣٧٨هـ^(١):

هو أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، أصله فارسي، ومرزبان تعني حافظ الحدّ، كان أديباً مؤرخاً أخذ العلم عن علماء عصره كأبي بكر بن دريد، وأبي بكر بن الأنباري، وكان شيخاً للشريف الرضي وللشريف المرتضى.

ذكر ابن النديم وهو معاصره أن وفاته سنة ٣٧٨هـ، لكن الخطيب البغدادي ذكر أن وفاته سنة ٣٨٤هـ والأرجح رواية ابن النديم لأنه عاصره وتوفي بعده سنة ٣٨٥هـ، من أشهر مؤلفاته: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أشعار النساء، ومعجم الشعراء،

(١) انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ١/١٣٢، والوافي بالوفيات للصفدي ٤/٢٣٥، والأعلام للزركلي

٣١٩/٦ وفيه وفاته ٣٨٤هـ.

وكلها مطبوعة.

استقصى المرزباني في هذا الكتاب الشعراء المشهورين والمغمورين، والمكثرين والمقلين، من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي، وبالتحديد القرن الرابع الهجري، معتمداً في ذلك على إيراد أسمائهم وفق حروف المعجم.

ولم يقتصر على القدماء الفحول كابن سلام، ولا على المشهورين من القدماء والمحدثين كابن قتيبة، ولا على المحدثين من شعراء العصر العباسي كابن المعتز، ولم يأخذ الألقاب والكنى بعين الاعتبار كما فعل الآمدي.

يقوم منهجه في الكتاب على الأسس التالية:

١ - راعى المرزباني في تراجمه ترتيب الشعراء ترتيباً هجائياً، فبدأ بالألف وانتهى بالياء^(١)، ومن المؤسف أن الكتاب لم يصل إلينا كاملاً، لأنه يبدأ بحرف العين، كما أننا لا نجد فيه حروف الغين واللام والنون والواو، فضلاً عن ذلك فالكتاب يخلو من مقدمة، وهذا الأمر يدل على وصوله ناقصاً، إذ لا يمكن أن تغيب فكرة التقديم للكتاب عن ذهن مؤلف جليل كالمرزباني، خاصة أن المؤلفين قبله دأبوا على تصدير كتبهم بمقدمات مميزة نقدية، كما رأينا في كتابي طبقات فحول الشعراء والشعر والشعراء، كما أن المرزباني نفسه صدر كتابه (الموشح) بمقدمة مطولة أسهب فيها، فمن غير المنطقي ألا يصدر كتابه معجم الشعراء بمقدمة.

ومع هذا النقص فالباقي من الكتاب يتضمن نحو ألف ترجمة وهذا يدل على غزارة التراجم التي تضمنها في حال وصوله كاملاً، ومن الملاحظ أنه لم يتوخ الدقة التامة في

(١) ذكر ابن النديم في الفهرست ص ١٩٨ ذلك إذ قال: «وكتاب المعجم له، ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم، بدأ بمن أول اسمه ألف إلى حرف الياء وفيه خمسة آلاف اسم، وفيه من شعر كل واحد منهم أبيات بسيرة من مشهور شعره، فيه ألف ورقة».

الترتيب الهجائي، فقد اكتفى بالحرف الأول من اسم كل شاعر، ولم ينظر إلى الحرف الثاني والثالث، فنجدته يذكر عمراً ثم عدياً ثم عثمان مكتفياً بالحرف الأول فقط.

٢ - لعل غزارة مادة كتابه، وكثرة التراجم التي أوردها فيه جعلته ينأى عن الإطالة في الترجمة، فقد جاءت مقتضبة موجزة، وقد تقصر حتى تكون سطرًا واحدًا مع ذكر بيت أو عدة أبيات من شعر الشاعر كما في ترجمة عمرو بن الصَّعْق الخثعمي، وعمرو بن خالد الهَمْداني وكلاهما جاهليان.

٣ - اعتمد المؤلف في تراجمه على الأسماء الحقيقية للشعراء، ولم يعر اهتماماً لما اشتهروا به من الأسماء والكنى والألقاب، وهو بذلك مختلف عن الآمدي، فالقطامي على سبيل المثال لا نجد في حروف القاف، وإنما في حروف العين لأن اسمه عمرو بن عبد مناف، وطرفة بن العبد لا نجد في حروف الطاء لأن اسمه عمرو بن عبد سفيان.

وهذا يقتضي من الباحث أن يعرف الاسم الحقيقي للشاعر ليصل إلى ترجمته.

٤ - راعى المرزباني في تراجمه أن يسلسل الشعراء الذين تقع أَسْمَاؤُهُمْ تحت حرف هجائي معين، ويشتركون في الاسم نفسه تسلسلاً زمنياً تاريخياً، فإذا كان يترجم لمن سُموا باسم (عمرو) على سبيل المثال فإنه يبدأ بالذين عاشوا في العصر الجاهلي، ثم ينتقل إلى الذين حملوا الاسم نفسه، وعاشوا في العصر الإسلامي، فالأموي، فالعباسي، وقد يقف عند العصر الجاهلي أو الإسلامي إن لم يجد من الشعراء من سمي بهذا الاسم ممن عاشوا في زمن متأخر، وهو حريص على تحديد عصر الشاعر، إما عن طريق ذكر تاريخ مولده ووفاته، كما في ترجمته لابن الرومي، أو بذكر تاريخ وفاته فقط كترجمته للشاعر علي بن إبراهيم الخزاعي، فإذا لم يعرف تاريخاً للمولد أو الوفاة ربط الشاعرَ بشخصية تاريخية عاشت في عصر الشاعر أو بحادثة تاريخية مشهورة، كما في ترجمته لشاعر اسمه أبو حنث عُصْم بن النعمان إذ ربط ترجمته، وما أورد فيها من شعر، بحادثة يوم الكلاب.

٥ - كان يبدأ بذكر اسم الشاعر ونسبه كاملاً ثم كنيته، ويتبع ذلك بذكر أهم صفات الشاعر كالكرم والفروسية، ويذكر شعراً للشاعر نفسه أو غيره يدل على ذلك، ثم يذكر حادثة تاريخية جرت في حياته، وشعراً له فيها.

٦ - لم يكثر المرزباني من الشعر، فقد التفت إلى تراجمه الكثيرة، وحشد فيها مجموعة من الفوائد التاريخية، ومع ذلك فالشعر الذي أورده في تراجم شعرائه يُعدُّ من أجود وأشهر ما قاله الشاعر، كما أنه شعرٌ تحرَّى المرزباني فيه الدقة التامة في نسبته إلى صاحبه، فإذا شك في نسبة شعر إلى أحد الشعراء اعتمد على روايته الشخصية، وأهمل رواية غيره.

وإذا كانت الأبيات التي يستشهد بها على شعر شاعر تروى لشاعر آخر، ولم يكن له رأي في ذلك، اكتفى بنسبة الخبر إلى أصحابه دون تعليق منه، ففي ترجمته للشاعر عمرو التغلبي أورد شعراً له، وذكر أن أبا عبيدة وغيره يروون الأبيات لجابر التغلبي.

يتصف الكتاب بقيمته من حيث الغنى بالتراجم، والإشارات التاريخية، والجوانب الأدبية المتعلقة بالأشعار المنتقاة، كما أنه مصدر واف لأسماء الشعراء من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري.

الكتاب مطبوع وهو صادر عن دار إحياء الكتب العربية في القاهرة بتحقيق عبد الستار فراج سنة ١٩٦٠م.

معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦٢٦هـ)^(١):

هو ياقوت بن عبد الله الحموي، ولد في بلاد الروم، ثم أسر وهو صغير وبيع في بغداد، واشتراه هناك تاجر حموي يدعى عسكر بن أبي نصر، وقد أقبل ياقوت على

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٢١٠، والأعلام للزركلي ٨/١٣١.

تحصيل العلوم منذ صغره، وكان كثير التنقل والأسفار، فدخل دمشق والموصل وحوارزم ثم استقر في حلب وتوفي فيها، من أهم كتبه: معجم البلدان، المشترك وضعاً والمختلف صقلاً، معجم الشعراء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، وهو مشهور بمعجم الأدباء، وقد ترجم فيه ياقوت لجميع الفئات التي اشتهرت بالكتابة والتصنيف من كتاب، ونحويين، ولغويين، وقراء، ونسّابين، وأخباريين، ووزّاقين، وأصحاب خطوط، واستثنى الشعراء، فلم يذكر منهم إلا من اتصل بالتأليف كالمعري والبحري؛ لأنه قصر معجمه على المصنفين والكتاب فقط، وقد ترجم لرجال قابلهم وعاصروهم، وآخرين لم يقابلهم سواء كانوا من المعاصرين له أو من غير المعاصرين، فكان يذكر ما قرأه أو سمعه عنهم.

اتبع ياقوت في منهجه الخطوات التالية:

١- ذكر في المقدمة الدافع إلى تأليف الكتاب، وهو رغبته في عرض أخبار الأدباء والعلماء في كتاب يضاهي به كتب التراجم المؤلفة قبله، فقدّم مجموعة كبيرة من تراجم الأدباء والكتاب والمؤلفين، وأحاط بهذه المادة الضخمة بحذف الأسانيد بغية الاختصار، وبالاقتصار على من اشتهر بالتصنيف والتأليف وصحة الرواية؛ أي من قلّ شعره وكثر نثره، وقد ذكر المصادر التي استقى منها مادّة كتابه، وعوّّل عليها في عمله، فغياب الأسانيد لا يعني التغاضي عن ذكر المصادر.

٢- رتب تراجمه على حروف المعجم، كما فعل المرزباني قبله، لكنه كان أكثر دقة منه، فقد التزم الترتيب الهجائي في الحرف الأول والثاني والثالث والرابع، وراعى هذا الترتيب في أسماء الآباء أيضاً، فإذا اتفقت مجموعة من الأعلام في الأسماء وأسماء الآباء فإنه يرتبهم بحسب تواريخ الوفاة.

٣- أفرد في نهاية كل حرف وما أورده فيه من التراجم فصلاً ذكر فيه من اشتهر بلقبه على هذا الحرف دون أن يورد شيئاً من أخباره فيه، وقد فعل ذلك ليدلّ على اسم

العلم واسم أبيه، فيسهل العثور عليه في موضعه من الكتاب.

٤ - لم يلزم نفسه بالعمل المكاني، وإنما جمع بين الكتاب والأدباء من مختلف الأماكن كالبصرة والكوفة والحجاز والشام ومصر والمغرب وخراسان، وراعى في ذكر أسمائهم الترتيب الهجائي، وذكر في كل ترجمة اسم صاحبها ونسبه ومولده ووفاته، وأخباره، وتصانيفه، ومقتطفات من آثاره، وآراء غيره فيه معتمداً على الرواية والسماع في ذلك.

٥ - وقد أورد في الكتاب^(١) ولاسيما فصل (الأدب وأهله وذم الجهل وحملته) كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ، وأقوال الصحابة الكرام، والخلفاء الراشدين، وكبار الكتاب والشعراء والفقهاء، وذكر أقوال أرسطو في فضل الأدب وذم الجهل، وأتبع هذا الفصل بفصل آخر يبين فيه فضل علم الأخبار وأهميته، وأشار فيه إلى أنه يفوق علم النحو من حيث التوسع في الثقافة، والانطلاق إلى فضاء رحب غير محدد.

يعد الكتاب من أوائل المصادر المهمة في تراجم الأدباء على اختلاف فنونهم، وهو من أوسع الكتب التي تناول فيها مؤلفوها تراجم أعلام الأدب من القرن الهجري الأول وإلى زمن المؤلف ممن التقاهم أو لم يلتق بهم.

الكتاب مطبوع، له طبعة قديمة صادرة عن دار المأمون سنة ١٩٢٢م في مصر ضمن عشرين مجلداً بإشراف د. أحمد فريد الرفاعي، ثم طبع في بيروت بتحقيق عمر فاروق الطباع ضمن سبعة أجزاء، وصدر عن مؤسسة المعارف.

(١) أورد الحموي بعد المقدمة فرساً أو مدخلاً يتكون من فصلين، الأول في فضل الأدب وأهله، والثاني في فضل علم الأخبار، ثم بدأ بتراجم الأعلام الذين اختارهم.

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي ٢٩ هـ^(١):

ضمّن الثعالبي كتابه مجموعة كبيرة من تراجم الشعراء والأدباء وأخبارهم، واختيارات أدبية من إبداعهم الشعري والنثري، وقد اتبع فيه منهجاً مختلفاً عن مناهج سابقه من مؤلفي كتب التراجم، ووجه الاختلاف يظهر في اقتصار المؤلف على إيراد تراجم لأعلام عصره (ممن عاصروهم أو عاشوا في عصر يقارب عصره) من الأدباء والشعراء، إذ حصر عمله ضمن دائرة القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس، وهو بذلك أوّل من صنف التراجم على أساس القرون، وإن لم يدل عنوان الكتاب على ذلك.

ألّف الثعالبي كتابه على مرحلتين: أولاها كانت عام ٣٨٤ هـ، وقد لقيت هذه النسخة رواجاً كبيراً شجعه على إعادة صياغتها، وعلى إضافة أشياء جديدة، ويقدر تاريخ تأليف النسخة الثانية بأنه في نهاية القرن الرابع الهجري، وهي التي وصلتنا.

منهج الثعالبي في يتيمة الدهر

١ - صنف المؤلف الشعراء بحسب الأقاليم، فاستقصى شعراء القرن الرابع الهجري ممن عاصروهم أو قرب عهده منهم على مستوى الأرض الإسلامية كلها، فاعتمد بذلك على عاملين هما الزمان والمكان، ولم يعتمد على الترتيب المعجمي كما وجدنا عند الآمدي في (المؤتلف والمختلف) أو المرزباني في (معجم الشعراء)، وضمّن كتابه اختيارات شعرية، ورسائل وأخباراً أدبية لشعراء وأدباء القرن الرابع الهجري، وبدايات القرن الخامس الهجري، مرتبةً وفق الأصقاع التي امتدت عليها رقعة الدولة العربية الإسلامية، وقد قسّم كتابه اعتماداً على الأساس المكاني إلى أربعة أقسام، وجعل كل قسم في عشرة أبواب:

القسم الأول: في شعراء الشام والموصل ومصر والمغرب والأندلس.

(١) هو عبد الملك بن منصور، تقدمت ترجمته في المصادر اللغوية عند دراسة كتاب فقه اللغة وسر العربية.

القسم الثاني: في شعراء العراق والديلم.

القسم الثالث: في شعراء فارس والجل وطرستان وأصفهان.

القسم الرابع: في شعراء خراسان وما وراء النهر.

جعل الثعالبي القسم الأول في عشرة أبواب، تحدّث فيها عن شعراء الشام وتفضيلهم على سائر شعراء البلدان، وجاء بطرائف من أخبار سيف الدولة الحمداني، وملح من أشعاره، وذكر أبا فراس الحمداني، واهتم بأشعاره، ولاسيما الروميات، وذكر آل حمدان، وأشعارهم، وطائفة من شعراء الشام المغمورين والمشهورين، وأفرد الباب الخامس لأبي الطيب المتنبي، وتوسّع فيه، كما أتى على ذكر ملح أهل الشام ومصر والمغرب والأندلس، وأشعارهم، ونوادرهم، وأورد أشعار الموصلين، وذكر الخالدين أبا بكر وأبا عثمان، صاحبي الحماسة أو الأشباه والنظائر.

٢ - لم يقتصر الثعالبي في تراجمه على الشعراء فحسب، وإنما ترجم لأدباء عصره من أمثال بديع الزمان الهمداني، وابن العميد، والصاحب بن عباد، لكنّ الاهتمام بالشعراء فاق الاهتمام بالأدباء، وكان حريصاً في كل ترجمة على التعريف بصاحبها، مع إيراد قدر من شعره أو نثره الفني، كالرسائل الأدبية التي اشتهر بها.

٣ - أورد المئات من التراجم المقتضبة لشعراء مغمورين، لا نجد لهم ذكراً في كتب التراجم الأخرى، وهم شعراء انتشروا في أرجاء الدولة العربية الإسلامية، وهذا يعني أنه نظر بعين المساواة إلى الشعراء الذين ترجم لهم، ولم يقتصر على تراجم المشهورين وذائعي الصيت؛ لذلك تراوحت التراجم بين الطول والقصر اعتماداً على وفرة المادة الشعرية بين يديه، فبعض التراجم تصل إلى مئة صفحة كما في ترجمة المتنبي، وبعضها يقصر فلا يتجاوز صفحة أو عدة أسطر.

٤ - بدأ تراجمه بشعراء الشام، وفضّلهم على غيرهم من شعراء الأمصار الإسلامية

الأخرى لفصاحتهم، وسلامة ألسنتهم وبعدهم عن الأعاجم، وقلة الاحتكاك بهم.

٥ - أتبع المؤلف كتابه (يتيمة الدهر) بذيل سَمَّاه (تمة اليتيمة)، استدرك فيه ما فاته في الكتاب، فجعله في جزئين، وقسَّمه إلى أربعة أقسام، وهي الأقسام نفسها التي سار عليها في اليتيمة، وقد أتمَّ في هذه الأقسام ما بدأه، فأضاف تراجم جديدة، أو أعاد الترجمة لبعض الأدباء والشعراء، ليختار لهم نصوصاً جديدة من أشعارهم وآثارهم الأدبية، وساق ذلك بأسلوب مشرق اتسم بجمال الصياغة، وسحر البيان.

٦ - يتصف الكتاب بقلة الآراء النقدية، فقد اقتصر الثعالبي على عرض ما اختاره من النظم والشعر، وما يتصل بذلك من أخبار عن أصحاب التراجم، ولكنه كان يذكر في بعض المواضع تعليقا نقدياً على بيت شعري، أو معنى من المعاني الواردة فيه، كما في بيت لأبي فراس الحمداني، ذكر أنه يبدو مأخوذاً من قول للمتنبي.

٧ - يتسم الكتاب بقلة التراجم والأخبار بالمقارنة مع الاختيارات الشعرية والنثرية، فكأن الكتاب وضع ليكون مصدراً أدبياً، لا ليكون مصدراً للتراجم وتاريخ حياة الأدباء والشعراء، فالثعالبي يُعنى بالقول أكثر مما يُعنى بصاحب القول.

يعد كتاب يتيمة الدهر بداية لسلسلة من الكتب التي حذا فيها مؤلفوها حذو الثعالبي، من حيث الترجمة لأعلام العصر الذي يعيش فيه المؤلف، فسار عدد من المؤلفين على نهج الثعالبي في ذلك، منهم:

الباخرزي (٤٦٧هـ) في كتابه (دمية القصر وعصرة أهل العصر)، والحظري (٥٦٨هـ) في كتابه (زينة الدهر في لطائف شعراء العصر)، والعماد الأصفهاني (٥١٩هـ) في كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر)، وابن بسام الشنتيني (٥٤٢هـ) في كتابه (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة في رجال القرن الخامس من شعراء وأدباء الأندلس)، وابن سعيد المغربي (٦٨٥هـ) في كتابه (الغصون الياقة في محاسن شعراء المئة السابعة).

طبع كتاب (يتيمة الدهر) عدة طبعات، أشهرها وأكثرها تداولاً تلك التي اعتنى بها محمد محيي الدين عبد الحميد، وهي مطبوعة في القاهرة ١٩٤٧م في أربعة أجزاء. وثمة طبعة جمعت بين اليتيمة وتتمتها في خمسة أجزاء، وصدرت في بيروت سنة ١٩٨٣م بعناية مفيد محمد فُمَيْحَة.

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسّام الشنتريني (٥٤٢ هـ)^(١):

هو أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني، أديب ناقد، هاجر إلى إشبيلية، وعاش فيها حتى وفاته، أراد في كتابه أن يذكر محاسن أهل الأندلس، وأن يترجم لمعاصريه من الأدباء والشعراء والكتّاب محتذياً بما صنعه الثعالبي في (يتيمة الدهر) حين ترجم لأعلام عصره من الشعراء والأدباء، وقد صرّح بذلك في مقدمة كتابه حين قال: «وإنما ذكرت هؤلاء ائتساء بأبي منصور في تأليفه المشهور المترجم ببيتمة الدهر في محاسن أهل العصر».

يقوم منهجه في الكتاب على الأسس التالية:

١- جعل كتابه في أربعة أقسام، خصص الأقسام الثلاثة الأولى لشرق الأندلس، وغربها، ووسطها، وخصص القسم الرابع لذكر الأدباء الوافدين على الأندلس، ولبعض مشاهير عصره من أهل أفريقية والمشرق (الشام والعراق) ممن طارت شهرتهم إلى الأندلس، ولكنهم لم يفدوا عليها.

٢- حرص على أن تكون تراجمه غنية بالاختيارات الشعرية والنثرية، وضمنها بعض المقارنات الأدبية، والملاحظات النقدية، فالكتاب ذو طابع أدبي نقدي، مع كونه مصدراً مهماً لتراجم أعلام الأندلس من الشعراء والأدباء والملوك والأمراء الذين عاشوا في المدة الزمنية التي

(١) انظر ترجمته في: المُعَرَّب في حلى المغرب لابن سعيد ٤١٧/١، والأعلام للزركلي ٢٦٦/٤، وفيه: الشنتريني

منسوب إلى مدينة شنترين في الأندلس، والجزيرة تعني الأندلس، وتعرف بشبه الجزيرة الإيبيرية.

تبدأ بأواخر القرن الرابع الهجري، وتنتهي بأواخر القرن الخامس الهجري.

٣- أراد ابن بسّام أن يبيّن غنى الأندلس بالأدباء والشعراء، وقصد أن يُظهر إبداعهم وتفوقهم، فقد رأى انصراف أهل الأندلس عن أدبهم وأعلامهم من الشعراء والأدباء، وانشغالهم بأدب المشاركة، ورغبتهم في محاكاته وتقليده والنسج على منواله، لذلك عرض في كتابه مجموعة من تراجم أهل بلده.

واللافت في الكتاب أن ابن بسّام الذي انتقد الأندلسيين المقلدين للمشاركة، والمنشغلين عن أدبهم بأدب أهل المشرق لم يستطع أن ينأى بنفسه عن التأثير بالمشاركة الذين أراد أن يتفوق عليهم في كتابه، فقد تأثر بمنهج الثعالبي، وهو مشرقي، وأشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب، وأورد مجموعة من تراجم أدباء المشرق الذين لم يفدوا على الأندلس، ولم يكونوا من أعلام القرن الخامس الهجري، وإنما من أعلام القرن الرابع الهجري، منهم: الشريف الرضي، ومهيار الديلمي، فهو بذلك لم يتقيد بذكر أعلام الأندلس من جهة، وبالقرن الخامس الهجري من جهة أخرى، ومع ذلك فالكتاب مصدر مهم من مصادر تراجم أعلام الأندلس في تلك الآونة.

الكتاب مطبوع بتحقيق: د. إحسان عبّاس، وصادر عن دار الثقافة ببيروت سنة ١٣٩٩هـ، في ثمانية أجزاء.

إن وقوفنا على كتاب الذخيرة لابن بسام الذي أراد لفت الأنظار إلى الأندلس وأعلامها، يقودنا إلى المرور على بعض المصادر التي خصّصها أصحابها لعرض تراجم أعلام المغرب والأندلس، فكانت من أشهر الكتب التي صنفت ضمن هذا الباب، فالمكتبة الأندلسية غنية، غزيرة المؤلفات، ولا يمكن الإحاطة بما قدمه أدباؤها ومؤلفوها ضمن مقرر جامعي، لذلك سنحاول عرض أهم الكتب التي عرضت تراجم أهل المغرب والأندلس، واختلفت مناهج مؤلفيها من حيث تقديم المادة فيها.

المَغْرِب في حُلَى المَغْرِب لابن سعيد (٦٨٥هـ)^(١):

هو علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد من ذرية عمار بن ياسر، مؤرخ أندلسي من الشعراء العلماء بالأدب، نشأ واشتهر في غرناطة، قام برحلة طويلة زار فيها مصر والعراق والشام، من مؤلفاته: المُشرق في حُلَى المَشرق، المُرقصات والمُطربات، الغصون اليناعة في محاسن شعراء المئة السابعة، القدح المعلى.

تعاقب على تأليف الكتاب ستة من أدباء الأندلس في مئة وخمسة عشر عاماً، فكانوا يزيدون عليه وينقحونه واحداً بعد الآخر.

أول من بدأ بتأليفه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحجاري الذي وفد على عبد الملك ابن سعيد حاكم قلعة بني سعيد، إذ كلف الحجاري بتأليف كتاب عن أدباء الأندلس، فصنف كتاب (المسهب في غرائب المغرب)، وقد زاد فيه عبد الملك بن سعيد، وعَدَّل، واختصر، وخلفه ابنه محمد و أبو جعفر الشاعر المشهور، وأضافا إلى الكتاب أشياء جديدة، ثم زاد فيه موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد فوائد وإضافات، ثم انتهى الكتاب إلى ابنه علي الذي أخرجه إلى الناس في صورته النهائية ويعنون (المغرب في حلى المغرب)، وجعله في ثلاثة أقسام (الأندلس، المغرب، مصر)، وسار فيه على نهج والده، وخصص ستة أسفار لمصر، وثلاثة لبلاد المغرب، وستة للأندلس.

الكتاب مطبوع، وصادر عن دار المعارف بالقاهرة، بتحقيق الدكتور شوقي ضيف.

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات للكتبي ٨٩/٢، ونفح الطيب للمقري ٤٥٣/١، والأعلام للزركلي ٢٦/٥.

الحُلة السَّيراء لابن الأَبَّار ٦٥٨هـ^(١):

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأَبَّار القضاعي، من أشهر الأدباء والكتاب والمؤرخين في الأندلس، استقر بتونس وتوفي فيها، من كتبه: التكملة لكتاب الصلة، إعتاب الكتاب.

يشتمل الكتاب على تراجم لعدد كبير من أعلام المغرب والأندلس منذ الفتح حتى منتصف القرن السابع الهجري، مع وجود تراجم لشخصيات مشرقية من رجال القرن الأول ممن كان لهم صلة بالفتح الإسلامي، أو ممن زاروا الأندلس.

وقد أسهب ابن الأَبَّار في عرض التراجم، فذكر كل ما يتعلق بحياة الشخصية المترجم لها من حيث النشاط الفكري والاجتماعي، وأغنى تراجمه بالاختيارات الشعرية والنثرية لأصحاب التراجم، ورَّتب تراجمه بحسب القرون، فبدأ بأعلام المئة الأولى من السنوات، وانتهى بالمئة السابعة، وكان يراعي في بعض المواضع التسلسل الزمني لوفيات الأعلام ضمن كل قرن، وبعدما أنهى تراجم أعلام الأندلس في القرون السبعة عقد باباً سماه (باب في الذين عثرتُ على أشعارهم فاقتصر على نكتٍ من أخبارهم) ورَّبه ترتيباً مرتبطاً بالقرون، مكثفاً بالقرون الأربعة الأولى.

يفيض أسلوب ابن الأَبَّار بالرشاقة والإشراق، فقد صاغ مقدمته بأسلوب أدبي زاخر بالمحسنات البديعية، واعتنى بعبارته في تراجمه أيضاً فانعكست صورة شخصيته الأدبية فيها.

للكتاب طبعات كثيرة، منها طبعة بتحقيق عبد الله أنيس الطباع، وصادرة عن دار النشر للجامعيين في بيروت ١٩٦٢م في جزء واحد، وطبعة أخرى بتحقيق د. حسين مؤنس، وصادرة عن الشركة العربية للطباعة والنشر في القاهرة عام ١٩٦٣م في جزئين.

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات للكتبي ٢/٢٢٦، ونفح الطيب للمقري ١/٦٣٠، والأعلام للزركلي ٦/٢٣٣.

نفح الطيب للمقري (١٠٤١هـ)^(١):

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري المغربي، ولد بقرية (مقرة) من أعمال تلمسان، كان كثير التنقل، محباً للأسفار، فزار مصر، والحجاز، وبيت المقدس، ودمشق وأقام فيها مدة من الزمن، من أشهر مؤلفاته: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض^(٢)، إضاءة الدجئة في عقائد أهل السنة، روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس، توفي في مصر ودفن فيها.

أما كتابه نفح الطيب فعنوانه الكامل هو (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب)، وهو يشير إلى مضمونه، فقد اشتمل على عرض تاريخ الأندلس، وذكر أدبائها وشعرائها وعلمائها الذين رحلوا إليها من المشرق أو رحلوا منها إلى المشرق، وخصَّ الوزير لسان الدين بن الخطيب بقسم كبير من الكتاب؛ لإعجابه بنظامه ونثره، وقد ألفه استجابة لرغبة أحد أعيان دمشق وأدبائها وهو أحمد الشاهيني تعبيراً عن محبة أهل الشام للأندلس وأعلامها، وتقديراً لإبداعهم الأدبي، وخاصة أديبها ووزيرها المشهور لسان الدين بن الخطيب.

يقع الكتاب في قسمين: الأول في تاريخ الأندلس، وطبيعتها الجغرافية والبشرية، ووصف آثارها، وذكر فضائل أهلها، والتعريف بمن قدم إليها، وبمن رحل عنها إلى المشرق من العلماء والأدباء، وفيه عرض لتأمر الفرنجة على اغتصاب الأندلس وتخاذل حكامها وضعفهم، يتألف هذا القسم من ثمانية أبواب.

أما الثاني فهو في التعريف بلسان الدين بن الخطيب، وذكر موطنه، وأسرته،

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحيي ٣٠٢/١، والأعلام للزركلي ٢٣٧/١.

(٢) هو قاض مغربي ذو شأن.

ونشأته، وحياته العلمية، والأحداث التي عاصرها، إلى جانب آثاره الشعرية والنثرية، يتألف هذا القسم أيضاً من ثمانية أبواب.

إنّ كتاب نفح الطيب من أشهر مصادر الأدب الأندلسي وأعلامه التي لا يمكن لدارس الأدب الأندلسي الاستغناء عنها لكثرة النقول الواردة فيه، وسعة اطلاع المؤلف، وغزارة الجوانب الثقافية والفكرية التي وقف عليها في الحياة العامة ببلاد الأندلس والمغرب.

للكتاب طبعات كثيرة، منها: طبعة بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وصادرة عن دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٤٩م ضمن عشرة أجزاء، وطبعة بتحقيق: د. إحسان عباس، وصادرة في بيروت ١٩٦٨م ضمن ثمانية مجلدات، الأخير منها مخصص للفهارس، وثمة طبعة أخرى بشرح وضبط وتعليق د. مريم قاسم طويل ود. يوسف علي طويل، وهي صادرة عن دار الكتب العلمية في بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ضمن عشرة أجزاء.



تراجم اللغويين والنحاة

لم يكن اللغويون والنحويون أقل حظاً من الشعراء والأدباء من حيث اهتمام مصنفي كتب التراجم بهم، فقد ألفوا كتباً في أخبارهم، ومصنفاتهم، واتبعوا مناهج مختلفة في عرض المادة المقدمة فيها، فمنهم من رتب تراجمه بحسب التسلسل الزمني، ومنهم من رتبها بحسب الأقاليم والأمكنة، ومنهم من رتبها بحسب التسلسل الهجائي، لمعرفة ذلك سنقف على أهم وأشهر الكتب التي تناولت تراجم اللغويين والنحويين.

أخبار النحويين البصريين للسيرافي ٣٦٨هـ^(١):

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، نحوي عالم بالأدب، أصله من سيراف في بلاد فارس، سكن بغداد وتوفي فيها، من كتبه: شرح كتاب سيبويه، وشرح المقصورة الدريدية.

كتابه مقتضب موجز اقتصر فيه على تراجم علماء البصرة من النحويين، وقد رتبها بحسب التسلسل الزمني، وعرض فيها أخبار أصحاب التراجم، ومكانتهم، وسنوات وفياتهم، وأخذهم بعضهم عن بعض.

أورد السيرافي في الكتاب تراجم لبعض العلماء الذي اشتهروا في اللغة والشعر، ولم يقتصر على النحاة فقط.

طبع الكتاب أول مرة بعناية المستشرق كرنكو ١٩٣٦م، في بيروت، ثم طبع مرة ثانية بتحقيق طه الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجة في مصر ١٩٥٥م.

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٣٠/١، وإنباه الرواة للقفطي ٣١٣/١، والأعلام للزركلي

مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٣٥١هـ^(١):

هو أبو الطيب عبد الواحد بن علي الحلبي، لغوي أديب أصله من عسكر مكرم، سكن حلب، وقتل فيها، من مؤلفاته: شجر الدر، الأضداد، الإبدال. كتابه لطيف الحجم، ذكر فيه أشهر علماء اللغة والنحو في زمانه، وترجم لهم، ورتبهم ترتيباً زمنياً، ولم يقتصر على علماء مكان واحد محدد كما فعل السيرافي. تراجمه مختصرة موجزة، كان يعرف فيها بالعلم، ويذكر من عاصره من الأعلام الآخرين، ويسعى إلى إزالة اللبس عن الأسماء المتشابهة، مثل: أبي عبيد وأبي عبيدة، وأبي سعيد السكري، وأبي سعيد الأصمعي، وأبي سعيد الضرير، وغيرهم... الكتاب مطبوع، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٥٥م.

طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٣٧٩هـ^(٢):

هو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، من علماء اللغة والنحو في القرن الرابع الهجري، كان من تلاميذ أبي علي القالي، لازمه وسمع منه، وذاع صيته في إشبيلية، من مؤلفاته: مختصر معجم (العين)، لحن العامة، الاستدراك على سيويه في كتاب الأبنية. أمّا كتابه طبقات النحويين واللغويين فقد أُلّفه امتثالاً لرغبة الخليفة الأموي بقرطبة الحكم المستنصر، فشابه بذلك أستاذه القالي الذي أُلّف (الأمالي) للخليفة نفسه. يعد الكتاب مصدراً أصيلاً لتراجم النحاة واللغويين منذ عهد أبي الأسود الدؤلي في القرن الهجري الأول حتى منتصف القرن الرابع الهجري، (أي منذ نشأة علم اللغة وعلم النحو حتى عصره).

(١) تقدم ذكره في كتب المشترك اللفظي، انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ٣١٧، والأعلام للزركلي ١٧٦/٤.

(٢) انظر ترجمته في معجم الأدباء للحموي ٥١٨/٦، وبغية الوعاة للسيوطي ٣٤، والأعلام للزركلي ٨٢/٦.

استهل المؤلف كتابه بمقدمة تحدّث فيها بإيجاز عن اللغة العربية، واتصاف أهلها بالفصاحة والبيان تبعاً للسليقة والفطرة السليمة، وأشار إلى شيوع اللحن والفساد فيها بسبب الاحتكاك بالأعاجم، وبالذين دخلوا في الدين الإسلامي، وذكر أبا الأسود الدؤلي، ويبيّن أنه من أوائل العلماء الذين وضعوا أصول النحو وأرسوا قواعده، فكان له فضل السبق في ذلك.

يتصف منهج الزبيدي بحسن الترتيب، ووضوح التنظيم، وقد تجلّى ذلك في الجوانب التالية:

١ - صنف المؤلف تراجم النحويين واللغويين تبعاً لمواطنهم أو أقاليمهم، فجعل تراجمه ضمن خمس فئات هي: البصريون، الكوفيون، المصريون، الأفريقيون، الأندلسيون.

٢ - رتب العلماء من اللغويين والنحويين في كل إقليم أو منطقة جغرافية ترتيباً زمنياً ضمن أجيال متعاقبة، أو طبقات متتالية، تبعاً لتعاقب أصحابها على مرّ السنين، وليس بحسب منزلتهم العلمية، كما قد يبدو من عنوان الكتاب، فالطبقة عند الزبيدي تشتمل على عدد من العلماء في النحو أو اللغة يقلّون أو يكثرّون تبعاً للجيل الذي عاشوا فيه، فقد تقتصر الطبقة على عالم واحد أو علمين، وقد تتجاوز الثلاثين عالماً.

٣ - فصل الزبيدي في تراجم أهل البصرة، وأهل الكوفة بين علماء اللغة وعلماء النحو، وجعل كل مجموعة منهم في باب مستقل، ولكنه لم يفصل بين علماء سائر الأمصار.

لكنّ الزبيدي لم يلتزم هذا الفصل التزاماً دقيقاً، بسبب الارتباط الوثيق بين علمي اللغة والنحو، فقلما نجد عالماً انفرد بأحد العلمين، ولم يشارك في الآخر، لهذا السبب اضطر حين ترجم لعلماء البصرة والكوفة إلى الترجمة لبعض الأعلام مرتين، مرّة في باب النحويين، ومرّة في باب اللغويين، كما في ترجمة أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وثعلب، وغيرهم..، وبالمقابل فقد اضطر أيضاً إلى ذكر بعض الأعلام في تراجم النحويين

فقط، أو في تراجم اللغويين فقط، مع اشتغالهم في العلمين معاً، فمن ذلك أنه أورد الخليل ابن أحمد الفراهيدي ضمن تراجم النحويين، ولم يدرجه ضمن تراجم اللغويين مع شهرته في علم اللغة وتأليفه معجم (العين).

٤ - جعل الزبيدي النحويين البصريين في عشر طبقات، والنحويين الكوفيين في ست طبقات، ثم ذكر اللغويين البصريين وجعلهم في سبع طبقات، واللغويين الكوفيين وجعلهم في خمس طبقات، ثم أورد النحويين واللغويين المصريين في ثلاث طبقات، والأفريقيين في أربع طبقات، والأندلسيين في ست طبقات، وبلغ عدد التراجم مئتين وست وتسعين ترجمة (٢٩٦) لأعلام اللغة والنحو وثلاثهم من الأندلسيين، لذلك يعد كتابه مصدراً جيداً لتراجم علماء مصر وأفريقيا والأندلس من اللغويين والنحاة.

٥ - بدأ الزبيدي تراجمه بعلماء البصرة قبل علماء الكوفة، وغيرها من الأمصار الإسلامية، ويبيّن أن الدافع إلى ذلك هو تقدم البصريين على غيرهم في علم العربية.

٦ - تفاوتت تراجمه من حيث الإسهاب والاقتضاب، وذلك مرتبط بصاحب الترجمة نفسه من حيث كثرة الأخبار، وغزارة المؤلفات، وعلى العموم فالمؤلف يؤثر الإيجاز في تراجمه، ويتعد عما لا طائل من ذكره.

طبع مختصر من الكتاب بعناية المستشرق كرنكو عام ١٩١١، ثم حققه محمد أبو الفضل إبراهيم وطبع في القاهرة سنة ١٩٥٤م، ثم أعاد المحقق النظر في كتابه، وطبعه طبعة ثانية صدرت عن دار المعارف بالقاهرة.

نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري (٥٧٧هـ)^(١):

هو أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، كمال الدين الأنباري من تلاميذ ابن الشجري، ويلقب بـ (الكمال النحوي) له كتاب: الإنصاف في مسائل الخلاف (وهو في النحو عرض فيه المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين)، والبيان في غريب إعراب القرآن.

أما كتاب نزهة الألباء فقد ترجم فيه لعدد لا بأس به من علماء اللغة والنحو منذ نشأة العلمين حتى عصره، وأورد تراجم لبعض الأعلام المشهورين في الأدب والشعر وعلوم أخرى، لكنه حرص في هذه التراجم المخصصة لغير النحويين واللغويين على أن يكون أصحابها ممن أجادوا في النحو واللغة، كأبي النواس، والمتني، وأبي تمام، وأبي العلاء المعري.

رتب تراجمه ترتيباً زمنياً، وجعلها في نحو مئتي ترجمة للعلماء والمشاهير، وتوخى الإيجاز فيها؛ إذ اقتصر المؤلف على إثبات الاسم والنسب وسنة الوفاة، وأهم الأخبار، والمصنفات التي ألفها صاحب الترجمة.

للكتاب عدة طبعات، منها: طبعة صدرت في مصر، وطبعة أخرى صدرت في مصر أيضاً عن دار الفكر العربي ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، وكتلتاهما بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وثمة طبعة أخرى صادرة في الأردن عن مكتبة المنار بتحقيق إبراهيم السامرائي، وهي الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات للكتبي ٢٦٢/١، وبغية الوعاة ٣٠١، والأعلام للزركلي ٣/٣٢٧.

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٦٤٦هـ)^(١):

هو أبو الحسين علي بن يوسف القفطي، أصله من مصر، وعاش في حلب، وتوفي فيها، وكان في منزلة وزير عند ملوك الأيوبيين، اشتهر بحب العلم واقتناء الكتب، من مؤلفاته: أخبار المحمدين من الشعراء، أخبار مصر.

كتاب (إنباه الرواة) مصدر واف لمعرفة تراجم اللغويين والنحويين، منذ عصر أبي الأسود الدؤلي حتى عصر المؤلف في القرن السابع الهجري، وقد تضمن الكتاب أيضاً مجموعة كبيرة من التراجم لأعلام شاركوا في علوم اللغة والنحو والصرف، وهم في الأصل ليسوا لغويين، أو نحويين، وإنما اشتهروا باشتغالهم في علوم أخرى، كالفقه، والحديث، والقراءات، والكلام، والتاريخ، والتنجيم، والعروض، وبعضهم كان من الأدباء والشعراء والكتّاب، اتصف كتابه بغزارة المادة، وكثرة التراجم التي قاربت ألف ترجمة (٩٤٦).

اتبع القفطي في عرض التراجم المنهج التالي:

١- لم يقتصر على إقليم محدد، وإنما ترجم لأعلام اشتهروا في المشرق والمغرب من بلاد ما وراء النهر (فارس) مروراً ببلاد الرافدين (العراق وما يحيط بها) والحجاز، ووصولاً إلى الشام، ومصر، وأفريقيا، وانتهاءً بالأندلس وصقلية.

٢- بدأ تراجمه بعرض ترجمة مقتضبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لإسهامه في نشأة علم النحو، واعتنى بذكر اسم صاحب الترجمة، ولقبه الذي اشتهر به، واستفاض في عرض أخباره، وبيان تصانيفه، وذكر سنة وفاته، وقد رتب تراجمه ترتيباً هجائياً، لكنه لم يكن دقيقاً بالشكل المطلوب، وقد أشار القفطي إلى أن هذا الترتيب كان من عمل الناسخ.

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٤٧٧/٥، وفوات الوفيات للكتبي ٩٦/٢، والأعلام للزركلي ٣٣/٥.

٣- لم يكتف المؤلف بعرض التراجم، وسرد ما يتعلق بها اعتماداً على الرواية والسماع والنقل عن المصادر، وإنما كان يذكر رأيه في صاحب الترجمة، ويبيد بعض الملاحظات النقدية المتعلقة بالشخصية المترجم لها، وما قدمته من آثار علمية.

٤- اعتمد في عرض تراجمه وكل ما يتصل بها على ثقافته الواسعة المتنوعة من جهة، وعلى مصادر التراجم والسير والأخبار من جهة أخرى، فالتقاؤه بعلماء الشام ومصر وحلب، ورجوعه إلى المصادر المؤلفة قبله كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، وبتيمة الدهر للثعالبي وغيرها أسهم في صقل ثقافته، وتحصيله كماً كبيراً من المعارف التي مكنته من تأليف هذا الكتاب.

الكتاب مطبوع، وصادر عن دار الكتب المصرية في القاهرة، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ضمن أربعة أجزاء في السنوات ١٩٥٠م، ١٩٥٢م، ١٩٥٥م، ١٩٧٣م.

بغية الوعاة للسيوطي (٩١١هـ)^(١):

هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر كمال الدين السيوطي، وقد تقدم الكلام على سعة علمه، وغزارة مؤلفاته.

أما كتابه (بغية الوعاة) فهو من كتب تراجم اللغويين والنحويين التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها لغزارة مادته، وحسن ترتيبه، فقد بلغ عدد تراجمه ألفين ومئتين وتسعة، وهو مختصر عن كتاب سابق ألفه السيوطي في تراجم النحويين واللغويين، لكنه توسّع فيه كثيراً، فأخرجه في صورة جديدة اختزل فيها ما ورد في الكتاب، ليسهل الرجوع إلى التراجم المطلوبة، وقد نبّه على ذلك في مقدمة الكتاب.

(١) تقدمت ترجمته حين تناولنا كتابه (المزهر) ضمن كتب فقه اللغة.

يتسم منهجه بالوضوح والتنظيم، ويقوم على الأسس التالية:

١- رتب تراجمه ترتيباً معجمياً، لكنه بدأ التراجم بمن اسمه (محمد) و(أحمد) إكراماً لاسم النبي الكريم محمد ﷺ، ثم تابع تراجمه وفق حروف الهجاء.

٢- أضاف في نهاية الكتاب أبواباً ضمّنها الكنى، والألقاب، والأنساب، والإضافات، ورتبها أيضاً على حروف المعجم، فكان هذه الأبواب فهرساً يساعد القارئ على الوصول إلى الترجمة المطلوبة، مثال ذلك: «الأزهري محمد بن أحمد أبي الأزهري، الأخفش: أحد عشرة يأتون (أي سيأتي ذكرهم)، صاحب الأزهية: علي بن محمد الهروي، أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو».

٣- أضاف فصلاً لمن اشتهر باسمين، مثل: أبو أمامة: ابن النقاش محمد علي، الجلال المرشدي عبد الواحد بن إبراهيم.

٤- عقد باباً للمتفق والمفترق، فذكر مثلاً في (الأخفش) أحد عشر رجلاً يعرفون بهذا اللقب، وعقد باباً آخر للمتفق خطأ والمفترق لفظاً، مثل الحريري، والجري، والحجاري والحجاري، وفتح منه فصلاً فيمن انتهى اسمه بـ (ويه) مثل: ابن خالويه، ابن درستويه، سيبويه، وفصلاً في الآباء والأبناء والأحفاد والإخوة الأقارب من أصحاب التراجم، مثال: «الشيخ تقي الدين السبكي، وولده بهاء الدين أحمد، وقريبه بهاء الدين محمد بن عبد البر»، وختم كتابه بباب في أحاديث متقاة من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد بلغت خمسة وثمانين حديثاً.

لكتاب بغية الوعاة مكانة مميزة بين كتب تراجم النحاة واللغويين، فقد ضمّنه السيوطي ما ورد في كتب التراجم السابقة، وأضاف إليها ما نقص فيها، وأورد فيه أخبار معاصريه من أعلام اللغة والنحو.

الكتاب مطبوع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وله طبعات متعددة، منها طبعة

صادرة عن دار إحياء الكتب العربية في جزئين سنة ١٩٦٥م، وأخرى للمحقق نفسه وصادرة عن دار الفكر عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، وثمة طبعة بتحقيق د. علي محمد عمر، وهي صادرة عن الشركة الدولية للطباعة - مكتبة الخانجي في القاهرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٤م .

وقفنا فيما سبق على أهم وأشهر كتب تراجم الأدباء والشعراء، واللغويين والنحاة، وسننتقل إلى الوقوف على بعض كتب التراجم التي خصصها أصحابها لفئات أو طبقات محدّدة، اشتهر أعلامها في علم معين، أو كانوا أصحاب مكانة اجتماعية أو سياسية مميزة.

تراجم القراء

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (٧٤٨هـ)^(١)

هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المعروف بشمس الدين الذهبي، من أبرز علماء دمشق ومؤرخيها، ولد في دمشق ونشأ فيها، أخذ علومه عن كبار علمائها، قام بعدة رحلات أسهمت في تكوين ثقافته العربية الإسلامية، من أشهر مؤلفاته: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، ميزان الاعتدال، تذكرة الحفاظ، العبر في خبر من غبر، معجم شيوخه، للكتاب طبعات كثيرة منها طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٨٣٣هـ)^(٢)

هو محمد بن محمد بن علي المعروف بابن الجزري، وقد أورد في كتابه تراجم قراء القرآن الكريم حتى عصره، ورتبها ترتيباً معجمياً، واستوفى في كل ترجمة ما يتعلق بصاحبها

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات للكتبي ١٨٣/٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٨٢/١٠، والأعلام للزركلي ٣٢٦/٥.

(٢) انظر ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي ٨٥/٣، والأعلام للزركلي ٤٥/٧.

من اسمه، ونسبه، وأخباره، ومؤلفاته.

الكتاب مطبوع، له طبعة استشرافية بعناية المستشرق برجستراسر، وهي صادرة عن مطبعة بريل بليدن في هولندا، في جزئين عام ١٩٣٢م، وله طبعة أخرى صادرة عن مطبعة الخانجي بالقاهرة، في جزئين مصورة عن طبعة ليدن ١٩٣٢م، وطبعته أيضاً مكتبة المثنى ببغداد طبعة مصورة عن طبعة ليدن، وطبعته أيضاً دار الكتب العلمية في بيروت طبعة مصورة عام ١٩٨٠م.

تراجم المفسرين

- طبقات المفسرين للسيوطي (٩١١هـ)

هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وقفنا على ترجمته عند دراسة كتاب المزهري وكتاب بغية الوعاة، وكان في عزمه أن يكون كتابه مصدراً وافياً غنياً بتراجم المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ومفسري الفرق الدينية المختلفة، ولكنه لم يتم كما أراد له أن يكون، واقتصر فيه على مئة وست وثلاثين ترجمة (١٣٦) رتبها ترتيباً هجائياً، وصنفها كما يلي:

- المفسرون من السلف الصالح والصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

- المفسرون من المحدثين.

- المفسرون من علماء أهل السنة الذين ضموا إلى التفسير التأويل والكلام على أحكام القرآن ومعاني ألفاظه وإعراجه.

- المفسرون الذين سماهم بالمبتدعة كالمعتزلة والشيعة ومنهم الزمخشري.

الكتاب مطبوع في مطبعة بريل بليدن عام ١٨٣٩م بعناية المستشرق مورسنك، وله طبعة أخرى في طهران مصورة عن الطبعة الأوربية عام ١٩٦٠م.

– طبقات المفسرين للداودي (٩٤٥ هـ)^(١)

مؤلفه شمس الدين محمد بن علي الداودي المتوفى سنة ٩٤٥ هـ، كتابه ذو طابع موسوعي، فقد ترجم فيه للمفسرين منذ بدء العصر الإسلامي حتى أوائل القرن العاشر الهجري، وتناول في تراجمه كل ما يتعلق بأصحابها من جوانب حياتهم، ولم يقتصر على اشتغالهم في علم التفسير فقط، ورتب تراجمه بحسب التسلسل الهجائي. الكتاب مطبوع بتحقيق علي محمد عمر، وصادر عن مكتبة وهبة في القاهرة ضمن جزءين.

تراجم المحدثين

الجرح والتعديل للرازي (٣٢٧ هـ)^(٢)

هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، كتابه معجم لرجال الحديث النبوي، بدأه بمقدمة تشتمل على تبين السنن، وعرض أحكام الجرح والتعديل وقوانين الرواية، ثم أورد التراجم مبنية على الترتيب الهجائي، وذكر فيها كل ما يتعلق بصاحب الترجمة من اسمه ونسبه وأخباره.

الكتاب مطبوع في حيدر آباد ضمن ثمانية مجلدات عام ١٩٥٢ – ١٩٥٣ م.

تذكرة الحفاظ للذهبي (٧٤٨ هـ)

هو محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الذي وقفنا على ترجمته عندما تناولنا كتب تراجم القراء.

وقد أورد في كتابه مجموعة كبيرة من تراجم المعدلين من حفاظ الحديث النبوي

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ٢٦٤/٨، والأعلام للزركلي ٢٩١/٦.

(٢) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٣٤/٢، والأعلام للزركلي ٣٢٤/٣.

الشريف، والمشتغلين في علوم الحديث، والكتاب مقسّم إلى طبقات، بلغ عددها (٢١) إحدى وعشرين طبقة، وكان الذهبي يذكر في كل ترجمة اسم المحدث ولقبه، ونسبه، وتاريخ وفاته، ورأي العلماء فيه، وجهوده العلمية، ومؤلفاته وبعض أخباره.

أورد الذهبي تراجمه ضمن تنسيق منظم، أعطى فيه لكل صاحب ترجمة رقماً عاماً متسلسلاً ضمن الكتاب، ورقماً خاصاً ضمن الطبقة التي ورد فيها، ورمزاً يدل على الكتب التي خرّجت له، ففي ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه نجد: (١/١/ع) أي الترجمة الأولى ضمن تسلسل التراجم في الكتاب، والترجمة الأولى ضمن تسلسل التراجم في الطبقة الأولى، و(ع) تدل على أن الكتب الستة جميعها خرّجت له.

للكتاب طبعتان، الأولى: في حيدر آباد، وهي صادرة عن دائرة المعارف العثمانية ١٣٣٢ - ١٣٣٤هـ، والثانية: في بيروت، وهي صادرة عن دار إحياء التراث العربي ١٩٦٨م في أربعة أجزاء.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٧٤٨هـ)

المؤلف هو الذهبي نفسه الذي سبقت الإشارة إليه، لكنّه في هذا الكتاب ترجم للضعفاء من رواة الحديث، وذكر الكذابين، والوضّاعين، والمتهمين بالتزوير، وبكثرة الأوهام والأغلاط، ولكنّه ترجم أيضاً للثقة الذين اتّهموا بشيء من الضعف، وغيرهم من رجال الحديث الذين تباينت مراتبهم، وقد تحدّث في كل ترجمة عن صاحبها، وبيّن مرتبته في العدالة، وذكر ما أخرج له في أحد كتب الصحاح الستة مع الرمز المعروف، (م لصحيح مسلم، خ لصحيح البخاري، ت لسنن الترمذي...).

طبع الكتاب في القاهرة، وصدر عن دار إحياء الكتب العربية، بتحقيق علي البجاوي.

لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)^(١)

هو شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترجم في كتابه لرواة الحديث الشريف، وثبّه على مراتبهم من حيث الجرح والتعديل، وقد استدرّك فيه ما فات الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال)، ولم يختلف عن الذهبي من حيث المنهج، وطريقة عرض التراجم. طبع الكتاب في الهند بين أعوام ١٣٢٩ هـ و ١٣٣١ هـ ضمن ستة أجزاء، وطبع في مصر عام ١٩٦٣ م ضمن أربعة أجزاء.

تراجم المتصوفين

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ)^(٢)

هو أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ترجم في كتابه لأشهر رجال الزهد والتصوّف منذ زمن صحابة رسول الله ﷺ، حتى زمن المؤلف، وبدأه بتراجم صحابة رسول الله، ثم بالعشرة المبشرين بالجنة، ثم من هم أدنى منهم من زهاد الصحابة، ثم تحدّث عن الصحابيّات، ثم أورد تراجم التابعين، وتابعي التابعين، وتحدّث في كل ترجمة عن صاحبها من حيث نسبه وأخباره وحياته ومقتطفات من كلامه.

الكتاب مطبوع بتحقيق محمد أمين الخانجي وصادر عن مكتبة الخانجي في دمشق، ودار الكتاب العربي في بيروت ضمن عشرة مجلدات.

(١) انظر ترجمته في البدر الطالع للشوكاني ٨٧/١، والضوء اللامع للسخاوي ٣٦/٢، والأعلام للزركلي ١٧٨/١.

(٢) انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٦/١، وميزان الاعتدال للذهبي ٥٢/١، والأعلام للزركلي

طبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص للزبيدي (٨٩٣هـ)^(١)

هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، ترجم في كتابه للزهاد والأولياء الصالحين منذ مطلع العصر العباسي حتى زمنه ممن اشتهروا في اليمن، ورتب التراجم ترتيباً هجائياً، وإذا تشابهت الأسماء قَدِّم من كان أكثر شهرة أو أقدم زمناً.

الكتاب مطبوع في مصر، وصادر عن المطبعة اليمنية فيها عام ١٣٢١هـ.

الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي (١٠٣١هـ)^(٢)

هو عبد الرؤوف المناوي، ترجم فيه للمتصوفين منذ القرن الهجري الأول حتى زمنه، وتحدث فيه عن التصوف، وكرامات المتصوفين والأولياء، ورد فيه على من أنكروها، ورتَّب التراجم ضمن عشر طبقات، وراعى ضمن الطبقة الواحدة الترتيب وفق تسلسل سنوات الوفاة، الكتاب مطبوع في مصر ضمن جزئين عام ١٩٣٨م.

التشوف إلى رجال التصوّف لابن الزيّات (٦١٧ أو ٦٢٧هـ)^(٣)

هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيّات، ترجم فيه لأشهر الزهاد والمتصوفين في المغرب، والكتاب من أهم المصادر التراثية المغربية التي استطاعت الكشف عن مناقب كثير من الصلحاء والأولياء في المغرب، والتادلي أول من أرخ للتصوف ورجاله في المغرب، وقد ضم الكتاب بين دفتيه أخبار ما يربو على سبعة وسبعين ومئتين من أبرز رجال العلم والولاية والكرامات في المغرب، حتى حدود سنة (٥١٧هـ - ١٢٣م) واحتوى الكتاب قسماً خصّصه التادلي لأخبار أبي العباس السبتي، والكتاب لا يتضمن التراجم

(١) انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ٢١٤/١، والأعلام للزركلي ٩١/١.

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحيي ٤١٢/٢ - ٤١٦، والأعلام للزركلي ٢٠٤/٦.

(٣) انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف ١٨٥، والأعلام للزركلي ٢٥٧/٨.

والأخبار فحسب، وإنما يشتمل على مادة تاريخية واجتماعية وفكرية وسياسية مهمة تعبر عن تاريخ المغرب في الفترة الزمنية الممتدة بين القرنين الخامس والسابع الهجريين، الكتاب مطبوع وصادر ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط عام ١٩٨٤م، وهو من تحقيق: أحمد التوفيق.

تراجم الأطباء والحكماء

طبقات الأطباء والحكماء لابن جُلجل (٣٧٧هـ)^(١)

هو سليمان بن حسان الأندلسي، اشتهر بابن جُلجل، أما كتابه فقد جمع فيه تراجم الأطباء والحكماء والفلاسفة حتى عصره، وقسمه إلى تسع طبقات، وتراجمه يغلب عليها طابع الإيجاز.

الكتاب مطبوع في القاهرة عام ١٩٥٥م بتحقيق فؤاد السيد، وبإشراف المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة.

عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ)^(٢)

هو أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي، كتابه من أوفى كتب تراجم الأطباء، ترجم فيه لمشاهير الأطباء منذ أقدم العصور حتى عصره، وجعله ضمن قسمين:

الأول: يتضمن تراجم الأطباء اليونانيين حتى ظهور الإسلام، والأطباء العرب في صدر الإسلام، والأطباء السريان في الدولة العباسية، وسائر الأطباء العرب والمسلمين.

الثاني: يتضمن تراجم الأطباء العجم في الهند ومصر والشام.

وقد صنف التراجم على أساس الأقاليم، ثم صنفها ضمن الإقليم بحسب تسلسل

(١) انظر ترجمته في دائرة معارف البستاني ٤٣٤/١، والأعلام للزركلي ١٢٣/٣.

(٢) انظر ترجمته في النجوم الزاهرة ٢٢٩/٧، والأعلام للزركلي ١٩٧/١.

سنوات الوفاة، وأورد تراجمه ضمن خمسة عشر باباً، وكان يذكر في الترجمة اسم المترجم له ونسبه، وأخباره، وآراءه في الطب، وأسماء كتبه، ويذكر ما تُرجم من آثاره إلى العربية إذا كان أعجمياً، ولا يُغفل إيراد مقتطفات من شعره إذا كان طبيباً وشاعراً، كالحكيم أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الداني صاحب الرسالة المصرية التي مرت معنا في الرسائل الأدبية.

الكتاب مطبوع عدة طبعات منها: طبعة صادرة عن دار الفكر في بيروت عام ١٩٥٦م ضمن ثلاثة أجزاء، وطبعة بتحقيق نزار رضا، وصادرة عن دار مكتبة الحياة في بيروت عام ١٩٦٥م في مجلد ضخيم.

ثمة كتب أخرى تناول فيها مؤلفوها تراجم القضاة والوزراء والخلفاء، منها:

- أخبار القضاة لمحمد بن خلف بن حيّان المعروف بوكيع (٣٠٦هـ).
- تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ).
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لهلال بن المحسن بن إبراهيم الصايي (٤٤٨هـ).
- ولم يغفل المؤلفون تراجم النسّابين والمؤرخين فمن ذلك:
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن الشهير بالسخاوي (٩٠٢هـ).
- منية الراغبين في طبقات النسّابين لمؤلفه عبد الرزاق بن حسن الحسيني اعتنى فيه بعلماء أنساب الشيعة.
- وأفرد بعض مؤلفي كتب التراجم مصنفات خاصة بالنساء، أشهرها:
- نساء الخلفاء المسمّى (جهات الأئمة الخلفاء من الخرائر والإماء) لتاج الدين أبي طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي الخازن البغدادي (٦٧٤هـ).
- أعلام النساء لعمر رضا كحالة (وهو من المؤلفين في العصر الحديث وصاحب

كتاب معجم المؤلفين).

وقد أفرد بعض المؤلفين في كتبهم التي تناولوا فيها تراجم فئات معينة فصولاً خاصة بتراجم النساء.

إن المكتبة العربية زاخرة بكثير من المصنفات التي جمعت بين التاريخ والتراجم، وقد اختلفت مناهج هذه المصنفات تبعاً لطريقة عرض المادة فيها.

● فمنها ما يعرض التراجم بحسب الأقاليم والأمصا والمدين، مثل: (إتحاف الوري بأخبار أم القرى) لنجم الدين عمر بن محمد المعروف بنجم الدين بن فهد (٨٨٥هـ)، (المغانم المطابة في معالم طابة) لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي (٨١٧هـ)، (تاريخ دمشق) لابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله (٥٧١هـ)، (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لابن تغري بردي (٨٧٤هـ)، وغيرها كثير.

● ومنها ما يعرض التراجم بحسب القرون والأزمنة مثل: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحجي محمد أمين بن فضل الله بن محب الله (١١١١هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق بن حسن البيطار (١٣٣٥هـ).

● ومنها ما يعرض أصحابها التراجم والأخبار والحوادث التاريخية ضمن نظام الطبقات، والطبقة تمثل جيلاً، أو بحسب التسلسل الهجائي لأسماء الأعلام مع مراعاة هذا التسلسل في أسماء الآباء والأجداد في بعض المصادر، وخير ما يمثل هذا النوع من المصنفات الكتب التي سنتناول بعضها بالدراسة والتفصيل، وهي:

كتب تراجم الأعلام العامة

وهي الكتب التي اهتم فيها أصحابها بعرض عدد كبير من تراجم الأعلام الذين لا يجمعهم رابطاً واحداً، فهم أعلام اختلفت انتماءاتهم، وتنوّعت بيئاتهم وثقافتهم وعلومهم، وتباينت مشاربهم، واختلفت أزمانهم، وهذه الكتب كثيرة أهمها وأشهرها:

وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ لِابْنِ خَلِّكَانَ (٦٨١هـ)^(١)

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم المشهور بابن خَلِّكَانَ، أصله من إربيل، وهي مدينة قريبة من الموصل في العراق، كان علامة في الأدب، والشعر، والأخبار، تنقل بين الشام ومصر، وتولى منصب القضاء أكثر من مرة، وتوفي في دمشق ودفن في سفح جبل قاسيون، يتصل نسبه بالبرامكة.

أما كتابه فعنوانه الكامل (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَوْلِيَاءِ الزَّمَانِ مِمَّا ثَبَتَ بِالْفِعْلِ أَوْ السَّمَاعِ أَوْ أَثْبَتَهُ الْعِيَانُ)، وقد أورد فيه تراجم الأعيان منذ العصر الجاهلي حتى زمنه، حيث انتهى من تأليفه سنة ٦٥٤هـ.

وكلمة (الأعيان) تدلّ على أنه اختار المشاهير من الأعلام، واقتصر على الذين عرف تواريخ وفياتهم، لكنه استثنى المشاهير من الصحابة والتابعين والخلفاء؛ لأن تراجمهم موجودة في كتب أخرى كثيرة، وقد بلغ عدد تراجمه ٨٢٦ ثمان مئة وست وعشرين ترجمة.

يقوم منهجه في الكتاب على الأسس التالية:

١- رتب تراجمه بحسب التسلسل الهجائي في أسماء أصحاب التراجم لا أسماء آبائهم.

(١) انظر ترجمته في فوات الوفيات للكتبي ٥٥/١، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣٥٣/٧، والأعلام للزركلي

٢- ترجم لجماعة من أعلام أهل زمانه، ولم يقتصر في كتابه على فئة معينة من الأعلام، فقد ترجم للعلماء، والفقهاء، والأدباء، والشعراء، والملوك وغيرهم ممن ذاع صيته، وطارَت شهرته في الآفاق.

٣- عني بذكر تواريخ الوفاة، وتواريخ الولادة مع النسب إن أمكنه ذلك، واهتم بضبط الألفاظ التي يمكن أن يقع لبس فيها وفقاً لأي تصنيف أو تحريف.

٤- لم يغفل ابن خَلْكان ذكر بعض النوادر، والأشعار ضمن أخبار أصحاب التراجم دفعاً للملل.

للكتاب أكثر من طبعة، منها طبعة استشرافية، وطبعة بتحقيق محيي الدين عبد الحميد ضمن ستة أجزاء، وطبعة أخرى بتحقيق د. إحسان عباس ضمن ثمانية أجزاء وصادرة عن دار الثقافة ببيروت ١٩٧٠ - ١٩٧٢م.

فوات الوَفَيَات لابن شاكر الكتبي ٧٦٤هـ^(١)

هو صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد، والكتبي لقب لحق باسمه لاشتغاله في الوراقة وبيع الكتب، كان مؤرخاً باحثاً ذا خبرة واسعة في أمور الكتب، ولد في داريا (من قرى دمشق) ونشأ وتوفي بدمشق، ومن كتبه: عيون التواريخ.

أما كتابه: (فوات الوَفَيَات) فهو ذيل على كتاب وفيات الأعيان لابن خَلْكان؛ إذ ترجم فيه لمجموعة من الأعلام الذين أغفلهم ابن خَلْكان، وهم من الصحابة والتابعين والأمراء والخلفاء والملوك، وقد ذكرنا أن ابن خَلْكان لم يغفلهم سهواً، وإنما عمد إلى ذلك لكثرة تراجمهم في سائر الكتب.

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٤٥١/٣، وشذرات الذهب لابن العماد ٢٠٣/٦، والأعلام للزركلي ١٥٦/٦.

أورد ابن شاعر مجموعة من التراجم، لمن عاش وتوفي في المدة التي امتدت من انتهاء تأليف وفيات الأعيان إلى انتهاء تأليف فوات الوفيات، ورتب التراجم بحسب التسلسل الهجائي للاسم الأول فقط دون اسم الأب. للكتاب أكثر من طبعة، منها طبعة بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في مصر عام ١٩٥١م، وطبعة أخرى بتحقيق د. إحسان عباس ضمن خمسة أجزاء (أربعة أجزاء والخامس للفهارس) وصادرة عن دار الثقافة ببيروت ١٩٧٣م.

الوافي بالوفيات للصفدي ٧٦٤هـ^(١)

هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، أديب، مؤرخ، تلقى علومه في دمشق على عدد من كبار علمائها، وقد عاصر ابن شاعر الكتي، وتوفي في العام نفسه الذي توفي فيه ابن شاعر، من مؤلفاته: نكت الهميان، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، نصرة الثائر، تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، أعيان العصر وأعوان النصر.

كتاب (الوافي بالوفيات) من أضخم وأوسع كتب تراجم الأعلام العامة، استقصى فيه تراجم الأعلام منذ العصر الجاهلي حتى زمنه، ورتب فيه تراجمه ترتيباً هجائياً مراعيّاً ذلك في اسم المترجم له واسم أبيه أيضاً، وحاول أن يذكر في الترجمة كلّ ما يتعلق بصاحبها من اسمه، ونسبه، وولادته، ووفاته، وأخباره، وأقواله، ومصنفاته، وأحواله، والاختيارات من شعره أو نثره، وقد بدأ تراجمه بترجمة للنبي الكريم محمد ﷺ، واختصر سيرته العطرة، ثم ترجم لمن اسمه محمد، واسم أبيه محمد، ثم ترجم لمن اسمه محمد واسم أبيه أحمد، ثم انتقل إلى من اسمه محمد مع تسلسل أسماء الآباء وفق حروف الهجاء، ولما انتهى من تراجم المحمدين بدأ بسرد التراجم مرتبة بحسب التسلسل الهجائي.

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٨٧/٢، والأعلام للزركلي ٣١٥/٢.

يقع الكتاب في ثلاثين مجلداً، وقد أشرفت على طبعه لجنة المستشرقين الألمانية.

سير أعلام النبلاء للذهبي ٧٤٨هـ

هو محمد بن أحمد المعروف بشمس الدين الذهبي الذي وقفنا على ترجمته في كتب تراجم القراء وتراجم المحدثين، وقد لقب بإمام المؤرخين لأهمية كل من كتابيه تاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء.

اتبع الذهبي منهجاً واضحاً في عرض التراجم وراعى فيه الجوانب التالية:

- رتب التراجم ضمن طبقات بلغ عددها خمساً وثلاثين طبقة، وجعل وفیات كل عشرين سنة ضمن طبقة.

- جمع تراجم الأقرباء في موضع واحد، ولاسيما الإخوة، والآباء، والأبناء، لذلك لم يلتزم التزاماً دقيقاً بإيراد وفیات كل عشرين سنة في طبقة مستقلة عن الأخرى، فقد يكون للمتزوج له أقارب وافتهم المنية بعد أكثر من عشرين سنة، ومع ذلك نجد الذهبي يذكرهم في موضع واحد لصلة القرى، أو لتشابه في الأسماء.

- استهل كتابه بالسيرة النبوية الشريفة، وسير الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وعرض ذلك ضمن المجلدين الأول والثاني، ثم بدأ بالطبقات، فصدر المجلد الثالث بحديثه عن العشرة المبشرين بالجنة، ثم ذكر كبار الصحابة والتابعين.

- اهتم الذهبي بالترجمة للأعلام من جميع الأزمنة والأمكنة في التاريخ الإسلامي منذ بداية الإسلام حتى سنة ٧٠٠هـ تقريباً، وفي مشرق الأرض الإسلامية ومغربها وفي الأندلس أيضاً، ولم يقتصر على فئة معينة من الناس، وإنما ترجم للخلفاء والملوك والأمراء، والوجهاء، والوزراء، والقضاة، والأعيان، والأدباء، والشعراء، واللغويين، والنحاة، والقراء والمحدثين، وغيرهم.... واهتم بالأعلام المشهورين، وأهل المغمورين والمجهولين (في عُرف أهل العلم والثقافة

لا في عرفنا نحن)، وهم أعلام مختلفون من الناحية العلمية، والاجتماعية والشخصية.

- قامت طريقته في عرض الترجمة على ذكر اسم المترجم له، ونسبه، ولقبه، وكنيته، وتاريخ مولده، ونشأته، وعرض حياته العلمية، وشيوخه، وتلامذته، وآثاره، بحسب ما اختصّ فيه من علم أو فن، ثم الانتقال بعد ذلك إلى مكانته وآراء العلماء فيه، والانتهاء بتاريخ وفاته.

- عوّل الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) كثيراً على كتابه (تاريخ الإسلام) وأخذ منه، ولكنه أعاد صياغة بعض التراجم بإضافة بعض الأخبار التي لم يذكرها في كتابه السابق. طبع الكتاب في خمسة وعشرين مجلداً بتحقيق مجموعة من الباحثين، وبإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، وصدر عن مؤسسة الرسالة ببيروت في عام ١٩٨١م، وأعيد طبعه مرة ثانية عام ١٩٨٢م، بسبب شدة الإقبال عليه.

من كتب الأعلام العامة ما ظهر في العصر الحديث فكان جامعاً شاملاً استوعب كثيراً من التراجم، وأصبح من المصادر التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها، من أهم هذه الكتب التي يجب الوقوف عندها لأهميتها في المكتبة العربية والبحث العلمي، كتاب الأعلام للزركلي.

الأعلام للزركلي (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)

هو خير الدين بن محمود الزركلي، ولد في بيروت، ونشأ في دمشق، وتنقل في شبابه بين مجموعة من البلدان العربية والأجنبية، وتوفي في القاهرة.

كان أديباً شاعراً، وله كثير من النشاطات الأدبية^(١) والسياسية^(٢)، أما كتابه (الأعلام)

(١) فقد أسهم في إنشاء جريدة المفيد في مصر، وجريدة الحياة في حيفا، وكان من أعضاء مجمع اللغة العربية في كل

من دمشق والقاهرة وبغداد.

فقد ترجم فيه لأشهر الأعلام في التاريخ العربي، والحضارة الإسلامية، من الرجال والنساء، والمستشرقين، والمهتمين بالعلوم العربية الإسلامية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث الذي توفي فيه المؤلف.

عكف على تأليفه مدة طويلة من الزمن بلغت ستين سنة ونيف، بذل فيها جهوداً عظيمة في التأليف والتنقيح، والزيادة، ومطالعة المصادر المتنوعة، وقد طُبِعَ الكتاب في حياة المؤلف ثلاث مرّات، وفي كلّ مرّة كان يضيف على الكتاب الزيادات والفوائد المتعلقة بمعلومات عن صاحب الترجمة، أو آثاره، فقد تكون مخطوطة ثم تصبح مطبوعة، أما الطبعة الرابعة فقد بدأ بإعدادها، ولكنه توفي قبل إنجازها، فصدرت بعد وفاته بثلاث سنوات في عام ١٩٧٩م.

اتبع الزركلي في كتابه المنهج التالي:

- رتب الأسماء ترتيباً هجائياً مراعيّاً في ذلك اسم صاحب الترجمة، واسم أبيه من جهة وسنة الوفاة من جهة أخرى، فإذا اشترك اثنان في الاسم وفي اسم الأب فإنه يقدّم الأسبق في الوفاة، وعندما يكون صاحب الترجمة مشهوراً بلقبه أو كنيته فإنه يبقى على اللقب أو الكنية ضمن التسلسل الهجائي، ويذكر إلى جانبهما اسمه واسم أبيه وسنة وفاته ليرجع إليه الباحث في الموضع المناسب، ولكنه في الكنى التي تبدأ بـ (أم) أو (أب) يهمل هاتين اللفظتين، ويعتد بما يليهما من الحروف، ويهمل أيضاً (ال) التعريف.

مثال: الشاعر أبو العلاء المعري، كنيته أبو العلاء، ولقبه المعري، وهذا يعني أننا سنجده في حرف العين (ع) وفي حرف الميم (م)، وفي كلا الموضعين يذكر الزركلي اسمه، واسم أبيه، وسنة وفاته فنجد: أحمد بن عبد الله وفاته ٤٤٩هـ، ولكننا لن نجد ترجمته الوافية

(١) ناهض في أشعاره الاستعمار الفرنسي، وألهب بها الشعور الوطني، وحكم عليه بالإعدام غيباً مرتين.

إلا إذا عدنا إلى حرف الألف.

- اهتم الزركلي في تراجمه بتحديد سنة الولادة وسنة الوفاة، فإذا عُسِرَ التحديد عليه اكتفى بذكر الرقم التقريبي، كأن يقول: توفي نحو سنة كذا...، فإذا لم يتأكد من التاريخ الدقيق وضع نقاطاً في ذلك الموضع.

- كان يبدأ الترجمة بذكر اسم المترجم له، ويضع تحت اسمه تاريخ الولادة، وتاريخ الوفاة بالهجري وبالميلادي إن أمكنه ذلك، ثم يذكر اسمه ولقبه وكنيته، ونسبه ومكانته، وما عرف به من أوجه النشاط، وأهم أخباره، وإذا كان صاحب مؤلفات ذكر أهمها مشيراً إلى المطبوع منها بحرف (ط) وإلى المخطوط منها بحرف (خ)، وإذا كان الكتاب مفقوداً ولا يُعرف له وجود في المكتبات تركه بلا أي رمز.

- كان يذكر في حاشية كل ترجمة أهم المصادر والمراجع التي استفاد منها في إعداد تلك الترجمة، وهذا الأمر مفيد جداً للباحثين؛ لأنه يرشدكم إلى المصادر التي تضمنت الترجمة المطلوبة، فيوفر عليهم الجهد والوقت.

- كان يرفق بعض التراجم بصور لأصحابها إن كانوا من أعلام العصر الحديث، ويعرض أيضاً نماذج من خطوطهم، أو رسائلهم، أو صفحات من مؤلفاتهم، وهذا يدل على الجهد الكبير الذي بذله الزركلي لإعداد هذه التراجم.

- معظم التراجم في الكتاب موجزة، صاغها الزركلي بأسلوب بليغ، وبلغة مشرقة، وضمّنها أبرز الجوانب المتعلقة بصاحب الترجمة، لكنّها تطول في بعض المواضع تبعاً للمكانة العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية التي يتصف بها.

- ختم الزركلي كتابه بترجمته الشخصية، وبفهرس لمصادره ومراجعته، وقد عرض ذلك في ثمانين صفحة.

الكتاب مطبوع وصادر عن دار العلم للملايين سنة ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م في ثمانية مجلدات، ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات مصورة عنها.

معجم المؤلفين لكحالة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)

المؤلف هو عمر رضا كحالة، عنوان كتابه (معجم المؤلفين في تراجم مصنفي الكتب العربية)، وهو كتاب خاص بمصنفي الكتب العربية من عرب وعجم، وقد عدّ المؤلف الشعراء والرواة ضمن المؤلفين، فأثبت لهم تراجم في الكتاب.

يقوم منهجه في الكتاب على الأسس التالية:

- رتب تراجمه بحسب التسلسل الهجائي مراعيًا في ذلك اسم صاحب الترجمة، واسم أبيه، لكنه لم يراع تسلسل سنوات الوفاة كما فعل الزركلي في الأعلام.
- أورد تراجم المؤلفين ممن عرف سنة ولادتهم، ووفاتهم، أو الزمن الذي عاشوا فيه ابتداءً من العصر الجاهلي وانتهاءً بزمن المؤلف الذي أصدر فيه كتابه، واقتصر في تراجم المؤلفين في العصر الحديث على من وافتهم المنية فقط.
- تقوم طريقته في عرض الترجمة على ذكر اسم العلم، واسم أبيه، وشهرته، وتاريخ ولادته ووفاته، أو الزمان الذي كان يعيش فيه بالتاريخين الهجري والميلادي، وذكر اختصاصه العلمي، والمناصب التي تولّاها، وحياته العلمية، ومصنفاته، والتنبيه على الروايات المختلفة في اسم المترجم له، أو في نسبه، أو في تاريخ ولادته ووفاته، والإشارة في نهاية كل ترجمة إلى المصادر والمراجع التي اعتمد عليها، مع إيراد رمز لكل منها.

صدر الكتاب سنة ١٩٧٥م عن مؤسسة الرسالة ببيروت في خمسة عشر مجلداً خصّص ثلاثة عشر منها للتراجم، وخصّص الجزءين الرابع عشر والخامس عشر لألقاب المترجم لهم وأنسابهم وكناهم، مع إحالة كل لقب أو نسبة أو كنية إلى الاسم الحقيقي

لكل منهم، وإلى اسم الوالد في الجزء والصفحة من الأجزاء السابقة.

فعلى سبيل المثال: إذا أردنا معرفة موقع ترجمة (المعري) ننظر في الجزء الخامس عشر، فنجد المعري في موقعه من التسلسل الهجائي على الشكل التالي:

(المعري): (أبو العلاء) أحمد بن عبد الله ٢٩٠/١ و ٣٦٣/١٣، وهذا يعني أننا سنجد ترجمته في الجزء الأول الصفحة ٢٩٠، كما سنجد معلومات إضافية في الجزء الثالث عشر والصفحة ٣٦٣، فقد وضع المؤلف في نهاية هذا الجزء مستدرکاً صغيراً أثبت فيه ما فاتته من الترجمة الأصلية، كما أصدر بعد طبع الكتاب مستدرکاً مستقلاً في جزء خاص صدر عن المؤسسة نفسها عام ١٩٨٥م، أثبت فيه إضافات على التراجم السابقة تشتمل على معلومات جديدة أو على مراجع لم يشر إليها في المتن.

كتب برامج العلماء

ثمة كتب اشتهرت في المكتبة العربية بعناوين مختلفة، ولكنها اشتركت في غاية واحدة، أما العناوين فهي، برامج العلماء، الفهارس، المشيخات، المعاجم، الأثبات^(١)، وأما الغاية فهي تدوين ما قرأه العالم من مؤلفات في مختلف العلوم، وذكر أسماء مؤلفيها، وأسماء الشيوخ الذين قرأ المؤلفات عليهم، وبيان سندها إلى المؤلف الأول، والإشارة إلى مكان الدراسة، وزمانها الذي بدأت فيه وانتهت^(٢).

لهذه الكتب أهمية كبيرة في عرض الحياة الثقافية والفكرية في المشرق والمغرب، فهي

(١) شاعت الأسماء: برنامج، فهرست، معجم، ثبت في الأندلس، وشاعت الأسماء: المشيخة، الثبت، والفهرس في المشرق، وقد يستعمل اسم السند، والتقييد أيضاً.

(٢) الكلام مستمد من تعريف الدكتور عبد العزيز الأهواني لبرامج العلماء، فقد قدّم دراسة وافية عنها في مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الأول، الجزء الأول، وانظر مذكره الدكتور محمد رضوان الداية عن كتب برامج العلماء في (المكتبة العربية ومنهج البحث)، ص ٢٢٤ - ٢٢٦.

تلقي الضوء على اللقاءات العلمية التي كانت تجمع بين العلماء وطلابهم، وتظهر تقديرهم واحترامهم لهؤلاء الشيوخ والعلماء، وتعرض المصنفات التي كانت سائدة في زمن تأليف البرنامج أو الفهرسة، وتبين الدقة التامة في ذكر الأسانيد المتعلقة بالعلماء الذين درس عليهم صاحب البرنامج، وصولاً إلى المؤلف الأول لكل كتاب درسه وأجيز فيه.

لا يخلو بعض هذه الكتب من عرض تراجم موجزة للعلماء والشيوخ، والإشارة إلى مظاهر النشاط الثقافي والعلمي والفكري، وإيراد مقتطفات من الأخبار، والطرف والأشعار التي تحمل في جعبتها قدراً كبيراً من الفائدة والمتعة؛ لذلك ارتأينا ذكرها في هذا الموضوع لصلتها بالتراجم، فقد صنف المحدثون والمشتغلون في علوم الحديث كتباً كثيرة جمعوا فيها أسماء شيوخهم، ومروياتهم عنهم، وعرضوا فيها مصطلحات علم الحديث وما يتعلق به، وسار على خطاهم سائر العلماء، فوضعوا كتباً خاصة في ذكر أسماء شيوخهم، والكتب التي درسوها عليهم.

هذه الكتب تكون - في الأغلب - مستقلة، ولكن بعض المؤلفين جعل برنامجه ذياً لأحد كتبه، كما فعل الغبريني في برنامجه، وقد لا يحمل البرنامج أو الفهرس اسماً يدل عليه، فالقاضي عياض سمي برنامجه (الغنية).

أما المناهج التي اعتمد عليها أصحاب البرامج فليست واحدة، فقد اختلفت تبعاً للطريقة التي عرضوا فيها المادة العلمية، وهذه الطرق^(١) هي:

- الطريقة الأولى: يعتمد المؤلف فيها على ذكر الكتب التي درسها مرتبة بحسب موضوعاتها، فيبدأ بكتب علوم القرآن الكريم والتفسير، فكتب علوم الحديث، فالسير والأنساب، ثم كتب الفقه وأصول الدين، وينتهي بكتب اللغة والنحو والأدب ودواوين الشعر.
- الطريقة الثانية: يسرد فيها المؤلف مروياته من الكتب بذكر أسماء شيوخه

(١) ذكر هذه الطرق الدكتور عبد العزيز الأهواني بعد دراسة استقصى فيها كتب البرامج والفهارس.

وتراجمهم، وهم الذين تلقى عنهم، أو استجازهم، وكانوا يتصدّرون للتدريس والرواية، وفي هذه الطريقة تنوعت أساليب عرض أسماء الشيوخ، فمنهم من رتبها بحسب الاختصاصات العلمية، ومنهم من رتبها ترتيباً هجائياً، ومنهم من بدأ بالشيوخ الذين تربطه بهم صلات القرى.

● الطريقة الثالثة: تجمع بين الطريقتين السابقتين، ففيها يسرد المؤلف الكتب التي درسها، ويعرض بإيجاز تراجم شيوخه الذين درس عليهم واستجازهم.

● الطريقة الرابعة: يكاد المؤلف يخرج فيها عن حدّ الفهارس والبرامج إلى كتب الثقافة العامة، ففيها يذكر أخبار شيوخه، ومناقبهم، وسيرهم، وأخلاقهم، ويسند عن طائفة منهم بعض الحكايات، والأخبار، والأحاديث، والأدعية، والطرف.

من هذه الكتب:

- فهرسة ابن خير الإشبيلي ٥٧٥هـ، تحقيق إبراهيم الإبياري، ونشر دار الكتاب المصري . القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، تأليف: ابن الأتار الأندلسي ٦٥٨هـ، طبع أول مرة في مدريد ١٨٨٥م، ثم أعيد طبعه بالتصوير في بغداد.

- برنامج شيوخ الرعيني ٦٦٦هـ، تحقيق إبراهيم شبّوح، طبع ونشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

- ثبت أبي جعفر الوادي آشي ٩٣٨هـ، تحقيق: د. عبد الله العمراني، نشر دار الغرب الإسلامي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- مشيخة ابن الجوزي ٩٥٧هـ، تحقيق: محمّد محفوظ، نشر دار الغرب الإسلامي ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

الفصل الثاني

كتب الأنساب

- ١ - جمهرة أنساب العرب للكلبي
- ٢ - نسب قریش للنزيري
- ٣ - جمهرة أنساب العرب لابن حزم
- ٤ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي
- ٥ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر كحالة



كتب الأنساب:

مقدمة في علم الأنساب:

لم يعرف التاريخ أمةً اهتمت بأنسابها اهتمام العرب بها، وذلك بحكم تكوينهم القبلي، فقل أن يوجد شخص في العصر الجاهلي لا يعرف سلسلة نسبه ويرويها حفظاً، بل إن كثيراً من أبناء قبائل الجزيرة العربية، وبلاد الشام، والعراق، في العصر الحاضر يروون أنسابهم حفظاً إلى أعماق العصر الجاهلي بسلسلة متصلة.

وقد أوجد هذا الاهتمام طبقة من النسابين لا تقف عند حدود حفظ نسبها أو نسب قبيلتها، بل تحفظ أنساب كثير من القبائل الأخرى.

وحين اختلط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب بعد حركة الفتح واستقرار كثير منهم خارج الجزيرة العربية، وبعد أن نشطت حركة الشعوبية التي سقّته من شأن العرب، وبعد أن كثر من يدعون الانتساب إلى العرب؛ تكونت ردّة فعل لدى كثير من العرب وأخذوا يجاهرون بنسبهم العربي الصريح، بل إن كثيراً من غير العرب أخذوا يتعرّبون ويلتحقون ببعض القبائل انتساباً إليها، وعُرف لغة (العربي صليبةً) و(العربي بالولاء) ونشطت نتيجة ذلك حركة تدوين الأنساب يُسجلها بعض النسابين، أو يتبعها بعض العلماء من روايات النسابين، واتجه بعضها إلى تسجيل أنساب قبيلة معينة، أو أسرة معينة، أو فئة معينة، وبعضها يتجه إلى تسجيل أنساب العرب عامةً.

وإذا كانت حركة تسجيل الأنساب لم تنقطع خلال التاريخ القديم فإن هذه الحركة شهدت نشاطاً لها في العصر الحديث وتجنّد للتأليف فيها بعض العرب وبعض المستشرقين.

١ - كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي

هو أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبي، مؤرخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، ووقائعها ومثالبها كأبيه كثير التصانيف، ولد في مدينة الكوفة، ولا يعلم تاريخ ولادته، إلا أنه عاش في القرن الثاني للهجرة، وفيها كانت نشأته العلمية ودراسته على يد شيوخ عصره وفي مقدمتهم والده أبو النضر محمد بن السائب، له نيف ومئة وخمسون كتاباً، منها «جمهرة الأنساب»، و«نسب الخيل» و«بيوتات قريش» و«الكنى» و«المثالب» و«افتراق العرب» و«الموؤودات» و«ألقاب قريش» و«ألقاب اليمن». توفي في الكوفة عام (٢٠٤هـ)^(١).

لقد درس الكلبي أنساب العرب وحاول جمع الروايات القبلية من أفضل نُسَاب القبائل، ورجع إلى شعر النقائض، خاصة نقائض الفرزدق.

ولكتاب الجمهرة أهمية كبيرة لذكره الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية إلى أيام المأمون، مع تعليق موجز أو إشارة مركزة تبين دور من ظهر في الحقول المختلفة (من كان شريفاً أو سيداً في قومه، ومن برز في يوم من أيام العرب، ومن كان فارساً، ومن وفد على النبي ﷺ أو صحبه، ومن استشهد في مغازي الرسول ﷺ، خاصة بدر وأُحُد، ومن استشهد في الردّة؛ كما ذكر بعض من قُتل في أيام العرب الكبرى في الإسلام، كالقادسية واليرموك والجمل وصفين).

يُعنى المؤلف بصورة خاصة بالإشارة إلى من تولّى مناصب مسؤولة من أمراء وعمّال، وقادة، وأصحاب الشرطة، وقضاة، وهو حريص على ذكر الشعراء في القبائل كما ينوّه بمن تميّز في مجالات أخرى، مثل الخوارج، ونقباء الدعوة العباسية، ومن تميّز في حقول

(١) الفهرست ٩٥/١، ووفيات الأعيان ١٩٥/٢، ومعجم الأدباء ٢٥٠/٧، والأعلام ٨٧/٨ - ٨٨.

الثقافة، كالفقه، والنحو، والأنساب، ويتبع هذا ببعض الملاحظات المتفرّدة أو المعلومات التي لا تَرِد عند غيره.

طُبِعَ الكتاب بتحقيق ناجي حسن، بدار الكتب المصرية طبعة رابعة، ١٩٢٤م.

شاهد من الكتاب:

(أخبرنا محمد بن حبيب، عن هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انتهى في النسب إلى معدّ بن عدنان أمسك، ثم قال: كذب الناسون، قال الله جل ثناؤه ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]. قال ابن عباس: ولو شاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعلمه لَعَلِمَهُ، وقال: بين معد بن عدنان وبين إسماعيل ثلاثون أباً.

وحدث هشام، عن أبيه محمد بن السائب قال: ولد أدد بن زيد عدنان، ونبتاً. ونبت هو الأشعر أبو الأشعرين وعمراً درج. فولد نبت شقرة، وهم في مهرة بالشحر، وشقحباً وهم في وحاطة من ذي الكلاع، فولد عدنان معداً، والدّيث، وأبيّاً، والعبي: درجاً، وعديناً، درج، وأُمهم مهّد بنت اللّهم بن جُلحب، من جدّيس.

فولد الدّيث بن عدنان: الحارث، وهو عكّ، فولد عكّ بن الدّيث: الشاهد، وصحاراً وهو غالب، وسُبيعاً درج. وقرناً وهم في الأزد بنو عكّ، فولد الشاهد بن عكّ غافقاً، وساعدة، فولد غافق بن الشاهد لِعَسان، ومالكاً، والقَيّانة، فولد مالك بن غافق رِهْنَةً وَصُحَاراً، فولد رِهْنَةً كعباً، وطريفاً، ومالكاً، فولد صحار بن مالك عبداً ومعاوية وربيعة، وولد لِعَسان بن غافق: الحوثة، وأسلم، ووائللاً، وزَيّان، وخضران، وولد القيانة بن غافق أحذب، وأوفى، وأسلم وخدران^(١).

(١) جمهرة النسب لابن الكلبي ١/١.

٢- كتاب نسب قريش للزبيري

هو مصعب بن عبد الله بن ثابت الزبيري، علامة غزير المعرفة بالتاريخ وبالأنسب، ولد بالمدينة المنورة عام (١٥٦هـ) كان تلميذاً لكثير من أساتذة هذه البلدة، وخاصة لمالك ابن أنس المحدث الكبير، ثم سكن بغداد وتوفي فيها عام (٢٣٦هـ).

وقد كان أوجه قريش مروةً وعلماً وشرفاً وثقةً في رواية الحديث وشاعراً كبيراً وخطيباً، وقد ذكر له الأصفهاني في (كتاب الأغاني) أشعاراً نظمها في مديح العباس بن الأحنف وغيره من أعلام عصره، ولكن علمه بالنسب وخاصة بجماعة قريش الذين ينتسب إليهم، هو الذي أكسبه الشهرة، وزادت شهرته أكثر بعد وفاته عندما استشهد به المؤرخون كالطبري والبلاذري وغيرهم واعتمدوه حجة فيما يخص الأنساب.

من أشهر مؤلفاته: (نسب قريش)، (النسب الكبير)، (حديث مصعب)^(١).

وصل إلينا كتاب (نسب قريش) في اثني عشر جزءاً قصاراً على أطوال متباينة بعض الشيء، ولكن هذا التقسيم مصطنع لأننا لا نجد فيه جزءاً مستقلاً بنفسه، وكل جزء يبدأ بالأسانيد نفسها، مما يدلنا على أن الكتاب وصل في روايته الأندلسية كما رُتب في الأندلس حوالي منتصف القرن العاشر للميلاد، وذلك على أغلب الظن في أيام الخليفة الأموي الثاني بقرطبة وهو الحكم المستنصر بالله.

وعلى الرغم من إيجازه النسي، فهو أثر ذو أهمية كبيرة لتأريخ فجر الإسلام، وخاصة لتأريخ الخلفاء الأربعة الأول، وترتيبه المتبّع في إيراد نسب قريش هو الترتيب المتداول كما رواه المؤرخون قبله وبعده.

وإلى جانب هذه السلسلة من الأسماء في النسب المتعاقب، يبدو لنا اهتمام المؤلف

(١) الفهرست ١/١١٠، ونسب قريش /المقدمة ، والأعلام ٧/٢٤٨.

وعنايته في تحديد النسب من النساء كذلك، ويورد في كل صفحة حكايات لم يُنشر بعضها حتى اليوم، وقد أورد المؤرخون بعضها الآخر عن مصعب.

ونستطيع أن نؤكد أن كتاب (نسب قریش) سيبقى المصدر الأساسي والحجة الثقة في أنساب العرب. طُبِعَ الكتاب بدار المعارف بالقاهرة بتحقيق المستشرق ليفي بروفنسال، الطبعة الأولى، ١٩٥٣م، وصدرت الطبعة الثانية بدار المعارف بالقاهرة ١٩٧٦م.

شاهد من الكتاب:

الجزء الأول (نسب معد بن عدنان):

(معد بن عدنان بن أدد بن الهاميسع بن أشجب بن نابت بن قيذار بن إسماعيل ابن إبراهيم خليل الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: وقال بعضهم: معد بن عدنان بن أدد ابن أمين بن شاجب بن نبت بن ثعلبة بن عثر بن بريح بن محلم بن العوام بن المحتمل بن ذائمة بن العقيان بن علة بن مجذر بن عامر بن إبراهيم بن إسماعيل بن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القصور بن عتود بن دعدع بن محمود بن الزائد بن ندوان بن أبابة ابن دوس بن حصن بن النزال بن القمير بن المجشر بن معذر بن صيفي بن نبت بن قيذر ابن إسماعيل ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله. قال أبو عبد الله الزبيري: وأجمع أهل النسب، لا اختلاف بينهم، أن إبراهيم بن آزر بن التاجر بن الشاجع بن الراعي بن القاسم، الذي قسم الأرض بين أهلها، بن يعبر بن السائح بن الرافد بن السائم، وهو سام بن نوح نبي الله، بن قنان بن الطاهر بن هبة الله بن شيث بن آدم أبي البشر، ويقال: ابن شاث بن آدم أبي البشر - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

(١) نسب قریش ٣/١.

٣- كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، شاعرٌ وكاتبٌ وفيلسوفٌ وفقيةٌ، ولد في مدينة قرطبة عام (٣٨٤هـ) وكان يلقب بالقرطبي إشارة إلى مولده ونشأته.

عُمِرَت حياته في صباه بالدرس والتحصيل، فأخذ المنطق عن محمد بن الحسن القرطبي، وأخذ الحديث عن يحيى بن مسعود، وأخذ الفقه الشافعي عن شيوخ قرطبة، ونشأ شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الظاهري حتى عُرف بابن حزم الظاهري. عانى ابن حزم من الفتنة التي شَبَّتْ بقرطبة، ثم ترك قرطبة واستقر بمدينة ألمرية، وكان مشغولاً بهاجس السياسة وإعادة الخلافة للأمويين، ولقي من جزاء ذلك عذاباً كثيراً، فظل يعاني النقي والتشريد بعيداً عن قرطبة، ويحن للعودة إليها، لذلك عاش حياة مليئةً بالحن والمصائب، قضاها مناضلاً بفكره وقلمه، أكثر من أربعين عاماً. ولما سقطت الخلافة الأموية نهائياً بالأندلس وزالت دولة الأمويين، تفرغ ابن حزم للعلم والتأليف، فأثرى المكتبة العربية بمؤلفات مفيدة في مختلف فروع المعرفة من أشهرها: (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، (طوق الحمامة)، (جمهرة أنساب العرب)، (نُقَطُ العروس)، (ورسائله في بيان فضل الأندلس وذكر علمائه).

عُدَّ ابن حزم دُرّةً في تاريخ الأندلس السياسي والفكري والأدبي، ولكن فقهاء عصره حنقوا عليه وألبوا ضده الحاكم والعامّة، إلى أن أُحرقت مؤلفاته ومُرِّقت علانية بإشبيلية، توفي ابن حزم بقرية (متليشم) في الأندلس عام (٤٥٦هـ)^(١).

يعتبر الكتاب معرضاً لأنساب القبائل العربية عدنانيتها وقحطانيتها منذ العصر

(١) نفح الطيب ١/٣٦٤، ومعجم الأدباء ٥/٨٦، والأعلام ٤/٢٥٤.

الجاهلي حتى عصر المؤلف، وهو من أدق كتب النسب وأوسعها على الرغم من مراعاة الإيجاز، ولقد أتيحت لابن حزم إمكانية الاطلاع على كتب الأنساب، وتراجم الرجال، وكتب التاريخ التي ألّفت قبله واستطاع أن يمثلها جميعاً، وأن يستخلص منها هذه الصورة الشاملة التي تستوعب أنساب العرب منذ العصر الجاهلي، وذكر الصحابة والأشراف من آل الرسول ﷺ وذريعتهم، والخلفاء وأبنائهم، ووجوه أصحاب السلطان، مع ربط ذلك بالأحداث السياسية والتاريخية والأدبية التي تتصل بهم، وقد استطاع ابن حزم أن يربط أنساب القبائل العربية التي قطنت الأندلس بجذورها المشرقية، وأن يشير إلى المدن التي استوطنوا فيها حين هجرتهم إلى الأندلس.

فالكتاب لم يكن سرداً للأنساب فحسب، بل أضاف إشارات مهمة إلى كثير من الأحداث التاريخية والقبلية والأدبية، وذكر فيه مواطن القبائل العربية وفروعها في الأندلس خاصة، وفي المشرق والمغرب عامة، ومن هنا كانت فائدة الكتاب متعددة الجوانب من الأنساب، والتواريخ، والأعلام، والبلدان، وأديان العرب وأصنافها في العصر الجاهلي، ولما فرغ من أنساب العرب تحدّث عن أنساب البربر، ثم أتبعها بملخص لأنساب الفرس، إلى فوائد أخرى؛ لذلك كان من بين المصادر الكبرى التي اعتمد عليها ابن خلدون حين ألّف كتابه في تاريخ (العرب والبربر).

للكتاب طبعة بتحقيق المستشرق ليفي بروفنسال، كما طُبِع في دار المعارف بالقاهرة بتحقيق عبد السلام محمد هارون عام ١٩٦٢م، وأعيدت طباعته في الدار نفسها عام ١٩٦٨م.

شاهد من الكتاب:

(هؤلاء ولد عدنان والصريح من ولد إسماعيل عليه السلام:

قال علي: شرطنا أن لا نذكر من ولادات أوائل القبائل وأوساطها إلا من أنسل من العرب، وأما من انقرض نسله فلا معنى لذكره، إلا من كان من الصحابة- رضي الله عنهم- وأبنائهم، وأهل الشرف ونباهة الذكر، فلا بد من ذكرهم؛ أو يدعو سبب إلى ذكر من انقرض عقبه لشهرته أو لبعض الأمر، وإن انقرضت أعقابهم. وبالله تعالى التوفيق.

ولد عدنان: معدّ بن عدنان وعكّ بن عدنان، قيل: اسمه الحارث، وقد قيل: عكّ بن الديث (بالدال غير منقوطة، والشاء التي عليها ثلاث نقط) ابن عدنان. فولد معد بن عدنان: نزار بن معدّ، وإياد بن معدّ، وقنص بن معدّ.

وقد قيل إن ملوك الحيرة من المناذرة وآلهم من ولد قنص، والله أعلم، وقيل وعبيد الرماح بن معد، ذكر أنهم دخلوا في بني مالك بن كنانة، والله أعلم^(١).

٤- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي

هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاريّ القلقشندي القاهري، المؤرخ الأديب، ولد في قلقشنده عام (٧٥٦هـ) (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة، سماها ياقوت قرقشنده) وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء، ونشأ في القاهرة وتوفي فيها عام (٨٢١هـ)، أفضل تصانيفه: (حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم)، (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان)، (ضوء الصبح المسفر) (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) (صبح الأعشى في صناعة الإنشا)^(٢).

(١) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم ٩/١.

(٢) كشف الظنون ١٦٢٢، والأعلام ١٧٧/١.

ألّف الفلقشندي الكتاب من مقدمة ومقصد وخاتمة، ووضح خطّته في كلّ منها مع شرح محتواها، أما المقدمة فقد قسمها إلى خمسة فصول وذكر فيها أموراً يُحتاج إليها في علم الأنساب ومعرفة القبائل، وتحدّث فيها عن علم الأنساب وفائدته والحاجة إليه، كما حدد مفهوم العرب ومن يندرج تحت اسمهم، ثم تحدّث عن طبقات الأنساب ومساكن العرب قديماً .

وأما في المقصد، وهو صلب الكتاب فقد قسّمه إلى فصلين تحدّث في أولهما عن عمود النسب النبوي وما يتفرع منه من الأنساب، وفي الثاني تحدّث بتفصيل عن القبائل العربية، وقد صنّف القبائل في هذا الفصل على أساس الترتيب المعجمي الألفبائي. وفي الخاتمة تعرض إلى ذكر ديانات العرب ومفاخرهم وحروبهم وأسواقهم. طُبِع الكتاب في جزء واحد بتحقيق علي الخاقاني عن دار البيان في بغداد عام ١٩٥٨م، كما طُبِع في القاهرة بتحقيق إبراهيم الأبياري عن الشركة العامة للطباعة والنشر عام (١٩٥٩م) في جزء واحد.

شاهد من الكتاب:

في فضل علم الأنساب وفائدته ومسيس الحاجة إليه:

(لا خفاء أن المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة، لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية، والمعالم الدينية، فقد وردت الشريعة المطهرة باعتبارها في مواضع.

منها: العلم بنسب النبي ﷺ وأتّ النبي القرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر منها إلى المدينة، فإنّه لا بدّ لصحة الإيمان من معرفة ذلك، ولا يُعذر مسلمٌ في الجهل به وناهيك بذلك.

ومنها: التعارف بين الناس حتى لا يعتزى أحد إلى غير آبائه، ولا ينتسب إلى سوى أجداده، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ وعلى ذلك تترتب أحكام الورثة فيحجب بعضهم بعضاً، وأحكام الأولياء في النكاح فيقدم بعضهم على بعض، وأحكام الوقف إذا خص الواقف بعض الأقارب أو بعض الطبقات دون بعض، وأحكام العاقلة في الدية حتى تضرب الدية على بعض العصابة دون بعض وما يجري مجرى ذلك، فلولا معرفة الأنساب لفات إدراك هذه الأمور وتعذر الوصول إليها..... وقد روي أنه ﷺ قال: قدّموا قریشاً ولا تتقدموها.

قال أصحابنا الشافعية: فإن لم يوجد قرشي اعتبر كون الإمام كنانياً من ولد كنانة ابن خزيمه، فان تعدد اعتبر كونه من بني إسماعيل عليه السلام^(١).

٥- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لكحالة

هو عمر بن رضا كحالة الدمشقي، عالم، فاضل، واسع المعرفة، أحد المكثرين من التأليف في العصر الحديث، ولد في دمشق سنة (١٣٣٢هـ) لأسرة تتمهن التجارة، وتعلم في المدرسة التجارية والسلطانية ومكتب عنبر، وتعلم على بعض علماء دمشق، وانصرف إلى العمل في المجال العلمي، وهو أحد الكتاب المعاصرين في القرن العشرين، كان عالماً موسوعياً، وقد ظل قرابة ثلاثة عقود من الزمن مديراً لدار الكتب الظاهرية بدمشق - وهي آنذاك دارها الوطنية التي تضم كنوز المخطوطات النادرة والكتب المطبوعة الشاملة وتدرج في سلم الوظيفة إلى أن كان مديراً لها بالوكالة، وأتاح له عمله فيها الانصراف إلى المطالعة والدراسة والتأليف والتحقيق، وعرف من خلال وجوده فيها عدداً كبيراً جداً من العلماء والأدباء من مسلمين وعرب ومستشرقين، الأمر الذي أتاح له الحصول على مخزون ثقافي وعلمي عالي الشأن

(١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٦/١ - ٧.

فانتُخب عضواً في المجمع العلمي العراقي، ومجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بمصر، ومُنح وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى، توفي كحالة في دمشق عام (١٩٨٧م).
ومن مؤلفاته: معجم قبائل العرب، وموسوعة أعلام النساء، والمنتخب من مخطوطات المدينة، وسيف الله خالد بن الوليد^(١).

استوفى كحالة في كتابه (معجم قبائل العرب) القبائل العربية قديمها وحديثها وفروعها إلى أفخاذها وبطونها من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، واقتصر من أهل العصر الحديث على الذين توفوا فقط، ورتّبها في تسلسل معجمي ألفبائي وصف خلاله كلّ قبيلة متحدثاً عمّا اشتهرت به، وعمّا قيل فيها ذاكراً للمراجع التي استقى منها معلوماته عن هذه القبائل.

طُبِعَ الكتاب بالمكتبة الهاشمية في دمشق عام ١٩٤٩م في ثلاثة أجزاء، كما طبع طبعة ثانية في بيروت عام ١٣٨٨هـ في ثلاثة أجزاء، كما طبع في مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٩٩١م في خمسة أجزاء خصص الخامس منها للمستدرك الذي سجل فيه ما فات ذكره في الطبقات السابقة.

شاهد من الكتاب:

(ومعجمنا هذا المسمى بمعجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الذي نقدمه للقراء، هو أحد تلك المعاجم التي تعين المؤلفين والباحثين على الدرس والتنقيب، وترشدتهم بسهولة إلى مطلبهم دون أن يتكبدوا عناءً عظيماً، أو يضيعوا وقتاً طويلاً. يبحث معجمنا في القبائل العربية وأفخاذها، قبل الإسلام، وبعده، إلى عصرنا هذا، في نجد، والحجاز، واليمن، وحضر موت، وعمان، والنواحي التسع المحمية، والعراق، ومصر، وسورية، ولبنان، وفلسطين، وشرقي

(١) الموسوعة العربية دمشق، مج ١٦/١١١.

الأردن، وإفريقية الشمالية، وغيرها من البلدان العربية والإسلامية، وضم معجمنا عدداً كبيراً من العشائر وبطونها، فذكرنا أصولها، وفروعها، وجبالها، وأوديتها، ومياهاها، وتاريخها، وعبادتها، وذيّلنا كل مادة بالمصادر التي اعتمدناها، كما أثبتنا في آخر المعجم ثبوتاً بأسماء المراجع، يُبين طبعاتها وبالحتم نشكر المكتبة الهاشمية، على ما بذلت من جهد في سبيل نشر هذا المعجم، فقدمت بذلك خدمة جُلّى للتاريخ والأدب، فجزاها الله عنهما خير جزاء، وأدامها لهما ذخراً.

عمر رضا كحالة دمشق في: ١٩ رمضان ١٣٦٨هـ - ١٥ تموز ١٩٤٩م.

باب الهمزة- الآءة: بطن من شنوءة من الأزد، من القحطانية، وهم بنو الآءة، واسمه الحصاصة بن عمرو بن كعب بن الغطريف الأصغر بن الغطريف الأكبر بن بكر بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن نصر بن الأزد، ونصر هو شنوءة. (نهایة الأرب في معرفة قبائل العرب للقلقشندي مخطوط ق ٤٤ - ١)^(١).



(١) معجم قبائل العرب ١/١.

البَابُ الْخَامِسُ

المصادر التاريخية والجغرافية والرحلات



الفصل الأول

المصادر التاريخية

تاريخ الطبري للطبري

الكامل في التاريخ لابن الأثير

البداية والنهاية لابن كثير

تاريخ ابن خلدون لابن خلدون

تاريخ دمشق لابن عساكر



المصادر التاريخية:

مقدمة في علم التاريخ

تعدد مفهوم علم التاريخ لدى المؤرخين، لكنهم انطلقوا من قاعدة واحدة تقوم على أن التاريخ يعني: ذلك العلم الذي يبحث في قيام المجتمعات المتحضرة، وأسباب قيام حضاراتها، ثم انهيارها، وبهذا يُعدّ علم التاريخ علماً يعتمد على حصيلة تجارب الناس في البيئات والأزمان المختلفة التي تستفيد من هذا العلم بقراءة الأحداث الماضية المتصلة بواقع اليوم المعاصر في البيئات المختلفة، ومنه تُخطط لما ينبغي أن يكون عليه مستقبلها؛ وبهذا يكتسب علم التاريخ الصفة العلمية كبقية العلوم الإنسانية في المجالات المختلفة لارتباطه بهذه العلوم بعلاقة تكاملية.

فعلم التاريخ أحد العلوم الجمعيّة التي تُعنى بدراسة ماضي الأمم والشعوب والجماعات ومظاهرها الاجتماعية في كل بيئاتها وأماكنها، وأزمانها، وأحوالها الثقافية والاقتصادية، والسياسية، إجمالاً وتفصيلاً، لذا يقوم أهل الدّراية بدراسة وثائقه المكتوبة والآثار التي تحكي في جملتها قصة الماضي، وبناءً على هذه الدراسة التي يُفترض أنها قائمة على قواعد علمية ومعرفية مقررّة، فإنّ ما يتوصل إليه علماء التاريخ، يُعتمد كونه دراسة علمية ما استوفت الدراسة الشروط العلمية والمعرفية المقرّرة، بعد التحقيق والتصويب لكي تُصدّق عليها مؤسسات متخصصة في القطر المعني بالأمر، أو مؤسسات إقليمية، أو دولية.

وتتجلى أهمية علم التاريخ في أمور عدّة نجملها فيما يلي:

- فهم أفراد الأمة حقيقة ما جرى في بلدانهم لسبب ما.
- استخلاص الدّروس والعبر بمعرفة الأسباب لما سَطَرَ به تاريخ بلدانهم في الماضي.
- استخلاص الدّروس والعبر بمعرفة الأسباب لما تَسَطَّر به تاريخ بلدانهم في الحاضر.

١ - كتاب تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) للطبري

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المحدث الفقيه المؤرخ الجامع لأشتات العلوم، ولد بآمل بطبرستان عام (٢٢٤هـ)، وفيها تلقى علومه ثم انتقل إلى الرّي ومنها إلى بغداد، ويُقال إنه حفظ القرآن وله سبع سنين، وصلى بالناس وهو ابن ثماني سنين، وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين، وما إن أحس والده برجاحة عقله ونزوعه إلى العلم ورغبته في لقاء العلماء، حتى دفعه إلى الرحلة في سبيل العلم، وكان أبوه ورعاً تقياً موسراً، له ضيعة واسعة يملكها بطبرستان، فكفاه مؤونة العيش واستمنح الملوك والوزراء، وزهّده في مناصب الدولة، وأعاناه على الانقطاع إلى المدارس والرواية والتصنيف، جال الطبري في نواحي كل فنّ، وضرب فيها جميعها بسهم، حتى أصبح إمام عصره، لكن أكثر ما اشتهر به في عصره علوم الفقه والتفسير والحديث والقراءات.

ومن مؤلفاته: (جامع البيان في تفسير القرآن) المعروف بتفسير الطبري، (اختلاف الفقهاء)، (المسترشد)، (تاريخ الرسل والملوك) المعروف بتاريخ الطبري. توفي الطبري في بغداد، سنة (٣١٠هـ) ودُفن في داره التي كان قد بناها، واجتمع على جنازته خلق كثير^(١).

قسّم الطبري كتابه إلى قسمين رئيسيين: فالقسم الأول يبحث في الخليقة ذاكراً أن الله سبحانه خلق القلم ثم ما بعده من مخلوقات، ثم تحدّث عن آدم عليه السلام وهبوطه وقصة هابيل وقايل وقصص الأنبياء والرسل وأخبار الملوك الذين عاصروهم، خاصة منهم ملوك الفرس، كما أرّخ للأمم كالفرس والروم والعرب البائدة وملوك اليمن، وتحدّث عن أجداد النبي ﷺ.

(١) وفيات الأعيان ١٩١/٤، ومعجم الأدباء ٤٢٣/٦، والبداية والنهاية ١١/٤٥، والأعلام ٦/٦٩.

وتناول في القسم الثاني من كتابه التاريخ الإسلامي منذ عهد الرسول ﷺ مفصلاً في سرد سيرته، مُسلسلاً الأحداث بحسب السنوات بدءاً من السنة الأولى للهجرة حتى عام (٣٠٢هـ)، ذاكراً باستفاضةٍ جميع ما وقع فيها.

ونلاحظ أن الطبري اتّبع في كتابه المنهج التالي:

١- اعتماده على طريقتين اثنتين في سرد التاريخ: طريقة الحوليات (أي سرد الأخبار وفق السنين)، وطريقة الموضوعات.

٢- اعتماده على الروايات، فقد أسند أخباره إلى رواها وصولاً إلى صاحب الحدث، وكان لا يعطي رأياً فيما يرويهِ إلا في القليل النادر.

٣- الإكثار من إيراد النصوص الأدبية من الخطب والرسائل والشعر والمحاورات في أثناء الأحداث ومناسباتها.

٤- الحيادية والنزاهة فالطبري لم يَمَلْ مع الأهواء في إيراد الأخبار وتسجيله الأحداث، متوخياً الدقة العلمية والورع في أداء الخبر.

٥- عدم سرد الطبري لأحداث عصره وما عاينه وعاشه، فقد جاءت أخباره هذه سريعةً موجزةً خلافاً للمتوقع.

٦- الاهتمام بالتاريخ السياسي في المقام الأول، وعدم العناية بكثير من الجوانب الحضارية فقد شُغل عنها بالأحداث والوقائع والأمم والحكام.

ومن ذلك كلّهُ نجد أن الكتاب كان موسوعةً تاريخيةً تشتمل على الجَمِّ الغفير من المادة التاريخية وما خالطها من تفسير، وحديث، ولغة، وأدب، وشعر، وخطب، حتى عُذَّ من أوائل المصنّفات التاريخية ذات الطابع العلمي رغم النّقد الذي وجهه إليه بعض المؤرخين لإيراده الإسرائيليات من الأخبار، والأوهام الخرافية المتعلقة ببدء الخلق وقصص

الأنبياء دون تمحيص، فألقى الطبري تلك المهمة على من نقل عنهم. ورغم ذلك فقد حافظ الكتاب على قيمته بما حظي به من اهتمام الكثيرين الذين اعتبروه حلقة هامة في سلسلة التأليف التاريخي، فقد أكمل جهود سابقه ومهد الطريق لمن جاؤوا بعده.

طُبِعَ الكتاب عدة طبعات استشرافية وعربية منها طبعة دار المعارف في القاهرة ما بين ١٩٦٠ - ١٩٧٨ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم في (١١) جزءاً، و طبعة مكتبة خياط ببيروت ١٩٦٥م.

شاهد من الكتاب:

القول في ابتداء الخلق ما كان أوله:

(صَحَّ الْخَبْرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ - وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ آدَمَ بْنِ أَبِي إِسَاسٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ - عَنْ أَيُّوبَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ، قَالَ أَبِي عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الصَّامِتِ: (يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ).

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَوَّامِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَطَاءً، قَالَ: سَأَلْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ: كَيْفَ كَانَتْ وَصِيَّتُهُ أَبِيكَ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ؟ قَالَ: دَعَانِي فَقَالَ أَيُّ بُنَيَّ، أَتَقِي اللَّهَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ، وَلَنْ تَبْلُغَ الْعِلْمَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، (إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ أَكْتُبِ الْقَدَرَ، قَالَ: فَجَرَى

أَلْقَلَمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ^(١).

٢ - كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير

هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري، المؤرخ الإمام، من علماء النسب والأدب.

ولد في جزيرة (ابن عمر) عام (٥٥٥هـ) ونشأ فيها، ثم سكن الموصل وبعدها تجول في البلدان مرتحلاً في طلب العلم ثم عاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها عام (٦٣٠هـ)، تاركاً مؤلفات كثيرة منها: «اللباب في تهذيب الأنساب»، «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، «تاريخ الدولة الأتابكية»، «تاريخ الموصل»، «الكامل»^(٢).

يقع كتاب (الكامل في التاريخ) في اثني عشر مجلداً، رتبها ابن الأثير وفق السنين، بدأ فيه بالحديث عن بدء الخليقة، واستمر في ذلك حتى ظهور الإسلام، ومن ظهور الإسلام بدأ تصنيفه للحوادث بحسب تسلسل السنوات حتى عام (٦٢٨هـ).

وقد جعل ابن الأثير تاريخ الطبري أساساً في تأليفه بالنسبة للفترة التي غطاها ذلك الكتاب، فعول عليه، وذلك لثقته الشديدة بالمؤلف، وأثبت كل التراجم التي وردت فيه لم يُنخل منها بواحدة، أما روايات الأسانيد فإنه كان يوحدها في رواية واحدة بعد أن يقابل الروايات التي أوردها الطبري والتي وقعت له.

أما الفترة التي جاءت بعد كتاب الطبري، وتعادل أربعة قرون فقد غطاها بما اطلع عليه من الكتب أو ما سمعه من الروايات أو ما شهدته بنفسه.

(١) تاريخ الطبري ٣٢/١ - ٣٣.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٤٨، والأعلام ٤/٣٣١.

والكتاب مصدر مهمّ لغزوات المغول، وللحروب الصليبية فقد سجّل الكثير من دقائق ما كان يجري إيّان تلك الفترات الحافلة من التاريخ.

وابن الأثير يملك حسّاً تاريخياً نامياً ويستقصي أحياناً الأسباب ويُحسن تعليلها وقد اعتبر سقوط غزّة بيد الصليبيين عام (٤٩١هـ) بدايةً لهجوم ذي ثلاث شعب شنه العالم المسيحي على العالم الإسلامي في صقلية والأندلس وفي الشرق.

وقد اتبع ابن الأثير في كتابه منهج التسجيل الحوليّ، وذكر الأحداث الصغرى، وبعض الوفيات في كلّ سنة، أما الأحداث المهمة فيعطيه عناوينها ضمن السنة ويترجم للأعيان والعلماء الذين توفوا في تلك السنة، ولا يخرج من سنة إلى أخرى إلا عند الحاجة إلى الربط، وخوف تفرّق الخبر، كما وازن بين أخبار المشرق والمغرب والأندلس، مما أعطى كتابه صفة التاريخ العام، وميزه على كثيرٍ من الكتب الأخرى، خاصّةً أن ابن الأثير لم يُهمل الحوادث المحليّة في كل إقليم، وأخبار الظواهر الجوية كالقحط والأوبئة والزلازل والكسوف والخسوف، وبعض الجوانب الاقتصادية من أخبار غلاء الأسعار ورخصها.

طُبِعَ الكتاب عدة طبعات منها طبعة ليدن بتحقيق نورنبرغ عام (١٨٥١ م) في أربعة عشر جزءاً (١٤)، طُبِعَ الكتاب أكثر من طبعة واحدة بـ ليدن، ومنها طبعة صدرت في دار صادر ببيروت عام (١٩٦٥ م) في ثلاثة عشر جزءاً (١٣).

شاهد من الكتاب:

(ذِكْرُ الْوَقْتِ الَّذِي ابْتَدِئَ فِيهِ يَعْمَلُ التَّارِيخُ فِي الْإِسْلَامِ)

(قِيلَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرَ بِعَمَلِ التَّارِيخِ وَالصَّحِيحِ الْمَشْهُورِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَمَرَ بِوَضْعِ التَّارِيخِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْجَعِيَّ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ: إِنَّهُ يَأْتِينَا مِنْكَ كُتُبٌ لَيْسَ

لَهَا تَارِيخٌ. فَجَمَعَ النَّاسَ لِلْمَشُورَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِخْ لِمَبْعَثِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِخْ لِمُهَاجَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُؤَرِّخْ لِمُهَاجَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَإِنَّ مُهَاجَرَتَهُ فَبَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، قَالَ الشَّعْبِيُّ.

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: رُفِعَ إِلَى عُمَرَ صَكٌّ مَحْلُهُ شَعْبَانُ، فَقَالَ: أَيُّ شَعْبَانٍ؟ أَشَعْبَانُ الَّذِي هُوَ آتٍ أَمْ شَعْبَانُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ؟ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ضَعُوا لِلنَّاسِ شَيْئًا يَعْرِفُونَهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اكْتُبُوا عَلَى تَارِيخِ الرُّومِ فَإِنَّهُمْ يُؤَرِّخُونَ مِنْ عَهْدِ ذِي الْقُرْنَيْنِ. فَقَالَ: هَذَا يَطُولُ. فَقَالَ اكْتُبُوا عَلَى تَارِيخِ الْفُرْسِ. فَقِيلَ: إِنَّ الْفُرسَ كُلَّمَا قَامَ مَلِكٌ طَرَحَ تَارِيخَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ. فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنَّ يَنْظُرُوا كَمْ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْمَدِينَةِ، فَوَجَدُوهُ عَشَرَ سِنِينَ، فَكَتَبُوا مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -^(١).

٣ - كتاب البداية والنهاية لابن كثير

هو أبو الفداء إسماعيل القرشي البصري الدمشقي، حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام عام (٧٠١هـ) وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة (٧٠٦هـ) ورحل منها إلى بلدان عديدة طلباً للعلم، وتوفي بدمشق عام (٧٧٤هـ). تناول الناس تصانيفه في حياته ومنها: تفسير القرآن الكريم، اختصار علوم الحديث، اختصار السيرة النبوية، شرح صحيح البخاري، البداية والنهاية^(٢).

البداية والنهاية كتاب في التاريخ العام، يؤرِّخ فيه للعالم منذ بدء الخليقة ويسرد

(١) الكامل في التاريخ ١/١٢.

(٢) البداية والنهاية ١٤/٣٢٤، والأعلام ١/٣٢٠.

تواريخ الأمم الغابرة حتى أيام العرب في الجاهلية، واعتمد في توثيق أخبار الأمم القديمة على نصّ من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف، كما اعتمد في رواية التاريخ الإسلامي على كتابات عدد من المؤرخين الموثوقين كالطبري وابن الأثير والواقدي. وقد رتب تاريخ الأمم الغابرة بحسب الموضوعات، أما التاريخ الإسلامي فرتبه بحسب السنوات ابتداءً من بدء الدعوة الإسلامية إلى ما قبل وفاته بسنوات حيث انتهت سنوات الكتاب عند عام (٧٦٧هـ).

وفي التاريخ الإسلامي عني بسيرة الرسول ﷺ عنايةً شديدة، ثم بتسلسل ذكر الدول مرتبة على السنوات بادئاً بالعهد الراشدي فالأموي فالعباسي، مع ذكر الممالك والدول التي تكونت أيام الضعف والانحطاط.

وقد ضمّن المؤلف كتابه أهم الوفيات، فكان في نهاية حوادث كل سنة يثبت وفيات من مات فيها من مشاهير الناس وأعيانهم.

طُبِعَ الكتاب في مطبعة السعادة بمصر ما بين أعوام ١٩٢٩م و١٩٣٩م في (١٤) أربعة عشر جزءاً، وطبع في القاهرة بمطبعة الفجالة باشتراك مع مكتبة الفلاح بالرياض عام ١٩٦٣ وظهر منه جزآن بتحقيق الشيخ محمد عبد العزيز النجار.

وطُبِعَ في مكتبة المعارف ببيروت مع مكتبة النصر بالرياض بإشراف جمهور من المحققين، وذلك في سبعة مجلدات اشتملت على (١٤) جزءاً.

شاهد من الكتاب:

الإسلام قبل الهجرة- (المجلد الثالث)

(باب كيفية بدء الوحي إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذِكْرُ أَوَّلِ شَيْءٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، كَانَ ذَلِكَ وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً. وَحَكَى

ابن جرير عن ابن عباس وسعيد بن المسيب: أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة.

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التَّعبُد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله. ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك فقال اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق ٩٦: ١ - ٥] فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد. فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبداً^(١).

٤ - تاريخ ابن خلدون لابن خلدون

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، الحضرمي الإشبيلي، المؤرخ، الأديب الرحالة، الكاتب المشهور، الفصيح العاقل، الصادق، جميل الصورة، الأبي الطامح إلى المراتب العليا. ولد في تونس عام (٧٣٢هـ) ونشأ فيها، ثم رحل إلى الأندلس، وهناك تولى مناصب عدة حيث اعترضته دسائس ووشايات، عاد بعدها إلى تونس، ثم توجه منها إلى

(١) البداية والنهاية، مج ٢/٣ - ٣.

مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق وولاه قضاء المالكية، ثم توفي فيها فجأة في القاهرة عام (٨٠٨هـ).

ومن مؤلفاته: (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) المعروف بتاريخ ابن خلدون، و(شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق)^(١).
سمى ابن خلدون كتابه بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر).

والكتاب مكون من سبعة مجلدات في أغلب طبعاته، الجزء الأول للمقدمة التي سنخصصها بالحديث لاحقاً لأهميتها، أما الأجزاء الأربعة التالية فهي في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة حتى عصر المؤلف، والجزءان الأخيران في تاريخ البربر ومن غلبهم حتى عصره، وآخر ما فيه الرحلة التي سجل فيها ابن خلدون سيرة حياته بقلمه، ودون في أثناء ذلك أخبار أسفاره، غرباً إلى (المغرب الأقصى والأندلس)، وشرقاً إلى (مصر والشام والحجاز) وتعدّ رحلته هذه من كتب التراجم الذاتية الجيدة.

والكتاب حسن التصنيف، يشمل أحداث الزمان موجزة إلى عصره، وهو يتقصى أخبار كل دولة ويتبّعها منذ بدايتها حتى نهايتها، كما أنه من أهم المراجع في تاريخ الأندلس والمغرب لصلته بهذه الأقطار من جهة، ولإطلاعه المباشر على كل ما أُلّف فيها وما أُلّف حولها من جهة أخرى، ولمعرفته بأحوال البربر وما كتب عنهم.

وأشهر ما في تاريخ ابن خلدون مقدمته التي تعدّ بحق أساساً لعلم التاريخ وفلسفته وعلم الاجتماع، وقد لقيت شهرةً واسعةً وعكف الناس منذ القدم على دراستها ورفع شأنها بكثيرٍ من الاستحسان والإطراء حتى طغت شهرتها على الكتاب نفسه، وابن خلدون يتعرض

(١) نفح الطيب ٤/٤١٤، والوافي بالوفيات ٢٢/٢٥٧، والأعلام ٣/٣٣٠.

فيها لكثير من القضايا التي تتصل بأسلوب تسجيل التاريخ وقيام المجتمعات وتطور الحضارات، ويعالجها بنظر ثاقب وب عقل منهجي، فقد تعرّض فيها لمشاكل التاريخ وطرق تدوينه، والأخطاء التي يقع فيها المؤرخون، كما تعرّض للدول والحضارات وأسباب نشوئها وعوامل اضمحلالها، وجاء خلال ذلك بآراء ونظريات تتصل بعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ، محاولاً دائماً الكشف عن القوانين التي تنظم الظواهر الاجتماعية، وقد عدّه كثير من المنصفين مؤسساً لعلمين حديثين يزعم كثير من الأوروبيين أنهما من المنجزات الفكرية الأوروبية، وهذان العلمان هما فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع.

وقد تُرجمت مقدمة ابن خلدون لأهميتها إلى عدد كبير من اللغات منها الفرنسية والإنكليزية والألمانية.

وقد طُبِع الكتاب عدة طبعات منها طبعة بولاق في (٧) مجلدات عام (١٢٨٤هـ)، ومنها طبعة دار الكتاب اللبناني عام (١٩٤٧ م) في (٧) مجلدات، مع فهرس كاملة من إعداد أسعد داغر.

وطُبعت المقدمة منفصلة عن الكتاب عدّة طبعات منها: طبعة بولاق، عام ١٨٦٨م، وطبعة دار الكتاب اللبناني بيروت عام (١٩٦٧م).

شاهد من الكتاب:

المقدمة في فضل علم التّاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها:

اعلم أنّ فنّ التّاريخ فنّ عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتّى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدّين والدّنيا فهو محتاج

إلى مآخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة، وحسن نظر وتنبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحقّ، وينكبان به عن المزلاتّ والمغالط؛ لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرّد الثقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السّياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنسانيّ ولا قيس الغائب منها بالشّاهد والحاضر بالذّاهب فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصّدق، وكثيراً ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمة الثقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرّد الثقل غثاً أو سميئاً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النّظر والبصيرة في الأخبار، فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ولا سيّما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطيّة الهذر ولا بدّ من ردها إلى الأصول، وعرضها على القواعد^(١).

٣ - كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر

هو أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي الشافعي الحافظ المعروف بابن عساكر. ولد سنة (٤٩٩هـ) في مدينة دمشق أخذ العلم والفقه منذ حداثة سنه بدمشق حيث عاش في بيت جليل، وقد كان أبوه الحسن بن هبة الله شيخاً صالحاً قاضياً عدلاً محباً للعلم مقدّراً للعلماء مهتماً بأمور الدين والفقه، وكان للبيئة التي نشأ فيها الحافظ بن عساكر أثر كبير في اتجاهه نحو العلم ونبوغه فيه، فقد ترعرع في بيت قضاء وحديث وفقه.

كان أبو القاسم كثير العلم، غزير الفضل، حافظاً متقناً ديناً، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم، جمع بين معرفة المتون والأسانيد، وصحيح القراءة، مثبت جمع ما لم يجمعه غيره، وأربى على أقرانه.

(١) تاريخ ابن خلدون، ١/١٣.

حتى قال عنه النووي: هو حافظ الشام بل هو حافظ الدنيا، الإمام مطلقاً الثقة الثّبت.

توفي ابن عساكر سنة (٥٧١هـ)، ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير، ومن أشهر مؤلفاته: إتحاف الزائر، الإشراف على معرفة الأطراف، الأمالي في الحديث، تاريخ المزة، تاريخ دمشق^(١).

لم يقتصر الحافظ ابن عساكر على التأريخ لمدينة دمشق في مرحلة ما أو في عصره فقط، بل شمل كتابه تاريخ مدينة دمشق منذ العصر الجاهلي؛ حيث يترجم لرجال من الجاهليين والمخضرمين عرفوا دمشق وأعمالها أو حلّوا بها أو اجتازوا بنواحيها من واردتها وأهلها، ثم يؤرخ للسيرة النبوية بجوانبها، وما كان فيها من أحداث وذلك حين يبدأ كتابه بسيرة النبي ﷺ، ويخصص لذلك نصف المجلد الثاني، ثم يترجم للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ولمن كان حولهم ومعهم تراجم طويلة مستوفاة، فتأتي هذه التراجم وكأنها تاريخ للعصر كلّه بالكثير من دقائقه التي لا نجد بعض مادتها عند غيره، والتي لا تمتد في بلاد الشام وحدها بل في أقطار الإسلام كلّها، وهكذا إلى عصره، وكذلك فهو لم يخصّ مدينة دمشق أو نواحيها فقط، بل تعداها في الكلام إلى غيرها؛ فكتب عن بلاد الشام كلّها، ومن الطبيعي أن يكون تاريخ دمشق أغنى المصادر عن تاريخ الأمويين، فتاريخ الأمويين ليس تاريخهم فحسب، وإنما هو تاريخ العرب والمسلمين في الفترة التي كانت فيها دمشق عاصمة الدولة العربية الإسلامية.

يقول د. شكري فيصل في مقدمة الكتاب: إن المؤلّف لا يقدم لنا تاريخاً دمشقياً ولا تاريخاً شامياً فحسب، وإنما يقدم تاريخاً حضارياً لهذه البلاد كلّها التي انتشر فيها

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٠٩، وفوات الوفيات ١/٢٧٥، والأعلام ٤/١١.

الإسلام، وسادت فيها العربية، وانساحت فيها مهاجرة العرب المسلمين بين أقصى الشرق فيما وراء النهر وبين أطراف المحيط.

ولقد خصّ الحافظ المجلد الأول بفضائل الشام وفتوحها عامة، وذكر مساجدها وكنائسها وأبوابها ودورها وأنهارها وقنواتها، ثم بدأ بالترجمة لكل من دخلها أو اجتاز بنواحيها من أنبيائها وهداتها وخلفائها وولاها وفقهائها وقضاها وعلمائها ورواتها وقرائها ونحاتها وشعرائها.

ولم يكن تاريخه أول تاريخ لدمشق والشام، ولم يكن (تاريخ دمشق) الأول من نوعه بين كتب تاريخ المدن. وقد انتهى من تصنيفه في مرحلته الأولى سنة (٥٤٩ هـ) وبلغ (٧٥) جزءاً، ثم أخذ يزيد فيه ويضم إليه ما يستجد عنده حتى تَمَّت نسخته الجديدة والمؤلفة من ثمانين مجلداً سنة (٥٥٩ هـ).

كما أن الكتاب يعد موسوعةً في الأدب شعراً ونثراً، فضلاً عن أنّ الحافظ ابن عساكر نفسه شاعرٌ أديبٌ، وهو ينقل من مصادر لم تصلنا، فتاريخه وسيط بين عصرنا وعصر أسلافه، وكثيراً ما ينقل علماء القرنين السادس والسابع عنه كابن الأثير في تاريخه (الكامل)، والذهبي في تاريخه (تاريخ الإسلام) وفي كتابه (سير أعلام النبلاء)، وابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية).

ويمتاز تاريخ دمشق عن التواريخ التي سبقته، أنه أوسعها مادةً وأشملها توجهاً، وقد يكون هذا الكتاب أوسع تواريخ المدن، وهو أيضاً من أوسع المصادر في تراجم الرجال، حتى ليُجرّد منه كتبٌ على حدةٍ في موضوعات مختلفة كولاة دمشق مثلاً وقضاها وشعرائها، ومنه يُستخرج أحسن تاريخ لبني أمية سكنت معظم التواريخ عنه، وهو إلى ذلك حوى عدّة كتب مستقلة فكلّ طالب يظفر فيه بطلبته ويجد فيه ما لا يجده في كتاب غيره، لأنّ ابن عساكر يمتاز بالتّحري والبسط والاستقصاء وتتبع النّوادر في سير

المترجم لهم وأخبارهم؛ وكأن الحافظ ابن عساكر أراد أن يؤرخ للعالم العربي والإسلامي على امتداد رقعته الجغرافية شرقاً وغرباً من خلال تلك المشكاة المشعة دمشق الشام، فكان بتاريخه الكبير الموسوعي الفذ، شيخ المؤرخين ومؤرخ الحفاظ والمحدثين.

أما طباعة الكتاب فقد تبنى مجمع اللغة العربية بدمشق مشروع طبع هذا السفر العظيم، فطبع المجلد الأول في (١٩٥١م)، والقسم الأول من المجلد الثاني سنة (١٩٥٤م) بتحقيق الدكتور (صلاح الدين المنجد)، وصدر المجلد العاشر سنة (١٩٦٣م) بتحقيق الشيخ (محمد أحمد دهمان)، وآخرون كثيرون تابعوا جهودهم في طباعة المجلدات المتبقية، وطُبع الكتاب كاملاً بتحقيق: عمر بن غرامة العمروي، ونشرته دار الفكر سنة (١٤١٥هـ).

شاهد من الكتاب:

عن دمشق والشام

(فصل في اشتقاق تسمية دمشق وأماكن من نواحيها وذكر ما بلغني من الأقوال التي قيلت، ودفع إلي أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي ببغداد كتاب اشتقاق أسماء البلدان لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي وعليه خطه فوجدت فيه وأما دمشق فيقال: إنها من دمشق، وناقدة دمشق أي سريعة قال:

وصاحبي ذات هباب دمشق كأنها بعد الكلال زورق
ويقال دمشق الضرب دمشق إذا ضرب ضرباً سريعاً خفيفاً، أخبرنا أبو غالب أحمد ابن الحسن بن أحمد البنا... دمشق فعل من قول العرب ناقدة دمشق الخطو إذا كانت خفيفة الخطو.

قال عبد الرحمن بن حنبل الحجيمي وهو بعسكر يزيد بن أبي سفيان عند حصارهم

دمشق:

أبلغ أبا سفيان عنا بأننا على خير حال كان جيش يكوها
وإننا على بابي دمشق نرتمي وقد حان من بابي دمشق حينها
وفي الرقعة أيضاً أنَّ النافقة السريعة يقال لها: دمشق، والمرأة السريعة اليد في العمل، فكتبت
تحت هذا جائر للشاعر يحتمل له ولا سيما إذا قصد بدمشق إلى مدينة فزاد هاء تأكيداً
للتأنيث^(١).



(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩/١ - ٢٠.

الفصل الثاني

المصادر الجغرافية

وكتب الرحلات



الجغرافيا كلمة ذات أصل يوناني ومعناها صورة الأرض، وعلم الجغرافيا يختص بدراسة أحوال الأرض، ووصف ما فيها من جبال، وبحار، وأنهار، وأودية، ودراسة خطوط الطول والعرض، وبيان أحوال الكائنات الحيّة فيها من نبات وحيوان وإنسان، وما يتعلّق بالبشر من حيث مواطنهم، ونشاطاتهم العمرانية والزراعيّة.

اهتم العرب بالجغرافيا منذ بداية حركة التأليف، فوضعوا مصنفات وصفوا فيها البلدان والأقاليم، والمظاهر الطبيعيّة بالاعتماد على رحلاتهم ومشاهداتهم، وما ألفه السابقون منهم في هذا الجانب، ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين الرحلات وتصنيف الكتب الجغرافية.

وقد نشط التصنيف في المصادر الجغرافية منذ اتّسع رقعة الدولة العربيّة الإسلاميّة نتيجة الفتوحات، وانتشار الإسلام في المشرق باتجاه العراق وخراسان، وفي المغرب والأندلس، وفي الشمال باتجاه أواسط وشرق آسيا، فقد كانت الحاجة مُلِحّة لمعرفة البلدان الجديدة وتسهيل الأمور الإداريّة على الولاة، وعمّال الجباية وغيرهم، ولتسهيل طرق التجارة والحجّ، ولتيسير أمور البريد، وتوسيع خدماته، إلى جانب ارتباط الرحلات العلميّة أو الدنيّة أو التجاريّة بضرورة معرفة المسالك البريّة والبحريّة، والاطلاع على الأحوال العمرانيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والبشريّة في الأقاليم المتعددة، ثمّة أمر مهم آخر يتعلّق بطلاب العلم ودارسي الأدب الذين لابدّ لهم من معرفة أسماء البلدان والأماكن الواردة في الأشعار والأخبار، وضرورة توضيحها بدقة.

لذلك سنقف على أهم وأشهر المصادر الجغرافية التي لابدّ للباحث في المكتبة العربيّة، من معرفتها والاطلاع عليها.

تشارك معظم المصادر الجغرافية في وصف الأقاليم والمدن من حيث تحديد الموقع، وخطوط الطول والعرض، والمساحة، والمظاهر الطبيعيّة، والتضاريس، والسكان وغير ذلك،

فبعض هذه الكتب اتخذ طابعاً علمياً جغرافياً بحثاً، وبعضها الآخر تضمّن شيئاً من اللمسات الأدبية، والفوائد الثقافية التي سنشير إليها في موضعها.

صفة جزيرة العرب للهَمْدَانِي (٣٣٤هـ)^(١)

هو أبو محمّد الحسن بن أحمد الهَمْدَانِي، أصله من قبيلة هَمْدَان اليمنية، وكان يلقب بابن ذي الدُّمينة، وبلسان اليمن، وبالنسابة، وبابن الحائك، فقد كان جدّه شاعراً يحوكم الكلام، وكان الهَمْدَانِي مؤرخاً، نسابة، أديباً، شاعراً مكثراً، محبّاً للتنقّل بين البلدان.

اشتغل أهله في نقل الحجّاج من صَعْدَة باليمن إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهذا ما مكّنه من الاطلاع على مساحات واسعة من الجزيرة العربية، والالتقاء بعدد من علمائها، لذلك صنّف كتابه (صفة جزيرة العرب) الذي وصف فيه الجزيرة العربية، وأورد فيه ما رآه وسمعه فيها معتمداً على لقاءه المباشر بالحجّاج والمسافرين من جهة، وعلى المصادر التراثية في اللغة والأدب من جهة ثانية.

بدأ الهَمْدَانِي كتابه بمقدمة جغرافية ضمّنها طرائق تحديد الطول والعرض، ووصف فيها الأقاليم السبعة، ثم انتقل إلى القسم الكبير من الكتاب وهو المتعلق بوصف جزيرة العرب، إذ قدّم وصفاً وافياً للمظاهر الطبيعية فيها، وللسكّان، والقبائل، والكائنات الحية والأماكن المختلفة فيها، وجعله ضمن خمسة أبواب رئيسية هي: تهامة، الحجاز، نجد، العَرُوض، اليمن، وقد استفاد في وصف اليمن بكل ما فيها من جبال، وأودية، وصحراء، وآبار، وأشجار، ومعادن، وحيوانات، وقصور، وقرى وغير ذلك، وقدم ذلك بدقّة بالغة، وتفصيل واضح؛ لأنها بلده التي خبرها وحفظها عن ظهر قلب.

حاز الكتاب مكانة مهمة ومميّزة ضمن المصادر الجغرافية في المكتبة العربية، فهو مصدر

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء للحموي ٩/٣، وإنباه الرواة للقفطي ٢٩٧/١، والأعلام للزركلي ١٧٩/٢.

مهم لمعرفة الجزيرة العربية من جميع جوانبها، وقد استفاد منه الجغرافيون والمؤرخون والأدباء من بعده، منهم ياقوت الحموي، ومازال مصدراً لا يستغنى عنه في هذا الجانب.

طبع الكتاب أول مرة في القاهرة بتحقيق محمد بن عبد الله بن بلهيد النجدي، ثم طبع في اليمن، وصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني في صنعاء بتحقيق محمد بن علي الأكوع.

كتاب البلدان لابن الفقيه (٣٤٠هـ)^(١)

هو أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه، جغرافي أديب، من مصنفاته: البلدان، مختصر كتاب البلدان.

تحدث في كتابه عن خلق الأرض وما فيها من مظاهر طبيعية متنوعة، ثم وصف مجموعة من المدن، ومنها: مكة، الطائف، المدينة المنورة، اليمامة، وتحدث أيضاً عن البحرين، واليمن، ومصر، والمغرب، والشام، والعراق، وتناول في حديثه بلاد الروم وفارس.

وقد أورد كثيراً من الأخبار والأشعار، وتحدث عن الجد والهزل، وناقش فكرة الاغتراب، وأتى على ذكر الجانب العمراني في البلدان، ولعله أراد من ذلك دفع الملل الذي قد يتسلل إلى القارئ من المادة الجغرافية البحتة.

اعتمد في كتابه على عدد من المصادر الجغرافية مثل (المسالك والممالك) لابن خردادبة. الكتاب مطبوع، له طبعة استشرافية ناقصة، وطبعة أخرى من تحقيق د. يوسف الهادي، وصادرة عن دار عالم الكتب ببيروت سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(١) انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ١٥٤، ومعجم الأدباء للحموي ٦٣/٢، والأعلام للزركلي ٢٠٨/١.

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (٣٩٠هـ)^(١)

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، رحالة جغرافي، ولد في القدس (بيت المقدس)، ونشأ فيها، ارتحل كثيراً، وزار كثيراً من الأقاليم الإسلامية في الشرق والغرب.

ضمّن كتابه حصيلة مشاهداته وتنقلاته بين البلدان، وجعله في ثلاثة أقسام، تناول في القسم الأول منه منهجه في الكتاب، ومآخذه على من سبقه، ووقف عند المصطلحات الجغرافية، وبعض المذاهب والفرق الدينيّة، وفي القسم الثاني تحدّث عن الأقاليم العربيّة، أما القسم الثالث فقد خصّصه للأقاليم الأعجمية في بلاد الإسلام.

تحدّث المقدسي في كلّ إقليم عن التقسيمات الإدارية، والأوضاع الزراعيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والبشريّة فيه، واستعان بالخرائط لتوضيح معالم البلدان، وحدودها، ولوّنها بألوان متعددة، وجعل كل لون رمزاً لشيء محدّد.

أما مصادر المقدسي في كتابه فهي ثلاثة: المشاهدة والمعاينة، والسماع من الثقات، والكتب السابقة لكتابه، وهو يتصف بالدقة والحرص على تدوين الأخبار الغريبة، والملاحظات الشخصية.

للكتاب طبعة استشرقية أشرف عليها المستشرق الهولندي دي جويه عام ١٨٧٨م، وله طبعة استشرقية أخرى اعتنى بها المستشرق دي جويه والمستشرق دوزي عام ١٩٠٦م، وأعيد طبع الكتاب في بيروت تصويراً عن الطبعة السابقة.

(١) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٣١٢/٥.

معجم ما استعجم للبكري (٨٧هـ)^(١)

هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، يمتد نسبه إلى قبيلة بكر بن وائل، وهو سليل أسرة عريقة لها مكانتها في الأندلس أيام حكم ملوك الطوائف.

كان البكري أديباً لغوياً جغرافياً مؤرخاً، من مؤلفاته: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام، سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي، التنبيه على أوهام أبي علي القاضي في أماليه، المسالك والممالك، معجم ما استعجم، الإحصاء لطبقات الشعراء.

الكتاب معجم جغرافي يصف فيه البكري جزيرة العرب وما فيها من آثار، ومدن، وجبال، وأودية، ويتحدث عن القبائل العربية فيها، وتاريخ انتقالها من مكان إلى آخر، ويذكر أسماء المواضع والأماكن في الجزيرة مرتبة بحسب التسلسل الهجائي مراعيًا في ذلك الحرفين الأول والثاني فقط بعد تجريد الكلمة من الزوائد، وكان يحرص على تقديم تعريف واف بالموضع، ويهتم بالضبط الدقيق لاسم الموضع الذي يتحدث عنه دفعاً للتصحيف والتحريف، ويبيّن مواضع ورود ذلك الاسم في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر والأمثال والأخبار.

تتجلى أهمية الكتاب في غزارة المادة الجغرافية، ودقة الضبط، والاعتماد على بعض نسخ الكتب التي كتبها العلماء بأيديهم.

للكتاب طبعة استشرافية في ألمانيا، بعناية المستشرق وستفلد، أبقى فيها على الترتيب المغربي الأندلسي لحروف الهجاء^(٢)، وله طبعة أخرى بتحقيق مصطفى السقا، وصادرة عن مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة ١٩٤٥م ضمن أربعة أجزاء.

(١) انظر ترجمته في الصلة لابن بشكوال ٢٨٢، وبغية الوعاة للسيوطي ٢٨٥، والأعلام للزركلي ٩٨/٤.

(٢) والترتيب هو أ ب ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي ولكنه ألحق

بالكتاب فهرس شاملة لأسماء المواضع مرتبة بحسب الترتيب الهجائي المؤلف في المشرق.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (٥٦٠هـ)^(١)

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، كان أديباً مؤرخاً جغرافياً رحّالة، ولد في سبته، ونشأ وتعلم في قرطبة، وزار كثيراً من الأماكن في أوروبا والدولة الإسلامية، من مصنفاته: روض الأنس ونزهة النفس.

يعرف كتابه (نزهة المشتاق) بكتاب روجر الثاني وبالكتاب الروجري؛ لأن الإدريسي ألفه استجابة لطلب روجر الثاني ملك صقلية وإيطاليا، وقد بدأه بمقدمة تحدّث فيها عن اهتمام روجر الثاني بعلم الجغرافيا، ورغبته في اقتناء كتاب يتضمّن وصفاً دقيقاً للأقاليم السبعة، وكل ما يتصل بها من مظاهر طبيعية، وأحوال بشرية واقتصادية واجتماعية، ثم تحدّث الإدريسي عن الأرض من حيث كرويتها، وخطوط الطول والعرض فيها، ومحيطها، وأقاليمها السبعة وبحورها وأنهارها.

قسّم كل إقليم إلى عشرة أجزاء بحسب خطوط الطول والعرض، وتحدّث في كل إقليم عن الممالك والمدن والسكان، ووضع لكل جزء مصوراً (خارطة) فبلغ عددها سبعين مصوراً مع مصوّرين للقطين الشمالي والجنوبي.

الكتاب ذو طابع جغرافي واضح، ولكنه يشتمل على بعض الإشارات التاريخية والأخبار في بعض المواضع.

أبدى المستشرقون اهتماماً واضحاً بالكتاب فقد طبع في روما وباريس، وله طبعة مصوّرة عن الطبعة الأوروبية، وهي منشورة في القاهرة، وصادرة عن مكتبة الثقافة الدينية، وله طبعة منشورة في بيروت، وصادرة عن دار عالم الكتب في سنة ١٩٨٩م، وهي خالية من المصوّرات.

(١) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ١/١٦٣، والأعلام للزركلي ٧/٢٤.

معجم البلدان لياقوت الحموي (٥٦٢٦هـ)

هو ياقوت بن عبد الله الحموي، وقفنا على ترجمته عند دراسة كتاب (معجم الأدباء)، ومعجم البلدان من أكثر المصادر الجغرافية التصاقاً بالباحثين والدارسين المختصين في الأدب والجغرافيا والتاريخ، وهو معجم لأنه رتب المادة الجغرافية فيه ترتيباً هجائياً.

وقد اتبع في الكتاب المنهج التالي:

١ - بدأ ياقوت كتابه بمقدمة، وألحق بها خمسة أبواب قبل أن يبدأ بعرض مواد الكتاب، ففي المقدمة تحدّث عن أهمية علم الجغرافيا، والحاجة إليه، وذكر أسماء عدد من العلماء الذين وضعوا مصنفات في الأماكن والبلدان، وأورد أسماء كتبهم، ويبيّن أن بعض طلاب العلم التمسوا منه اختصار الكتاب، لكنّه أبى أن يقوم بذلك حرصاً على اكتمال الفائدة، وذكر أنه أهدى نسخة من كتابه إلى القاضي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني.

أمّا الأبواب الخمسة فقد تناول فيها ما يلي:

الباب الأول: تحدّث فيه عن صورة الأرض وما قاله المتقدمون والمتأخرون في هيئتها.

الباب الثاني: تحدّث فيه عن معنى (الإقليم) ودلالته.

الباب الثالث: وضّح فيه المقصود من مفردات معينة كالبريد، والفرسخ، والميل، وغيرها...

الباب الرابع: في بيان حكم الأراضي المفتوحة في الإسلام، وحكم قسمة الفيء والخراج، فيما فُتح صلحاً أو فتح عنوةً.

الباب الخامس: أورد فيه مجموعة من أخبار البلدان وخصائصها، وهو

باب صغير.

ثم بدأ بعد هذه الأبواب بمواد كتابه، فأوردها ضمن ثمانية وعشرين باباً على عدد حروف الهجاء مراعيًا الجوانب التالية في طريقة التعريف بالبلدان.

٢- لم يجرّد ياقوت أسماء المواضع والبلدان وغيرها من زياداتها، وإنما رتبها على هيئة رسمها وكتابتها، واحتج لذلك بأن في الكتاب ألفاظاً أعجمية لا سبيل إلى التغيير في صيغتها.

٣- راعى الدقة التامة في ضبط الأسماء، وحاول تفسيرها، وشرح سبب التسمية في بعض المواضع.

٤- حدّد طول البلد وعرضه إذا كان من البلدان المشهورة.

٥- ذكر البلدان التي تشترك في الاسم نفسه.

٦- أورد ما جاء في البلد المذكور من قرآن كريم، أو حديث شريف، أو شعر، أو مثل، أو خبر إن وُجد ذلك.

٧- ذكر بعض الأعلام الذين اشتهروا في البلد المذكور، وترجم لهم في بعض المواضع، كما ذكر أسماء القبائل العربية التي لها صلة بالموضع الذي تحدّث عنه.

٨- لم يكتف بذكر أسماء البلدان، وإنما ذكر أسماء الجبال، والأودية، والبحار، والأنهار، والبقاع، وغير ذلك من المظاهر الطبيعية، والتضاريس.

اعتمد ياقوت في كتابه على مصادر كثيرة منها: كتب قدماء فلاسفة اليونان، والكتب التي ألّفها علماء المسلمين في المسالك والممالك والبلاد العربية، إلى جانب دواوين الشعراء القدماء والمحدثين، كما استفاد كثيراً ممّا شاهده في رحلاته وأسفاره.

طبع الكتاب عدّة طبعات، منها طبعة استشرافية في ليبزيغ بألمانيا سنة ١٨٧٣م،

ومنها عربية أشهرها صادرة عن دار صادر ببيروت مرتين، المرة الأولى في سنة ١٩٩٣م والمرة الثانية في سنة ١٩٩٥ ضمن خمسة مجلدات.

انتقى ياقوت من كتابه (معجم البلدان) ما اتفق من أسماء البقاع لفظاً وخطاً، ووافق شكلاً ونطقاً، واقترب مكاناً ومحلاً، واختلف صقلاً ومحتلاً^(١)، وأورد تلك الأسماء ضمن كتاب سماه (المشترك وضعاً والمفترق صقلاً) ورتبه على ترتيب معجم البلدان، وهو مطبوع.

وقد اختصر (معجم البلدان) عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (٧٣٩هـ) ضمن كتاب سماه (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) وهو مطبوع.

آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (٦٨٢هـ)^(٢)

هو أبو يحيى زكريا بن محمد بن محمود، يمتد نسبه إلى الصحابي الجليل أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، أصله من قزوين في بلاد فارس، وقد طاف في بلاد فارس والعراق والشام وفيها درس الصوفية، وتأثر بالشيخ المتصوف محيي الدين بن عربي، كان القزويني مؤرخاً جغرافياً، وتولى القضاء زمن الخليفة المستعصم في واسط والحلة حتى سقوط بغداد في أيدي المغول، وللقزويني كتابان مهمّان هما: (آثار البلاد وأخبار العباد) و(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) الذي تناول فيه الظواهر الفلكية، والظواهر الطبيعية في الأرض، وتحدث عن بني البشر وتناول مخلوقات أخرى كالجن والغيلان.

أما كتابه آثار البلاد وأخبار العباد فهو معجم جغرافي يبحث في جغرافية الأرض، وقد جعل القزويني له ثلاث مقدمات:

(١) العبارة لياقوت الحموي.

(٢) انظر ترجمته في كشف الظنون لحاجي خليفة ٩/١، والأعلام للزركلي ٤٦/٣.

الأولى: في الحاجة الداعية إلى إحداث المدن والقرى، **والثانية:** في خواصّ البلاد، **والثالثة:** في أقاليم الأرض.

وقد بيّن أن عدد الأقاليم المأهولة بالسكان يبلغ سبعاً، وتحدّث عن كلّ إقليم على حدة، وفي كلّ إقليم ذكر ما فيه من بلاد، وبحار، وأنهار، وبحيرات، وجزر، ومدن، وجبال، وبيّن المساحة وخطوط الطول والعرض، وراعى في ذلك كله الترتيب الهجائي، ولم يقتصر فيه على البلاد الإسلامية، وإنما ذكر البلاد الأوربية أيضاً.

في الكتاب كثير من الأشعار والأخبار التي استقها القزويني من المصادر الأدبية المتنوعة، وثمة أخبار وحكايات ذات طابع خرافي عجائبي نقلها عن المصادر أو الرواة، ولم يقطع بصحتها إذ كان يذكر عبارة (والله أعلم).

«وقد نقل القزويني في كتابه الكثير مما كتبه سابقوه من الجغرافيين المسلمين، والتقى بالكثير من الرخالة، وقرأ آثارهم، وأفاد من مشاهداتهم، وخاصة ما يتعلّق بالأندلس والبلاد الأوربية»^(١).

للكتاب طبعة استشرافية بعناية المستشرق فرديناند وستنفلد في عام ١٨٤٨م، وله طبعة عربية صادرة عن دار صادر، ودار بيروت، سنة ١٩٦٠م، وثمة مصادر جغرافية أخرى تناول فيها أصحابها المسالك والممالك والبلدان، نذكر منها:

المسالك والممالك لابن خرداذبة (٣٠٠هـ)، والمسالك والممالك للاصطخري (٣٢٨هـ)، والمسالك والممالك للبكري (٤٨٧هـ) والروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (٧٢٧هـ).

من المصادر التي تمت بصلة وثيقة إلى المصادر الجغرافية وكتب البلدان كتب الرحلات أو الرّحل التي يجب الوقوف على أهم ما أُلّف فيها؛ للاطلاع على جهود الرّخالة العرب في

(١) أعلام الجغرافيين العرب لعبد الرحمن حميدة، ص ٥٠٤.

هذا الجانب، ومعرفة طرائقهم في عرض حصيلة تجاربهم في الارتحال ضمن مصنفات لاقت كثيراً من الإقبال والاستحسان.

كتب الرحلات

عرف العرب الرحلات منذ العصر الجاهلي، إذ قاموا برحلات الشتاء والصيف اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم^(١)، فرحلوا إلى الشام واليمن، ووسّعوا نطاقها فتوجهوا إلى العراق، وزاروا الولايات المشرقية البيزنطية، وتنقلوا في داخل الجزيرة العربية، ومع قدوم الإسلام وفد أهل البوادي وغيرهم على النبي الكريم، ثم انتشرت الفتوحات الإسلامية، فكانت دافعاً للرحالة المسلمين إلى القيام برحلات مكنتهم من الاطلاع على بلاد وحضارات، وثقافات لا عهد لهم بها.

لم يُعَنَّ العرب بتدوين رحلاتهم في العصر الجاهلي، فكل ما وصلنا عنها لا يتعدى أخباراً أو إشارات في بعض الأشعار، وكتب الأدب، ولكنهم دَوَّنوها في العصور الإسلامية، فذكروا جغرافية البلدان، وأحوال السكّان، والمظاهر الطبيعية المتعددة الألوان^(٢).

شكّلت هذه المدونات جانباً مهماً من جوانب التصنيف التي عرفها العرب؛ لاشتمالها على معلومات قيمة متعلقة بالأصقاع والبلدان المختلفة، وكل ما يرتبط بها من الجوانب العلمية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتاريخية، والجغرافية، ولدالاتها على جهود أصحابها، في مواجهة مصاعب الرحلة، وتخطّي المعوقات والتحديات، ولإشارتها أيضاً إلى الأسباب المتعددة^(٣) التي دفعتهم إلى القيام بالرحلات، وشجعتهم على ركوب أمواج الخطر، وتذليل الصعاب لتحقيق ما تصبو إليه نفوسهم.

(١) في سورة قريش.

(٢) انظر أدب الرحلة عند العرب لحسني محمود حسين ١٣، ٩.

(٣) ثمة أسباب دفعت الرحالة إلى القيام برحلاتهم أهمها: الدينية، العلمية، الاقتصادية، السياسية، الشخصية.

من الطبيعي أن تلقى الرحلات المدونة إقبالاً من الناس، لأهمية ما تشتمل عليه من الجوانب الكثيرة المتنوعة المرتبطة بالبلدان والمدن، ولكونها مصدراً لكثير من المعلومات التاريخية والجغرافية، كما أنها سجلّ لذكريات الرحّالة في حلوها ومرّها، ويسرها وعسرّها، وأحداثها المتنوعة.

من الرحلات التي عرفها أدبنا العربي: رحلة سلام التزجمان، ورحلة ابن موسى المنجم في القرن الثالث الهجري، ورحلة سليمان السيرافي، ورحلة يعقوبي، ورحلة ابن فضلان، ورحلة المقدسي، ورحلة ابن حوقل، ورحلة أبي دلف في القرن الرابع الهجري، ورحلات البيروني في القرن الخامس الهجري، والرحلات التي قام بها الرحالة المغاربة كرحلات الإدريسي، وابن جبير البنسي، وأبي حامد الغزنائي في القرن السادس الهجري، ورحلات عبد اللطيف البغدادي، وياقوت الحموي في المشرق في القرن السابع الهجري، ورحلات ابن سعيد المغربي، وأبي محمد العبدري في المغرب، ورحلات ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري، ورحلة الظاهري، ورحلة يوحنا يونس الإفريقي، ورحلة الملك قايتباي في القرن التاسع الهجري.

سنقف عند أهم وأشهر الرحلات التي عرفها أدبنا العربي بحسب التسلسل الزمني لظهورها.

رحلة ابن فضلان (من رجال القرن الرابع الهجري)^(١)

هو أحمد بن فضلان بن العباس، كان فقيهاً متبحراً في العلوم الشرعية الإسلامية، ويبدو أنه كان مقرّباً من الخليفة العبّاسي المقتدر بالله الذي بويع بالخلافة سنة ٢٩٥ هـ وقتل سنة ٣٢٠ هـ.

سبب الرحلة أن ملك الصقالبة^(١) (المش بن يلطوار) أرسل كتاباً (رسالة) إلى الخليفة

(١) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١٩٥/١.

المقتدر بالله يسأله فيه أن يرسل إليه بعثة لتكون مهمتها «أن تفقهه في الدين، وتعرفه شرائع الإسلام، وتبني له مسجداً، وتنصب له منبراً يقيم عليه الدعوة للخليفة (المقتدر) في جميع مملكته»^(٢)، وتنشئ له حصناً يتحصن فيه من الملوك المخالفين له»^(٣)، فاستجاب الخليفة لرغبته، وأرسل إليه وفداً مؤلفاً من خمسة أشخاص، كان أحمد بن فضلان منهم، ورئيساً عليهم.

بدأت الرحلة من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩هـ، واستمرت سنة وشهر، إذ وصلت البعثة إلى مملكة الصقالة يوم الأحد ١٢ محرم ٣١٠هـ، وقد دَوّن فيها ابن فضلان أخبار الرحلة، ووصف البلدان التي مرّت بها، والطرق التي سلكتها.

بدأ خط سير الرحلة من بغداد، ليتجه شمالاً إلى همدان والري (في بلاد فارس)، ليعبر نهر جيحون ويبلغ بخارى، ويتوغل في البراري والبوادي ليصل إلى نهر الفولغا في مملكة الصقالة (وهي روسيا اليوم).

ولهذه الرحلة أهمية واضحة تظهر في مجموعة من الجوانب، منها:

- إن رحلة ابن فضلان من أقدم الرحلات التي وصلت إلينا، وصاحبها ابن فضلان من أوائل الرحالين العرب المسلمين وأقدمهم، ولعله أول رحالة عربي زار بلاد الترك والخزر والصقالة، وقَدّم وصفاً دقيقاً لكل ما شاهده فيها.
- تضمنت الرحلة معلومات قيّمة ومهمّة من النواحي التاريخية والاجتماعية

(١) هم سكان الشمال في أوربة، استقروا في أطراف نهر الفولغا، ومملكة الصقالة كانت تقع في بلاد روسيا اليوم، والصقالة شعب مسلم، عاصمتهم على مقربة من قازان وهي عاصمة البلغار.

(٢) انظر رحلة ابن فضلان ٣١.

(٣) هم ملوك الخزر من اليهود الذين كانوا يعيشون في مملكته فساداً، وقد طلب ملك الصقالة ذلك بسبب تبرّكه بأموال المسلمين لا بسبب افتقاره إلى المال.

والاقتصادية والبشرية في تلك البلاد، ووجه الأهمية يظهر في أن تاريخ الروس والبلغار لم يلق اهتماماً من المؤرخين الغربيين في الزمن القديم، فكانت رسالة ابن فضلان مصدراً مهماً ألقى الضوء على جوانب مهمة في تاريخ أولئك الشعوب، ووضّح كثيراً من الحوادث التاريخية، والعادات والتقاليد، واللباس والمأكل والمشرب، ومظاهر الحياة والمعيشة، وسياسة الحكام ووصفها وصفاً دقيقاً، واستفاض في عرضها.

● في الرسالة إشارة مهمة إلى أهمية بغداد من الناحية السياسية، فقد تمت الرحلة في زمن كانت شهرة العاصمة العباسية قد طارت في الآفاق، وانتشرت في الأصقاع، وهذا ما دفع ملك الصقالبة إلى الاستعانة بالخليفة العباسي ليحقق له مطلبه.

● تمتاز الرسالة ببلاغة أسلوب صاحبها، وجودة عباراتها، ودقة أوصافها، وبراعة التصوير فيها على نحو يعكس مشاعره المتضاربة بحسب المشاهد والأحداث التي عاينها، فكأنه أراد أن ينقل القارئ إلى تلك الأمكنة، ليشاهد ما يجري فيها.

● كانت الرسالة منهاجاً استقى منه كل من ابن الفقيه الهمداني في كتابه (البلدان) - وكان معاصراً لابن فضلان - وياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) كثيراً من المعلومات التاريخية والجغرافية.

أبدى الروس اهتماماً واضحاً بالرسالة، فقد ترجمت إلى الروسية منذ عام ١٨٠٠م، وترجمت إلى لغات أخرى، منها الإنكليزية والألمانية، وقام بتحقيقها الباحث التركي زكي طوغان، ونشرها سنة ١٩٣٩م بالعربية، ونشرت مصوّرة عن أصلها العربي ثلاث مرات، وصدرت عنها دراسات وتراجم كثيرة بلغات أجنبية متعددة.

قام الدكتور سامي الدهان وهو من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيقها، والتقديم لها بمقدمة ضافية، وقد نشرها مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٣٧٩هـ -

١٩٥٩م، ثم طبعتها وزارة الثقافة والإرشاد القومي سنة ١٩٧٧م في سلسلة المختار من التراث العربي.

رحلة ابن جُبَيْر (٦١٤هـ)^(١)

هو محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكِنَافِي الأندلسي، أصله من بلنسية، وسكن مدينة شاطبة، وانتقل إلى مدينة فاس، كان رحالة أديباً شاعراً، كريم الأخلاق، له ديوان شعر عنوانه (نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان)، وديوان آخر في رثاء زوجته أم المجد عنوانه (نتيجة وَجَد الجوانح في تأبين القرين الصالح)، توفي بالإسكندرية.

إن رحلة ابن جبیر التي اشتهرت ضمن ما وصلنا من كتب الرحلات هي واحدة من ثلاث رحلات قام بها ابن جبیر إلى بلاد المشرق العربي، وهي الرحلة الوحيدة التي دَوَّن أخبارها، وسجَّل أحداثها ضمن كتاب عنوانه (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار)^(٢)، وكان الدافع للقيام برحلته هو أداء فريضة الحج التي كانت مطلب جلّ المرتحلين من المغرب العربي إلى المشرق العربي.

أما الرحلة الثانية فسببها مرتبط بانتصار السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين وفتح بيت المقدس، الأمر الذي أدخل السرور إلى قلب ابن جبیر، وشجعه على القيام برحلة في سنة ٥٨٥هـ إلى المشرق وزيارة بيت المقدس، فبدأها من غرناطة، ومرّ بمالقة، وسبتة، وفاس.

الرحلة الثالثة مرتبطة بوفاة زوجته أم المجد، فقد اعتصر الألم قلبه، وترك وفاتها جرحاً

(١) انظر ترجمته في نفح الطيب للمقري ٥١٥/١، ٥٧٥، وشذرات الذهب لابن العماد ٦٠/٥، والأعلام للزركلي ٣١٩/٥.

(٢) وردت هذه العبارة في مقدمة ابن جبیر لرحلته، وثمة عنوان آخر يرى بعض الباحثين أنه قد يكون عنوان الرحلة وهو (اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك).

عميقاً في نفسه؛ لذلك أراد التخفيف من أحزانه عن طريق القيام برحلة إلى الحجاز ليحجّ فيها، وقد توفي في هذه الرحلة حيث كان في الإسكندرية سنة ٦١٤ هـ.

سقف عند رحلته الأولى التي دوّنها لشهرتها وأهميتها، إذ زار فيها مصر والعراق والشام، وشبه الجزيرة العربية، وصقلية، وصورها في كتابه تصويراً دقيقاً يتفاوت طولاً وقصراً بحسب المدة الزمنية التي قضاها في تلك البلدان، والانطباع الذي تركته في نفسه، والأهمية التي رأى أنها تستحقها، وقد قام بها بين عامي ٥٧٨ هـ و ٥٨١ هـ.

كان يهتم بوصف المدن من حيث مرافقها، وآثارها، وطبيعتها، ومظاهرها العمرانية والحضارية وسكانها، والعادات والتقاليد والأخلاق، وأحوال الناس، وكان يتحدث عن أوضاع المغاربة في البلدان التي مرّ بها، ويشير إلى الأوضاع السياسيّة والاجتماعية فيها، وكان دقيق الملاحظة، صادق التعبير، حريصاً على نقل المشاهد كما عاينها تماماً، وهذا كله أكسب الرحلة أهمية ظهرت في الجوانب التالية:

● **أهميتها التاريخية:** فهي مصدر مهم تضمّن مجموعة من الأحداث السياسيّة التي واكبت سير الحياة في المشرق، كالحروب الصليبية، والأوضاع السياسية للمسلمين في ظل حكم الملك غليوم (وليم الصالح) في صقلية.

● **أهميتها ضمن كتب الرحلات المؤلفة بعدها،** فقد اقتبس منها أشهر الرحالة العرب الذين قاموا برحلاتهم بعد ابن جبير، منهم ابن بطوطة عند وصف دمشق وحلب في رحلته، والبلوي (خالد بن عيسى) الذي وصف الإسكندرية، والقاهرة، ومكة، والمدينة في رحلته أيضاً، والعبدري حين وصف في رحلته مكة والمدينة، فرحلة ابن جبير من أقدم الرحلات التي وصلت إلينا من المصنفات الأندلسية والمغربية إبان حكم الموحدين.

● **أهميتها الأدبية:** فقد وصف البلدان، ونقل صور المدن والأماكن والآثار بأسلوب

أدبيّ مشرق أبرز مقدرته الأدبية، واعتماده على المحسنات البليانية والبديعية، من ذلك وصفه مدينة رأس العين إذ قال^(١):

«هذا الاسم لها من أصدق الصفات، وموضوعها به أشرف الموضوعات، وذلك أن الله تعالى فجّر أرضها عيوناً، وأجراها ماءً معيناً، فُتُقْسِّمَت مَذَانِب، وانسابت جداول تنبسط في مروج خضر، فكأنها سبائك اللجين ممدودة في بساط الزبرجد، تحف بها أشجار وبساتين، قد انتظمت حافتيها إلى آخر انتهائها من عمارة بطائحتها».

لقد ظهرت الروح الأدبية في الرحلة من قدرة ابن جبير على جعل القارئ يشعر بشخصية المؤلف، وبمشاعره، وبمواقفه المختلفة تبعاً لأحداث الرحلة، فكأن ابن جبير يسرد مذكراته التي أراد منها تقديم الفائدة والمتعة معاً.

• أهميتها من النواحي السياسية والاجتماعية والجغرافية والطبيعية والبشرية والعمرانية، فقد نقل ابن جبير الوقائع والمشاهد والأخبار المتعلقة بتلك النواحي بدقة ووضوح. طبعت رحلة ابن جبير طبعات متعددة، وترجمت إلى الإنكليزية والفرنسية والإيطالية، وقد طبعت في القاهرة وبيروت وبغداد غير مرة، ومن طبعات مصر واحدة بتحقيق د. حسين نصّار، وهي صادرة عن دار مصر للطباعة ١٩٩٢م.

رحلة ابن بطوطة (٧٧٩هـ)^(٢)

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحّالة مؤرخ، نشأ في أسرة محبة للعلوم الدينيّة، وكان أبوه قاضياً، درّسه الفقه والعلوم والأدب، وابن بطوطة لقب له.

(١) رحلة ابن جبير ٣٠٢.

(٢) اللواتي نسبة إلى قبيلة لواتة، والطنجي نسبة إلى مدينة طنجة المغربية التي ولد فيها ٧٠٣هـ، انظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر ٤٨٠/٣، والأعلام للزركلي ٢٣٥/٦.

كان قد عزم على أداء فريضة الحج في عام ٧٢٥هـ، فبدأت منذ ذلك التاريخ رحلته التي جاب فيها أرجاء العالم الإسلامي، وطاف في بلدان أفريقيا وآسيا وأوروبا.

إنَّ رحلته المشهورة برحلة ابن بطوطة هي ثلاث رحلات استغرقت مدّة زمنية طويلة، وانتهت في عام ٧٥٦هـ حين عاد إلى المغرب، واستقر في مدينة فاس عند السلطان ابن عنان المريني، حيث أُملى أخبار رحلاته على أحد العلماء والأدباء وهو محمد بن جُزَيّ الكلبي، وأسمّاها: (تحفة النُّظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، واشتهرت برحلة ابن بطوطة، وظل ابن بطوطة مقيماً عند السلطان المريني حتى وافته المنية في عام ٧٧٩هـ.

● في رحلته الأولى اتَّجه نحو المشرق، فانطلق من طنجة في المغرب الأقصى، ومَرَّ بالجزائر وتونس وطرابلس، ووصل إلى الإسكندرية، ثم توجَّه إلى بلاد الحجاز عن طريق مصر، لكنّه لم يستطع متابعة طريقه لظروف سياسيّة، فعاد إلى سيناء وغزّة، ودخل بلاد الشام وتوجه منها إلى الحجاز، وبقي فيها حتى أدّى فريضة الحج، ثم غادرها ليزور بلاد العراق وفارس وتركستان وما وراء النهر وبعض مدن الهند والصين وأواسط أفريقيا، كانت هذه الرحلة الطويلة بين عامي ٧٢٥هـ و ٧٥٠هـ.

● في الرحلة الثانية اتجه بعد عودته إلى المغرب نحو جبل طارق وغرناطة ومالطة، وقد شارك آنذاك في الجهاد ضد دولة قشتالة وحلفائها، كانت هذه الرحلة بين عامي ٧٥١هـ و ٧٥٢هـ.

● في الرحلة الثالثة توجه إلى السودان وغربي أفريقيا، ووصل إلى أعالي نهر النيجر، كانت هذه الرحلة بين عامي ٧٥٣هـ و ٧٥٤هـ.

لرحلة ابن بطوطة أهمية خاصّة؛ لأنها أطول الرحلات زمنًا، وأكثرها اتساعاً، فهي مصدر مهم لكثير من الجوانب السياسية والتاريخية والجغرافية، والاجتماعية والعلمية والدينية

والعمرانية، فقد وصف ابن بطوطة البلدان التي زارها من جميع تلك الجوانب، وأشار إلى ناحية مهمة تتعلق بتشجيع الملوك والأمراء والحكام الذين التقاهم في أسفاره، ولقي منهم الدعم المادي والمعنوي، وبيّن تقديرهم لجهوده وعلومه بتعيينه في بعض المناصب كالقضاء والفتيا والسفارة.

وقد أشرنا سابقاً إلى أن الرحلة من إملاء ابن بطوطة ومن صياغة ابن جُزَيّ، والأسلوب فيها بعيد عن الصنعة الفنية والمحسّنات البيانية والبديعية، باستثناء بعض العبارات التي ظنّ الدارسون أن ابن جزي نقلها عن ابن جبير، وتأثر بأسلوبه المسجع فيها.

لقيت رحلة ابن بطوطة كثيراً من اهتمام الباحثين في الغرب والشرق، وترجمت إلى لغات أجنبية كثيرة، وطبعت طبعات متعددة، منها طبعة استشرافية في باريس ١٨٥٨م، و طبعة في مصر سنة ١٨٧١م، ولها طبعة في بيروت بتحقيق الدكتور علي المنتصر الكتاني، وهي صادرة عن مؤسسة الرسالة سنة ١٩٧٠م، و طبعة أخرى في المغرب سنة ١٩٩٧م بتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي، وهي صادرة عن أكاديمية المملكة المغربية.

رحلة البلويّ (المتوفى نحو ٧٦٥هـ)^(١)

هو أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلويّ الأندلسي، ينتهي نسبه إلى قبيلة بليّ، إحدى قبائل قُضاعة، ولد في الأندلس، ونشأ في أسرة محبة للعلم، ومكارم الأخلاق، كان والده قاضياً، وقد تلقى عنه الكثير من علومه ومعارفه، وحصل ثقافته من بعض علماء الأندلس والمغرب.

للبلوي ثلاث رحلات، فقد ارتحل إلى المغرب طلباً للعلم، وارتحل إلى المشرق لأداء

(١) انظر ترجمته في نفع الطبيب للمقري ٥٩٦/١، وشجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف ٢٢٩، والأعلام للزركلي

٢٩٧/٢، وفيه وفاته بعد ٧٦٧ هـ.

فريضة الحج وهي الرحلة التي دوّن أحداثها، وارتحل أيضاً إلى شرقي الأندلس بغية التقاء العلماء والأخذ عنهم.

أما رحلته التي دوّنها بقلمه، فقد بدأها سنة ٧٣٦هـ قاصداً بيت الله الحرام في الحجاز، وأتمها سنة ٧٤٠هـ، واللافت فيها أنه كتبها في أثناء قيامه بأسفاره، فلما عاد إلى الأندلس شدّها وهذّبها، ونقحّها وعرضها على العلماء وسمّاها: (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق).

تظهر أهمية الرحلة في اشتغالها على الجانبين العلمي والاجتماعي، إذ تحدّث البلوي فيها عن مظاهر الحياة العلمية والاجتماعية في البلدان التي زارها، فترجم لبعض العلماء الذين التقى بهم في أسفاره، وأورد كثيراً من آثارهم، ويبيّن إقبال الناس على العلم والثقافة، كما وصف العادات والتقاليد، وطرائق العيش عند السكّان.

امتازت الرحلة بأسلوبها الأدبي المشرق، واعتماد صاحبها على الصنعة اللفظية، مع قوة في العرض، ومثانة في سبك العبارات.

الرحلة مطبوعة حققها العلامة الحسن السائح، ونشرها صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المغرب والإمارات.

رحلة العبدري (المتوفى بعد سنة ٧٠٠هـ)^(١)

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي العبدري، ينتهي نسبه إلى عبد الدار بن قصي ابن كلاب، سكن مدينة حاحة المغربية، كان محباً للعلم مقبلاً عليه منذ صغره، التقى في شبابه عدداً من كبار العلماء في مراكش، وتلقى عنهم علوم الشريعة واللغة العربية، وأصبح أديباً وعالمًا من علماء المغرب في القرن السابع الهجري.

(١) انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف ٢١٧، والحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية

للأمير شكيب أرسلان ١٢٨/٣، والأعلام للزركلي ٣٢/٧.

قام برحلته في عام ٦٨٨ هـ منطلقاً من المغرب الأقصى، وقاصداً بلاد الحجاز، وبيت المقدس، وماراً بكثير من المدن الواقعة في خط سير رحلته، منها تلمسان، القيروان، طرابلس، برقة، الإسكندرية، القاهرة، مكة، المدينة المنورة، عسقلان، وقد استمرت رحلته ما يقارب الثلاث سنوات.

للرحلة سببان هما^(١): ديني: وهو أداء فريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدسة، وعلمي: وهو لقاء العلماء والأخذ عنهم بالسماع والمشاهدة في المدن التي كان يزورها. أما منهجه فقد تحدّث عنه في مقدمة الرحلة إذ قال:

«وبعد، فإنني قاصد بعد استخارة الله سبحانه إلى تقييد ما أمكن تقييده، ورسم ما تيسر رسمه وتسويده مما سما إليه الناظر المطرق في خبر الرحلة إلى بلاد المشرق، من ذكر بعض أوصاف البلدان، وأحوال من بها من القطّان، حسبما أدركه الحسّ والعيان، وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان، من غير تورية ولا تلويح، ولا تقبيح حسن، ولا تحسين قبيح، بلفظ قاصد لا يحجم معرّداً^(٢)، ولا يجمع فيتعدى المدى، مسطّراً لما رأيته بالعيان، ومقرّراً له بأفصح بيان»^(٣).

فمنهجه قائم على الدقّة في الوصف، واستقصاء التفاصيل والجزئيات المتعلقة بمشهد معين، أو حالة محدّدة شدّت انتباهه، إلى جانب الموضوعية في إصدار الأحكام؛ لاعتماده على المشاهدة العينية، والحرص على الأمانة العلمية بإثبات الأسانيد.

اعتمد العبدري في توثيق ما جاء في الرحلة على بعض كتب السيرة النبوية والحديث الشريف، والفقهاء المالكي، والتصوّف، وكتب التاريخ، والجغرافيا، والأدب، والدواوين الشعرية،

(١) انظر رحلة العبدري مقدمة المحقق، ص ٥ - ١٨.

(٢) التعرید: الفرار.

(٣) رحلة العبدري، ص ٢٨.

وكتب أخرى في القراءات والتراجم.

أما أهمية الرحلة فهي تظهر في اهتمام العبدري بالجانب العلمي والأدبي فيها، فقد أولاه عناية فائقة، وحرص على بيان الأوضاع الثقافية، والمظاهر العلمية في البلاد التي زارها ضمن رحلته، فتحدّث عن المجالس العلمية وحلقات التدريس، والكتب التي كانت تدرس فيها، وترجم لكثير من العلماء والأدباء الذين التقاهم في رحلته، وذكر أخبارهم وأحوالهم، وضمّن رحلته بعض النصوص الأدبية الشعرية والنثرية التي لا يجدها القارئ في مصدر آخر، وأشار إلى إقبال أهل المدن التي زارها على العلم أو نفورهم منه، وبَيَّن رأيه في ذلك.

فالرحلة لا تقل أهمية عن رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، من حيث الاهتمام بعرض الجانب الثقافي والعلمي في البلدان التي زارها العبدري، لكنّ ظهور هاتين الرحلتين في زمن سابق لزمن ظهور رحلة العبدري، وانتشارهما بين الناس، واهتمام الدارسين من العرب والمستشرقين بهما أدى إلى إلقاء الأضواء عليهما أكثر من رحلة العبدري.

الرحلة مطبوعة حققها د. علي كردي، وهي صادرة عن دار سعد الدين بدمشق

١٩٩٩م.



البَابُ السَّائِسُ
كتب تاريخ الأدب العربي
والاصطلاحات والموسوعات



الفصل الأول

كتب تاريخ الأدب وكتب الاصطلاحات

تاريخ الأدب العربي لبروكلمان

تاريخ التراث العربي لسركين

الفهرست لابن النديم

كشف الظنون لحاجي خليفة

مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبري نراذه

كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي



كتب تاريخ الأدب العربي

كتب تاريخ الأدب العربي هي كتب بعضها مطوّل وبعضها موجزٌ مختصر، يُحاول فيها المؤلّف أن يقدّم عرضاً لتاريخ الأدب العربي، ويعرّف بأهمّ الأدباء والشعراء الذين ألفوا أو نظموا باللغة العربية، ويقف عند أبرز قضايا الأدب والفن والشعر. ويغلب أن تتبّع هذه الكتب تقسيم مراحل الأدب وتطوّره، بحسب العصور التاريخية مثل الأدب في العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، والعصر الأموي، ثم العصر العباسي، والأدب في الأندلس والمغرب، والعصر المملوكي والعثماني، والعصر الحديث والأدب المعاصر.

وقد أدّى مؤرّخو الأدب خدمات للدارسين والباحثين كلّ بحسب قدرته وجهده.

وفيما يخصّ كتب التعريف بالعلوم فهي التي جاءت نتيجة لاهتمام القدماء والمحدثين بحصر الكتب التي تصل إلى أيديهم أو إلى علمهم، وتقديمها للناس ليستأنسوا بها ويستفيدوا منها وقد تنوعت ما بين كتبٍ تحدثت عن كل ما يتصل بنمطٍ من أنماط التأليف من فنون وتراجم وكتب، واقتصر بعضها على تعريف هذه العلوم فقط مع تحديد مضامينها.

وبخصوص كتب الاصطلاحات فهي التي وُضعت لخدمة الباحثين مؤدّيةً أحد غرضين إمّا أن تُستخدم كالدليل الذي يقود إلى موضع الكلمة من السياق الذي وردت فيه، وإما أن تُستخدم كالقاموس الفني الذي يحصر المصطلحات الخاصّة في علمٍ ما أو في فنٍ ما، ويعطي دلالة تلك الكلمة في ذلك العلم أو الفن.

أمّا الموسوعات فهي كتبٌ شاملةٌ تضمّ جميع ما يخصّ فناً من الفنون، أو تشتمل على موجزٍ للمعارف العامة، ويُقصد بكلمة موسوعة (دائرة المعارف) كلّ مؤلّف يجمع بين دفتيه من الحقائق جميع ما يدخل في دائرة العلم الإنساني.

وهي إمّا أن تكون معلوماتٍ عامّةً مختصرةً في جميع ميادين المعرفة، وإما أن تشتمل على

فرع من فروع المعرفة.

وتختلف عن المعجم من حيث إنها لا تقتصر على التعريف فقط بل تُقدّم تاريخاً للموضوع وتوضحاً لعلله وتبياناً لعلاقاته بالموضوعات المشابهة. ويغلب أن يؤلّف الموسوعة مؤلفون عديدون وتُرتّب أيضاً في المعتاد ترتيباً هجائياً، وتقوم بحوثها على أساس علمي يتوخى الدقة والموضوعية.

- كتب تاريخ الأدب العربي:

تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان

كارل بروكلمان Karl Brockelman ١٨٦٨ - ١٩٥٦ م مستشرق ألماني ولد في مدينة روستوك، على ساحل البلطيق في شمالي ألمانيا، وكان والده يتجر بما يسمى سلع المستعمرات، أما والدته فكانت سيدة موهوبة، ومنها ورث ميوله العلمية والأدبية. ظهر ميل كارل إلى التعمق في الدراسات الشرقية قبل أن يُنهي دراسته الثانوية في بلدته، فانتسب إلى جمعية يقوم أفرادها بقراءة بعض المجلات العلمية الجغرافية، كما انصرف اهتمامه إلى دراسة بعض اللغات واللهجات، وخاصة لهجة البانتو التي يتكلم بها سكان المستعمرات البرتغالية سابقاً، إضافة إلى العربية والعبرية والسريانية، وكان هدفه من ذلك أن يعمل في بلاد الغربة ترجماناً أو مفسراً أو طبيباً، داعت شهرة بروكلمان في فقه اللغات الغربية منها والشرقية، قراءة وكتابة، كما اشتهر خاصة في أبحاثه وتأليفه وتعمقه في التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي، حتى عدّ علماً من أعلامه.

حقق كتاب (الوفا في فضائل المصطفى) لابن الجوزي، وحقق (رسالة في لحن العامة) للكسائي، مذيّلة بشروح وفوائد، كما ألّف كتاباً في علم اللغات السامية وتاريخ

الأدب العربي^(١).

هدف بروكلمان من تأليف هذا الكتاب رصد ما وقع تحت علمه من مخطوطات الكتب العربية التي أُلِّفت في جميع العلوم عبر تاريخ الفكر العربي والإسلامي، وحصر أماكن وجودها في مكتبات العالم تسهيلاً لوصول الباحثين إلى مظائرها.

وقد حرص المؤلف منذ مطلع الكتاب على تقديم بعض المعلومات والفهارس التي تُساعد على الاستفادة منه، فقدّم في الجزء الأول فصلاً تحدّث فيها عن بعض قضايا اللغة والشعر والأدب والقرآن المجيد، والأحاديث الشريفة. وفيما عدا هذه الفصول، التزم بروكلمان منهجاً موحداً في بقية أقسام الكتاب، وتناول جميع العصور الأدبية متبوعاً المخطط التالي:

- نبذة عن العلم أو الفن الذي تم التأليف فيه.
- تراجم سلسلة لأهم الكتاب أصحاب الإنتاج في هذا العلم ذاكراً اسمه ونسبه وسنتي ولادته ووفاته ونشاطه العلمي.
- أهم المصادر والمراجع التي كتبت عن الرجل.
- أهم عناوين مؤلفاته سلسلة الترقيم، والتدقيق في نسبتها إليه.

لذلك كله يعتبر الكتاب مرجعاً موسوعياً، وزاداً معرفياً لا يستغني عنه باحث في أي باب من أبواب المعرفة، فهو يتناول جميع القضايا المتعلقة بالحياة الفكرية بمفهومها الواسع من خلال عرضه لما أُلِّف فيها من كتب.

ويمكن عرض خطة عمل بروكلمان في كتابه كما يلي:

- افتتاح الكتاب بمقدمة.
- فصل عن مصادر تاريخ الأدب العربي (ويعني عنده الحياة الفكرية بجميع جوانبها

(١) الموسوعة العربية، دمشق، مج ٣٣/٥.

المكتوبة) مع الإشارة إلى أهم هذه المصادر من خلال ثلاث مجموعات:

الأولى: بعض كتب تراجم المؤلفين، واكتفى بذكر ثلاثة منها هي: وفيات الأعيان، وفيات الوفات، ومعجم الأدباء.

الثانية: تراجم الكتب المطبوعة وفهارسها، وقد اكتفى بذكر سبعة عشر كتاباً منها.

الثالثة: وهي أهمها، وينبغي على القارئ أن يتنبه إليها لتكررها في كثير من الكتب التي يتحدث عنها، وتتناول هذه المجموعة أهم فهارس المخطوطات في العالم، وقد سجل فيها بروكلمان (١٦٨) فهرساً للمخطوطات، وأعطى لكل فهرس اسماً مختصراً سجله في مطلع الحديث عن هذا الفهرس، وهذا الاسم المختصر هو الذي يستخدمه في ثانيا الكتاب، ثم يعطي المعلومات المفصلة عنه.

وبعد هذه المعلومات التمهيدية يقدم بروكلمان الموضوعات التي يضمها الكتاب ويعرضها في إطار زمني يتناول فيه جميع قضايا الأدب العربي عبر فترتين زمنيةتين متتاليتين، اعتبرهما مرحلتين أساسيتين في تاريخ الأدب وهما:

المرحلة الأولى: وتمثل الفترة الزمنية التي كان الإنتاج الأدبي فيها إنتاجاً عربياً خالصاً، وتشتمل على العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي حتى سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢هـ) وسمي أدب هذه المرحلة (الأدب العربي).

المرحلة الثانية: وتمثل الفترة الزمنية التي غدا فيها الإنتاج الأدبي يصدر عن العلماء المسلمين سواء أكانوا عرباً أم غير عرب، وتشتمل هذه المرحلة على فترة زمنية متطولة، تبدأ مع قيام الدولة العباسية حتى أواسط القرن العشرين في العصر الحديث وسمي أدب هذه المرحلة (الأدب العربي الإسلامي).

وصدر هذا الكتاب لأول مرة باللغة الألمانية بأجزاء متلاحقة بين (١٨٩٨ -

١٩٣٧-١٩٤٢م)، ثم تولّى ترجمة الكتاب إلى العربية د. عبد الحليم النجار بتشجيع من الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، وقد وافته المنية ولم يصدر منه إلا ثلاثة أجزاء بين: (١٩٦٠-١٩٦٢)، ثم تولّى متابعة جهده د. السيد يعقوب بكر، ود. رمضان عبد التواب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وأنجزا الأجزاء الرابع والخامس والسادس ما بين (١٩٧٠-١٩٧٧ م)، ثم كُلف العالم الدكتور محمود فهمي حجازي بالإشراف على ترجمة الكتاب كاملاً، فنهض بالمهمة مستعيناً بمجموعة من العلماء. وصدر الكتاب في طبعته الجديدة كاملاً في عشرة أقسام بالعربية ما بين: (١٩٩٢-١٩٩٥ م).

تاريخ التراث العربي لسزكين

هو البرفسور فؤاد سزكين (Fuad Sezgin) ولد عام (١٩٢٤ م) في بطليس بتركيا، وفيها أكمل دراسته الابتدائية والثانوية، وكان في نيته الدراسة في الجامعة التكنولوجية، إلّا أنّ أحد أقربائه أخذه الى المستشرق هلموت ريتز الذي كان يُدرّس هناك منذ عام (١٩٢٦م)، وهو من أنشأ سلسلة (النشريات الإسلامية) التي نشرت عيون التراث العربي. أقنع ريتز المسكون بحب التراث العربي فؤاد سزكين بدراسة التاريخ العربي الإسلامي فضلاً عن الرياضيات، لكي يُرضي طموحه العلمي.

بدأ سزكين بتعلم اللغة العربية جيداً إلى حد أنه أصبح في الفصل الدراسي السابع يتحدث بها مع أساتذته، وأصبح سزكين أستاذاً في جامعة استانبول في عام (١٩٥٤م)، وكان اهتمامه منذ وقت مبكر بمسألة نشر التاريخ الحقيقي للعلوم العربية في العصر الذهبي الإسلامي وتأثيرها على بلاد الغرب.

وفي عام (١٩٨٢م) أسس معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة

فرانكفورت، كما أسس متحف الآلات العربية والإسلامية في أربعة عشر فرعاً من فروع العلوم الطبيعية، وصنع ثمانية آلة مما اخترعه العرب وقامت عليه حضارة الغرب. من مؤلفاته: (تاريخ التراث العربي) في اثني عشر مجلداً، وقد تُرجم إلى لغات عديدة و(فهرس لمتحف تاريخ العلوم) في خمسة مجلدات^(١).

كان هدف سركين من تأليف الكتاب في أول أمره أن يجعله متمماً لكتاب بروكلمان متقصباً ما غاب عنه أو ما اكتُشف بعد وفاته، وصنّفه في كتابٍ ألفه باللغة الألمانية على نسق كتاب بروكلمان ملتزماً منهجه إلى حد بعيد، ولكنه توسّع فيه وحرص على جعله تاريخاً للعلوم الإسلامية المكتوبة باللغة العربية بل تميّز بإضافته لمعلومات جديدة عن المخطوطات، متحدّثاً عن تاريخها وعدد صفحاتها وأجزائها مُعرّفاً بمحتوياتها، ثم إنّه قدّم لكلِّ علمٍ بمقدمة علمية أكثر إسهاباً مما فعل بروكلمان مُتحدّثاً فيها عن أولية هذا العلم وتطوره والضرورة التي أدت إلى التفكير فيه، كما فصّل في كلامه عن المؤلفين، مشيراً إلى حياتهم وثقافتهم وشيوخهم، مُلحِقاً بكل جزء ما يستلزمه من فهراس عامة، ولقد صدر من هذا الكتاب سبعة مجلدات باللغة الألمانية عن دار نشر بريل، وقد تناولت عدداً من القضايا الفكرية منذ عهد التأليف في العصر الأموي حتى عام (١٤٣٠هـ) أما محتوياتها على سبيل المثال كما صدرت باللغة الألمانية:

المجلد الأول: القرآن وعلومه، الحديث وعلومه، العقائد والفقه والتصوّف والتاريخ، وقد صدر عام (١٩٦٧م).

المجلد الثاني: الشعر والأدب، وقد صدر عام (١٩٦٨م).

المجلد الثالث: الطب والصيدلة وعلم الحيوان والبيطرة، وقد صدر عام (١٩٧٠م)

وقد ترجم المجلد الأول منه د. فهمي أبو الفضل و د. محمود فهمي حجازي في

(١) تاريخ التراث العربي، تحقيق محمود حجازي، مج ١/١١ بتصرف.

جزئين، طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر عام (١٩٧١ - ١٩٧٨م) كما حرصت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود بالسعودية على ترجمة الكتاب كله بالعربية وقد أنجزت بعضها في (١٩٨٢-١٩٨٣م).

- كتب الاصطلاحات والتعريف بالعلوم:

الفهرست لابن النديم

هو أبو الفرج محمد بن إسحاق، وهو بغدادى، يقال إنه كان وراقاً يبيع الكتب، وكان معتزلياً متشيعاً، كما يدل على ذلك كتابه، عاش ابن النديم قرابة تسعين عاماً وتوفي عام (٣٨٥هـ) ^(١).

الفهرست أول كتاب في العربية يصلنا معروفاً بأقدم ما ألف بالعربية أو تُرجم لها في جميع أبواب المعرفة منذ بدء التأليف حتى تاريخ تأليف الكتاب عام (٣٧٧ هـ)، لذا فهو يمثل موسوعة ثقافية تتصل بكافة العلوم المعروفة في عصر المؤلف الذي سجل أسماء الكتب المعروفة في جميع علوم زمانه.

وقد قسّم كتابه إلى عشرة أقسام سمّى كلاً منها مقالة، ثم قسّم كل مقالة إلى فنون بلغ عددها (٣٢) فناً غطّت العلوم والفنون التالية (اللغة، الشعر، الكتابة، التاريخ، الفرق، الفقه، الفلسفة، المنطق، الهندسة، الحساب، الطب، الصيدلة، الغناء، الخرافات، السحر والشعوذة) وخطّة المؤلف في كتابه تقوم على:

- التعريف بكل علم من العلوم.
- ترجمة للمؤلفين الذين صنفوا في ذلك العلم وسرد أسماء كتبهم وآثارهم.

(١) معجم الأدباء ٤٠٨/٦، والأعلام ٢٩/٦.

- إعطاء وصف لكل كتاب.

وفي وصف المؤلف للكتب، اتّبع طريقة منهجية، فهو يحدد أسلوب اطلاعه على الكتاب هل هو عن طريق الرؤية المباشرة، أو عن طريق الرواية، أو عن طريق القراءة، ثم يصف الكتاب محددًا عدد أجزائه ومقدار أوراقه وأنواع خطوطه وأصحابها، وأحياناً يعتمد إلى تقوم الكتاب من الناحية العلمية.

فالفهرست بهذا النمط من التأليف يتصل بالفنون وبالتراجم وبالكتب، ولكن الطابع الغالب عليه هو طابع الكتب، وعلى الرغم من أنّ كثيراً مما ذكره ابن النديم من الكتب مفقود، فإنّ الفهرست يبقى من بين المصادر التي لا يستغني عنها أيّ دارسٍ للتّراث وذلك لقيمتها التاريخية من جهة ولغزارة محتوياته من جهة ثانية.

طُبِعَ الفهرست في ليبزغ بألمانيا بتحقيق المستشرق جوستاف فلوجل (١٨٧٢م)، ثمّ طُبِعَ في القاهرة وبيروت بلا تحقيق، وطُبِعَ بتحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان، بدار قطري بن الفجاءة بقطر (١٩٨٢م).

كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة

هو مصطفى بن عبد الله الملقب بـ (حاجي خليفة) أي الحاج خليفة القسطنطيني وقد لُقّب (خليفة) منذ عمله رئيساً لكتبة أسرار السلطان مراد الرابع، ثم وزيراً للمالية في أيام سلطنته، ولد في القسطنطينية عام (١٠١٧هـ) وأبوه من رجال الجند، ولمّا ترعرع استُخدِم كاتباً في نظارة الجيش بالأناضول، ثم انتقل إلى بغداد وارتقى المناصب حتى صار من رؤساء الكتّاب، وعاد إلى القسطنطينية واشتغل بالعلم، ثم أُعيد إلى بغداد وهمدان، وصحب الصدر الأعظم محمد باشا إلى حلب، ومنها إلى مكّة حيث قضى فريضة الحج وسُمّي من ذلك الحين (حاجي)، وتفرّغ بعد ذلك للعلم، ثم توفي بالقسطنطينية سنة (١٠٦٧هـ).

ولحاجي خليفة قرابة عشرين كتاباً في غاية الأهمية، منها: (جهان نما) - وفيه يصف قارة أمريكا، و(لوامع النور في ظلمة أطلس مينور)^(١).

يُمثل الكتاب موسوعةً ضخمةً تشتمل على عدد كبير من الكتب التي أُلِّفت منذ بدء التأليف حتى عهد المؤلف، وقد استغرقت رحلة الجمع والتقصّي عشرين عاماً من عمر المُصنّف.

تقوم خطة حاجي خليفة في تصنيف الكتاب على مراعاة الأمور التالية:
- قدّم لكتابه مقدمة في أحوال العلوم، ثم بيّبين أولهما للتعريف بالعلم وأقسامه وبيان فضله وأنواعه، وثانيهما لمنشأ العلوم والكتب والتدوين في الإسلام وما قبله.

- اعتمد في تصنيفه للكتب والعلوم الترتيب الهجائي الألفبائي مراعيّاً ذلك في الحرف الأول ثم الثاني ثم الثالث، ويُعتبر حاجي خليفة أول من استخدم هذا الترتيب في فهراس الكتب، مقدّماً بذلك خدمةً كبيرةً للباحثين لتسهيل مهمة المراجعة وتيسير سرعة الوصول إلى مبتغاهم.

- بدأ حديثه عن كلّ علم بمعلوماتٍ واضحةٍ عنه، محدودةٍ أو موسّعةٍ بحسب قيمة كل علم.

اتّبع في حديثه عن كل كتاب الخطة التالية:

- تعريف موجز لمؤلف الكتاب ذاكراً اسمه وسنوات ولادته ووفاته، ونبذة عن حياته وآثاره.
- وصفٌ للكتاب يضمّ جميع المعلومات المتعلقة به من حيث عدد أجزائه وأبوابه وفصوله محدداً غرضه والعلم الذي ينتمي إليه.

(١) دائرة المعارف الإسلامية، الشتناوي ٢٣٥/٧.

- عرضٌ لبعضٍ من أقوال العلماء وآرائهم في الكتاب الذي يتحدث عنه.
- ذكر أسماء الشروح والحواشي التي وضعت حول الكتاب مع الإشارة إلى أصحابها.
- توضيح إذا ما كان الكتاب مكتوباً بغير العربية أو كان مترجماً.
- إيراد نصٍّ موجزٍ من الكتاب الذي اطلع عليه المؤلف بنفسه توثيقاً للمعرفة من جهة، ودفعاً للبس التّاجم عن تشابه بعض الكتب.
- مراعاة الترتيب الهجائي في أسماء العلوم، فعلم التفسير مثلاً يرد ذكره في حرف التاء.
- ذكر الكتب التي لا أسماء لها مضافةً إلى الفن الذي تنتمي إليه أو إلى الرجل الذي ألفها مع كلمةٍ من الكلمات التالية أو ما يقاربها: (ديوان، رسالة، كتاب، تاريخ، تفسير..)
- ولكشف الظنون قيمة علمية كبيرة تبدو في استيعاب هذا المؤلف الضخم لكتبٍ بلغ عددها (١٥٠٠٠) كتابٍ، وفي حديثه عن علوم تجاوز عددها (٣٠٠) علمٍ، وسردٍ لتراجم المؤلفين بلغت (٩٥٠٠) ترجمة.
- طُبِعَ الكتاب عدة مرات أولاً في مدينة ليبزيغ بألمانيا بين (١٨٣٥-١٨٥٨م) بعناية المستشرق الألماني فلوغيل، ثم طُبِعَ عدة طبعات في القاهرة أمّا آخر الطبعات وأدقها التي حققها العالم التركي (محمد شرف الدين يالت)، وأصدرها برعاية وزارة المعارف التركية في جزئين - اسطنبول بين (١٩٤١-١٩٤٣م).

كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاشكبري زاده

هو أبو الخير عصام الدين أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكبري زاده، من أشهر مؤرخي الدولة العثمانية وكبار موسوعييها وكتاب السير وتراجم الرجال، ولد بمدينة بروسة بتركيا عام (٩٠١هـ)، حيث تلقى علومه الأولى في مجالس شيوخها، وأتقن قراءة القرآن بعناية والده مصطفى طاشكبري الذي كان مدرّساً في مدارس بروسة واسطنبول العليا، إذ كانت أسرة طاشكبري من علماء الترك الذين نُسبوا إلى قرية طاشكبري وهي مسقط رأسهم.

أتقن طاشكبري دراسة اللغة العربية وصرفها ونحوها، وأخذ علم المنطق عن عمّه، ودرس علوم الهيئة والفلك والرياضيات، وكان اهتمامه الأول هو دراسة التفسير والحديث فقد أخذهما عن عدّة مشايخ، وكان منهم ابن حجر العسقلاني المشهور برواية الحديث وصحّته، وقد أجازته هؤلاء في روايته، ثم انتقل إلى (أدّزنة) للتدريس في مدارسها، وأصبح قاضياً فيها، وهناك أصابه مرض في عينيه فَقَدَ على إثره البصر نهائياً، ومع ذلك البلاء فقد استمرّ بنشاطه العلمي إلى أن وافته المنية باسطنبول عام (٩٦٨هـ)، حيث دُفن فيها بتكية عاشق باشا^(١).

من مؤلفاته: موسوعة في الآداب وعلوم اللغة العربية طُبعت باسطنبول بعنوان (موضوعات العلوم)، (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)، (مفتاح السعادة ومصباح السيادة).

(مفتاح السعادة ومصباح السيادة) كتاب يبحث في فضيلة العلم والتعليم وفي العلوم الشرعية والعادات والتقاليد الاجتماعية.

تحدث طاشكبري زاده في كتابه هذا عن العلوم، ورّتب موضوعاته على هذا الأساس مقسّماً العلوم فيه إلى ستة فروع كبرى، سُمّي كل فرعٍ منها (دوحة).

(١) الموسوعة العربية، دمشق مج ١٢/٤٢٧.

وأُتِيَ في هذه الدّوحات على معظم العلوم الموجودة حتى عصره، ومعظم ما أُلّف فيها من كتب، مع الإشارة إلى المؤلفين وإيراد شيءٍ من أخبارهم، وذكرٍ لبعض آثارهم، وقد رُكِّز اهتمامه في تراجمه على كثيرٍ من معاصريه، وكثيرٍ من مواطنيه في بلاد الأناضول. طُبِعَ الكتاب مزوداً بفهارس عامة في دار الكتب الحديثة بالقاهرة عام (١٩٦٨م) بتحقيق كامل بكري، وعبد الوهاب أبو التّور، وطُبِعَ في ثلاثة أجزاء عام (١٩٨٥م) في بيروت.

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي

هو محمد علي بن شيخ علي التهانوي، باحثٌ هنديٌّ وعالمٌ موسوعيٌّ ولغويٌّ من أئمة القرن الثاني عشر للهجرة، عُرف بالتهانوي نسبةً إلى مسقط رأسه «تهانة بهون» من ضواحي دلهي التي وُلِدَ فيها، وقد عاش في عصر سلاطين الدولة المغولية في الهند، فأدرك طرفاً من عهد الامبراطور (أورنغ زيب) الذي عَرَفَ الهند في عصره حركةً علميةً ثقافيةً نشطةً بتشجيعه لها، وصار التهانوي في عصره قاضياً في قريته «تهانة».

نشأ التهانوي في بيئةٍ علميةٍ، نهل من ينابيعها؛ إذ كان والده من كبار العلماء حتى لُقِّبَ بقطب الزمان، وقد تتلمذ عليه في العلوم العربية والشرعية، وتوفي عام (١١٥٨هـ) في «تهانة بهون».

ومن مؤلفاته: أحكام الأراضي، سبق الغايات في نسق الآيات، وأهمها كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» وهو ما أكسب التهانوي شهرته، وهو معجمٌ موسوعيٌّ لغويٌّ فنيٌّ، أورد فيه مؤلفه مصطلحات العلوم ومفرداتها بترتيب هجائي^(١).

اهتم التهانوي في هذا الكتاب بمصطلحات العلوم التراثية، فأوردتها مرتبةً ترتيباً معجمياً هجائياً ألفبائياً بعد تجريد الكلمة، ووزّعها في أبواب على حسب أوائل الحروف، ثم رتّب مادة

(١) الموسوعة العربية، دمشق مج ٦/٧.

كل بابٍ في فصولٍ تتسلسل ألفبائياً أيضاً على حسب الحروف، فمثلاً نجد (أَدَب) و(أَوَب) في بابٍ واحدٍ هو باب الهمزة، وفي فصلٍ واحدٍ هو فصل الباء، لأنهما تنتهيان بحرف الباء وقد بين التّهانوي في مقدمة الكتاب أن لكلّ علم مصطلحات خاصة به، وأنّ الجهل بما يُعلق أمام الباحث أبواب ذلك العلم، مشيراً إلى أنه وجد كتباً تشرح مصطلحات بعض العلوم، ولكنّه لم يقف على كتابٍ يشرح مصطلحات جميع العلوم، لذا ندب نفسه للقيام بهذه المهمة معتمداً في ذلك على مجموعةٍ من الكتب الموثوقة في العلوم المختلفة وعلى آراء الثّقات من العلماء والمؤلّفين، وتوسّع في عرض بعض القضايا عندما اقتضت ضرورة البحث، مما جعل الكتاب ذا طابعٍ موسوعيٍّ يتصل بجميع جوانب الثقافة الإسلامية.

طُبِعَ الكتاب بتحقيق سبرنجر عام (١٨٥٤م) في كلكتا بالهند، وطُبِعَ بمطبعة إقدام باسطنبول عام (١٨٦١م) بإشراف أحمد جودة، ثم طُبِعَ في القاهرة عام (١٩٦٣م)، وطُبِعَ في دار خياط ببيروت في ستة أجزاء عام (١٩٦٦م) وقد غيّرت عنوانه إلى (موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاح الفنون).





الفصل الثاني

دوائر المعارف والموسوعات

دائرة المعارف للبستاني

دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين

دائرة المعارف الإسلامية باللغات الأجنبية والمترجمة للعربية

الموسوعة العربية الميسرة

الموسوعة العربية العالمية



– دوائر المعارف (الموسوعات):

دائرة معارف البستاني – للبستاني

هو بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني، أديب ولغوي لبناني، ولد في قرية «ديبة» بين صيدا وبيروت عام (١٨١٩م) وتلقى علومه الأولى في مدرسة «عين وريقة» التي تعلم فيها آداب اللغة العربية واللغات السريانية والإيطالية واللاتينية، ودرس فيها الفلسفة وسائر العلوم، ولازمها مدة عشر سنين متعلماً ثم معلماً. وفي عام (١٨٤٠م) غادرها إلى بيروت حيث اتصل فيها بالبعثة الأمريكية، وتعرف رئيسها (إيلي سميث) ومُتنت علاقته به فتعلم منه الإنكليزية وعلمه العربية، وفي عام (١٨٤٦م) عُيّن أستاذاً في مدرسة (عبيّة) التي أسسها المرسلون الأمريكيون في بيروت أولاً، ثم نقلت إلى (عبيّة)، والتي تخرج فيها على يدي البستاني الكثيرون من شباب سورية ولبنان. أسس البستاني في بيروت جمعية أدبية هي مجمع التهذيب، وكان هذا المجمع هيئة سورية تهدف إلى اكتساب العلوم والفنون، بعدها تابع البستاني، مسعاه النبيل في محاربة التعصّب والدعوة إلى التفاهم والاتحاد لخير الوطن، فأنشأ في (١٨٧٠م) (نفير سورية) و(مجلة الجنان) نصف الشهرية، وجعل شعارها (حب الوطن من الإيمان).

توفي في بيروت عام (١٨٨٣م) ^(١).

أمّا مضمون هذه الموسوعة فشامل لكلّ المعارف الإنسانية، ولم يقتصر فيه مؤلفه على الثقافة العربية، بل طعمه بزادٍ وافرٍ من الثقافات الغربية.

وقد لزم البستاني في تصنيف موسوعته التصنيف الغربي للموسوعات، واعتمد فيها على الترتيب المعجمي الألفبائي دون تجريد للكلمة، مُثبتاً أسماء الشهرة وألفاظ الكُنَى (أب، أم،

(١) الموسوعة العربية، دمشق مج ٥/٩٤.

ابن) في مواقعها من الترتيب.

ولقد تفاوتت مواد الموسوعة في حجمها بحسب أهمية كل مادة، كما خلت من ذكر المصادر والمراجع.

صدرت هذه الموسوعة في أحد عشر جزءاً في القرن التاسع عشر، بدأها بطرس البستاني في ستة مجلدات وتوفي قبل أن يكمل السابع، فتولّى إكماله وإصدار الثامن ابنه سليم البستاني، وبعد وفاته تولى بقية أولاده إصدار التاسع والعاشر والحادي عشر.

دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين:

أصدر هذه الموسوعة كاملة محمد فريد وجدي (المولود ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م والمتوفى عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) وذلك بين عامي (١٩٢٣ و ١٩٢٥) في القاهرة في عشرة مجلدات ضخمة يقع كل منها في حوالي ٨٠٠ صفحة، وقد نسقها على طريقة الغربيين في ترتيب دوائر المعارف واعتمد فيها على الترتيب المعجمي، مع تجريد الكلمة وردها إلى جذرها الثلاثي، على طريقة المعاجم اللغوية، وفي الأسماء ثبتت أسماء الشهرة مع إهمال ألفاظ الكنى (أب، أم، ابن) كما يهمل ذكر المراجع، وقد تناول فيها قضايا مختلفة يتصل بعضها بالثقافة العربية والإسلامية وبعضها يتصل بالثقافة الإنسانية في مناحيها المختلفة.

أما حجم القضايا التي يتناولها بالبحث فهو يتفاوت بحسب أهمية القضية وبحسب اهتمام المؤلف بها، وبعض القضايا لا تتجاوز عدة سطور وبعضها الآخر يبلغ ثمانين صفحة من صفحات الموسوعة.

وقد حرص المؤلف على إيراد بعض الشواهد الشعرية والنثرية في ثانيا بعض ما يكتبه، كما أنه أغفل ذكر المصادر والمراجع التي استفاد منها في كتابة ما عالج من قضايا.

ولا شك في أن الجهود التي بذلها المؤلف في إصدار هذه الموسوعة كانت جهوداً ضخمة

تحفزها همة عالية، ولكنها تبقى جهوداً فردية محدودة لأن الميدان الذي تحرك فيه أكبر من طاقة فرد واحد مهما بلغت ضخامة هذه الطاقة.

دائرة المعارف الإسلامية (المت ترجمة إلى اللغة العربية):

وهي ترجمة لشطر من دائرة المعارف الإسلامية الصادرة باللغات الأجنبية. ويحسن أن نفرّد لكلّ من الأصل والترجمة تعريفاً مفصلاً لهما:

أ- دائرة المعارف الإسلامية باللغات الأجنبية:

أصدر هذه الموسوعة مجموعة من المستشرقين المهتمين بالتراث العربي والإسلامي بين سنوات ١٩٠٨ - ١٩٣٩ وهم (فنسك وهوتسما وأرنولد وهفنج وبروفنسال وباسيه وهرتمان وجيب) ونشروها في ثلاث لغات هي الألمانية والإنكليزية والفرنسية، وقد جمعوا فيها خلاصة أبحاثهم في ميادين اختصاصهم، كما استكتبوا لها عدداً من المستشرقين المتخصصين في الدراسات العربية والإسلامية، وقد اتبعوا في تصنيفها الترتيب الهجائي الألفبائي دون عودة إلى الأصل الثلاثي للكلمة (وذلك تسهياً للأوربيين الذين قد يصعب على كثير منهم إدراك دقائق المجرد والمزيد في لغتنا). فمثلاً كلمة (إجازة) نجدها في مادة (أ. ج. ا) وكلمة اجتهد نراها في مادة (ا. ج. ت..). وهكذا. كما أثبتوا ألفاظ (أب) و (ابن) و (أم) في مواقعها من التسلسل الهجائي، وقد ذيلوا كل مادة باسم العالم الذي أعدها، كما ذيلوه بثبت يشتمل على أسماء أهم المراجع التي اعتمد عليها في بحثه. واقتصروا في هذه الموسوعة على كل ما يتصل بالتراث العربي والإسلامي ولم يتجاوزوه إلى المعطيات الحديثة.

وقد سميت هذه الموسوعة بالانكليزية باسم:

ENCYCLOPEDIA OF ISLAM

ويرمز لها عادة بالحرفين الأولين من اسمها وهما: (E. I).

ب- دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية:

أسهم في ترجمة قسم من دائرة المعارف الإسلامية (محمد ثابت الفندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس) معتمدين في الترجمة على النصين الإنجليزي والفرنسي، وصدرت في مصر.

دائرة المعارف المترجمة هذه سدّت بعض النقص في مكتبتنا العربية رغم أنها كانت قاصرةً عن الكثير بسبب اقتصارها على ترجمة نصف الموسوعة فقط، دون متابعة لما اكتُشف من مخطوطات، ولما ظهر من آثار فكرية وبحوث ودراسات خلال أكثر من خمسة وستين عاماً مرّت، إضافةً لغياب روح الحيادية عند بعض المستشرقين في ما كتبوه تَحجماً على الإسلام وحققاً عليه.

وقد عاجلت الموسوعة العديد من القضايا بتفاوت في الحجم ما بين عدّة سطور وعدد كبير من الصفحات، ورُوعي في تصنيفها الترتيب المعجمي المراعى في الأصل الأجنبي دون تجريد الكلمة، مع إثبات ألفاظ الكُنَى (أب، أم، ابن) ضمن السّياق المعجمي، وحرصاً على دقّة الترجمة لجأ المترجمون إلى تكليف عدد من العلماء من الأزهر ومن الجامعة المصرية ودار العلوم بمراجعة البحوث المترجمة.

دائرة المعارف الإسلامية الصادرة باللغات الأجنبية (في طبعها الثانية):

وهذه الموسوعة تصدر باللغتين الإنكليزية والفرنسية منذ عام ١٩٦٠م، ولم ينته إصدارها حتى الآن. وقد ساهم في إعدادها وصياغة بحوثها عدد كبير من المستشرقين وعدد من العلماء المسلمين كل في حدود اختصاصه. ومن كبار أعضاء هيئة التحرير فيها (جيب وكريميرز وليفني بوفنسال وشاخت وبرنارد لويس وشارل بيل). والموسوعة تعتبر عملاً جديداً لا صلة له بالدائرة السابقة، وهي تطبع في مؤسسة بريل بمدينة ليدن في هولندا وسنقتصر في

حديثنا عنها على نسختها الإنكليزية التي يشرف على إعدادها (برونوا بوزويل) من دائرة الدراسات العربية والإسلامية بجامعة منشيستر بإنكلترا واسم هذه الموسوعة بالإنكليزية: (ENCYCLOPEDIA OF ISLAM) ويرمز لها بالحرفين الأولين من اسمها، مع إضافة رقم (2) إليها (E. I²) تمييزاً لها من دائرة المعارف الأولى التي يرمز لها بـ (E. I).

صدر المجلد الأول من هذه الموسوعة عام ١٩٦٠م من (١٣٠٩) صفحات بالحروف الصغيرة واشتمل على الحرفين (A و B). وصدر الثاني عام ١٩٦٥م واشتمل على الحروف (G. F. E. D. C) وصدر الثالث ١٩٧١م واشتمل على الحروف H وقسم من حرف (I) ووقف عند كلمة (IRAM) وصدر الرابع ١٩٧٨م وانتهى عند حروف (KHA)، وصدر الخامس ١٩٨٦م ووصل عند حروف MAH، وصدر السادس ١٩٩١م ووصل عند كلمة MEDYUNA وصدر السابع ١٩٩٣م ووصل عند كلمة AL-NASSAM وصدر الثامن ١٩٩٦م ووصل عند كلمة SAMT، ولا تزال توالي الصدور.

اتبع في تصنيف هذه الموسوعة الترتيب الهجائي المعجمي مع عدم تجريد الكلمة ومع إثبات أسماء الشهرة والأسماء المسبوقة بـ (أب) أو (ابن) أو (أم) في نفس التسلسل، وقد ذيل كل بحث باسم الشخص الذي أعده، وبعض البحوث شارك في إعدادها أكثر من عالم. كما ذيل كل بحث بثبت يشتمل على أسماء المصادر والمراجع التي اعتمد الباحث عليها في إعداد البحث.

والموسوعة بالشكل الذي تصدر فيه لا يستغنى عن الاستعانة بها أي باحث تتصل دراسته بفرع من فروع التراث العربي والإسلامي.

وقد زوّدت الموسوعة بثبت يشتمل على الرموز الدالة على المحلات التي وردت بين المراجع، كما زودت بمجداول تشتمل على المصطلحات التي يستخدمها المستشرقون في كتاباتهم بالحروف اللاتينية للحروف العربية التي لا نظير لها في اللغات الأوربية وبخاصة حين

تسجيل أسماء الأشخاص أو الأماكن أو الكتب.

الموسوعة العربية الميسرة:

وهي موسوعة مكثفة صدرت عام ١٩٥٩م في مجلد ضخّم من ٢٠٠٠ صفحة بالحروف الصغيرة، واشتملت على كثير من المعارف المعروفة في عصرنا (اجتماع - أدب - أساطير يونانية - اقتصاد - ألعاب رياضية - أنتروبولوجيا - تاريخ - تدير منزلي = تربية - تكنولوجيا - جغرافيا - جيولوجيا - حيوان - دين - رياضة - زراعة - صحافة - طب - علم نفس - علوم عسكرية - فلسفة غربية وإسلامية - فلك - فن - فولكلور - فيزياء - قانون - كيمياء - لغات - مسرح - مكتبات - موسيقا - نبات - نسائيات..).

والمعلومات التي وردت فيها موسومة بطابع الاختصار، كما أغفل فيها ذكر أسماء الذين أسهموا في إعداد البحوث، وكذلك ذكر المراجع التي اعتمدوا عليها في بحوثهم.

وقد صدرت هذه الموسوعة في القاهرة عن دار الفتح ومؤسسة فرنكلين بإشراف محمد شفيق غربال، وبمعاونة مجلس مديرين وهيئة تحرير ومجموعة من الخبراء في العلوم المختلفة. وميزة هذه الموسوعة أنها تتصل بجميع أبواب المعرفة الإنسانية ولكن يؤخذ عليها:

١- شدة الإيجاز؛ الأمر الذي يتعذر معه إمداد الباحثين بمادة غنية تسعفهم في دراساتهم.

٢- إغفال الإشارة إلى المصادر التي تمت الاستعانة بها في إعداد البحوث، وإغفال أسماء الباحثين.

٣- جمودها عن متابعة التطور، فقد مضى على صدورها عشرات السنين دون أن تتبعها أية ملاحق، ودون أن يبدر عمن أصدروها ما يشير إلى الرغبة في إصدار طبعة جديدة لها.

ومن مجموع هذه الملاحظات يتجلى أن هذه الموسوعة يمكن أن تقدم بعض الفائدة لجمهور المثقفين دون أن يجد فيها الدارسون كبير جدوى.

وطبعت الموسوعة بعد ذلك عدة طبعات مصوّرة في لبنان.

الموسوعة العربية العالمية:

صدرت هذه الموسوعة عن مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع في الرياض في المملكة العربية السعودية عام (١٩٩٦م) برعاية من الأمير سلطان بن عبد العزيز وبتمويل منه، وتعتمد هذه الموسوعة أساساً على ترجمة الطبعة الدولية بدائرة المعارف العالمية - موسوعة الكتاب العالمي - التي تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية وبالذات على طبعات النسخة الدولية للأعوام (١٩٩٢-١٩٩٣-١٩٩٤م).

والموسوعة العربية العالمية هي أحدث الموسوعات الصادرة بالعربية وأكبرها، أما سبب الاعتماد على ترجمة موسوعة أجنبية فمرده إلى قناعة مصدري هذه الموسوعة بضرورة توفير موسوعة شاملة أمام القارئ العربي، نظراً لفقدان مثلها في التراث العربي، رغم الحاجة إليها، مؤكدين أن جهدهم في هذه الموسوعة المترجمة لا يُغني عن عمل إنشائي لموسوعة عربية. ويهدف القائمون على هذا الأمر إلى تقديم مادة متنوعة متكاملة شاملة في جميع مجالات المعرفة الإنسانية، دون نزوع إلى التعمق المتخصص لأنها تقدّم إلى العامة، وتوجّه إلى أوسع جمهور من مختلف الأعمار والاتجاهات والمستويات العلمية والثقافية والاجتماعية، مع محاولة الصياغة بلغة عربية سهلة واضحة، حرصاً على تأسيس تجربة علمية حضارية جديدة على الصعيد العربي المعاصر في مجال إنتاج الموسوعات.





نصوص مختارة من كتاب الأمالي لأبي علي القالي



النص الأول*

قال أبو علي: ومعنى قوله جل وعز: ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ أي على قصد، قال الجميع:

أَمَّا إِذَا حَرَدْتُ حَرْدِي فَمَجْرِيَّةٌ ضَبْطَاءُ تَسْكُنُ غِيلاً غَيْرَ مَقْرُوبٍ
أي قصدت قصدي، وقال الآخر:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمَغْلَّةِ
أي يقصد قصدها، وقال أبو عبيدة: معنى قوله: ﴿عَلَى حَرْدٍ﴾ أي على غضب وحقق، وأجاز ما ذكرناه، قال: ويجوز أن يكون (على حرد) معناه على منع، واحتج بقول العباس بن مرداس السلمي:

وَحَارَبْتُ فَإِنْ مَوْلَاكَ حَارَدَ نَصْرُهُ فَفِي السَّيْفِ مَوْلَى نَصْرِهِ لَا يَحَارِدُ
وحاردي في هذا البيت بمعنى قل، يقال: حاردت الإبل إذا قلت ألبانها، قال الكميت:

وَحَارَدَتِ النَّكَدُ الْجَلَادُ وَلَمْ يَكُنْ لِعَقْبَةِ قَدَرِ الْمُسْتَعِيرِينَ مُعَقِّبُ
ويقال: حرد الرجل حرداً بفتح الراء، ومن العرب من يقول: حرد الرجل حرداً بتسكين الراء إذا غضب، وأنشد أبو عبيدة للأشهب بن ربيعة:

أَسْوَدُ شَرَى لَاقَتْ أَسْوَدَ خَفِيَّةَ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدِ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ
وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال حدثنا إسماعيل بن أحمد بن حفص سمعان النحوي

قال حدثنا أبو عمر الضرير قال حدثنا عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن إبراهيم التميمي عن أبيه عن جده قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس مع أصحابه إذ نشأت سحابة، فقالوا: يا رسول الله هذه سحابة، فقال: كيف ترون قواعدها؟ قالوا: ما أحسنها وأشدّ تمكّنها! قال: وكيف ترون رجاها؟ قالوا: ما أحسنها وأشدّ استدارتها! قال: وكيف ترون بواسقها؟ قالوا: ما أحسنها وأشدّ استقامتها! قال: وكيف ترون برقها أوميضاً أم خفياً أم يشق شقاً؟ قالوا: بل يشق شقاً، قال: فكيف ترون جونها؟ قالوا: ما أحسنه وأشدّ سواده! فقال عليه السلام: الحيا، فقالوا: يا رسول الله ما رأينا الذي هو منك أفصح، قال: وما يمنعني من ذلك فإنما أنزل القرآن بلساني لسانٍ عربيٍّ مبين.

قال أبو علي: قواعدها: أسافلها واحدها قاعدة، فأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد، وهي التي قعدت عن الولد وذهب حُرْمُ الصلاة عنها. ورجاها وسطها ومعظمها، وكذلك رحي الحرب: وسطها ومعظمها حيث استدار القوم، قال الشاعر:

فدارت رحانا بفرسناهم فعادوا كأن لم يكونوا رميما

وبواسقها: ما علا منها وارتفع واحدها باسقة، وكل شيء ارتفع وطال فقد بسق، يقال: قد بسقت النخلة، قال الله عز وجل: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ وكذلك بسق النبات، فكثير في كلامهم حتى قالوا: بسق فلان على قومه أي علاهم في الشرف والكرم، والوميض: اللع الخفي، قال امرؤ القيس:

أعني على برقٍ أراه وميض يضيء حياً في شماريخ بيض

ويقال أومض البرق يومض إيماضاً إذا لمع لمعاً خفياً، وأومض بعينه إذا غمز بعينه. والخفي: البرق الضعيف، قال أبو عمرو: خفى البرق يخفي خفياً إذا برق برقاً ضعيفاً، وقال الكسائي: خفا يخفوخفواً. وجونها أسودها، والجون: من الأضداد يكون الأسود ويكون

الأبيض، قال الأصمعي: وأُتي الحجاج بدرع وكانت صافية بيضاء فجعل لا يرى صفاءها فقال له رجل وكان فصيحاً - قال أبو عمرو هو أنيس الجرمي -: إن الشمس جونة، يعني شديدة البريق والصفاء، فقد غلب صفاءها بياض الدرع وأنشد:

يِبادر الآثَار أن تؤوبَا وحاجب الجونة أن يغيبَا
وأنشد أبو عبيدة:

غيرَ يا بنت الخليس لوني طولُ الليالي واختلافُ الجون
وسفرٌ كان قليل الأون

أي الفتور، وقال الفرزدق يصف قصراً أبيض:
وجونٍ عليه الحصّ فيه مريضةٌ تطلع منها النفسُ والموتُ حاضره

والحيا مقصور: الغيث والخصب، وجمعه أحياء، قال الأخطل:
ربيع حياً ما يستقلّ بحمله سؤومٌ ولا مستنكش البحر ناضبه

وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله:
إنّا ملوكٌ حياً للتابعين لنا مثلُ الربيع إذا ما نبثّه نَضْرَا



النص الثاني*

حدثنا أبو عبد الله قال أخبرني أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي عن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوب في الحكمة: يا بني لتكن كلمتك طيبة، ووجهك بسطاً، تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء، وأنشدنا أبو عبد الله:

وكم من مُلِّيم لم يصب بملامةٍ ومتَّبِع بالذنب ليس له ذنبٌ
وكم من محبِّ صدٍّ من غير بغضةٍ وإن لم يكن في ودِّ خلَّته عتبٌ

وحدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي قال: قالت عجوز من العرب لثلاث بناتٍ لها: صفن ما تحبُّن من الأزواج. فقالت الكبرى: أريد أروع بساماً، أحدٌ مجذاماً، سيِّد نادية وثمان عافيه، ومُحسب راجيه، فناؤه رجب، وقياده صعب. وقالت الوسطى: أريده عالي السناء، مصمَّم المضاء، عظيم نارٍ، متمم أيسار، يفيد ويبيد، ويبدئ ويعيد، هو في الأهل صبي، وفي الجيش كمي، تستعبده الحليَّة، وتُسوِّدُه الفضيلة. وقالت الصغرى: أريده بازل عام، كالمهند الصمصام، قرانه حبور، ولقاؤه سرور، إن ضمَّ قضقض، وإن دسر أغمض، وإن أخلَّ أحمض، قالت أمها: فُضَّ فوك! لقد فَرَزَتْ لي شِرَّةَ الشباب جَدَعَةً.

قال أبو علي: قال أبو زيد: الأروع والنحيب واحد وهما الكريم. وقال غيره: الأروع الذي يَرُوْعُك جماله. والأحدُّ ههنا الخفيف السريع، والأحدُّ أيضاً الخفيف الدَّنب ومنه قيل: قطاةٌ حداء، وقال أبو بكر بن دريد: الحَدَّذ: الخفة والسَّرعَة، والقُطاةُ الحَدَّاء: السريعة الطيران، ويقال: القليلة ريش الدَّنب، وحَدَّ الشيءَ يَحْدِّه حدّاً إذا قطعه قطعاً سريعاً، والحَدَّة: القطعة من

اللحم وأنشد الأعشى:

تكفيه حُذَّةً فَلِذِّ الْمِ بِهَا من الشَّوَاءِ وَيُروى شَرْبُهُ الْعُمُرُ

قال: ويروى حُرَّةٌ فَلِذِّ. وقال أبو عبيدة في قول عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ حين خطب الناس فقال: إن الدنيا قد آذنت بصَرمٍ وولّت حذاءً، فلم يبق منها إلا صُبابَةٌ كصِبابَةِ الإناء. قال أبو عمرو وغيره: الحذاء السريعة الخفيفة التي قد انقطع آخرها، ومنه قيل للقطاة: حذاء لقصر ذنبها مع خفتها، وقال النابغة الذبياني:

حذاء مدبرة سَكَّاءَ مَقْبَلَةً للماء في النَّحر منها نَوْطَةٌ عَجَبُ

قال: ومن هذا قيل للحمار القصير الذنب أحذُّ. قال أبو علي: أصل هذه الكلمة عندي الحفّة، ولم أسمع في بيت أعشى باهلة حُدَّةً فَلِذِّ بالذال إلا من أبي بكر، فإن صحت هذه الرواية فلا تكون الحُدَّة إلا القطعة الخفيفة. والمجذام: مفعال من الجذم، والجذم: القطع تريد أنه قطاعٌ للأموار. والنّادي والنّديّ: المجلس. والثّمال الغياث، وثمال القوم غياثهم ومن يقوم بأمرهم، يقال: فلان ثمال لبني فلان إذا كان يقوم بأمرهم ويكون أصلاً لهم وغياثاً، ويقال: هو يثّملهم والمرأة تثمل الصبيان، أي تكون أصلاً لهم، قال الحطيئة:

فدى لابن حصنٍ ما أريح فإنه ثمالُ اليتامى عِصْمَةٌ في المهالك

والثّمل ساكنة الميم: المقام والخفّض، يقال: ليست دارنا بدار ثملٍ، قال أسامة بن الحارث الهذلي:

كفيتُ النّسا نَسْالَ حَرٍّ وديقةٍ إذا سكن الثّملُ الظباء الكواسعُ

كفيتُ النّسا أي سريع العدو، وتلخيص معناه أن تقول: الكفيت: السريع، والنّسا: عرق في الفخذ يجري إلى الساق، فكأنه قال سريع الرّجل، وإذا كان سريع الرجل كان سريع العدو. والكواسع: التي تكسّع بأذناها من الذباب. ويقال: اختار فلان دار الثّمل أي دار الخفض

والمقام، وثَمَل فلان فما يبرح، والشميلة: البقية تبقى من العلف والماء في بطن البعير وغيره، والجميع الثمائل، قال ذو الرمة:

وأدرك المتبقي من ثميلته ومن ثمائلها واستنشيء العَرَب

والشميلة: البقية تبقى من الماء في الصخرة أو الوادي، وقد قالوا: الثميل الماء الذي يبقى في الوادي بعد مضي السيل عنه، قال الأعشى:

بناجية كأتان التميل تُقضي السرى بعد أيّ عسيرا

والأتان الصخرة تكون في الماء، وإذا كانت في الماء القليل فأصابته الشمس صلبت، والثمالة: رغبة اللبن، يقال: حقنت الصريح وثلت الرغبة، يريد بقيت، قال مزّرد:

إذا مسّ خرشاء الثمالة أنفه ثنى مشفّريه للصريح فأفنعنا

وقال الأصمعي: الثمالة ما بقي في العلة من الرغبة خاصة، والثمالة ما بقي في الحوض من الماء، وهو أيضاً ما بقي في البطن من الماء والطعام، ويقال: سقاه التمثل يريد سقاه السم. قال أبو نصر: وثرى أنه أنقع فبقي وثبت، وسيف ثامل أي باقٍ في أيدي أصحابه زماناً، كذا قال الأصمعي، وقال أبو عمرو: قديم لا عهد له بالصّقال، وقال خالد بن كلثوم: هو الذي فيه بقية، قال ابن مقبل:

لمن الديار عرفتها بالساحل وكأنها ألواح سيف ثامل

والثملة الصوفة تجعل في الهناء ثم يُطلى بها البعير، أنشد الأصمعي:

مغوثة أعراضهم مرطله كما ثلاث في الهناء التمله

والثملة ساكنة الميم: الحب والتمر والسويق يكون في الوعاء إلى نصفه فما دونه، والجمع: التَّمَل، والثملة ما أخرجت من أسفل الركبة من التراب والطين، وهذان الحرفان رويناها عن أبي عبيد بضم الشاء، وعن أبي نصر بفتح الشاء، ويقال: ثَمَل يَتمَل ثَملاً إذا أخذ الشراب فيه.

وعافيه الذين يعفونه أي يأتونه، يقال : عفاه يعفوه واعتفاه يعتفيه، وعراه يعروه واعتراه يعتريه، واعتزّه يعتزّه وعزّه يعزّه. ومُحْسِب : كافٍ، أنشدنا أبو بكر بن الأنباري لامرئ القيس:

فتملاً بيتنا أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وري

أي يكفيك الشبع والري. وفناؤه رحب أي واسع، ويقال فناء الدار وثناؤها، والسَّناء من الشرف ممدود ومن الضوء مقصور. والمصمّم من الرجال: الذي يمضي في الأمور لا يتردّ عزمه شيء، والمصمم من السيوف: الذي يمضي في الضرائب لا يجبسه شيء. وأيسار جمع يسر، وهو الذي يدخل مع القوم في القداح، وهو مدح، وقال الشاعر:

وراحلة نحرث لشرب صدق وما ناديت أيسار الجزور

والبرم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، وهو ذم، وجمعه أبرام، قال متمم:

ولا برم تُهدي النساء لعِرسه إذا القشع من برد الشتاء تققععا

ويقال: كان رجلٌ برماً فجاء إلى امرأته وهي تأكل لحماً فجعل يأكل بضعتين بضعتين، فقالت له امرأته: أبرماً قروناً، فأرسلتها مثلاً. وقال أبو زيد: الكميّ الجريء المقدم كان عليه سلاح أو لم يكن، وقال غيره: الذي يكمي شجاعته في نفسه أي يسترها، وقال ابن الأعرابي: الكميّ: الشجاع، وسمي كميّاً لأنه يتكّمى الأقران لا يكع ولا يجبن عن قرنه، أي يقصد، وكل ما اعتمدته فقد تكمّيته، وأنشد:

بل لو شهدت الناس إذ تُكُمّوا بقدر حُمّ لهم وحُمّوا

وعُمّة لو لم تُفرّج غُمّوا



النص الثالث*

حدثنا أبو معاذ عبدان الخولي المتطبّب قال: دخلنا يوماً بِسُرٍّ من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوذه وقد فلج، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل فيه فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشقّ مائل ولعاب سائل؟ ثم أقبل علينا فقال: ما تقولون في رجل له شقان: أحدهما لو عُزّز بالمسأل ما أحسّ، والشق الآخر يمرّ به الذباب فيغوّث، وأكثر ما أشكوه الثمانون؟ ثم أنشدنا أبياتاً من قصيدة عوف بن محمّل الخزاعي، قال أبو معاذ: وكان سبب هذه القصيدة أن عوفاً دخل على عبد الله بن طاهر فسلم عليه عبد الله فلم يسمع، فأعلم بذلك فزعموا أنه ارتجل هذه القصيدة ارتجالاً فأنشده:

يا ابن الذي دان له المشرقان	طُرّاً وقد دان له المغربان
إن الثمانين وبُلغْتُها	قد أحوجت سمعي إلى ترجمان
وبدلّني بالشّطاط انحناءً	وكنت كالصّعدة تحت السنان
وبدلّني من زَماع الفتى	وهمتي همّ الجبان الهدان
وقاربت مني خطأ لم تكن	مقارباتٍ وثنت من عنان
وأنشأت بيني وبين الورى	عنانةً من غير نسج العنان
ولم تدع فيّ لمستمع	إلا لسانِي وبحسبي لسان
أدعو به الله وأثني به	على الأمير المصعبيّ الهجان
فقرّباني بأبي أئتما	من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي إلى نسوة	أوطانها حرّان والرتان

* الأماي، ١/ ٥٠.

وقرأنا على أبي بكر بن دريد رحمه الله لذي الرمة:

رمى الإدلاجُ أيسر مرفقيها بأشعث مثل أشلاء اللجام
يقول: أدلج فأعيا، فإذا نام توسد يُسرى ذراعي ناقتة، فيعني أن الإدلاج هو الذي فعل
بها ذلك. وأشلاء اللجام بقاياها من حديدته وسيوره، ويعني بالأشعث: نفسه.

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت أعرابياً يصف
خيلاً فقال: سَبَاطُ الخصائل، ظِمَاءُ المفاصل، شَدَادُ الأَبَاجِل، قَبُّ الأَيَاطِل، كَرَامُ النَوَاجِل.
قال أبو علي: الخصائل واحدها خصيلة، وهي كل قطعة من اللحم مستطيلة أو مجتمعة، وقال
أبو عبيدة: الخصائل: ما انماز من لحم الفخذ بعضه من بعض. وظماء ضَمَر. والأباجل جمع
أبجل وهو من الفرس بمنزلة الأكحل من الإنسان، يريد أنها شداد القوائم. قَبُّ: ضَمَر.
والأَيَاطِل: جمع أَيْطَل، والأَيْطَل والإِطَل والصُّقْل والقُرْب والكُشْح واحد. والنَوَاجِل جمع ناجلة،
وهي التي نَجَلَتْه أي ولدته.

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت أعرابياً يصف إِبلاً
فقال: إنها لعظام الحناجر، سباط المشافر، كَوْمٌ بهازر، نَكْدٌ خناجر، أجوافها رِغَاب، وأعطانها
رحاب، تُنَمَع من البُهَم وتبذل للجُمَم. قال أبو علي: الحناجر واحدها حُنْجور وهو الحلقوم.
والكُوم جمع أَكُوم وكوماء وهي العظام الأسنمة. والبهازر: العظام واحدها بُهْزرة. والنكد: الغزيرة
اللبن في هذا الموضع، والنكد أيضاً التي لا يبقى لها ولد. وقال الأصمعي: الصفيّ والخنجور
واللُهموم والرُهمشوش كل هذه الغزيرة اللبن. والرَّغَاب : الواسعة، وأعطانها: مباركتها عند الماء. والبُهَم
جمع بُهْمَة وهو الشجاع الذي لا يُدرى من أين يؤتى من شدة بأسه. والجُمَم واحدها جُمَّة، وهم
القوم يسألون في الدِّيَات، وأنشدنا أبو بكر:

وَجُمَّةٌ تَسْأَلُنِي أَعْطِيْتُ وسائلٍ عن خبرٍ لويت

وقلْتُ لا أدري وقد دريتُ

وأنشدني أبو بكر قال أنشدني الرياشي:

لو قد تركتك لم تُنخ بك جُمَّةً ترحو العطاء ولم يزرّك خليلُ



النص الرابع*

حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثني عمي عن أبيه عن هشام بن محمد الكلبي عن عبد الرحمن بن أبي عيس الأنصاري قال: عاش الأوس بن حارثة دهنراً وليس له ولد إلا مالك، وكان لأخيه الخزرج خمسة: عمرو وعوف وجُشَم والحارث وكعب، فلما حضره الموت قال له قومه: قد كنا نأمرُكَ بالتزوُّج في شبابك فلم تزوِّج حتى حضركَ الموت، فقال الأوس: لم يهلك هالك ترك مثل مالك، وإن كان الخزرج ذا عدد وليس لمالك ولد، فلعل الذي استخرج العَدَق من الجريمة، والنار من الوثيمة، أن يجعل لمالك نسلًا، ورجالًا بُسلاً. يا مالك المنية ولا الدنية، والعتاب قبل العقاب، والتجلد لا التبلد، واعلم أن القبر خير من الفقر، وشرُّ شارب المشتفِّ، وأقبح طاعمٍ المقتفِّ، وذهاب البصر خير من كثير من النظر، ومن كرم الكريم الدفاع عن الحرِّيم، ومن قلَّ ذلٌّ، ومن أمرَ فلٌّ، وخير الغنى القناعة وشرُّ الفقر الضراعة، والدهر يومان فيوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر، فكلاهما سينحسر، فإنما تَعُزُّ من ترى وَيَعُزُّكَ من لا ترى، ولو كان الموت يشتري لسلم منه أهل الدنيا، ولكن الناس فيه مستوون الشريف الأبلح واللئيم الملعج، والموت المفيت خير من أن يقال لك هبيت، وكيف بالسلامة لمن ليست له إقامة، وشرُّ من المصيبة سوء الخَلَف، وكل مجموع إلى تلف، حيَّاكَ إلهك. قال: فنشر الله من مالك بعدد بني الخزرج أو نحوهم.

قال أبو علي: قوله: فلعل الذي استخرج العَدَق من الجريمة، العَدَق: النخلة نفسها بلغة أهل الحجاز، والعَدَق الكِبَاسَة، والجريمة: النواة، والوثيمة هي الموثومة المربوطة، يريد به قدح حوافر الخيل النار من الحجارة، والعرب تقسم بهذا الكلام فتقول: لا والذي أخرج العدق من الجريمة والنار من الوثيمة لا فعلت كذا وكذا، ومن أيمانهم: لا والذي شَقَّهَنَّ خمساً من واحدة،

يعنون الأصابع، ويقولون: لا والذي أخرج قائبةً من قوب، يعنون فرخاً من بيضة، ويقولون: لا والذي وجهي زَمَمَ بيته، أي قصده وحذاءه. والبُسل الشجعان، واحدهم باسل، والبَسالة: الشجاعة، قال الفراء: الباسل الذي حرم على قرنه الدنو منه لشجاعته أي لشدته، لأنه لا يمهّل قرنه ولا يمكّنه من الدنو منه، أخذ من البسل وهو الحرام. وقال شيخنا أبو بكر بن الأنباري قال الأصمعي: الباسل المر، وقد بسّل الرجل يسئل بسالة إذا صار مرّاً. والمشتفّ المستقصي، يقال: استشف ما في إنائه واشتف إذا شرب الشُّفافة وهي البقية تبقى في الإناء. والمقتفّ الآخذ بعجلة ومنه سمى القفّاف. وأمر أكثر عدده، يقال أمر القوم يأمرؤون إذا أكثر عددهم، قال لبيد:

نعلوهم كلما ينمي لهم سلف بالمشرفي ولولا ذاك قد أمرؤوا
وأنشدنا أبو زيد:

أمّ جوار ضنؤها غير أمر

ضنؤها نسلها، وأمر المال وغيره يأمر أَمَرَةً وأَمَرًا إذا كثر قال الشاعر:

والإثم من شرّ ما يُصل به والبرّ كالغيث نبتُهُ أمرُ

ويقال في مثل: في وجه مالِك تعرف أَمَرته، وأَمَرته، أي نماءه وكثرته، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أي كثرنا، وقال أبو عبيدة: يقال خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة، فالمأمورة الكثيرة الولد، من أمرها الله أي كثرها، وكان ينبغي أن يقال مؤمّرة ولكنه أتبع مأبورة. والسكة السطر من النخل، وقال الأصمعي: السكة الحديدية التي يُفلّح بها الأرضون. والمأبورة المصلحة، يقال أبرت النخل أبره أبراً إذا لَقّحته وأصلحته، وقد قرئ (أَمَرْنَا مترفياً) على مثال فعلنا. أخبرنا القاضي عن ابن كيسان أنه قد يقال: أمره بمعنى أمره يكون فيه لغتان فعل وأفعل. وتَعَزَّ: تغلب، ويقال: عزّ فلان

فلاناً عَزَّاً، وعَزَّ يَعِزُّ عِزّاً وعِزَّةً من العِزِّ، وعَزَّ على أهله عزازةً من العِزِّ. والمعلّج المتناهي في الدناءة واللؤم، وكان أبو بكر يقول: هو اللثيم في نفسه وآبائه. والهييت: الأحمق الضعيف، قال طرفة:

الهييت لا فـؤاد لـه والثبييت ثبُّتُـه فـهُمُـه
وكان أبو بكر بن الأنباري يرويهِ: قَيِّمُهُ.



النص الخامس*

قال أبو علي: العَرَض وادٍ باليمامة وكل وادٍ يقال له عرض، يقال: أحصب ذلك العرض وأحصبت أعراض المدينة، والعرض أيضاً الريح، يقال: فلان طيب العرض، وفلان منتن العرض أي الريح، والعرض أيضاً ما دُمَّ من الإنسان أو مدح، يقال: فلان نقِّي العرض أي هو بريء من أن يُشْتَم أو يُعاب، واختلف فيه فقال أبو عبيد: عرضه: آباؤه وأسلافه، وخالفه ابن قتيبة فقال: عرضه: جسده، واحتجَّ بحديث النبي ﷺ في صفة أهل الجنة «لا يبولون ولا يتغوطون إنما هو عرق يجري من أعراضهم مثل المسك» يعني من أبدانهم، ونصر شيخنا أبو بكر بن الأنباري أبا عبيد فقال: ليس هذا الحديث حجةً له لأن الأعراض عند العرب المواضع التي تعرق من الجسد، قال: والدليل على غلط ابن قتيبة في هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيد قول مسكين الدارمي:

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عَرْضُهُ وَسَمِينٍ الْجِسْمُ مَهْزُولُ الْحَسْبِ

فمعناه رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء، قال: وأما احتجاجه ببيت حسان بن ثابت: فإنَّ أباي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

في أن العرض الجسم، فليس كما ذكر، لأن معناه فإن أبي ووالده وآبائي فاتى بالعموم بعد الخصوص، ذكر الأب ثم جَمَعَ الآباء كما قال الله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فخصَّ السبع ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها، والذي قاله ابن قتيبة قد قاله غيره، ويمكن من ينصر ابن قتيبة أن يقول: بيت مسكين مثلاً، ومعناه رب مهزول

الجسم سمين الحسب، أي عظيم الشرف، وسمين الجسم مهزول الحسب أي ضعيف الشرف. والعرض : ما خالف الطول، والعرض من المال : ما ليس بنقد، والجمع عروض، يقال: اقبل مني عرضاً أي دابة أو متاعاً، والعرض: سفح الجبل أي ناحيته، قال ذو الرمة:

أدنى تقاذفه تقريب أو خيب كما تدهدى من العرض الجلاميدُ

ويقال للحيش إذا كان كثيراً: ما هو إلا عرض من الأعراض، يشبه بناحية الجبل، قال رؤبة:

إنّا إذا قُدنّا لقومٍ عَرْضاً لم نُبق من بغى الأعادي عِصّاً

والعرض الداهية، والعرض: مصدر عرضته على البيع أعرضه عرضاً، والعرض: مصدر عرضت العود على الإناء أعرضه عرضاً، والعرض: مصدر عرضت له من حقه ثوباً، فأنا أعرضه عرضاً إذا أعطيته ثوباً مكان حقه، هذه كلها مفتوحة العين مسكونة الراء، وكذلك مصدر عرضت له حاجة وعرضت عليه الحاجة. والعرض بضم العين الناحية، يقال: ضربت به عرض الحائط، ويقال: خرجوا يضربون الناس عن عرض، يريدون عن شقّ وناحية، لا يبالون من ضربوا، ومنه استعراض الخوارج الناس إذا لم يُبالوا مَنْ قتلوا. ويقال قد أعرض لك الظبي أي أمكنك من عرضه أي من ناحيته. والعرض مفتوح الراء حطام الدنيا وما يُصيب منها الإنسان، يقال: إن الدنيا عرضٌ حاضر يأكل منها البرّ والفاجر، والعرض أيضاً: الأمر يعرض للإنسان من مرض أو كسر أو غيرها مما يتلى به. ويقال: عرض له عارض مثل عرض، ولا تزال عارضة تعرض، والعارض: الأسنان التي بعد الشنايا، وهي الضواحك وجمعه عوارض، يقال امرأة نقية العارض، ومصقولة العارض، قال جرير:

أذكر يوم تصقل عارضها بعود بشامة سقي البشام

والعارض الخدّ، كذا قال أبو نصر. وقال غيره: سئل الأصمعي عن العارضين من الحية،

فوضع يده على ما فوق العوارض من الأسنان. ويقال للنحل والجراد إذا كثر: مرَّ منه عارض قد ملأ الأفق، ويقال للجبل: عارض، وبه سمي عارض اليمامة. والعارضة: الشاة أو البعير يصيبه الداء أو السبع أو كسر وجمعه عوارض، يقال: بنو فلان أكالون للعوارض، ويقال فلان شديد العارضة أي الناحية، ويقال: أخذ في عروض ما تعجبني، أي في طريقٍ وناحية، وعرفت ذلك في عروض كلامه، ويقال لمكة والمدينة واليمن: العَرُوض، ويقال: ولي فلان العراق وولي فلان العَرُوض، والعَرُوض عَرُوض الشعر، والعروض: البعير الصعب، والعَرُوضان: الجانبان، والعروض من الإبل والغنم: الذي يعترض الشوك فيأكله، يقال: غنم فلان تَعَرُضُ إذا اعترضت الشوك فأكلته، وعريض عروض، والعريض من المعزى: الذي أتى عليه نحو من سنة ونَبَّ وأراد السَّفاد وجمعه عَرُضان، وقال اللحياني: قال بعضهم: العريض من الطباء: الذي قد قارب الإثناء، والعَرِض عند أهل الحجاز الخصي والجميع العُرُضان. قال: ويقال: أعرضتُ العرضان إذا خصيتها، ويقال: فلان عُرُضَةٌ للشرا أي قوي عليه، وفلانة عُرُضَةٌ للزوج أي قوية عليه، وفرس عرضة للميدان، وجمل عرضة للحمل الثقيل، والعُرُضة الهدية، يقال: ما عَرَضْتَهُمْ، أي ما أهديت إليهم وأطعمتهم، قال الشاعر:

حمراء من مُعَرَّضَاتِ الْغُرَبَانِ يَقْدُمُهَا كُلَّ عَلاَةِ عَلِيَّانِ

يقول: عليها التمر فتأتي الغربان فتأكل مما عليها، والعُرُضة الشيء يطعمه الركب من استطعمهم من أهل المياه، والعُرُضة والعريضة واحد، وجاء في بعض الحديث: «إذا طلعت الشَّعْرَى سَفَرًا، ولم تر فيها مطرا، فلا تغذونَّ إمْرَةً ولا إمْرًا. وأرسل العُرُضَات أثرا، ييغينك في الأرض مَعْمَرًا» فالعُرُضَات: الإبل العريضة الآثار، ويقال: قوس عُرُضة أي عريضة. والمعراض: السهم الذي لا ريش عليه. والمُعَرَض: الثوب الذي تُعرض فيه الجارية، وجمعه معارض، ويقال: لَقَحَتِ الناقَةَ عَرَضًا، والعِرَاض أن يعارضها الفحل فيتتَوَّحها فيضربها فذلك الضَّرَاب هو العراض، وإذا لَقَحَتِ الناقَةَ كذلك، قيل: لَقَحَتِ يَعَارَةً، قال الراعي:

نجائب لا يُلقحْنَ إلا يعارةً عراضاً ولا يُشْرَيْنَ إلا غواليا

ويقال: جاءت فلانة بولد عن معارضة وعن عراض، وذلك إذا لم يكن له أب يعرف،
ويقال: أعرضت فلانة بأولادها: إذا ولدتهم عراضاً طوالاً من الرجال، ويقال: أعرض الشيء
إذا صار ذا عرض، قال ذو الرمة:

عطاء فتى بنى وبني أبوه فأعرض في المكارم واستطالا

أي تمكن من طولها وعرضها، وأعرض فلان عن فلان يعرض إعراضاً إذا لم يلتفت إليه،
ويقال: عرض فلان وطال إذا ذهب عرضاً وطولاً، ويقال: عرضته للخير تعريضاً، وزاد
الحياني: وأعرضته. وعارضت الشيء بالشيء: قابلته به، وخرج يعارض الريح إذا لم يستقبلها
ولم يستدبرها، ويقال: في فلان عَرْضِيَّة أي صعوبة، وكذلك ناقة عرضية أي فيها صعوبة،
والعَرْضَنَةُ أن يمشي مشية في شقٍّ فيها بغي، ويقال: هو يتعرض في الجبال إذا أخذ يميناً وشمالاً،
قال عبد الله ذو البجادين يخاطب ناقته النبي ﷺ:

تعرضي مدارجاً وسُومي تعرض الجوزاء للنجوم

هذا أبو القاسم فاستقيمي

المدارج^(١): الثنايا الغلاظ. ومرجّب: معظم وهو مأخوذ من ترجيب النخلة، وذلك أنها
إذا كرمت على أهلها وعظم حملها رجّبوها، والترجيب: أن تُعمد برُجْبة وهي بناء يُبنى
كالعمود تحتها تُعمد به، قال الشاعر:

ليست بسنهاء ولا رُجْبِيَّة ولكن عرايا في السنين الجوائح

وكان أبو بكر بن دريد ينشد (رُجْبِيَّة) بتشديد الياء فقط، وأنشدنا أبو بكر بن مجاهد

(١) بدأ يشرح من هنا ألفاظاً وردت في خبرٍ سابق لحديثه عن مادة (ع ر ض) ومشتاتها.

المقري عن أحمد بن يوسف التغلبي رُجَبِيَّةً بتشديد الجيم والياء، وكذلك أقرأني أبو بكر بن الأنباري في الغريب المصنَّف بتشديد الجيم والياء. وقوله: على عُقْر، أي على بُعْد من اللقاء، وقال أبو زيد: بعد عفر: بعد شهر، وقال غيره: بعد حين، والحين مثل البعد في المعنى. وقوله: أذنت له معناه: استمعت له، قال قعنب بن أمّ صاحب:

صُمّ إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وثراب وقريب واحد، مثل كُبار وكبير، وجُسام وجسيم، وطُوال وطويل. والصَّيدانة القدر العظيمة، وقال الأصمعي: الحَضارة والبداوة: للخصر والبدو بكسر الباء وفتح الحاء، وقال أبو زيد: البداوة والحَضارة بفتح الباء وكسر الحاء. قال أبو علي: وهما عندي لغتان الحَضارة والحَضارة والبداوة والبداوة. ولَفَتَه: لواه، واللفيتة العصيدة، وإنما سميت لفيتة لأنها تُلَفَت، أي تُلوى. والتَبَكَ: اختلط، يقال: لَبَكْتُ الشيء، وبَكَلْتُهُ إذا خلطته، قال أمية بن أبي الصلت:

له داعٍ بمكة مُشْمَعِلٌ وآخر فوق دارته يُنادي
إلى رُدْحٍ من الشَّيزى ملاءٍ لباب البُرِّ يُلبِّك بالشَّهاد

أي يخلط بالشَّهد يعني الفالوذ. وقال أبو زيد: الرِّجْلَة: اللَّحِمة الجيدة الجسم في طول، ورجُلٌ رَجُلٌ. والسَّبْحَلَة الطويلة العظيمة، ورجل سَبَحَل، وقال الأصمعي: نعت امرأة من العرب ابنتها فقالت:

ســـــــــــــــــبحلة رجلاًة تنمي نبات النخلــــــــــــــــة

ويقال: سِقَاء سَبَحَل وسَبَحْل وسَبَحْل أي عظيم. وقال: الجنوب لِيَنَّةٌ تُولِّف السَّحاب وتكثِّفه، والشمال تفرِّقه، فيسمون الشمال: محوة لأنها تمو السحاب. والوَعَث: اللين الوطئ، كذا قال الأصمعي، وقال أبو زيد نحو هذا وقال: هو الذي تَسُوخ فيه أخفاف الإبل، وهو شديد عليها.

النص السادس*

قال أبو علي: المربع ربع الغنيمة، قال الأصمعي، يقال ربع فلان في الجاهلية وخمس في الإسلام، وذلك أن أهل الجاهلية كان الرئيس منهم يأخذ ربع الغنيمة، وأنشد غير الأصمعي: منّا الذي ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو يُعد في الأحياء وأنشدنا الأصمعي:

لك المربع منها والصّفايا وحكمك والنشيطه والفضول

قال: ويقال ربع الجيش يريعه رباعة إذا أخذ ربع الغنيمة، ورَبَعَ الوترُ يربعه رُبْعاً إذا فتله على أربع قوى، وربع القوم يربعهم ربّعاً إذا كانوا ثلاثة فصار رابعهم، وربع الحجر ربّعاً إذا احتمله، وقال غيره: ربعت عليه إذا عطفت، ويقال: ربعت رفقت، قال الحطيئة: لعمري لعزّت حاجة لو طلبتها أمامي وأخرى لو ربّعت لها خلفي وربعتُ عن الأمر كفتت عنه قال رؤبة:

هاجت ومثلي نوله أن يربعا

وقال أبو نصر: ربع عليه فهو يربع ربّعاً إذا كفّ عنه، يقال ارتفع على نفسك يريد كُفّ وارفق. والرَّبْعُ الفصيل الذي نتج في أول الربيع، قال الأصمعي: أنشدني عيسى بن عمر قال سمعت بعض العرب ينشد:

وعلبة نازعتها رباعي وعلبة عند مقيل الراعي

وناقة مربع إذا كان يتبعها رُبْع، فإذا كان من عادتها أن تنتج في ربعية النتائج فهي

مربع والجمع مربيع، ويقال مكان مربع إذا كان يُنبِت في أول ما تنبت الأرض، قال ذو الرمة:

بأوّل ما هاجت لك الشوق دمنة بأجرع مَرَباعٍ مَرَبٍّ مُحَلَّل

ومكان مربوع إذا أصابه مطر الربيع، قال ذو الرمة:

إذا ذابت الشمس اتقى صَقَرَاتِهَا بأفنان مربوع الصرمة مُعْبِل

والمُرَبَّع المنزل الذي يقام فيه في الربيع، يقال: هذه مصايفنا ومربعنا، أي حيث نرتبع ونصيف: ويقال: رُبِع الرجل يُرَبِّع رُبْعاً فهو مربوع إذا كان يُحْمَرُ رِبْعاً، وأُرَبِّع أيضاً قال المهذلي:

مَنْ المَرَبِّعِينَ وَمَنْ آزَلٍ إِذْ جَنَّهُ اللَّيْلُ كَالنَّاحِطِ

ويقال رُبُعنا إذا أصابنا مطر الربيع، ويقال امتار فلان في الميرة الربعية أي في أول الزمن، ويقال تَرَبَّعنا بمكان كذا وكذا أي كُنّا فيه في الربيع، وارتبّعنا نرتبع ارتباعاً، وأربع فلان إبله إذا رعاها في الربيع، وأربع فلان يربع إرباعاً إذا وُلِدَ له في حدّاته وولده ربعيون، ويقال ارتبع البعير يرتبع ارتباعاً، وما أشد ربعته، وهو أشد ما يكون من العدو، قال: وأنشدني رجل من أهل العالية:

واعرورت العُلُطَ العُرُضِيَّ تَرَكُّضُهُ أم الفوارس بالدِّئداء والرَّيْعَةِ

والدِّئداء دون الرَّيْعَةِ. وَحَيٌّ من الأسد يقال لهم: الرَّيْعَةُ متحركة الباء. والرَّيْعَةُ ساكنة الباء الجؤنة، يقال ما أوسع رُبْع بني فلان لمحلهم، والجمع رباع وربوع، ويقال: ما في بني فلان من يضبط رباعته غير فلان، كأنه أمره وشأنه، قال الأخطل:

ما في معدٍّ فتى تُغني رباعته إذا يَهُمُّ بأمر صالح فعلا

وقال غيره: رباعته: قبيلته وقومه، قال الأصمعي: يقال رجل مربوع ومرتبّع إذا كان وسطاً لا بالطويل ولا بالقصير، قال العجاج:

رَباعياً مرتباً أو شَوْقياً

ويقال أَرْبَع إذا جاءت إبله روابع أي ترد في رُبْع فهو مربع. وأَرْبَع الدابة يُرْبَع إرباعاً إذا طلعت رباعيته، ويقال أرض مربعة إذا كانت ذات يرايع. وقال ابن الأعرابي: الرَّيْع بلغة أهل الحجاز: الساقية الصغيرة وجمعه رِيعان. والرَّيْعَة: الصخرة، والرَّيْعَة أيضاً: بيضة الحديد. والمَرْبَعَة عُصِيَّة يأخذ رجلان بطرفيها فيلقيان الحمل على البعير، وأنشد الأصمعي:

أَيْن الشَّظَاظَانِ وَأَيْنَ المَرْبَعِ وَأَيْنَ وَسَقِ النَّاظَةِ الجَلْنَفَعِ

الشَّظَاظ: عود يُدْخَل في عروقي الجوالق ليثبت على البعير، والجَلْنَفَعَة: الجافية، ويقال: المِسْنَة. والوسق: الحمل. ويقال: رابعتُ الرجل وهو أن تأخذ بيده ويأخذ بيدك تحت الحمل حتى ترفعه على البعير قال الراجز:

يا ليت أم الفيض كانت صاحبي مكان من أنشا على الركائب
ورابعتني تحت ليل ضارب يساعد فغم وكفّ خاضب

ونَدَّ^(١): شرد، والذود: ما بين الثلاثة إلى العشرة والعرب تقول: «الذود إلى الذود إبل» يقول إذا اجتمع القليل إلى القليل صار كثيراً. وبغاؤها: طلبها. والشجير الكثير الشجر. والأين: الكلال. ورسغت: شددت رسغه. والتَّيَاف: العالي. والكُثَاف الكثيف. والجُرْم: الجسد. والخفاف: الخفيف. والعلاكد الصلاب. والكُوم العظام الأسنة، يقال: ناقة كوماء وبعير أكوم. والواحد من علاكد علكد. والصِّلَاخذ العظام الشداد واحدها صِلَاخذ، وفيه لغات يقال بعير صِلَاخذ وصلّخذ وصلّخدي، وناقة صِلَاخذة. والمقاحد: جمع مقحاد وهي الغليظة السَّنام، والقحدة: السنام، ويقال أصل السنام. والجداث جمع جدود وهي التي انقطع لبنها. قال الأصمعي: الشَّاسف أشد ضُمرّاً من الشازب. والصَّمارد جمع صمرد، والصمرد

(١) بدأ القالي ها هنا يشرح ألفاظاً أخرى وردت في خبر سابق.

والبيكة والدهين: القليلة اللبن. والفرع جمع فرعة وهي أعلى الجبل. والكرع: ماء السماء ينزل فيستنقع وسمي كرعاً لأن الماشية تكرع فيه. والعقدات جمع عقدة، والعقدة الضفيرة: ما تعقد من الرمل. والغائط المطمئن من الأرض. والملا الفضاء. والصصح الصحراء. وسدير وأملح موضعان. والأجرع والجرعاء: دعص لا ينبت شيئاً. وأبرح: أشد. والكُتب: القُرب. والعرج نحو خمسمائة من الإبل. والعكابس والعكامس جميعاً: الكثير. وأسحفتها استأصلتها. والرّغس البركة والنماء قال رؤبة:

دعوت ربّ العزة القدوسا دعاء من لا يقرع الناقوسا

حتى أرانا وجهك المرغوسا

والقوادح واحدتها قادحة وهي العيب في العود والسن. وأقسّس أتبع. والرّوايح التي قد سقطت من الهزال. والحدابير التي قد تقوست من الهزال واحدها حدبار.



النص السابع*

حدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: قال هاني بن قبيصة الشيباني لقومه يوم ذي قار وهو يحرضهم: يا معشر بكرٍ هالك معذور خير من ناجٍ فرور، إن الحذر لا يُنجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور. يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا من بُدّ.

وقرأت على أبي بكر بن دريد لحُميد بن ثور الهلالي:

ولقد نظرتُ إلى أغرٍّ مُشَهَّرٍ بِكُرٍ توَسَّن بالخميلة عونا
متسَّم سَنَماتها متفجَّس بالهدر يملأ أنفساً وعيونا
لِقَحِّ العجافُ له لسابعٍ سبعةٍ وشرِّينَ بعد تحلُّؤٍ فروينا

يعني بأغرَّ سحاباً فيه برق أو هو أبيض. وبكر لم يمطر قبل ذلك. وتوسن طرقها ليلاً عند الوسن: أي وقت اختلاط النعاس بعيون الناس، يقال توسنت الرجل أي أتيته وهو وسنان. والخميلة: رملة كثيرة الشجر. وعون: جمع عوان وهي الأرض التي قد أصابها المطر مرة، وهذا مَثَل، وأصله في النساء، قال الكسائي: العوان التي قد كان لها زوج ومنه قيل حرب عوان. وقوله متسَّم: شبهه بالبعير الذي يتسَّم أسنمة الإبل أي يعلوها. والسنيمات العظام السنام، يريد أن هذا السحاب كأنه يتسَّم التلال والآكام أي يعلوها، وهو مَثَل. ومتفجس: متكبر. بالهدر يعني رعد. وقوله: يملأ أنفساً: تعجباً منه وقال بعضهم لهولها. ولقحت نبت

* الأماي، ١/ ١٦٩.

عشبتها. والعجاف الأرضون التي لم تُمطر، وهو مثل. بعد تحلُّ بعد منع من الماء.

قال أبو علي: وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن قال سمعت عمي يحدث سُرَّان أبا العباس ابن عمه -وكان من أهل العلم- قال: سهرت ليلة من لياليَّ بالبادية وكنت نازلاً عند رجل من بني الصِّدَاء من أهل القصيم، وكان والله واسع الرِّحل كريم المحلِّ، فأصبحت وقد عزمت على الرجوع إلى العراق، فأتيت أبا مثنوي فقلت: إني قد هلعت من الغربة، واشتقت أهلي، ولم أفد في قدمتي هذه إليكم كبير علم وإنما كنت أغتفر وحشة الغربة وجفاء البادية للفائدة، فأظهر توجعاً، ثم أبرز غداً له فتغذيت معه، وأملا بناقة له مهريه كأنها سبيكة لجين فارتحلها واكتفلها، ثم ركب وأردفني وأقبلها مطلع الشمس، فما سرنا كبير مسير حتى لقينا شيخاً على حمار، له جُمَّة قد ثَمَّعَهَا كالورس فكأنها قنبيطة وهو يترنم، فسلم عليه صاحبي وسأله عن نسبه فاعتزى أسدياً من بني ثعلبة، فقال: أتشد أم تقول؟ فقال كُلاً، فقال: أين تؤمُّ؟ فأشار إلى ماء قريب من الموضع الذي نحن فيه، فأناخ الشيخ وقال لي: خذ بيد عمك فأنزله عن حماره، ففعلت، فألقى له كيساً قد كان اكتفل به ثم قال: أنشدنا- رحمك الله- وتصدَّق على هذا الغريب بأبيات يعيِّهنَّ عنك ويذكرك بهن، فقال: إي ها الله إذا! ثم أنشدني:

لقد طال يا سوداء منك المواعد	ودون الجدا المأمول منك الفراقد
إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد	بفضل الغنى ألفت مالك حامد
ثمَّيننا غداً وغيمكم غداً	ضباب فلا صحو ولا الغيم جائد
وقلَّ غناء عنك مال جمعه	إذا صار ميراثاً ووارك لاحد
إذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما	يريب من الأدنى رماك الأبعاد
إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل	عليك بروق جمه ورواعد
إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل	جنيباً كما استتلى الجنية قائد

إذا أنت لم تترك طعاماً تحبه ولا مقعداً تدعى إليه الولائد
تجلّلت عاراً لا يزال يشبه سباب الرجال نقرهم والقصائد
وأنشدني أيضاً:

تعزّ فإن الصبر بالحرّ أجمل وليس على ريب الزمان مُعوّل
فلو كان يُعني أن يُرى المرء جازعاً لنازلة أو كان يُغني التذلل
لكان التعزّي عند كل مصيبة ونازلة بالحرّ أولى وأجمل
فكيف وكلّ ليس يعدو حمامه وما لامرئ عما قضى الله مزحل
فإن تكن الأيام فينا تبدلت بيؤس ونُعمى والحوادث نفعل
فما ليّنت منا قناة صليبةً ولا ذلّلتنا للذي ليس يجُمّل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة تُحمّل ما لا يستطيع فتحمل
وقينا بعزم الصبر منا نفوسنا فصحّت لنا الأعراض والناس هُزّل

قال أبو بكر قال عبد الرحمن قال عمي: فقمتم والله وقد أنسيت أهلي، وهان عليّ طول
الغربة وشظف العيش سروراً بما سمعت، ثم قال لي: يا بني، من لم تكن استفادة الأدب أحب
إليه من الأهل والمال لم ينجّب. وأنشدنا أبو بكر قال أنشدني أبو عثمان:

إذا ما فقدتم أسود العين كنتم كراماً وأنتم ما أقام الأئم
أسود العين جبل، والجبل لا يغيب، يقول فأنتم لئام أبداً. وقرأت عليه لعدي بن زيد
يصف فرساً:

أحال عليه بالقناة غلامنا فأذرع به لخلّة الشاة راقعا

أذرع به أي ما أذرعه، أي ما أسرعه. وقوله لخلة الشاة راقعاً، أي يلحقها فيرقع ما بينه وبينها من الفرجة حتى لا يكون بينهما فرجة. وحكى عن خلف الأحمر أنه قال: يعدو الفرس وبين الشاتين خلة أي فرجة فيدخل بينهما فكأنه رقع الخلة بنفسه لما صار فيها.



النص الثامن*

قال الأصمعي: عَقَبَتِ الْخَوَّقُ وهي حلقة القرط، وهو أن يشد بالعَقَب إذا خشوا أن يزيغ، وأنشد:

كَأَنَّ خَوَّقَ قُرْطِهَا الْمَعْقُوبِ عَلَى دَبَاةٍ أَوْ عَلَى يَعْسُوبِ

وعقبت القِدْح بالعقب، مثله. وقال أبو نصر عن الأصمعي: عَقَبَ قِدْحُهُ يُعَقِّبُهُ تَعْقِيًّا إذا شَدَّ عَلَيْهِ عَقْبًا، وقال اللحياني: عَقَبَ قِدْحُهُ يَعْقُبُهُ عَقْبًا إذا انكسر فشَدَّ بعقب، وكذلك كل ما تَكَسَّرَ فَشَدَّ، وقال أبو نصر عن الأصمعي: عَقَبَ يَعْقُبُ عَقْبًا، وهو ماء يجيء بعد ماء، أو جريٌّ بعدَ جَرِيٍّ، ويقال: لهذا الفرس عَقَب. وحدثني أصحاب أبي العباس قالوا قال أبو العباس أحمد بن يحيى قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير في قول سلامة:

وَلِيَ الشَّبَابَ وَهَذَا الشَّيْبَ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِكُهُ رَكُضَ الْيَعَاقِبِ

قال: اليعاقب ذوات العَقَب من الخيل، وقال اللحياني: فرس ذو عقب إذا كان له عدو بعد عدو. وقال أبو نصر عن الأصمعي: عَاقَبَ يَعَاقِبُ مَعَاقِبَةً إذا راوح، يقال: عَاقَبَ بَيْنَ رَجُلَيْهِ وَعَاقَبَ زَمِيلَهُ، ويقال: مَتَى عُقْبُتُكَ، قال ذو الرمة:

أَلْهَاهُ آءٌ وَتُنُوءٌ وَعَقْبَتُهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرْوِ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبُ

وقوله: وعقبته، يقول: يرعى في هذا مرةً وفي هذا مرة. وقال اللحياني: أعقبت فلاناً من الركوب إذا نزلت ركب، ويقال: عَاقَبْتُهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى إِذَا رَكِبْتَ عَقْبَةً وَحَمَلْتَهُ عَقْبَةً. وقال أبو عبيد - رحمه الله - عن الأصمعي: أعقبتُ الرجلَ إِذَا رَكِبْتَ عُقْبَةً وَرَكِبَ عَقْبَةً. (وقال) قال

غير واحد: عاقبت الرجل من العقبة. قال: وقال الأصمعي: ويقال أكل أكلة أعقبته سقماً. والعقب: الولد يبقى بعد الإنسان، وعقب القدم مؤخرها، وفرس ذو عقب، قال: ومن العرب من يجزم القاف في هذه الثلاث، وقال أبو زيد: جئت على عقب رمضان وفي عقبه إذا جئت وقد مضى الشهر كله، وجئت على عقب رمضان وفي عقبه إذا جئت وقد بقيت أيام من آخره. وقال أبو النصر عن الأصمعي: عقب يُعقب تعقيباً إذا ما غزا ثم ثنى من سنته، قال طفيل الغنوي:

عناجيج من آل الوجيه ولاحق مغاوير فيها للأريب معقب

وأعقب يُعقب إقباباً إذا ترك عقباً، قال طفيل:

كريمة حُرّ الوجه لم تدع هالكاً من القوم هلكاً في غدٍ غير مُعقب

قال أبو بكر وروى أبي عن أحمد بن عبيد عن أبي نصر، وروى أبو العباس ثعلب عن أبي نصر: غير معقب، يقول: لم تقل وافلناه قطّ إلا وقد بقي من يقوم مكانه، قال أبو عبيد عن الأصمعي: عَقَبْتُ الرجل في أهله إذا بغيته بشراً وخلفته، وعَقَبْتُ الرجل: ضربت عقبه وعقبه جميعاً. وقال أبو نصر عن الأصمعي: العُقَاب الراية، قال الأصمعي: يقال للحجر النادر في طيّ البحر العُقَاب أيضاً، والعُقبة ما بقي في القدر من المرق وجمعها عُقب، قال دريد بن الصمة:

إذا عُقبُ القُدور عُددنَ مالاً يحبّ حلائل الأبرام عرسي

وقال اللحياني: يقال لما التصق في أسفل القدر من محترق التّابل وغيره عُقبة. وقال أبو نصر عن الأصمعي: العُقْبُ: العاقبة قال الله تعالى: ﴿وَحَيْرٌ عُقْبًا﴾ ويقال احذر عقوبة الله وعقابه وعُقبه. وعُقْبَةُ الجَمال أثره وهيئته، وقال اللحياني: عليه عُقبة السرو والكرم إذا كان عليه سيما ذلك (قال) وعُقْبَةُ القمر عودته، وأنشد:

لا يُطعم الغِسلَ والأدهانَ لِمَتِّه ولا الذَّريرةَ إلا عقبه القمر

وحدثني أبو عمر المطرز وعبد الله الوراق قالا : حدثنا أبو عمرو بن الطوسي أن أباه قال : سمعنا عُقْبَةَ القمر بالضم. ويقال العقبي لك في الخير، والعقبى إلى الله أي المرجع إلى الله، وحكى الكسائي: وهو خير لك في العُقْبَى والعُقْبَان أي في العاقبة، ويقال أعقب الرجل يعقب إعقاباً إذا رجع إلى خير، وعَقَبَ الشيب بعد السواد يَعُقبُ عُقوباً إذا جاء بعده، ويقال أيضاً عَقَّبَ يَعُقبُ تعقيباً إذا جاء بعده فخلفه، وكذلك كل شيء خلف شيئاً فقد عَقَبَهُ وعَقَّبَهُ. ويقال: عَقَّبَتِ الإبل إذا تحولت من مكان إلى مكان ترعى فيه. ويقال أعقبته خيراً وشرّاً بما صنع. ويقال عاقبته بذنبه عقاباً شديداً. ويقال عَقَّبَ فلان يَعُقبُ عَقْباً إذا طلب مالا أو شيئاً، وأعقب هذا هذا إذا ذهب الأول فلم يبق منه شيء وصار الآخر مكانه. ويقال عقب هذا هذا إذا جاء وقد بقي من الأول شيء. ويقال جئت على عُقب ذلك بالثقل وعُقب ذلك بالتخفيف وعلى عُقبٍ ذلك بالثقل وعُقب ذلك بالتخفيف، وعُقْبَان ذلك. قال: والعاقبة الولد.

أنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال أنشدني ابن الأعرابي:

أيا واليَّي سجن اليمامة أشرفا	بي القصر أنظر نظرة هل أرى نجدا
فقال اليماميَّان لَمَّا تبيَّنا	سوابق دمعٍ ما ملكت لها ردا
أمن أجل أعرابية ذات بردة	تُبَكِّي على نجد وتُبَلِّى كذا وجدا
لعمري لأعرابية في عباءة	تَحُل دماثاً من سويقة أو فردا
أحب إلى القلب الذي لجَّ في الهوى	من اللابسات الريط يظهرنه كَيْدا

وقرأت على أبي بكر بن دريد لمعدان بن مضرب الكندي:

إن كان ما بُلّغت عني فلامني صديقي وشلت من يدي الأنامل
وكفنت وحدي منذراً في رداءه وصادف حوطاً من أعاديّ قاتل
وأنشدني الرياشي لأعرابي:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال أحّم المقتلين ريب
فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ولكن من تنأين عنه غريب
وقرأت عليه لأعرابي:

هجرتك أياماً بذى الغمر إنني على هجر أيامٍ بذى الغمر نادم
وإني وذاك الهجر لو تعلمينه كعازبةٍ عن طفلها وهي رائم
الرائم التي ترأم ولدها.

وأنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال أنشدنا عبد الله بن خلف لقيس بن ذريح:
هَبِينِي امراً إن تُحْسِنِي فهو شاكِرٌ لَذاكَ وإن لم تحسني فهو صافح
وإن يك أقوامٌ أسأؤوا وأهَجروا فإن الذي بيني وبينك صالح
ومهما يكن فالقلب يا لُبَّنا ناشر عليك الهوى والجيب ما عشت ناصح
وإنك من لبني العشية رائح مريضُ الذي تُطوى عليه الجوانح



النص التاسع*

حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: قال معاوية: الفرصة خُلِسة، والحياء يمنح الرزق، والهيبة مقرون بها الخيبة، والكلمة من الحكمة ضالة المؤمن.

وحدثنا قال: أنبأنا عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت أعرابياً من بني مُرة يعظ ابناً له وقد أفسد ماله في الشراب فقال: لا الدهر يعظك، ولا الأيام تنذكرك، والساعات تعد عليك، والأنفاس تعد منك، أحبّ أمريك إليك أردهما بالمضرة عليك. قال: وأخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: سمعت أعرابياً يقول لأخ له: اعلم أن الناصح لك المشفق عليك، من طالع لك ما وراء العواقب برؤيته ونظره، ومثل لك الأحوال المخوفة عليك، وخلط الوعر بالسهل من كلامه ومشورته، ليكون خوفك كِفَاء رجائك، وشكرك إزاء النعمة عليك، وأن الغاشّ لك والحاطب عليك من مدّ لك في الاغترار، ووطاً لك مهاده الظلم، تابعاً لمرضاتك، منقاداً لهواك.

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال: قال شبيب بن شبة لخالد بن صفوان: من أحبّ إخوانك إليك؟ قال: من سدّ خللي، وغفر زللي، وقبل عللي.

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدثنا أبو عيسى الخُتلي قال حدثنا أبو يعلى الساجي قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال: كان يقال: عليك بدِينك ففيه معادك، وعليك بمالك ففيه معاشك، وعليك بالعلم ففيه زينك. وقرأنا على أبي بكر بن دريد رحمه الله تعالى:

فلما مضى شهر وعشر لغيرها وقالوا تحيء الآن قد حان حينها

أمرت من الكتان خيطاً وأرسلت جرياً إلى أخرى قريباً تُعينها
هذه امرأة تنتظر عيراً تقدم وزوجها فيها، فأرادت أن تتيف بالخيط وتتهياً له، والجرى:
الرسول، يقول: أرسلته إلى جارة لها تتيفها لتزني؛ وبعد هذا قال:
فما زال يجري السلك في حر وجهها وجهتها حتى نته قرونها
ننته كفتته. وقرونها: ذوائبها. وقرأت على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة لعمر
ابن أبي ربيعة:

يا ليتني قد أجزت الحبْلَ نحوكم حبْلَ المعرّف أو جاوزتُ ذا عُشَر
إن الثواء بأرض لا أراك بها فاستيقنيه ثواء حق ذي كدر
وما مللت ولكن زاد حبكم ولا ذكرتكَ إلا ظلت كالسّدير
أذري الدموع كذي سقم يخامره وما يخامرني سقم سوى الذكر
كم قد ذكرتكَ لو أُجزى بذكركم يا أشبه الناس كل الناس بالقمر
إني لأجدل أن أمسي مقابله حباً لرؤية من أشبهت في الصور

وأنشدني أبو بكر بن دريد للبعيث الهاشمي:

ألا طرقت ليلى الرفاق بغمرة ومن دون ليلى يذبل فالقعاقع
على حين ضمّ الليل من كل جانب جناحيه وانصبّ النجوم الخواضع
طمعت بليلى أن تريع وإنما يقطّع أعناق الرجال المطامع
وبايعت ليلى في الخلاء ولم يكن شهود على ليلى عدول مقانع
وماكلّ ما متك نفسك مخلياً يكون ولا كلّ الهوى أنت تابع

فما أنت من شيء إذا كنتَ كلما تذكرتَ ليلى ماء عينك دامع

وقرأت على أبي بكر بن دريد ليزيد بن الطثرية:

عقيلية أما مالات إزارها فدعص وأما خصرها فبتيل

تقيظ أكناف الحمى ويظللها بنعمان من وادي الأراك مقليل

أليس قليلاً نظرة أن نظرتها إليك وكلاً ليس منك قليل

فيا خلّة النفس التي ليس فوقها لنا من أخلاء الصفاء خليل

ويا من كتمنا حبه لم يطع به عدوّ ولم يؤمن عليه دخيل

أما من مقامٍ أشتكى غربة النوى وخوف العدا فيه إليك سبيل

فديتك أعدائي كثير وشقتي بعيد وأشياعي لديك قليل

وكنْتُ إذا ما جئتُ جئتُ بعلّة فأفانيت علاقي فكيف أقول

فما كل يوم لي بأرضك حاجة ولا كل يوم لي إليك رسول

قال أبو علي: أخذ من هذا إسحق بن إبراهيم الموصلي، حدثنا جحظة قال حدثني حماد عن أبيه إسحق بن إبراهيم قال: أنشدت الأصمعي:

هل إلى نظرة إليك سبيل يَرَو منها الصدى ويُشَف الغليل

إنَّ ما قلّ منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل

قال: فقال لي: هذا والله الديباج الخسرواني، فقلت: إنهما ليلتھما، فقال: أفسدتهما. وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه:

والله لا نظرت عيني إذا نظرت إلا تحدر منها دمعها دُررا

ولا تنفست إلا ذاكرة لكم ولا تبسمت إلا كاظماً عبرا
وأنشدنا أبو بكر بن دريد قال أنشدنا الأشناداني عن التوزي لطهمان بن عمرو من بني
بكر بن كلاب:

ولو أن ليلي الحارثية سلمت عليّ مسجى في الثياب أسوق
حنوطي وأكفاني لديّ معدّة وللنفس من قرب الوفاة شهيق
إذا لحسبت الموت يتركني لها ويُفرج عني غمّه فأفريق
ونُبت ليلي بالعراق مريضة فماذا الذي تعني وأنت صديق
شفى الله مرضى بالعراق فإنني على كل شاك بالعراق شفيق
قال وقرأت عليه لتوبة بن الحمير:

ولو أن ليلي الأخيلية سلمت عليّ ودوني تربة وصفائح
لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا إليه صدئ من جانب القبر صائح
وأغبط من ليلي بما لا أناله ألا كل ما قرّت به العين صالح



النص العاشر*

حدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا أبو عثمان عن العتبي عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعيد قال: حجَّ عتبة سنة إحدى وأربعين -والناس قريب عهدهم بفتنة-، فصرى بمكة الجمعة ثم قال: أيها الناس إنا قد ولينا هذا المقام الذي يُضاعف فيه للمحسن الأجر، وعلى المسيء فيه الوزر، ونحن على طريق ما قَصَدْنَا، فلا تَمُدُّوا الأعناق إلى غيرنا، فإنها تنقطع دوننا، ورب متمنٍ حتفه في أمنيته، فاقبلوا العافية ما قبلناها فيكم وقبلناها منكم، وإياكم ولوًا فإنها أتعبت من مكان قبلكم، ولن تريح من بعدكم، وأنا أسأل الله أن يعين كُلاً على كلِّ. فصاح به أعرابي: أيها الخليفة؛ فقال: لست به ولم تُبعد، فقال: يا أخاه، فقال: سمعت فقل، فقال: تالله إن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسننا، فإن كان الإحسان لكم دوننا فما أحقَّكم باستتمامه، وإن كان منا فما أولاكم بمكافأتنا، رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاتكم بالعمومة ويقربُ إليكم بالخؤولة قد كثره العيال ووطئه الزمان، وبه فقر، وفيه أجر، وعنده شكر، فقال عتبة: أستغفر الله منكم، وأستعينه عليكم، وقد أمرنا لك بغناك، فليت إسرعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك.

وحدثنا أبو بكر قال: أخبرنا العكلي قال حدثنا أحمد بن محمد المزني قال: قال أبو جهم بن حذيفة لمعاوية: نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال: نَمِيلُ عَلَى جِوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْبِنَا نَقْلِبُهُ لِنَخْبُرَ حَالَتِيهِ فَنَخْبُرَ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينَا فَأَمْرٌ لَهُ بِمِئَةِ أَلْفٍ.

النص الحادي عشر*

ما قاله أعرابي يمدح بعض الملوك وقد دخل عليه:

حدثنا أبو بكر رحمه الله قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال دخل أعرابي على بعض الملوك فقال: رأيتني فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر، وأيقنت أنني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلتُ الإخبار عنك إلى علم الناس بك.

وقرأنا على أبي بكر بن دريد قول الشاعر:

لَعَلَّكَ والموعود حَقٌّ وفأؤه بَدَا لَكَ فِي تِلْكَ الْقُلُوصِ بَدَاءُ
فَإِنَّ الَّذِي أَلْقَى إِذَا قَالَ قَائِلٌ مِنْ النَّاسِ هَلْ أَحْسَسَتْهَا لَعْنَاءُ
أَقُولُ الَّتِي تُنْبِي الشَّمَمَاتِ وَإِنَّمَا عَلَيَّ وَإِشْمَاتِ الْعَدُوِّ سَوَاءُ

قال: هذا رجل وعد رجلاً قلوصاً فأخلفه، فقال له الموعود: إذا سئلتُ أقول التي تُنْبِي الشَّمَمَاتِ عني، أي أقول نعم قد أخذتها، أي أكذب، ثم قال: وكذبي وإشْمَاتِ العدو سواء.

قال أبو علي: وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدنا أبو حاتم للطَّرِمَاح:

وَلَوْ أَنَّ غَيْرَ الْمَوْتِ لَأَقَى عَدَبَساً وَجَدَّكَ لَمْ يَسْطِعْ لَهُ أَبَدَا هَضْمَا
فَتَى لَوْ يُصَاغُ الْمَوْتُ صَيْغَ كَمَثَلِهِ إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي تَسَاجِلِهَا قُدَمَا
وَلَوْ أَنَّ مَوْتاً كَانَ سَالِماً رَهْبَةً مِنْ النَّاسِ إِنْسَانًا لَكَانَ لَهُ سَلَامَا

وقال أبو علي: وأملى علينا رحمه الله قال أخبرنا أبو حاتم أن أبا عبيدة أنشداهم لربيعة

الأسدي يرثي ابنه ذؤاباً:

أَبْلَغُ قِبَائِلٍ جَعْفَرٍ مَخْصُوصَةً مَا إِنْ أُحَاوَلُ جَعْفَرُ بْنُ كِلَابٍ
أَنْ الْمَوَدَّةَ وَالْهَوَادَةَ بَيْنَنَا خَلَقَ كَسَحَقِ الرِّيطَةِ الْمُنْجَابِ
قال ويروى:

أَنْ الْبَقِيَّةَ وَالْهَوَادَةَ بَيْنَنَا سَمَلٌ كَسَحَقِ الرِّيطَةِ الْمُنْجَابِ
إِلَّا بِجَيْشٍ لَا يُكْتَفَى عَدِيدُهُ سُودُ الْجُلُودِ مِنَ الْحَدِيدِ غَضَابِ
قال أبو علي: قوله لَا يُكْتَفَى عَدِيدُهُ : لَا يُخْصَى. قال أبو علي وقال لي أبو بكر: من
كلام العرب لَا تَكْتُهُ أَوْ تُكْتِ النَّجْمُ، أَي: لَا تَعُدُّهُ:

ولقد علمت على التَّجَلُّدِ وَالْأَسَى أَنْ الرِّزْيَةَ كَانَ يَوْمَ ذَوَابِ
أَذْوَابُ إِيَّيْ لَمْ أَهْبَكَ وَلَمْ أَقْمِ لِلْبَيْعِ عِنْدَ تَحْضُرِ الْأَجْلَابِ
إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ هَتَكْتَ يُيُوتَهُمْ بَعْتِيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابِ
بِأَحْبَبِهِمْ فَقَدْ أَدَّى إِلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَشَدَّهُمْ فَقَدْ أَدَّى عَلَى الْأَصْحَابِ
ويروى:

بِأَشَدَّهُمْ أَوْقَاءً عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَجَلَّهُمْ زُرّاً عَلَى الْأَصْحَابِ
وَعِمَادِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَثَمَالِ كُلِّ مُعَصَّبٍ قِرْضَابِ
قال أبو علي: الْقِرْضَابُ وَالْقُرْضُوبُ: الْفَقِيرُ. وَالْقِرْضَابُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ اللَّصُّ :
أَهْوَى لَهُ تَحْتَ الْعِجَاجِ بَطْعَنَةً وَالْخَيْلُ تَرْدَى فِي الْغَبَارِ الْكَابِيِ

الكَابِيِ الْمُنْتَفَخِ، يُقَالُ: فَلَانِ كَابِيِ الرَّمَادِ إِذَا كَانَ سَخِيًّا، وَمِنْ هَذَا قِيلَ: كَبَا الْفَرَسُ يَكْبُو

إذا ربا وانتفخ:

أَذْؤَابُ صَابٍ عَلَى صَدَاكَ فِجَادَهُ صَوْبُ الرَّيِّعِ بِوَابِلِ سَكَّابِ

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَاهُ آخِرَ عَيْشِنَا مَا لَاحَ بِالْمَغْزَاءِ رَيْعُ سَرَابِ

قال أبو علي: الرَّيِّعُ الرجوع، وريعان الشباب: أوله، والرَّيِّعُ أيضاً الزيادة، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: افْلِكُوا العَجِينَ فَإِنَّهُ أَحَدُ الرَّيِّعِينَ.



النص الثاني عشر*

حديث قيس بن ذريح وإلحاح أبيه عليه في طلاق لبني:

حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدثني عبد الله بن خلف الدلال قال: قال محمد بن زياد الأعرابي لما ألح ذريح على ابنه قيس في طلاق لبني، فأبى ذلك قيس، طرَحَ ذريح نفسه في الرَّمضاء وقال: لا والله لا أَرِيم هذا الموضع حتى أموت أو يُخَلِّيها. فجاءه قومه من كل ناحية فعَظَّموا عليه الأمر ودَكَرُوهُ بالله وقالوا: أتفعل هذا بأبيك وأمك!، إن مات شيخك على هذه الحال كنت معينا عليه وشريكاً في قتله، ففارق لبني على رغم أنفه وقلة صبره وبكاء منه، حتى بكى لهما من حضرهما، وأنشأ يقول:

أقول لخلتي في غير جُرم	ألا يبني بنفسي أنتِ يبني
فو الله العظيم لنزع نفسي	وقطع الرجل مني واليمين
أحبُّ إليَّ يا لبني فراقا	فبكي للفراق وأسعديني
ظلمتُك بالطلاقِ بغير جُرم	فقد أذهبتُ آخرتي وديني

قال: فلما سمعت بذلك لبني بكت بكاءً شديداً وأنشأت تقول:

رَحَلت إليه من بلدي وأهلي	فجازاني جزاء الخائنينَا
فمن راني فلا يَغَرَّ بعدي	بُحلو القول أو يَبُلوا لدِّفينا

فلما انقضت عدتها وأرادت الشخوص إلى أهلها أتيت براحلة لتُحمِلَ عليها، فلما رأى ذلك قيس داخله منه أمر عظيم، واشتد لهفه وأنشأ يقول:

بانت لبُني فأنتَ اليوم مَبُولُ وإنك اليوم بعد الحُزم مُجْبُولُ
فأصَبْتُ عَنْكَ لُبْنَى اليومَ نازحةً ودَلَّ لبني لها الخيرات معسُولُ
هل ترجعَنَّ نَوَى لبني بعاقبةٍ كما عهدت ليالي العشق مقبُولُ
وقد أراني بلبني حَقَّ مُقْتَنَعٍ والشَّمْلُ مجتمَعُ والحَبْلُ موصولُ
فصرتُ من حَبِّ لُبْنَى حينَ أذكُرُها القلب مُرْتَهَنُ والعقل مدخُولُ
أصبحت من حُبِّ لبني بل تَذْكُرُها في كُرْبَةِ ففؤادي اليوم مشغُولُ
والجسم مني منهوك لفرقتها يَربيه طولُ سَقَامٍ فهو منحولُ
كأنِّي يومَ وَلَّتْ ما تُكَلِّمُنِي أَخُو هِيَامٍ مُصَابُ القلبِ مَسْلُولُ
أستودع الله لبني إذ تفارقني عن غير طَوْعٍ وأمرُ الشيخ مفعولُ

ثم ارتحلت لبُني، فجعل قيس يُقبل موضع رجلِها من الأرض وحُولُ خبائها، فلما رأى ذلك قومه أقبلوا على أبيه بالعدْل واللوم، فقال ذَرِيح لما رأى حاله تلك: قد جنيتُ عليك يا بُني، فقال له قيس: قد كنت أُخبرك أنّي مجنون بها فلم تَرَضَ إلا بقتلي، فإله حَسْبُكَ وحَسْبُ أُمي، وأقبل قومه يعذلونه في تقبيله التراب، فأنشأ يقول:

فما حيّ لطيب تراب أرضٍ ولكن حُبُّ من وطئ الترابِ
فهذا فِعْلُ شَيْخِنَا جَمِيعاً أرادوا لي البليَّةَ والعذابا

وقرأت على أبي بكر بن دريد:

كسوناها من الرِّيطِ اليماني مُسُوْحاً في بَنَائِهَا فُضُولُ
وهَدَمْنَا صَوَامِعَ شَيْدَتِهَا لها حَبُّ مُحَالِطِهَا بَحِيلُ

يقول: كانت هذه الإبل بيضاً كأن عليها الرِّيط، ثم اسودّت من العَرَق من شدة ما أتعناها فكأننا كسونها المسوح، يعني أنها صارت سوداً بعد أن كانت بيضاً. وقوله: وهدمنا صوامع شيدتها، يعني أسنمتها رفعتها. لها حَبَبٌ: وهي جمع حَبَّة وهي بزور البقل والنبات. مخالطها نجيل، والنجيل من الحمض، ومنه قول الشماخ:

ولا عَيْبَ في مكروها غير أنها تَبَدَّلَ جَوْنًا لَوْنُهَا غير أزاهرا

قال أبو علي: قال أبو عبيدة من أمثال العرب: «العُفُوقُ تُكُلُّ من لَمْ يَنْكَلْ».

يقول إذا عَقَّه ولده فقد ثكَلهم، وإن كانوا أحياء، قال: ومن أمثالهم: «تَحَبَّ روضةً وأَحَالَ يَعْدُو» يقول: ترك الخِصْبَ واختار الضيق، يضرب مثلاً للرجل تُعرض عليه الكرامة فيختار الهوان. قال الأصمعي: ومن أمثالهم «إذا نزا بك الشرُّ فاقْعُد» أي فاحلُم ولا تُسارع إليه. قال الأصمعي: حدثني خلف الأحمر قال: أنشدني رجل من أهل البادية:

عَمِّي عَوَيْفٌ وَأَبُو عَلَجٍ المَطْعَمَانِ الشَّحْمَ بالعَشِجِ
وبالغداة كَسَرَ الْبَرَنْجَ يُنْزَعُ بِالْوَدِّ وبالصَّيْحِ

أراد بالعشي والصَّيْحَ أراد الصَّيْصِيَّةَ وهي قرن البقرة، قال: وقال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بني حنظلة: ممن أنت؟ قال: فُقَيْمَج، فقلت: من أيهم؟ قال مُرْجٌ، أراد فقيميٍّ ومُرْجِيٍّ، وأنشد لهميان بن قحافة السعدي:

يطير عنها الوَبَرُ الصُّهَابِجَا.

قال: أراد الصُّهَابِيَّ من الصُّهْبَةِ. وقال يعقوب بن السكيت: بعض العرب إذا شدد الباء جعلها جيماً، وأنشد عن ابن الأعرابي:

كَأَنَّ فِي أذْنَاهِ الشُّوْلَ مِنْ عَبَسَ الصَّيْفُ قُرُونِ الإِجْلِ

أراد: الإيْلَ، وأنشد الفراء:

لا هُمَّ إن كنتَ قَبْلَتَ حُجَّتِجَ فلا يزالَ شاحِجُ يَأْتِيكَ بِحِجْ
أَقَمَرُ هَآتُ يُنْزِي وَفَرَّجِ

أراد: وَفَرَّجِي .



النص الثالث عشر*

ما كان زياد يقوله للرجل إذا أراد أن يوليه عملاً:

وحدثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال: كان زياد إذا ولى رجلاً عملاً قال له: خُذْ عَهْدَكَ وَسِرْ إِلَى عَمَلِكَ، واعلم أنك مصروف رأس سَتِّكَ وأَنْكَ تصير إلى أربع خِلال فاختر لنفسك: إِنَّا إِنْ وَجَدْنَاكَ أَمِيناً ضَعِيفاً استبدلنا بك لَضَعْفِكَ وَسَلَمَتِكَ مِنْ مَعَرَّتِنَا أَمَانَتِكَ، وَإِنْ وَجَدْنَاكَ قَوِيّاً خَائِئناً استهتَّ بقوتك وأحسنَّا على خيانتك أدبِكَ، وأوجعنا ظَهْرَكَ وثقلنا غُرْمَكَ، وَإِنْ جَمَعْتَ عَلَيْنَا الْجُرْمِينَ جَمَعْنَا عَلَيْكَ الْمِضْرَتَيْنِ، وَإِنْ وَجَدْنَاكَ أَمِيناً قَوِيّاً زدنا في عَمَلِكَ، ورفعنا ذِكْرَكَ، وكَثَرْنَا مَالَكَ، وأوطأنا عَقَبَكَ.

وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن عبد الله بن مصعب الزبيري قال: كنا بباب الفضل بن الربيع، والآذُنُ يَأْذُنُ لذوي الهَيْئَاتِ والشارات، وأعرابي يدنو، فكلما دنا صُرخ به، فقام ناحية وأنشأ يقول:

رَأَيْتَ آذَنَنَا يَعْتَامُ بَزَنَّا وليس للحَسَبِ الزاكي مُجْتَامُ
ولو دُعِينَا عَلَى الْأَحْسَابِ قَدَمِنِي مَجْدٌ تَلِيدٌ وَجَدُّ رَاحِجٌ نَامِي
مَتَى رَأَيْتَ الصَّقُورَ الْجُدَلَ يَاقِدُهَا خِلْطَانٍ مِنْ رَحِمٍ قُزِعَ وَمِنْ هَامِ

وقرأت على أبي بكر بن دريد رحمه الله لطيف الغنوي:

وَأَصْفَرَ مَشْهُومَ الْفُؤَادِ كَأَنَّهُ عَادَةُ النَّدَى بِالرَّعْفَرَانِ يُطَيَّبُ
تَفَلَّتْ عَلَيْهِ تَفْلَةً وَمُسْحَتْهُ بشوي حتى جَلَدُهُ مُنْقَوِبُ

يُراقِبُ إِيحَاءَ الرِّقِيبِ كَأَنَّهُ لِمَا وَتَرُونِي أَوَّلَ الْيَوْمِ مُغْضَبٌ

أَصْفَرُ يَعْنِي قِدْحًا. مَشْهُومُ الْفؤَادِ أَيُّ كَأَنَّ فؤَادَهُ مَذْعُورٌ مِنْ سُرْعَةِ خُرُوجِهِ. وَالشَّهْمُ الْحَدِيدُ الْفؤَادِ الذَّكِيِّ. وَقَوْلُهُ بِالزَّعْفَرَانِ أَرَادَ قَدْ أَصَابَهُ الْبُغْضُ كَأَنَّهُ مُطِيبٌ بِالزَّعْفَرَانِ. وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ: وَأَصْفَرُ مَسْمُومُ الْفؤَادِ يَعْنِي قِدْحًا مَحْزُوزُ الصَّدْرِ، وَكُلُّ ثَقْبٍ فَهُوَ سَمٌّ وَسُمٌّ، فَجَعَلَ الْحَزَّ ثَقْبًا وَجَعَلَ صَدْرَ الْقَدَحِ الْفؤَادَ. وَقَوْلُهُ: تَفَلَّتْ عَلَيْهِ، يَقُولُ: كَانَ ضُرِبَ بِهِ فَتَتَرَّبَ فَتَفَلَّتْ عَلَيْهِ وَمَسَحَتْهُ بِثَوْبِي لِيَتَمَلَّسَ، فَيَكُونُ أَسْرَعَ لَخُرُوجِهِ. وَمُتَقَوِّبٌ: مُتَقَشَّرٌ، وَقَوَابِتُهُ: قَشْرُهُ. وَقَوْلُهُ: يَرِاقِبُ إِيحَاءَ الرِّقِيبِ يَقُولُ: كَأَنَّ هَذَا الْقَدَحَ بِصِيرٍ بِمَا يَرَادُ مِنْهُ، فَهُوَ يُلَامِحُ الرِّقِيبَ، فِإِذَا قِيلَ: لِلْمَفْيِضِ أَفْضُ فَكَأَنَّهُ يُوحِي إِلَيْهِ إِيحَاءَ. وَقَوْلُهُ: لِمَا وَتَرُونِي، يَقُولُ: كَأَنَّهُ مُغْضَبٌ لِقَهْرِهِمْ إِيَّاي فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَهُوَ يَثَارِلِي.



النص الرابع عشر*

خطبة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا الزنادي قال: إنَّ عمر بن عبد العزيز رحمه الله تكلم بهذا الكلام في خطبته: ما الجزع مما لا بُدَّ منه، وما الطمع فيما لا يُرجي، وما الحيلة فيما سيزول؛ وإنما الشيء من أصله، فقد مضت قبلنا أصولُ نحن فروعها، فما بقاء فرعٍ بعد أصله، إنَّما الناس في الدنيا أغراض تتنَّضِل فيهم المنايا، وهم فيها نَهَبٌ للمصائب، مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غَصَص، لا يناولون نعمة إلاَّ بفراق أخرى، ولا يُعَمَّر مُعَمَّر يوماً من عُمره إلاَّ بهدم آخر من أجله. وأنتم أعوان الختوف على أنفسكم، فأين المهرب مما هو كائن، وإنما نتقلَّب في قُدرة الطالب، فما أصغر المصيبة اليوم مع عظيم الفائدة غداً، وأكبر خيبة الخائب فيه، والسلام.

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثنا محمد بن علي المدني قال: حدثنا أبو الفضل الربيعي الهاشمي قال: حدثنا نھشل بن دارم عن أبيه عن جدِّه عن الحارث الأعور قال: سئل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه عن مسألة فدخل مبادراً ثم خرج في حذاء ورداء وهو مبتسم، ف قيل له: يا أمير المؤمنين إنك كنت إذا سُئِلت عن المسألة تكون فيها كالسُّكَّة المحمَّاة. قال: إني كنت حاقناً، ولا رأي لحاقن ثم أنشأ يقول:

إذا المَشْكَلات تَصَدَّين لي كَشَفْتُ حَقائِقَها بِالنَّظَرِ
وإن برقت في مَخِيل الصَّوَا ب عَمِواء لا يَجْتَلِها البَصَرُ

مُقَنَّعة بغيوب الأمور وَضَعْتُ عليها صحيح الفِكر
لِسَاناً كَشَقَشَقَةِ الأرحي أو كالحسام اليماني الذِّكر
وَقَلْباً إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ الفنون أَبَرَّ عليها بِوَاهِ دِرر
وَلَسْتُ بِإِمَّعةٍ في الرجال يُسَائِلُ هذا وذا ما الحَبَر
ولكنني مَذْرَبُ الأصغرين أَبَيِّنُ مِمَّا مَضَى ماغَبَر
قال أبو علي: المخيل: السحاب الذي يُخَال فيه المطر. والشقشقة: ما يخرج الفحل من
فيه عند هياجه. ومنه قيل لخطباء الرجال شقاشق. أنشدني أبو الميَّاس لتميم بن مقبل:
عاد الأذلة في دارٍ وكان بها هُزْتُ الشقاشق ظلامون للجُرر
وأَبَرَّ: زاد على ما تستنطقه. والإمَّعة: الأحمق الذي لا يثبت على رأي. والمذرب الحاد.
وَأَصْغَرَاه: قلبه ولسانه.



النص الخامس عشر*

وصف ضرار الصدائي لعلبي رضي الله عنه وقد طلب إليه ذلك معاوية:

وحدثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدثني العكلي عن الحرمازي عن رجل من همدان قال: قال معاوية لضرار الصَّدَائِي: يا ضرار صف لي علياً عليه السلام قال: أَغْفَنِي يا أمير المؤمنين، قال: لَتَصِفَنَّهُ، قال: أمّا إذا لا بدّ من وَصْفِهِ، فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يُقَلِّبُ كَفَّهُ، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قَصُرَ، ومن الطعام ما خَشُنَ، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نُكَلِّمُهُ لهيئته، ولا نبتدئه لعظمته، يعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يَطْمَعُ القويُّ في باطله، ولا يَيْئَسُ الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليلُ سُدُولَهُ وغارت نجومه وقد مَثَلَ في محرابِهِ قابضاً على لحيته يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ، ويكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غُرِّي غيري، أليّ تعرضتِ أم إليّ تَشَوَّقَتِ، هيهات هيهات قد باينتُك ثلاثاً لا رجعة فيها، فَعُمِرْكَ قصير، وخطرُك حقير، آه من قلة الزاد وبُعدِ السفر ووحشة الطريق، فبكى معاوية رحمه الله وقال: رحمَ الله أبا الحسن فلقد كان كذلك، فكيف حُزنُك عليه يا ضرار؟ قال: حُزن من دُبح واحدُها في حجرها.



النص السادس عشر*

نبذة من كلام الحكماء:

وحدثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني قال قال عامر بن الظرب العدواني: يا معشر عدوان، الخير ألوف عروف، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه. وإني لم أكن حكيماً حتى صاحبت الحكماء، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم. قال أبو علي: قرأت على أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة عن أبيه قال: نظر الحطيئة إلى ابن عباس في مجلس عمر رضي الله عنه فقال: من هذا الذي نزل على الناس في سنّه وعَلاهم في قوله؟ وقرأت عليه أيضاً عن أبيه قال: نظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير فقال: إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومه، فقالت هند: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه. وحدثنا أبو بكر قال حدثنا أبو حاتم عن العتيبي قال: قال عبد الملك بن مروان لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد: مالك ولخثران بن عمر حيث يقول فيك:

إذا هَتَفَ العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند التّرائد

فقال: يا أمير المؤمنين وجبَ عليه حَدٌّ فأَقَمْتُهُ، فقال هَلَّا دَرَأْتُ عنه بالشُّبُهَات، فقال: كان الحدّ أبين وكان رَغْمه عليّ أهون. فقال عبد الملك: يا بني أُمِّيَّة أحسابكم أنسابكم لا تُعَرِّضُوهَا للهِجَاء، وإياكم وما سار به الشعر فإِنَّه باقٍ ما بقي الدَّهر، والله ما يَسْرُني أني هُجِّيت بهذا البيت، وأنَّ لي ما طَلَّعت عليه الشمس:

يبيتون في المشتى ملاءً بطوئهم وجارأهم غرثى يبتنّ حمائصا

وما يُيالي من مدح بهذين البيتين أن لا يُمدح بغيرهما:
هُنالك إن يُستخبلوا المال يُخبلوا وإن يُسألوا يعطوا وإن يُيسروا يُغلوا
على مُكثريهم رزقٌ من يعترهم وعند المقلّين السّماحة البذل
وأملى علينا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن أبي عبيدة الحزنق بنت هقان ترثي زوجها
عمرو بن مرثد وابنها علقمة بن عمرو وأخويه حسان وشرحبيل:

لا يَبْعَدَنَّ قومي الذين هم سُمُّ العُداة وآفة الجُر
النازلون بكل مُعْتَرِك والطيبون معاقِد الأزر

ويروى: النازلين.. والطيبين معاقد الأزر. وبرى النازلون... والطيبين:

إن يشربوا يهبوا وإن بَدَرُوا يتواظفوا عن منطق الهجر
قوم إذا ركبوا سمعت لهم لَغَطاً من التأييه والزجر
والخالطين نحيّتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذى الفقر
هذا ثنائي ما بقيت عليهم فإذا هلكت أجّني قبري

قال أبو علي: الهجر: الفُحْش. واللّغَط: الجَلَبَة. والتأييه: الصّوت. يقال: أَيْهَتْ به تأيهاً
إذا صَحَّتْ به. والنحيث المنحوت، والنضار الدَّهَب. وحدثني أبو عمرو عن أبي العباس عن
ابن الأعرابي أن عُليماً من بني دُبَيْر أنشده:

يا بنَ الكرام حَسَباً ونائلاً حقّاً ولا أقول ذاك باطلا
إليك أشكو الدَّهرَ والزَّلازلاً وكلَّ عامٍ نَقَحَ الحمائل

التنقيح القشر، قال: قشروا حمائل السيوف فباعوها لشدة زمانهم. وأملى أبو العهد
صاحب الزجاج قال: أنشدنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال: أنشدنا أبو عثمان

المازني للفرزدق:

لا خيرَ في حبٍّ من تُرجى نوافله فاستمطروا من قريش كُلاًّ منخدع
تخال فيه إذا ما جئته بلهاً في ماله وهو وافي العقل والورع
وقرأت هذين البيتين في عيون الأخبار على أحمد بن عبد الله بن مسلم مكان نوافله
فضائله.
وفي البيت الثاني مكان (تخال فيه إذا ما جئته بلهاً في ماله) (كأن فيه إذا حاولته بلهاً
عن ماله).

وأنشدنا أبو بكر قال: أنشدنا الرياشي قال أنشدنا أبو العالية الرياحي:
إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ولم أذمم الجبس اللئيم المنعما
ففيم عرفتُ الخير والشرَّ باسمه وشقَّ لي الله المسامع والفما
وأنشدنا أبو بكر قال: أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لأعرابي سأل رجلاً حاجةً فتشاغل
عنه:

كدختُ بأظفاري وأعملتُ معولي فصادفت جلموداً من الصَّخر أملسا
تشاغلَ لما جئت في وجه حاجتي وأطرق حتى قلت قد مات أو عسى
وأقبلتُ أن أنعاه حتى رأيته يفوق فُوقَ الموت ثم تنفساً
فقلت له لا بأس لستُ بعائدٍ فأفرخَ تعلوه السَّماديرُ مبلِسا
السَّمادير ما يُترأى للإنسان عند السُّكر. قال أبو علي: أنشدنا أبو بكر بن أبي الأزهر
مستملي أبي العباس محمد بن يزيد قال: أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي، قال: أنشدنا الزبير
لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

غُرَابٌ وَظَبْيٌ أَعْضَبُ الْقَرْنَ نَادِيَا بَصَرَمٌ وَصِرْدَانُ الْعَشِيِّ تَصِيحُ
لِعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بِعُثْمَةَ دَائِهَا لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلِيحُ
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَعْدُو بِمَثَلِهِ وَيُحْسِبُ أُنِي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ
فَإِنْ كُنْتُ أَعْدُو فِي الثِّيَابِ تَحْمُلًا فَقَلْبِي مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ جَرِيحُ

وقال: وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة لنفسه:

أَتُرَانِي صَبَرْتُ عَنْكَ اخْتِيَارَا أَمْ تَطَلَّبْتُ إِذَا ظَلُمْتُ انتصارَا
لَا وَغُنْجٍ بِمَقْلَتَيْكَ وَوَرْدٍ فَوْقَ خَدَّيْكَ يُحْجِلُ الْأَنْوَارَا
مَا تَجَانَبْتُ عَنْ مُرَادِكَ إِلَّا خَوْفَ وَاشٍ أَشْعَرْتُ مِنْهُ الْحَذَارَا
وَرَقِيبٍ مُوَكَّلٍ بِي طَرْفًا وَخَسُودٍ يُنَمِّقُ الْأَخْبَارَا



النص السابع عشر*

سؤال بعض خلفاء بني أمية عن أشعر الناس:

وحدثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو حاتم قال: حدثني عُمارة بن عقيل قال: حدثني أبي يعني عقيل بن بلال قال: سمعت أبي يعني بلال بن جرير يقول: سمعت جريراً يقول: دخلت على بعض خلفاء بني أمية فقال: ألا تحدثني عن الشعراء؟ فقلت: بلى. قال: فمن أشعر الناس؟ قلت: ابن العشرين يعني طرفة، قال: فما تقول في ابن أبي سلمى والنابعة؟ قلت: كانا ينيران الشعر ويسديانه، قال فما تقول في امرئ القيس بن حُجر؟ قلت: اتَّخَذَ الخبيث الشعر نعلين يطوُّهما كيف شاء، قال: فما تقول في ذي الرِّمَّة؟ قلت: قَدَّر من الشعر على ما لم يَقْدِر عليه أحد، قال: فما تقول في الأخطل؟ قلت: ما باح بما في صدره من الشعر حتى مات، قال: فما تقول في الفرزدق؟ قلت: بيده نبعة الشعر قابضاً عليها، قال: فما أبقيت لنفسك شيئاً، قلت: بلى والله يا أمير المؤمنين، أنا مدينة الشعر التي يخرج منها ويعود إليها، وأنا سَبَّحْتُ الشعر تسبيحاً ما سَبَّحه أحد قبلي. قال: وما التسبيح؟ قلت: نسبت فأطرفت، وهجوت فأرذيت، ومدحت فأسنيت، ورملت فأغزرت، ورجزت فأبحرت، فأنا قلت ضروباً من الشعر لم يقلها أحد قبلي.

قال أبو علي: كذا أُملى علينا أرذيت، وهو صحيح، ومعناه أسقطت لأنه هاجى في زمانه عدَّة من الشعراء، فأسقطهم غير الفرزدق، والرذية: الساقطة من الإبل من الهزال أو من الإعياء، قال: وحدثنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، قال: أنشدنا إبراهيم بن المنذر الحزامي:

* الأُمالي، ٢/ ١٧٩.

فإنَّكَ لن ترى طرداً حرٍ كإلصاقٍ به طرفَ الهوان
ولم تجلب مودة ذي وفاء بمثل اليرّ أو لطف اللسان

(قال) وأنشدنا أيضاً أبو العباس:

وجاءت للقتال بنو هُليّك فسحّي يا سماءً بغير قَطَر

قال أبو العباس: هؤلاء قوم استعظم الشاعر مجيئهم للقتال وصعُر شأنهم عنده فقال:
فسحّي يا سماء بغير قطر، يعني بدم لا بقطر. قال: وقرأت على أبي عمر قال حدثنا أبو
العباس عن ابن الأعرابي قال يقال: وَشَع في الجبل يشع وشوعاً، ووَقَلَ يَقِلُّ وقولاً، وسَنَد يسند
سنوداً، وتَوَقَّل وتَوَشَّع إذا صَعَد في الجبل، وأنشد لشيخ من بني مُنقذ:

وَيُلْمُهَا لِفَحَةٍ شَيْخٍ قَدْ نَحَلَ أَبِي جَوَارٍ دَرْدَقٍ مِثْلَ الْحِجْلِ

حَوْسَاءٍ فِي السَّهْلِ وَشَوْعٌ فِي الْجِبْلِ فِي الصَّيْفِ حَسِيٍّ وَهِيَ فِي الْمَشْتَى وَشَلْ

قال أبو علي: الدردق: الصغار، والحوساء: الشديدة الأكل، وقوله في الصيف
حسي أي هي غزيرة لا ينقطع لبنها. وفي المشتى وَشَلْ أي إذا انقطعت ألبان الإبل
فلبنها يسيل كما يسيل الماء من أعلى الجبل. والوشل ما يخرج بين الحجارة قليلاً فقليلاً
فشبه لبنها به.

قال: وقرأت عليه قال: حدثنا أبو العباس عن ابن الأعرابي قال: يقال دَبَّحَ ودَبَّخَ ودَرَبَحَ
ودَرَبَحَ إذا ذَلَّ.

قال: والجُدُّ والجُدَّةُ والجدُّ: شاطئ النهر، وقال: سيف باتر وبثور. وباضك وبضوك أي
قاطع. و قال: لا يَبْضُكُ الله يده. قال : وحدثني أبو يعقوب وراق أبي بكر بن دريد -وكان
من أهل العلم- قال: أخبرني مُسَبِّح بن حاتم قال: أخبرنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثنا
يحيى بن سعيد الأموي قال: تزوج رجل من أهل تَهَامَة امرأة من أهل نجد، فأخرجها إلى تَهَامَة

فلما أصابها حُرُّها قالت: ما فعلتُ ريحُ كانت تأتيُنَا ونحنُ بنجدٍ يقال لها الصَّبَا؟ قال: يحبسها عنك هذان الجبلان، فأنشدت:

أيا جبلي نعمان بالله خلياً نسيم الصَّبَا يخلص إليّ نسيمها
أجدُ بَرْدَها أو تشفٍ مني حرارةً على كبدٍ لم يَبْقَ إلا صميمها
فإن الصَّبَا ريح إذا ما تَنَسَّمتُ على نفس مهموم تجلت همومها

قال: وقرأت على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: أنشدنا أبو العباس أحمد ابن يحيى لعلي بن الغُدَّير الغنوي:

فدو الرأي منّا مستقأد لأمره وشاهدنا قاضٍ على من تغيّبا
إذا غضبَ المولى لهم غضب الحصى فلم تر أنرى من حصّاهم وأصلبا
أبي لي أيّ لن أعيرّ والداً دنيّاً ولم يُذمَّ فعالي فأقصبا
ولم أنتسب يوماً سوى الأصل أبتغي به مأكلاً يُدني لذلٍّ ومشربا
ولم تضرب الأرض العريضة فرجها عليّ بأسبابٍ إذا رمث مذهبها
وهلّك الفتى أن لا يُراح إلى الندى وأن لا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا

قال أبو علي: أقصَبُ أشتم، وأصل القَصَب القطع، ومنه قيل للجزار: قصّاب. قال: وأنشدنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعي:

يا قلبُ إنك من أسماء مغرور فاذكُر وهل ينفعنك اليومَ تذكيرُ
تأتي أمورٌ فما تدري أعاجلها خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخيرُ
فاستقدر الله خيراً وارضين به فبينما العُسرُ إذ دارت مياسيرُ

وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً إذ صار في الرّمس تعفوه الأعاصير
يكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحيّ مسرور
قال أبو علي: الأعاصير جمع إعصار، والإعصار ريح تثير العبرة. قال: وقرأت على أبي
عمر قال: أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي لرافع بن هُرَم اليربوعي:
وصاحب السوء كالداء الغميض إذا يَرْفُضُ في الجوف يجري ها هنا وهنا
يُبدى ويُظهر عن عورات صاحبه وما رأى من فعال صالح دَفْنَا
كُمُهرِ سوء إذا سَكَنْتَ سَيرته رام الجماح وإن رَفَعْتَه سَكْنَا
إن عاش ذاك فَأَبْعِدْ عَنْكَ مَنْزَلَهُ أو مات ذاك فلا تَقْرَبْ له جَنَّا
قال أبو علي: يقال غَمَضَ وغَمَضَ. فمن قال: غَمَضَ قال في الفاعل غَمِضَ. ومن
قال غَمَضَ قال في الفاعل غامض.

والجنّ والرّيم والرّمس والجَدَث والجَدَف: القبر، قال: وقرأت عليه قال أنشدنا أبو العباس
عن ابن الأعرابي:

وإذا صاحبت فاصحبّ ماجداً ذا عفاف وحياءٍ وكرم
قَوْلُهُ لِلشَّيْءِ لَا إِنْ قُلْتَ لَا وإذا قلتَ نعم قال نعم
قال: وقرأت عليه قال حدثنا أبو العباس عن ابن الأعرابي قال: قيل لأعرابي: أئِماً أحبُّ
إليك الخُبز أو التَّمْر؟ فقال: التَّمْر حلٌّ وما عن الخُبزِ مُصَبِّرٌ. قال: ومضى هذا الأعرابي الذي
قال: التمر حلّو ثم عاد، فقيل له: مالك عُدت؟ فقال: إنّ الذُّبَّ لا يدَعُ غَيْطاً شَبَعَ فيه .
قال: وحدثنا أبو بكر بن دريد قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: نَزَلَ رَجُلٌ من العرب
في قومٍ عدى فأسأؤوا عشرته، فقيل له: كيف وجدتَ جِيرتك؟ فقال يَغْتَابُنَا أَقْصَاهُمْ،

ويكذب علينا أذناهم، ويكثرون لدينا نجواهم، ويكشفون علينا خصاهم، قال: وحدثني أبو بكر قال: حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي. قال: قرأ إمام (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) ثم أرتج عليه، فقال أعرابي من خلفه: إنك يا إمام ما علمتُ لفعل لما تحيرت فيه. قال: وأنشدنا أبو بكر:

وكنّا كعُصني بانه ليس واحد	يزول على الحالات عن رأي واحد
تبدّل بي خلاً فخاللْتُ غيره	وحلّيته لما أراد تباعُدي
ولو أنّ كقّي لم تُردني أبتّها	ولم يصطحبها بعد ذلك ساعدي
ألا قبح الرحمن كلّ مُذاق	يكون أحياناً في الخفض لا في الشدائد

(قال) وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: أنشدنا

عبد الله بن شبيب:

طَرَقَكَ بَيْنَ مُسَبِّحٍ وَمُكَبَّرٍ	بَحْطِيمِ مَكَّةَ حَيْثُ كَانَ الْأَبْطَحُ
فَحَسِبْتُ مَكَّةَ وَالْمَشَاعِرَ كُلَهَا	وَرَحَالَنَا بَاتَتْ بِمَسْكِ تَنْفَحُ

قال: وقرأت على أبي عمر قال: أنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي:

خَبَّرَوَهَا بَأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ	فَظَلَّتْ تَكَامُ الْغَيْظُ سَرّاً
ثُمَّ قَالَتْ لِأَخْتِهَا وَلِأُخْرَى	جَزَعاً: لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا	لَا تَرَى دَوْنَهُنَّ لِلْسَرِّ سَتْرًا
مَا لِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي	وَعِظَامِي إِحْالَ فِيهِنَّ فِتْرًا
مَنْ حَدِيثُ مُنْيٍ إِلَيَّ فَطِيعُ	حَلْتُ فِي الْقَلْبِ مِنْ تَلْظِيهِ جَمْرًا

قال: وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال: أنشدنا أبو عثمان الأشناداني:

بئسَ قريناً يفنٍ هالك أمُّ عُبيدٍ وأبو مالِك

قال: أم عبيد: المفازة، وأبو مالك: الكبر. وأنشدنا:

أبا مالِكٍ إنَّ الغواني هجرني أبا مالِكٍ إنِّي أظنك دائباً

قال أبو علي: قال الأصمعي: يقال قُرطاط وقُرطان. وحَجَرٌ أَصَرُّ وحَجَرٌ أَيْرُ إذا كان صَلاًداً صلباً. ويقال: اغنِ من ثوبك واخبن واكبن. ويقال للناس والدواب إذا مَرَّوا يمشون مشياً ضعيفاً: مَرَّوا يدبُّون ديباً ويدجُّون دجيحاً. ويقال: أقبل الحاجُّ والدَّاجُّ، فالهَاجُّ: الذين يحجُّون والدَّاجُّ: الذين يدجُّون في أثر الحاج.

ويقال للرجل والدابة إذا تعوَّد الأمر: قد جَرَنَ عليه يَجْرُنُ جُرُوناً، ومَرَنَ عليه يَمْرُنُ مروناً ومَرانة. وقال أبو عبيد: ريح ساكرة وساكنة. والزُّور والزُّون كلُّ شيء يُتَّخَذُ ربّاً ويُعبد، وأنشد:

جاؤوا بزورِهم وجئنا بالأصمَّ

وكانوا جاؤوا ببيعيرين فعقلوهما، وقالوا لا نَفَرٌ حتى يفر هذان فعابهم بذلك، وجعلهما ربَّين لهم. قال أبو علي: قال أبو عمرو الشيباني: المعْطَظَةُ والمُعْظَمَةُ: القدر الشديدة الغليان. وحكى الفراء عن امرأة من بني أسد أنها قالت: جاءنا سكران مُلتَكِّاً في معنى جاء مُلتَخاً وهو اليابس من السكر، وقال ابن الأعرابي: شيخٌ تَأَكُّ وفأكُّ، وقحزٌ وقحَمٌ. قال أبو علي: قال الأصمعي من أمثال العرب: «أشبه شرجُ شرجاً لو أنَّ أُسَيْمِراً» يضرب مثلاً للأمرين يشتبهان ويفترقان في شيء. وذكر أهل البادية أن لقمان بن عاد قال للقيِّم بن لقمان: أقم ها هنا حتى أنطلق إلى الإبل، فنحر لقيِّم جَزوراً فأكلها، ولم يَخْبَأَ للقمان فخاف لائمته فحَرَّقَ ما حوله من السَّمَر الذي بِشَرْج -وشرح وادٍ- ليخفي المكان، فلما جاء لقمان جعلت الإبل تُثير بأخفافها الجمر، فعرف لقمان المكان وأنكر ذهاب السَّمَر، فقال: «أشبه شرجُ شرجاً لو أنَّ أُسَيْمِراً».

وحدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم عن العتيبي قال: كتب عمر بن عبد العزيز الوراق

رحمه الله إلى أبي بكر بن حزم إن الطالبين الذين أنجحوا، والتجار الذين ربحوا، هم الذين اشتروا الباقي الذي يدوم بالفاني المذموم، فاعتبطوا ببيعهم، وأحمدوا عاقبة أمرهم، فالله الله وبدنك صحيح، وقلبك مريح، قبل أن تنقضي أيامك، وينزل بك حمائمك، فإن العيش الذي أنت فيه يتقلص ظله، ويفارقه أهله، فالسعيد الموفق من أكل في عاجله قَصداً، وقَدَمَ ليوم فقره ذُخراً، وخرَجَ من الدنيا محموداً، قد انقطع عنه علاجُ أمورها، وصار إلى الجنة وسرورها.



النص الثامن عشر*

الكلام على مادة هجر:

قال أبو علي: قال أبو نصر: هَجَرْتُ فلاناً أَهَجَرَهُ هَجَراناً وهَجَراً إذا تَرَكْتَ كلامه. وهَجَرَ الرجلُ في منامه يَهْجِرُ هُجْراً إذا هَدَى وتكلم في منامه. وَأَهْجَرَ يُهْجِرُ إهْجاراً وهُجْراً إذا قال هُجْراً أي فحشاً وكلاماً قبيحاً. وهَجَرْتُ البعير أَهَجَرَهُ هُجْراً وهو أن تشدَّ حبلاً من حَقْوِهِ إلى خُفِّ يده. قال أبو علي: وذلك الحبل يسمى الهِجار.

وروى أبو عبيد عن الأصمعي في كتاب الصفات نحو قول أبي عبيد قال: وهو أن تشدَّ حبلاً من وظيف رجله إلى حقه وأنشد:

فَكَعَكُوهُنَّ فِي ضَيْقٍ وَفِي دَهْشٍ يَنْزَوْنَ مِنْ بَيْنِ مَأْبُوضٍ وَمَهْجُورٍ

وقال أبو نصر: وهَجَرَ الرجل يهَاجِرُ مهاجرة إذا خرج من البدو إلى المدن، قال أبو علي: ويقال: هاجر أيضاً إذا خرج من بلد إلى بلد. وقال أبو نصر: ويقال لكل ما أفرط في طول أو في غيره: مُهْجِرٌ والأنثى مُهْجِرة إذا أفرطت في الطول، قال الراجز:

تَعْلُو بِأَعْلَى السُّحُوقِ الْمَهَاجِرِ مِنْهَا عِشَاشَ الْهَدُودِ الْقُرَاقِرِ

(وقال غيره) الهاجري الحاذق بالاستقاء. ويقال: هذا أهجر من هذا أي أفضل منه. ويقال لكل شيء فضل شيئاً: هو أهجر منه. ولهذا قيل للبن الجيد: هَجِيرٌ. ويقال إن معاوية رحمه الله خرج متنزهاً فمرَّ بجواء ضخم فقصده قَصْدَ بيت منه. فإذا بفئائه امرأة برزة فقال لها: هل من غداء؟ قالت: نعم حاضر. قال: وما غداؤك؟ قالت: خبز خمير، وماء خمير، وحبس

* الأمالي، ١٩٣/٢ (هجر).

فطير، ولبن هَجِير، فثنى وركه ونزل. فلمّا تغدّى قال: هل لك من حاجة؟ فذكرت حاجة أهل الحواء قال: هاقي حاجتك في خاصة نفسك. قالت: يا أمير المؤمنين إني أكره أن تنزل وادياً فيرفّ أوله ويثقف آخره.

وقال أبو عبيدة: هذا أمجر من هذا أي: أعظم منه. قال أبو علي: وحدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: أخبرنا أبو العباس عن ابن الأعرابي فقال: يقال هذا الطريق أمجر من هذا أي أبعد منه، والهجرة: البعد، وأصل هذه العبارات كلها واحد، وقال غيره: والهاجري: البناء، وقال بعضهم: والهاجريّ منسوبٌ إلى هَجَر، فأدخل فيه الألف واللام، قال أبو علي: وليس هذا القول بمرضي. وقال أبو نصر: والهجرة والهجير والهَجَر: وقت زوال الشمس، قال الشاعر:

كَأَنَّ الْعَيْسَ حِينَ أَخْنَحَ هَجْرًا مُغْفَاةً نَوَاطِرُهَا سَوَامِي

ويقال: ما زال ذلك هَجِيرَاهُ أي دأبه الذي يهجر به. ويقال إهجيراه أيضاً لغتان. ويقال أتاناً على هَجَرٍ أي بعد سنة فصاعداً.



النص التاسع عشر*

شرح حديث: ربّ تقبل دعوتي:

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري: قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد البزاز قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو قال: حدثنا يحيى بن سفيان قال: سمعت عمرو بن مرة يقول: حدثنا عبد الله بن الحارث عن طليق بن قيس عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ كان يقول في دعاء له: «ربّ تقبل توبتي، وأجب دعوتي، واغسل حوبتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسأل سخيمة قلبي» قال أبو بكر: الحوبة الفعلة من الحوب وهو الإثم، يقال: حاب الرجل إذا أثم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ وقرأ الحسن إنه كان حوباً كبيراً. فقال الفراء الحوب المصدر، والحوب الاسم. وقال نابغة بني شيبان:

نَمَاكَ أَرْبَعَةٌ كَانُوا أَثْمَنًا فَكَانَ مُلْكُكَ حَقًّا لَيْسَ بِالْحُوبِ

والسخيمة: الحقد، وفيه لغات، يقال في قلبي على فلان ضغنٌ، وحقدٌ، وضبٌ، ووثرٌ، ودغثٌ، وطائرٌ، وترةٌ، وذخلٌ، وتبلٌ، ووغرٌ، ووغمٌ، وغمرٌ، ومثرةٌ، وإحنةٌ، ودمنةٌ، وسخيمةٌ، وحسيكةٌ، وحسيقةٌ، وكثيفةٌ، وحشنةٌ، وحزاةٌ، وحزازٌ، ويقال: حزازٌ، قال الشاعر:

فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وقال لبيد:

بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَادُ وَالْدِّمْنُ

* الأمالي، ٢/ ٢٦٣.

وقال الأعشى:

يقوم على الوغم في قومه فيعفو إذا شاء أو ينتقم

وقال أيضاً:

ومن كاشحٍ ظاهرٍ غمره وإذا ما انتسبت له أنكرن

وقال ذو الرمة:

إذا ما امرؤ حاولن أن يقتلنه بلا إحنةٍ بين النفوس ولا دخل

وقال نسيب:

أمن ذكر ليلى قد يعاودني التَّبلُ على حين شاب الرأس واستوسق العُقلُ

وقال القطامي:

أخوك الذي لا تملك الحسَّ نفسه وترفضُ عند المحفظات الكتائفُ

أي الأحقاد، واحدها كتيفة. والكتيفة أيضاً الضَّبة من الحديد. وأنشد أبو محمد الأموي في الحِشنة:

ألا لا أرى ذا حِشْنَةٍ في فؤاده يُجمِّمُها إلا سيبدو دفينها

وأنشدنا أبو محمد بن القاسم قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي:

إذا كان أولاد الرِّجال حَزازةً فأنت الحلالُ الحلو والباردُ العذبُ



النص العشرون*

الكلام على الأمة والمال

قال أبو علي : وحدَّثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد وأبو بكر بن الأنباري في قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ الأُمَّة: القَرْنُ من النَّاسِ بَعْدَ القَرْنِ، والأُمَّةُ أيضاً: الجماعةُ من الناس، والأُمَّةُ أيضاً: المِلَّةُ والسُّنَّةُ، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ أي على دين، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي لولا يكون الناس كفاراً كلَّهم. والأُمَّةُ أيضاً: الحِزْبُ، قال الله جل وعز: ﴿وَاذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بَعْدَ حِزْبٍ، وقرأ ابن عباس وعكرمة: واذكر بَعْدَ أَمَةٍ مثل عَمَةٍ وولَه أي بعد نِسْيَان. والأُمَّةُ أيضاً: الإمام، ويقال: الرجل الصالح، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ والأُمَّةُ أيضاً: القَامَةُ وجمعها أُمَم، قال الأعشى:

وإنَّ مُعَاوِيَةَ الْأَكْثَرِ مِزِينَ حَسَنُ الْوُجُوهِ طَوَالُ الْأُمَمِ

والأُمَّهَةُ والأُمَّةُ والأُمُّ والِإِمُّ: الوالدة، قال الشاعر:

تَقَبَّلَتْهَا مِنْ أُمِّ لَكَ طَالَمَا تُتَوَزَعُ فِي الْأَسْوَاقِ عَنْهَا خِمَارُهَا

وقال آخر:

أُمَّهَاتِي خَنَدِفُ وَالْيَأْسُ أَبِي

قال وحدَّثنا أبو بكر بن الأنباري رحمه الله قال حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدَّثنا مسلم بن إبراهيم قال حدَّثنا هشام قال حدَّثنا قَتَادَةَ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ:

* الأمالي، ٢ / ٣٠١.

أنه أتى على رسول الله ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقال: يقول ابن آدم: «مالي مالي ومالك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو تصدقت فأمضيت أو لبست فأبليت». قال أبو بكر: المال عند العرب الإبل والغنم، والفضة: الرقة والورق. والذهب: النضر والنضير والعقيان. قال وحدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال: المال عند العرب أقله ما تحب فيه الزكاة، وما نقص من ذلك فلا يقع عليه مال، قال وأنشدنا أبو العباس:

أَلَا يَا قُرَّ لَا تَكُ سَامِرِيًّا فَتَشْرُكَ مَنْ يَزُورُكَ فِي جَهَادِ
أَتَعْجَبُ أَنْ رَأَيْتَ عَلَيَّ دَيْنًا وَأَنْ ذَهَبَ الطَّرِيفُ مَعَ التَّلَادِ



فهرس المصادر والمراجع

- ❖ القرآن الكريم.
- ❖ آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني زكريا بن محمد، منشورات دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- ❖ الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
- ❖ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي شمس الدين أحمد بن محمد، طبعة استشرافية اعتنى بها المستشرق دي جويه، والمستشرق دوزي، ١٩٠٦م.
- ❖ أخبار أبي تمام، للصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)، تحقيق: خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الإسلام الهندي، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٧م.
- ❖ أخبار النحويين البصريين، للسيرافي، تحقيق: طه الزيني، محمد عبد المنعم خفاجة، شركة مصطفى البابي الحلبي للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- ❖ أدب الرحلة عند العرب، حسني محمود حسين، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ❖ أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م.
- ❖ أسرار البلاغة، للجرجاني (أبو بكر عبد القاهر)، تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة مطبعة المدني القاهرة.
- ❖ الأصمعيات، الأصمعي، (عبد الملك بن قريب) تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ الأصول في النحو، لابن السراج (محمد بن السري)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، طبعة مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت .
- ❖ الأضداد في اللغة، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٦٠م.
- ❖ إعتاب الكتاب، لابن الأبار، تحقيق: د. صالح الأشتري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- ❖ أعلام الجغرافيين العرب، عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.
- ❖ الأعلام، للزركلي (خير الدين)، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م (ثمانية أجزاء).
- ❖ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م.
- ❖ أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، لسعيد الخوري الشرتوني، منشورات مكتبة آية الله المرعشي.
- ❖ الألفاظ، لابن السكيت، هذبه وشرحه: الخطيب التبريزي، عُني به: الأب لويس شيخو، بيروت، ١٨٩٥م. وقد طبع بعنوان: كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ.
- ❖ الألفاظ الكتابية، لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني، عُني به: الأب لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، الطبعة السابعة، ١٨٩٨م.
- ❖ أمالي ابن الشجري، لابن الشجري (أبو السعادات هبة الله ضياء الدين بن علي) تحقيق: عبد المعين ملوحي وأسماء الحمصي، طبعة دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٧٠م. (جزءان)
- ❖ أمالي أبي علي القالي، للقالي (إسماعيل بن القاسم)، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ثلاثة أجزاء).

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ أمالي أبي علي القالي، للقالي (إسماعيل بن القاسم)، طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان (جزءان مع الفهارس)، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ❖ أمالي بن دريد، (محمد بن الحسن)، تحقيق: مصطفى السنوسي، طبعة السلسلة التراثية رقم (١٠)، الكويت، ١٩٨٤م.
- ❖ أمالي يموت بن المزروع (يموت بن المزرع العبدى)، (جزء من ثلاثة كتب جمعت معاً بعنوان: نواذر الرسائل)، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
- ❖ الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدى، تحقيق: أحمد الزين، أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٩م، الطبعة الثانية، ١٩٥٣م.
- ❖ إنباه الرواة على أبناء النحاة، للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ❖ إنجاز التعريف في علم التصريف، للجنياني (محمد بن عبد الله)، تحقيق: محمد المهدي، عمار سالم، طبعة المدينة المنورة، ٢٠٠٢م.
- ❖ الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني (محمد بن عبد الرحمن)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الجليل بيروت، (ثلاثة أجزاء).
- ❖ البارع في اللغة، لأبي علي القالي، تحقيق: هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.
- ❖ البديع، لابن المعتز (أبو العباس عبد الله بن المعتز)، طبعة ثالثة، دار المسيرة، بيروت ١٩٨٢م.
- ❖ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. وثمة طبعة أخرى من تحقيق: د. علي محمد عمر، الشركة الدولية للطباعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٤م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ بحجة المجالس، لابن عبد البر القرطبي، تحقيق: محمد مرسى الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة، ١٩٦٢م.
- ❖ البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مراجعة: د. إبراهيم السامرائي، عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.
- ❖ تاريخ ابن الأثير أو الكامل في التاريخ، لابن الأثير (عز الدين علي الحزري)، طبعة دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م (ثلاثة عشر مجلدًا).
- ❖ تاريخ ابن خلدون، لابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، تحقيق: خليل شحادة، طبعة ثانية، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ❖ تاريخ الأدب العربي (كارل بروكلمان)، ترجمة: (عبد الحليم النجار ويعقوب بكر ومحمد رمضان عبد التواب)، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م. (ستة أجزاء).
- ❖ تاريخ البداية والنهاية، لابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر)، طبعة مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م (أربعة عشر جزءًا).
- ❖ تاريخ التراث العربي (فؤاد سزكين)، تحقيق: محمود فهمي حجازي، طبعة إدارة الثقافة والنشر، بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩١م.
- ❖ تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، للطبري (محمد بن جرير)، طبعة ثانية، دار التراث بيروت، ١٣٨٧هـ. (أحد عشر جزءًا).
- ❖ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ تاريخ دمشق، لابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، طبعة دار الفكر، ١٩٩٥م. (ثمانون جزءاً).
- ❖ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، لابن مكي الصقلي، تحقيق: د. عبد العزيز مطر، أشرف على إصداره محمد توفيق عويضة، القاهرة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ❖ تذكرة الحفاظ، لشمس الدين الذهبي، دار إحياء للتراث العربي، بيروت، ١٩٦٨م.
- ❖ تراجم المفسرين، للسيوطي، اعتنى به المستشرق مورسنيك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٣٩م.
- ❖ التشوف إلى رجال التصوف، لابن الزيات يوسف بن يحيى التادلي، تحقيق: أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٨٤م.
- ❖ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير الدمشقي، بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري، تحقيق: د. عزة حسن، دار صادر، بيروت، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، دمشق، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، والطبعة الثانية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ❖ تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، دار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ❖ ثلاثة كتب في الأضداد، للأصمعي، والسجستاني، وابن السكيت، ويليها ذيل في الأضداد للصغاني، نشرها: د. أوغست هفنر، ال مطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ❖ الجرح والتعديل، للرازي عبد الرحمن بن محمد، حيدر آباد، ١٩٥٢م - ١٩٥٣م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، لأبي زيد القرشي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نخضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
- ❖ جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ❖ جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق: د. رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ❖ جمهرة أنساب العرب، لابن سائب الكلي (هشام بن محمد)، تحقيق ناجي حسن، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م.
- ❖ جمهرة خطب العرب، لأحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت.
- ❖ جواهر الألفاظ، لقدامة بن جعفر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
- ❖ الحلة السرياء، لابن الأبار، تحقيق: د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.
- ❖ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: محمد أمين الخانجي، دار السعادة، مصر، تصوير مكتبة الخانجي، ودار الفكر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. وثمة طبعة أخرى صادرة عن دار الكتب العلمية، بيروت.
- ❖ حماسة البحتري، للبحتري (الوليد بن عبيد)، تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي، طبعة ثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.
- ❖ الحماسة البصرية، للبصري (أبو الفرج علي بن الحسن)، تحقيق: د. عادل سليمان جمال، طبعة مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٩٩م (أربعة أجزاء).

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ حماسة الخالدين (الأشباه والنظائر)، للخالدين (أبو بكر محمد و أبو عثمان سعيد)، تحقيق: محمد علي يوسف، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨م. (جزءان) .
- ❖ الحماسة الشجرية، لابن الشجري (أبو السعادات هبة الله ضياء الدين علي)، تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م (جزءان) .
- ❖ حي بن يقظان، لابن الطفيل الأندلسي، دراسة وتحليل: د. جميل صليبا، د. كامل عياد، مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الخامسة، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
- ❖ الحيوان للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
- ❖ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادى عبد القادر بن عمر، المطبعة السلفية، مصر، بولاق، ١٣٤٧هـ. وطبعة أخرى من تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
- ❖ الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ❖ دائرة المعارف الإسلامية المترجمة للعربية، ترجمة (محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس)، طبعة ثالثة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، بالتعاون مع الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٣٤م (سنة وثلاثون مجلداً) .
- ❖ دائرة معارف البستاني، بطرس البستاني، طبعة بيروت، ١٨٨٩.
- ❖ الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، د. محمد حسين آل ياسين، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ❖ دراسات في اللغة، د. مسعود بوبو، منشورات جامعة دمشق، ١٤١٠هـ - ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م - ١٩٩١م، مديرية الكتب الجامعية، مطبعة دار الكتاب، دمشق، مقرر جامعي.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ دراسة في مصادر الأدب، د. الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧م.
- ❖ دلائل الإعجاز، للجرجاني (أبو بكر عبد القاهر)، تحقيق: محمود محمد شاكر، طبعة ثالثة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ❖ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدى، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- ❖ ديوان ابن عبد ربه الأندلسي، جمع وتحقيق: د. محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبعة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ❖ ديوان أبي النجم العجلي (الفضل بن قدامة)، جمعه وحققه وشرحه: د. محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ❖ ديوان الحماسة، لأبي تمام (حبيب بن أوس)، شرح المرزوقي، تحقيق: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، طبعة القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٦هـ - ١٩٥١م.
- ❖ ديوان رؤية بن العجاج (مجموع أشعار العرب)، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: المستشرق وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- ❖ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ رحلة ابن بطوطة، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٠م.
- ❖ رحلة ابن جبير، تحقيق: د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، مصر، ١٩٩٢م.
- ❖ رحلة ابن فضال، تحقيق: سامي الدهان، منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية)، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ رحلة البلوي، تحقيق: الحسن السائح، منشورات صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين العرب والإمارات.
- ❖ رحلة العبدري، تحقيق: د: علي كردي، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ❖ رسالة التزييع والتدوير، للجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، غني بما: شارل بلات، نشرها المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٥ م.
- ❖ رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، د. عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.
- ❖ الرسالة المصرية، لأمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الداني، تحقيق: عبد السلام هارون، وهي منشورة ضمن نواذر المخطوطات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، المجلد الأول، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م، المجلد الثاني، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
- ❖ رسالة في فضل الأندلس، لأبي الوليد الشقندي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، وهي منشورة ضمن فضائل الأندلس وأهلها مع رسالتين لابن حزم وابن سعيد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.
- ❖ زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٩٦٩ م.
- ❖ سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، أشرف على التحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، قام بالتحقيق مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ❖ شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق: محمد عبد الجواد، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٥٧ م.
- ❖ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩ م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ شرح القصائد التسع المشهورات، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: أحمد خطاب، مطبعة دار الحرية، مطبعة الحكومة- بغداد، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ❖ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
- ❖ شرح القصائد العشر، للخطيب التبريزي، يحيى بن علي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ❖ شرح المرزوقي، تحقيق أحمد أمين و عبد السلام هارون، طبعة أولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.
- ❖ شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله الزوزني الحسين بن أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ❖ الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٠م.
- ❖ شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجي، مكتبة الحرم الحسيني، ١٣٧١هـ - ١٩٢٥م.
- ❖ الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس الرازي، تحقيق: مصطفى الشوملي، مؤسسة بدران- بيروت، ١٩٦٣م.
- ❖ الصحاح في اللغة والعلوم، ندیم المرعشلي، أسامة المرعشلي، دار الحضارة العربية- بيروت، ١٩٧٤م ضمن مجلدين، ١٩٧٥م ضمن مجلد واحد.
- ❖ الصحاح، للجوهرى إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطاء، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
- ❖ صفة جزيرة العرب، للهمداني الحسن بن أحمد، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ الصلة، لابن بَشْكُوَال، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
- ❖ ضحى الإسلام، لأحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٣٥م.
- ❖ طبقات الأطباء والحكماء، لابن جلدل، تحقيق: فؤاد السيد، المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ❖ طبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص، للزبيدي أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف، المطبعة اليمنية، ١٣٢١هـ.
- ❖ طبقات الشعراء المحدثين، لابن المعتز، تحقيق: عبد الستار فراج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٦م.
- ❖ طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، مطبعة الاستقلال الكبرى، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ❖ طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ❖ طبقات فحول الشعراء لابن سلام، تحقيق وشرح: محمود محمد شاكر، دار المدني، ١٩٧٤م.
- ❖ العجاج عبد الله بن رؤية، حياته ورجزه، د. عبد الحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
- ❖ العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٥م.
- ❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة خامسة، دار الجيل ١٩٨١م .

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ عيار الشعر، لابن طباطبا (محمد بن أحمد)، تحقيق: د. طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، طبعة المكتبة التجارية، ١٩٥٦ م.
- ❖ العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، منشورات دار الهجرة، إيران، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- ❖ عيون الأخبار، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم، دار الكتب المصرية، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م.
- ❖ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥ م.
- ❖ غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري، غني بنشره: ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
- ❖ فعلت وأفعلت، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، وصبيح التميمي، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ❖ فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإيباري، عبد الحفيظ شلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٤ م.
- ❖ الفهرست، لابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق)، تحقيق إبراهيم رمضان، طبعة ثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧ م.
- ❖ فوات الوفيات، للكتبي (محمد شاکر الکتبي)، تحقيق: إحسان عباس - طبعة أولى، دار صادر، بيروت، (خمسة أجزاء).
- ❖ القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ❖ قراءات في الأدب العباسي، الحركة الشعرية، د. أحلام الزعيم، منشورات جامعة دمشق، ١٤١١ هـ - ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م - ١٩٩٢ م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ قطر المحيط، لبطرس البستاني، طبع في بيروت، ١٨٦٩م.
- ❖ الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ الكتاب، لسيويو (عمرو بن عثمان بن قنبر)، تحقيق: عبد السلام هارون - طبعة ثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م (أربعة أجزاء).
- ❖ كتاب الاختيارين، للأخفش الأصغر علي بن سليمان، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الجزء الثاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤م.
- ❖ كتاب البلدان لابن الفقيه، تحقيق: د. يوسف المهادي، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ❖ كتاب الصناعتين، للعسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله) تحقيق: علي محمد البحايي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ❖ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي (محمد بن علي)، تحقيق: علي دحروج، طبعة أولى، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦م.
- ❖ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله)، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م. (ستة أجزاء).
- ❖ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث.
- ❖ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- ❖ لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، حقق في دائرة المعارف النظامية في الهند، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م. وثمة طبعة أخرى من تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، د. محمد عجاج الخطيب، دار الرسالة العالمية، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ❖ المؤلف والمختلف، للآمدي، تحقيق: عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م.
- ❖ ما تلحن فيه العامة، للمفضل بن سلمة، مخطوط في لحن العامة، عرف به وبَيّن مضمونه ومنهجه وذكر مصادره وقيّمته: د. حاتم صالح الضامن في بحث نشرته مجلة العرب، المملكة العربية السعودية- الرياض، جزء أول، و جزء ثاني، مجلد ٤١ رجب وشعبان ١٤٢٦هـ، آب وإيلول ٢٠٠٥م.
- ❖ متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، دار الحياة، بيروت، ١٩٥٨م - ١٩٦٠م.
- ❖ مجالس ثعلب، (أبو العباس أحمد بن يحيى)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة دار المعارف، بمصر، ١٩٦٠م.
- ❖ مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- ❖ مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢م، نسخة مصورة في دار الفكر.
- ❖ مجمل اللغة، لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ❖ محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م.
- ❖ مختارات شعراء العرب، لابن الشجري، تحقيق: علي محمد البحاي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ❖ مختصر المذكر والمؤنث، للمفضل بن سلمة، تحقيق: رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ❖ المخصص، لابن سيده، المطبعة الأميرية في القاهرة، ١٩٢١م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ المُداخل في اللغة، لأبي عمر المطرز المعروف بالزاهد، تحقيق: محمد عبد الجواد، طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
- ❖ مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٨م.
- ❖ المزهري في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ المسلسل في غريب لغة العرب، لأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي، تحقيق: محمد عبد الجواد، مراجعة: إبراهيم الدسوقي البساطي، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٥٧م.
- ❖ المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، د. عز الدين إسماعيل، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- ❖ مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، د. عمر الدقاق، المكتبة العربية، حلب.
- ❖ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٩٦م.
- ❖ مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري، د. أحمد قدور، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٦م.
- ❖ المطر، لأبي زيد الأنصاري، غني بنشره الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥م.
- ❖ المطرب من أشعار أهل المغرب، لابن دحية، تحقيق: إبراهيم الإبياري، حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، مراجعة: د. طه حسين، المطبعة الأميرية، القاهرة.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ معاني الشعر، لأبي عثمان الأشناداني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ❖ المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى البماني، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
- ❖ معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لياقوت الحموي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ❖ معجم البلدان، لياقوت الحموي، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها: د. عبد الإله النبهان، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣ م.
- ❖ معجم الشعراء، للمرزباني محمد بن عمران، تحقيق: عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ❖ المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع مؤسسة لاروس العالمية.
- ❖ المعجم الكبير، أشرف على إصداره مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- ❖ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ❖ المعجم الوجيز، أشرف على إصداره مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- ❖ المعجم الوسيط، أعدّ موادّه إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، ١٩٦٠ م - ١٩٦١ م.
- ❖ معجم دوزي (تكملة المعاجم العربية أو المستدرک)، رينهارت دوزي، ١٨٨١ م.
- ❖ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (عمر رضا كحالة)، طبعة سابعة، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٤ م. (خمسة أجزاء).

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ معجم ما استعجم، لأبي عبيد البكري، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥م.
- ❖ المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ❖ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ❖ المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م.
- ❖ المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة السادسة، ١٩٤٣م.
- ❖ مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين، تحقيق السيد أحمد صقر، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- ❖ المقامات الزومية، لأبي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي، تحقيق: د. حسن الوراكلي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.
- ❖ مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٨١م.
- ❖ المقتضب، للمبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد)، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، طبعة عالم الكتب، بيروت. (أربعة أجزاء).
- ❖ المقصود والممدود، لابن ولاد، تحقيق: د. إبراهيم عبد الله، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ المكتبة العربية ومنهج البحث: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ❖ الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور (علي بن مؤمن)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، طبعة مكتبة لبنان، ١٩٩٦ م.
- ❖ مناهج التأليف عند العرب، لمصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٩١ م.
- ❖ منتهى الطلب من أشعار العرب، لمحمد بن المبارك، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
- ❖ المنجد (معجم مدرسي للغة العربية)، الأب لويس المعلوف، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٠٨ م.
- ❖ منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للقرطاجي (حازم بن محمد)، تحقيق: د. محمد الحبيب بن الخوجة، طبعة ثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١ م.
- ❖ الموازنة بين الطائنين، للآمدي (الحسن بن بشر)، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦١ م.
- ❖ الموسوعة العربية، الجمهورية العربية السورية، دمشق، (مجموعة من المؤلفين)، ١٩٨١ م.
- ❖ الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، برعاية الأمير سلطان بن عبد العزيز، طبعة ١٩٩٦ م.
- ❖ موسوعة المصادر والمراجع، د. عبد الرحمن عطية، دار الأوزاعي، حلب، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة السادسة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- ❖ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

- ❖ النجوم الزاهرة، للتغري بردي (جمال الدين يوسف)، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٠م.
- ❖ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نخضة مصر- القاهرة، مطبعة المدني، وثمة طبعة أخرى في دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ❖ نزهة المشتاق في احتراق الآفاق، للشريف الإدريسي، دار عالم الكتب- بيروت.
- ❖ نسب قریش، للزيري (مصعب بن عبد الله)، تحقيق: ليفي بروفنسال، طبعة ثالثة، دار المعارف، القاهرة.
- ❖ نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، د. أجمد الطرابلسي، مكتبة دار الفتح، الطبعة الخامسة، ١٩٧١م.
- ❖ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري (أبو العباس أحمد بن محمد)، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٤٩م (عشرة أجزاء) .
- ❖ نقد الشعر (قدامة بن جعفر) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجة، طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
- ❖ نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، تحقيق: د. علي كردي، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ❖ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، للقلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي)، تحقيق: إبراهيم الإياري، طبعة ثانية، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ١٩٨٠ م .
- ❖ الوافي بالوفيات، للصفيدي (صلاح الدين خليل)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، طبعة دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م (تسعة وعشرون جزءاً) .
- ❖ الوحشيات (الحماسة الصغرى)، لأبي تمام (حبيب بن أوس)، تحقيق: عبد العزيز الميمني طبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣ م .

المكتبة العربية: مصادر التراث والكتاب القديم

❖ وفيات الأعيان، لابن خلكان (أبو العباس شمس الدين)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت. (ثمانية أجزاء) .

❖ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٧م، وثمة طبعة أخرى بتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



اللجنة العلمية

الأستاذ الدكتور محمد موعد

الأستاذ الدكتور شفيق البيطار

الأستاذ المساعد الدكتور أيمن الشوا

حقوق الطبع والترجمة والنشر

محفوظة

لمديرية الكتب والمطبوعات

